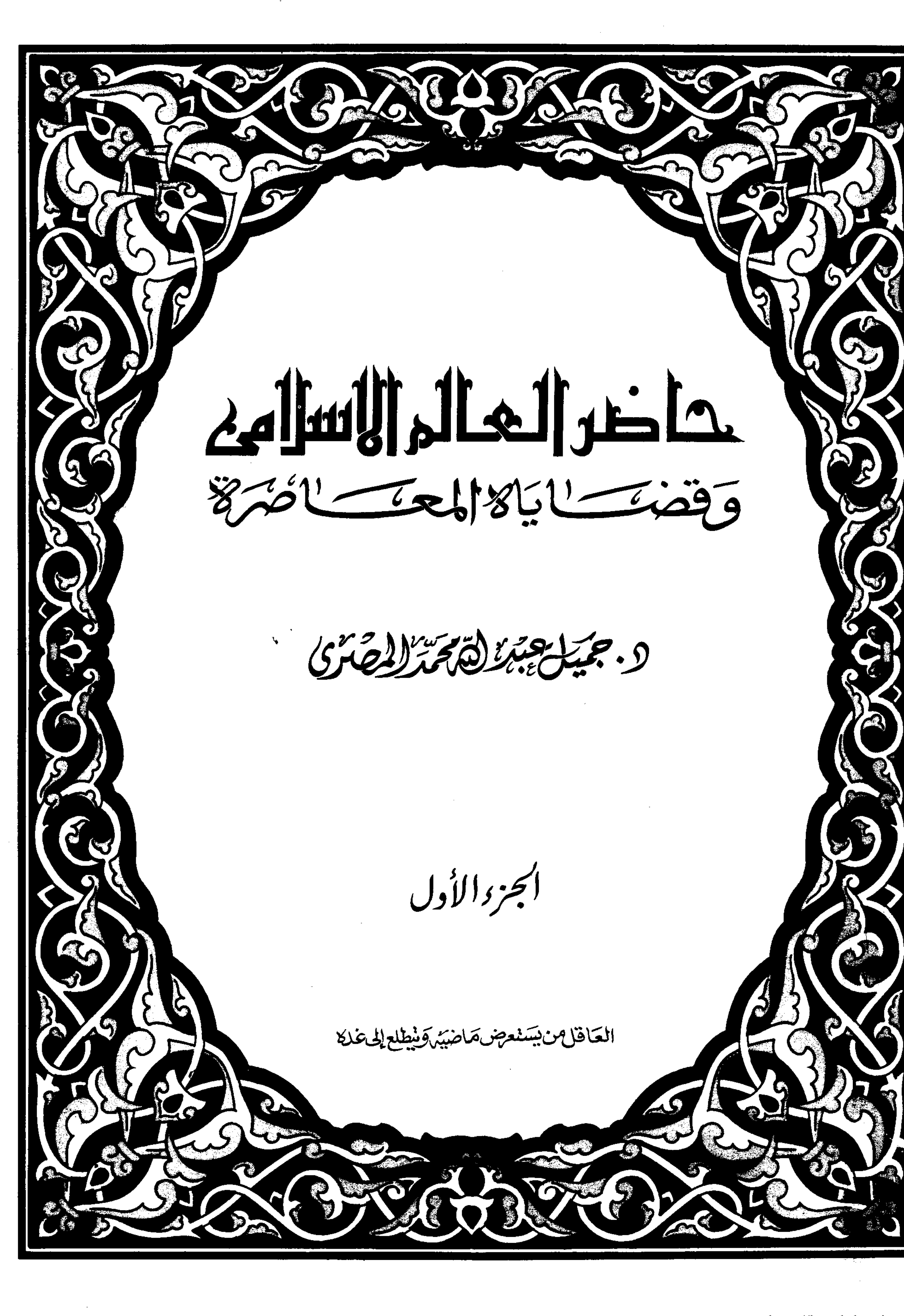

حاضر العالم الإسلامي
وقضاياه المعاصرة
د. جميل عبد الله محمد المصري
الجزء الأول
العاقل من يستعرض ماضيه ويتطلع إلى غده

حاضر العالم الإسلامي
وقضاياه المعاصرة

د. جميل عبد الله محمد المصري

الجزء الأول

العاقل من يستعرض ماضيه ويتطلع إلى غده



مقدمـــــــة

الحمـد لله، نحمـده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونؤمن به، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى اخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى صحابته الأولين من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه بإحسان إلى يوم الدين. . . وبعد :

إن مادة حاضــر العـالم الإسـلامى من أعظم المـواد خطـراً، لاتسـاعهـا وشمـولهـا، ولتشـابـك مشاكل وقضايا العالم الإسلامى واختلاطها ببعضها من جهـة وبـالمشـاكـل العـالميـة وقضـاياه من جهة أخرى، بالاضافة إلى كون هذه المشـاكـل مرتبطـة بجـذور ممتدة إلى عصور طويلة ذات ارتباط بجذور المشاكل الغربية الأوربية المعقدة .

ونحن في زمن تقـاربت فيـه المسـافـات واتصلت المجتمعـات وتشابكت المصـالـح لسهـولـة المـواصـلات وتـوافـر وسـائـل الاعلام من صحافة ومذياع وتلفـزيـون وسينما واتصـالات سلكية ولاسلكية وأقمار صناعية، ومعظم واقع العـالم الإسـلامى اليوم منفصل عن ماضيه وعن مبادئه وعقائده، فيحسّ المسلم بغـربـة وضيـاع وتمـزق بين عقيـدة يعتنقهـا ويؤمن بها وبـين واقـع مغـاير لهذه العقيـدة، تتجـاذبـه العقيدة والواقع، فيقف على مفترق طرق، إما أن ينحرف مع الـواقـع ويتخلي عن عقيـدته فيتيه مع التائهين، أو يختار العزلة والغربة عن واقعه فيصبح خطراً على نفسه وعلى أمته ودينه ومجتمعه أو أن يدع الأمور تجري على اعنتهـا مكتفيـا بنفســه متخذاً موقفاً سلبيا تجاه قضايا أمته وقضايا الإنسانية عامة، بل وينظر إليها نظرة الكراهية والحقد .

ونحن لا نريـد للداعيـة المسلم أن يكـون أحد هؤلاء، فللداعية شروط ينبغي توافرها منها ثقافته، ومنها علمه، ومنها لباقته، ومنها نهجه، وأهمها إيمانه بدعوته وقضيته التي يدافع عنها ويسعى إلى نشرها، فنريد من الداعية أن يكون

مسلماً واعياً يخالط الناس ويصبر على أذاهم، ويؤثر، يدعو إلى دينه بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يكون قدوة حسنة بتطبيقه مبادىء الإسلام على نفسه أولاً، وأن يكون الطبيب البارع المتمكن من طبه العالم بأمراض الناس وادوائها، الشفيق على الإنسانية... لا تضيره صفعة مريض أو شتيمته أو كراهية رائحته، يقف على أبواب جهنم يمنع الناس أن يكبوا أنفسهم فيها، نعم، نريده كذلك في وقت تكالبت فيه عناصر الشر والفتنة على العالم الإسلامى وعلى الإسلام، في هجمة شرسة، مصداقاً لقوله ﷺ :

«يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قال قائل : أو من قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟. قال : بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنّ في قلوبكم الوهن.

فقال قائل : وما الوهن ؟.

قال : حب الدنيا وكراهية الموت»[1].

فمادة حاضر العالم الإسلامى تهدف إلى الإسهام في تكوين الداعية المسلم بأن يتعرف على عالمه الإسلامى الكبير، وقضايا المسلمين وأدوائها، وعلى ثروات العالم الإسلامى وكيفية استغلالها، وحمايتها من الأطماع، واستثمارها وتسخيرها فيما أمر الله من نفع الناس، وعلى التحديات التي تواجه الحياة الإسلامية في المجتمعات الإسلامية المعاصرة وكيفية تذليلها، إلى أن يأذن الله، والله غالب على أمره.

---

(١) رواه الإمام أحمد عن ثوبان، وهو عند أبي داود أيضا عن ثوبان ـ كتاب الملاحم ـ الباب الخامس : تداعى الأمم على الإسلام ـ ج٢ ص٤٤٦. وانظر فقه أبي داود رحمه الله في تخصيص التداعي بالإسلام.

ولا يمكن لفرد واحد أن يفي هذه المادة حقها من البحث، ولكنى سأبذل جهـدي في سدّ فراغ للدعـاة وجـدتـه مستمـداً العـون من الله سبحانه وتعالى، عسى أن يجد الـدعـاة ـ الـذين هم على وشـك التخـرج من الجامعة الإسلامية العتيـدة والانطـلاق إلى بلادهم الإسـلاميـة للدعـوة والعمـل المجـدي الجدّي المستمر إن شاء الله ـ ما يسعفهم ويعينهم في عملهم .

فإن وفقت وذلـك ما أرجـوه، فهو الفضل من الله، وإن قصّرت فحسبي أنني أبذل جهدي، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، والله هو الهادي إلى سواء السبيل .

د . جميل عبد الله المصرى

تمهيـــــد

أولاً : الأمة الإسلامية والعالم الإسلامي :

جعـل الإسـلام من المسلمـين أمـة خاصـة من دون النـاس ، أمة متميّزة ليست كغـيرهـا من الأمم ، ذات شخصية مختلفة تمام الاختلاف عن الشخصية التي عرفهـا العـالم قبلهـا من خلال مفهـوم التفسيرات المنحرفة إلى العنصرية أو التعـدد أو عزل الأخـلاق عن الشـريعة أو العقيدة عن الأخلاق ، وذلك أن نظرة الإسلام المتكاملة للكون والحياة والمجتمع أثرت تأثيراً بعيداً في مفاهيم الحضارة والنظم والمناهج قال تعالى :

﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون**﴾[1] .

وقـد وصف الله سبحـانه وتعالى هذه الأمة بأنها خير الأمم : ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾[2] .

فوضـع سبحـانـه وتعـالى بذلـك مواصفات هذه الأمة : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكـر والإيـمان بالله . فظـل الفكـر الإسـلامى انطـلاقـاً من طبيعته ومضمـونـه القـائم على التـوحيـد الخالص يواجه النظريات ويدلي برأيه فيها ولا يتـوقف عن النظـر المنصف ولا يتقبـل كل شيء ، وهـو بسـماحـه وانفتـاحه على الثقـافـات والفكـر العالمي قادر على عملية الأخذ والعطاء على قاعدته ودون أن يخرج عن مقوماته ، وقد حفظ الإسلام من الانهيار والتفكك بقاء القرآن الكريم بعيداً عن كل الأخطار سليماً لم يمسه سوء مصداقاً لقوله سبحانه :

﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[3] ، وبقيت السنة النبوية هادية للمسلمـين بعـد أن أسلمنـا إياها اسلافنا نقية تنير للمسلمين الدرب . وكذلك العلماء الذين يهتدون بالقرآن والسنة الذين لم يخلُ منهم زمن .

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٩٤ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١١٠ .

(٣) سورة الحجر الآية ٩ .

وقد تحدّد وضع الناس في أمة الإسلام على النحو التالي :

١ ـ إن هذه الأمـة تجمـع شمل كل المسلمين بلا استثناء ممن عاش داخل العالم الإسلامي أو خارجه .

٢ ـ إن هذه الأمة موجودة بالفعل سواء تجمعت أوصالها في دولة واحدة أو في مجموعة من الدول .

٣ ـ إن هذه الأمة تفتح صدرها لمن لم يكن مسلماً ويعيش مرتبطاً في المكان ومشاركاً في مسئوليات الحياة مع الأغلبية الإسلامية .

وعلى هذا كان وصف الأمة الإسلامية بأمة الوسط :

قال تعالى : ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**﴾[١] .

والوسط هو الخيرية في كل شيء والاعتدال في كل شيء، وعدم الإفراط والتفريط والغلو والتقصير، وعدم الاقتصار على ناحية والتقصير في ناحية مما فيه خير دين ودنيا .

الروابط التي تجمع أفراد الأمة الإسلامية :

وحّد الإسلام بين المسلمين على اختلاف عناصرهم وأجناسهم وبيئاتهم ولغاتهم وألوانهم وأوطانهم، وأقام هذه الوحدة على أسس بيّنة وقواعد راسخة لا يتسرب إليها الضعف ولا يتسلل إلى بنيتها التفسخ والانحلال .

قال ﷺ : «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص، يشدّ بعضه بعضاً»[٢] .

وقـد وكّـل إلى المسلمـين رسـالـة واضحة مشرقة قوية لا يعرف العالم ولن يعرف رسالة أعدل منها ولا أفضل ولا أيمن للبشرية، هذه الرسالة : الدعوة إلى الله وحـده ومـا ينبنى على التـوحيد من واجبات . فقامت الرابطة بين أبناء الأمة الإسـلاميـة على **أسـاس العقيـدة** الإسلامية أساس الدين الإسلامي الذي هو فطرة الإنسان ففيه :

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣ .

(٢) البخاري ـ صلاة ٨٨، مظالم (٥) . مسلم (برّ ٦٥) . الترمذي برّ ١٨ / . النسائي زكاة ٦٧ .

١ ـ **توحيد الإله** : الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

٢ ـ **التوجه نحو كعبة واحدة في الصلاة** : فحيثما يكون المسلم يتوجه إلى البيت الحرام في مكة ، مما يحقق وحدة الهدف ، ويعود المسلمين الاتجاه الخالص الذي لا تشتته أهداف جانبية ولا تتنازعه غايات دنيوية تزول .

٣ ـ **وحدة الكتاب ـ القرآن الكريم** : الذي يقوم عليه التشريع وتؤخذ منه الأحكام في مختلف شئون الحياة التعبدية والسياسية والإقتصادية والاجتماعية والتربوية والعسكرية ، مما يحقق وحدة الفكر ووحدة الثقافة ووحدة الاتجاه ، وهي من الأسس الهامة التي لا تقوم لأمة بغيرها قائمة .

٤ ـ **وحدة الحج إلى بيت الله الحرام** : والحج هذا يوحد بين المسلمين مما دفع بعض المستشرقين إلى أن يقول :(١)

«إن الوحدة الإسلامية إنما هي قائمة على ركنين أساساً ولا ثالث لهما ، الحج إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة ، والخلافة . وقد غلب على رأى الكثيرين من رجال الغرب وهم في هذا الموضوع ، فهم ما برحوا يخالون الخلافة لا الحج العامل الأكبر والأشدّ الذي بسببه يتشارك المسلمون ميولاً وعواطف تشاركاً مؤدياً إلى اعتزاز الوحدة وازدياد منعتها وامتدادها وانتشارها ، على أن هذا لمن الوهم الصرف ، فالأمر حقاً على الضدّ منه . . . فالمقاصد والأغراض السياسية التي ينالها المسلمون على يد الحج الممهد لها السبيل إنما هي معلومة لا تحتاج إلى كبير إيضاح . بل يكفي أن نقول : إنما الحج هو المؤتمر الإسلامي السنوي العام . . . وفي هذا المؤتمر العظيم كانت قلوب قادة اليقظة الإسلامية وابطالها كمحمد بن عبد الوهاب ومحمد بن السنوسي وجمال الدين الأفغاني تشعر بجلالة الواجب الإسلامي المقدس وتتّقد من خطورة المشهد وروع المحفل غيرة على الإسلام والمسلمين» .

---

(١) لوثروب ستودوارد في كتابه ـ حاضر العالم الإسلامي ـ ج١ ص٢٨٩ .

٥ ـ وحدة اللغـــة : وهي اللغة العربية التي اختارها الله سبحانه لتكون لغـة القـرآن الكـريم وحث نبيـه النـاس على تعلمهـا والتكلم بها لمعرفة أحكام الإسـلام وتفهم تشـريعـاتـه ، فاللغة العربية ليست للعرب وإنها هي للمسلمين كافـة ، وهي وسيلة التفـاهم بين المسلمـين ووسيلة التعـاون والوعاء الذي يحفظ تراث الإسلام وينقله .

وقـد حفـظ القـرآن هذه اللغـة وصانها الإسلام ونشرتها دعوة التوحيد بين الأمم في أقطـار المعمـورة ، ولـولا المؤمـرات والهجـمات الشـرسـة التي قادهـا المستعمرون والشعوبيون على هذه اللغة لما وجد مع العربية في أقطار شبه القارة الهندية واندونيسيا وماليزيا وافريقية لغة أخرى تضارعها انتشاراً .

٦ ـ التـاريـخ المشـترك لأمـة الإسـلام : الـذي ينتج عنـه وحدة الآمال والآلام ، ويجعـل من المسلمـين أمة واحدة يحسّ كل فرد منهم بإحساس الآخر في السراء والضراء ، فكل مسلم يتجه إلى الآخر في مشاركته الوجدانية في مواقع بدر والفتـح وتبـوك واليرموك والقادسية وحطين وعين جالوت وبلاط الشهداء ، ونكبة المسلمـين في الأنـدلس ، وفي فلسطـين ، ووضـع المسلمـين في الاتحاد السوفييتي واريتريا والفلبين وفطاني وأفغانستان والهند وكشمير وأثيوبيا .

٧ ـ وحدة النبوة والرسالة : قال تعالى : ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربـه والمؤمنـون كلّ آمن بالله وملائكتـه وكتبـه ورسله ، لا نفـرّق بين أحـد من رسله ، وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**﴾[1] .

ومن ذلـك تنتـج وحـدة القيم والتقـاليـد والعـادات بين أبناء المسلمين في مختلف أقطـارهم ، فأنى توجهت في ارجـاء هذا العالم الإسلامي الواسع تجد بين المسلمـين قيم صلة الـرحم ، وحق الجـار ، والحشمـة والوقار ونبذ المنكرات وأكل الطيبـات ، واعـراف الأسرة وآداب المعاملات واحدة ، حتى أنك لا تجد غربة أو تنـافـراً حين يضمّـك جمع من المسلمين الواعين على الإسلام ولو كانوا من أقطار

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٥ .

شتى، لأن الإسلام وحد قيمهم وتقاليدهم وفق أحكام القرآن الكريم ومفاهيم السنة الشريفة. قال تعالى :

﴿وألف بين قلوبهم، لو انفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم، إن الله عزيز حكيم﴾(١).

وقال ﷺ :

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(٢).

هذا ولم يهمل الإسلام غير المسلمين في المجتمع الإسلامي فدعاهم أهل الذمة، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وقد حدّد علاقات المسلمين بهم على أسمى ما عرفت البشرية من علاقات تجاوزت حدّ الإنصاف إلى آفاق البر والرحمة «يقاتل دونهم ويحميهم ويعينهم»(٣).

وفي ضوء مفهوم الأمة نجد أن الإسلام يقيم من أهله أمة كاملة على أوفق وأكمل ما يكون نظام الأمم.

ومفهوم الأمة الإسلامية أكثر شمولا من مفهوم العالم الإسلامي فهويتسع حتى يشمل المسلمين جميعاً في جميع أركان العالم وأقطاره. فالدعوة الإسلامية دعوة عالمية لا تقتصر على شعب معين أوبلاد معينة، فكل أرض تصلح للإسلام ولدعوته ولمبادئه مهما كانت طبيعتها ومهما كان جنس سكانها ولونهم ولغتهم. قال تعالى :

﴿إنا ارسلناك للناس كافة بشيراً ونذيراً﴾(٤).

وأما ما يطلق عليه العالم الإسلامي اليوم :

---

(١) سورة الأنفال الآية ٦٣ .

(٢) متفق عليه. (البخاري ـ أدب ٢٧، مسلم بر ٦٦/٦٧) .

(٣) أنظر الأم للإمام الشافعي ج٤ ص١٨٦ وص٢٢٠ .

(٤) سورة سبأ الآية ٢٨ .

فهو تلك الرقعة من الأرض التي تكاد تكون متصلة دونها حواجز أو فواصل في العالم القديم (آسيا وافريقيا وأوربا) من إيريان الغربية شرقاً في أندونيسيا إلى جزر الرأس الأخضر مقابل السنغال في المحيط الأطلسي غرباً، ومن جبال الآرال وسيبريا شمالاً إلى موزمبيق جنوباً، فهو على ذلك مفهوم جغرافي يشمل البلدان التي تسكنها أكثرية مسلمة أو كانت تخضع للمسلمين سابقاً أو كانت ذات أغلبية مسلمة(١).

وإليك بيان بأسماء بلدان العالم الإسلامي ومساحة كل بلد وعدد سكانه بما فيهم غير المسلمين حسب تقديرات عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م(٢).

---

(١) نظر الإسلام للأرض أي أرض نظرة عالمية، قال تعالى: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدونني لا يشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾. (سورة النور الآية ٥٥). وقسم الإسلام الأرض إلى قسمين:

أ) دار الإسلام: وهي الديار التي تسودها شريعة الإسلام وتقام فيها حدوده، وإن كان جل أهلها من غير المسلمين.

ب) دار الحرب: وهي الأرض التي تسود فيها شرائع غير شريعة الله، وإن كان جل أهلها من المسلمين. والواقع أنه ليس في الدنيا اليوم أرض يحكم فيها الإسلام إلا القليل. وبذلك نضطر إلى اللجوء إلى المفهوم الجغرافي - العالم الإسلامي.

(٢) ومعلومات هذه الجداول جمعتها من:

أ - البلدان الإسلامية والاقليات الإسلامية في العالم المعاصر.

ب - الأطلس العام.

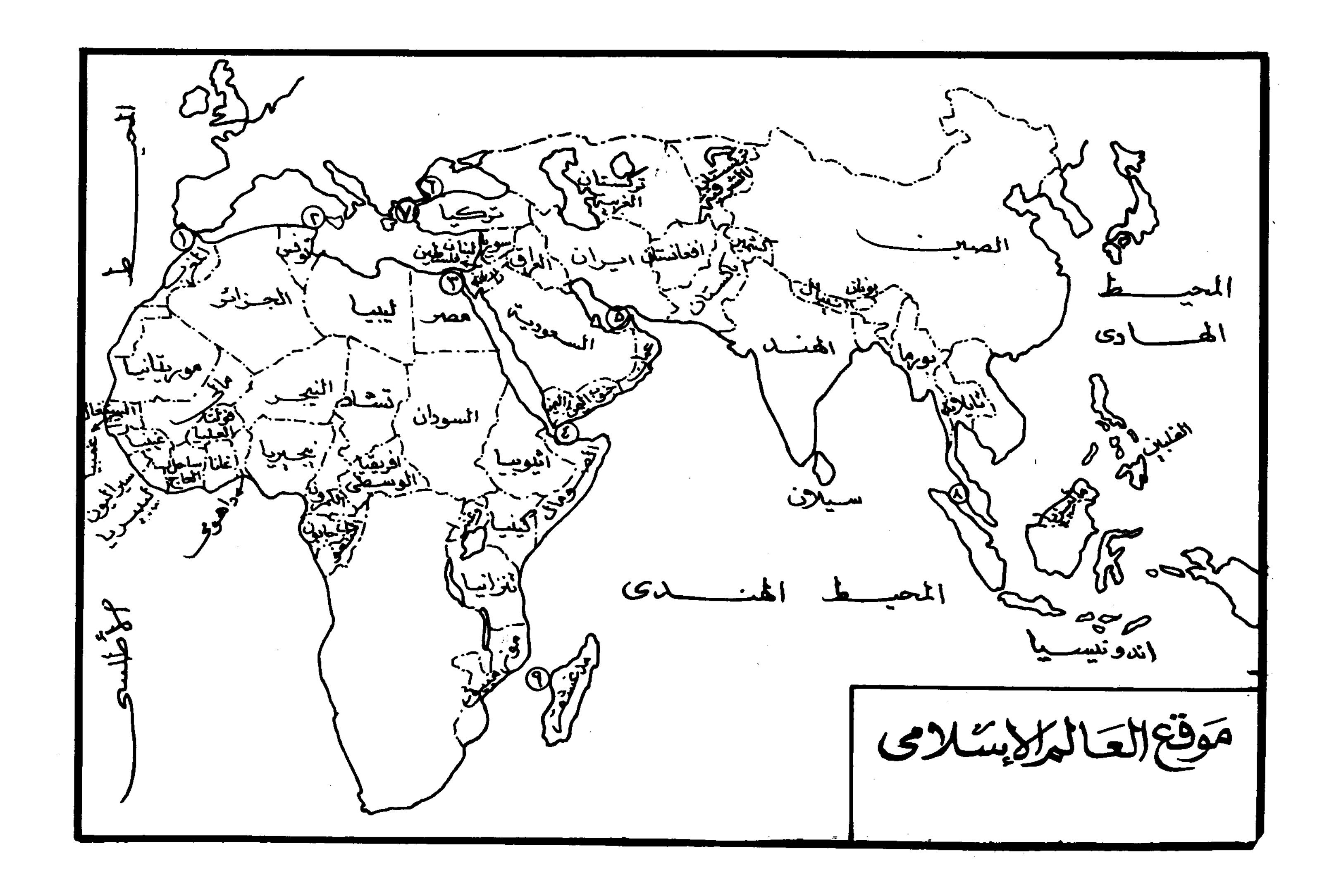
جـ - العالم الإسلامي وانشطة رابطته (مع خريطة للعالم الإسلامي ١٥ من ذي القعدة ١٤٠٢هـ. بإدارة المساحة العسكرية - وزارة الدفاع والطيران - المملكة العربية السعودية - الرياض).

د - المسلمون في العالم لعبد الرحمن زكي.

هـ سكان العالم الإسلامي - محمود شاكر.

و - Journal — Institute of Muslim Minority Affairs

ز - The Europe year book 1982, 1983


موقع العالم الإسلامي
المحيط الأطلسي
المحيط الهادى
المحيط الهندى
الصين
تركيا
تركستان الغربية
ايران
افغانستان
العراق
السعودية
ليبيا
مصر
الجزائر
تونس
موريتانيا
النيجر
تشاد
السودان
نيجيريا
اثيوبيا
كينيا
تنزانيا
الهند
سيلان
بورما
تايلاند
الفلبين
اندونيسيا
افريقيا الوسطى
الصومال
مدغشقر

أولاً : البلدان الإسلامية في افريقية :

م	اسم البلد	المساحة بالكم٢	عدد السكان	نسبة المسلمين
١	مصر	١,٠٠١,٤٤٩	٤٨,٠٠٠,٠٠٠[١]	٪٩٤
٢	السودان	٢,٥٠٥,٨١٣	٢١,٠٠٠,٠٠٠	٪٧٩
٣	ليبيا	١,٧٥٩,٥٤٠	٢,٦٢٠,٠٠٠	٪١٠٠
٤	تونس	١٦٤,١٥٠	٦,٥٠٠,٠٠٠	٪٩٦
٥	الجزائر	٢,٣٨١,٧٤١	١٨,٥٠٠,٠٠٠	٪٩٩
٦	المغرب	٤٤٦,٥٥٠	١٩,٠٠٠,٠٠٠	٪٩٩
٧	موريتانيا	١,٠٣٠,٧٠٠	١,٧٥٠,٠٠٠	٪١٠٠
٨	الصومال	٦٤٠,٠٠٠	٣,٥٠٠,٠٠٠	٪١٠٠
٩	جيبوتى	٢٢,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠	٪١٠٠
١٠	السنغال	٢٠١,٠٠٠	٥,٠٨٥,٠٠٠	٪٩٥
١١	جامبيا	١١,٢٩٥	٦٠٠,٠٠٠	٪٨٥
١٢	غينيا	٢٤٥,٨٥٧	٤,٧٠٠,٠٠٠	٪٩٥
١٣	غينيا بيساو	٣٦,١٢٥	٥٠٠,٠٠٠	٪٧٠
١٤	مالى	١,٢٤٠,٧١٠	٦,٣٠٨,٠٠٠	٪٩٠
١٥	فولتا العليا	٢٧٤,٢٠٠	٦,٩٠٨,٠٠٠	٪٦٤
١٦	ساحل العاج	٣٢٢,٤٦٣	٧,٠٠٠,٠٠٠	٪٦٠
١٧	توجو	٥٦,٠٠٠	٢,٤٧٢,٠٠٠	٪٦٠
١٨	داهومي	١١٢,٦١٢	٢,٨٠٠,٠٠٠	٪٦٠
١٩	نيجيريا	٩٢٣,٧٦٨	٦٦,٦٠٠,٠٠٠	٪٦٥

(١) هذا حسب إحصاء عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٢٠	الكاميرون المتحدة	٤٧٥,٤٤٢	٨,٥٠٣,٠٠٠	٪٦٠
٢١	النيجـر	١,٢٦٧,٠٠٠	٤,٩٠٠,٠٠٠	٪٩٤
٢٢	تشـــاد	١,٢٨٤و٠٠٠	٤,٢٠٠,٠٠٠	٪٨٥
٢٣	الصحراء المغربية	٢٧١,٣٦٠	١٠٠,٠٠٠	٪١٠٠
٢٤	أثيوبيا واريتريا	١,٢٢١,٩٠٠	٣١,١٠٠,٠٠٠[1]	٪٦٥
٢٥	تنزانيـــا	١,٠٠٠,٠٠٠	١٦,٠٠٠,٠٠٠	٪٦٣
٢٦	جزر القمر	٢,٢٣٧	٣٥٠,٠٠٠	٪٨٠
٢٧	ساحل العاج	٣٢٢,٤٦٣	٧,٠٠٠,٠٠٠	٪٦٠
٢٨	سيراليون	٧١,٧٤٠	٣,٤٧٤,٠٠٠	٪٦٥
٢٩	موزمبيق	٨٠١,٥٩٠	١٢,١٣٥,٠٠٠	٪٥٠

(١) فيهـا ارتـيريا وعدد سكانها ثلاثة ملايين ٨٠٪ مسلمون، واوجادين وسكانها ٦,٢٥٠ مليون نسمة ٨٠٪ مسلمون، واما اثيوبيا ففيها ٢١,٧٢٨,٣٠٠ منهم مسلمون ٣٨٪.

ثانيا : البلدان الإسلامية في آسيا :

م	اسم البلد	المساحة بالكم[٢]	عدد السكان	نسبة المسلمين
١	المملكة العربية السعودية	٢,١٤٩,٦٩٠	٩,٥٢٠,٠٠٠	٪١٠٠
٢	اليمن الشمالي	١٩٥,٠٠٠	٧,١٢٠,٠٠٠	٪١٠٠
٣	اليمن الجنوبي	٢٨٧,٦٨٣	١,٩٢٠,٠٠٠	٪١٠٠
٤	عُمـــان	٢٧٢,٠٠٠	١,١٠٠,٠٠٠	٪١٠٠
٥	الإمارات العربية	٨٣,٦٠٠	٦٥٠,٠٠٠	٪١٠٠
٦	قطـــر	١١,٣٠٠	٢٠٠,٠٠٠	٪١٠٠
٧	البحـــرين	٠,٥٩٨	٣٠٠,٠٠٠	٪١٠٠
٨	الكـــويت	١٧,٨١٨	١,١٠٠,٠٠٠	٪١٠٠
٩	العـــراق	٤٣٤,٧٢٤	١١,٥١٠,٠٠٠	٪٩٥
١٠	الأردن	٩٧,٧٤٠	٣,١٢٠,٠٠٠	٪٩٤
١١	فلســطين	٢٧,٠٩٠	٤,٣٠٠,٠٠٠(١)	٪١١
١٢	لبنـــان	١٠,٤٠٠	٣,٥٠٠,٠٠٠	٪٥٤
١٣	ســـوريا	١٨٥,١٨٠	٨,٠٠٠,٠٠٠	٪٨٨
١٤	تركيـــا	٧٧٩,٤٥٢	٤٣,١٤٠,٠٠٠	٪٩٥
١٥	إيـــران	١,٦٤٨,٠٠٠	٣٤,٠٠٠,٠٠٠	٪٩٦
١٦	أفغانستان	٦٤٧,٥٠٠	١٩,٢٨٠,٠٠٠	٪٩٩
١٧	باكستان	٨٠٣,٩٤٣	٧٠,٤٠٠,٠٠٠	٪٩٥
١٨	كشـــمير	٢١٧,٩٣٥	٩,٠٠٠,٠٠٠	٪٩٥
١٩	بنغـــلاديش	١٤٢,٧٧٦	٩٠,٢٦٠,٠٠٠	٪٩٥

(١) منهم ٢,٩ مليون يهودي صهيوني استوطنها كغزاة .

٢٠	جزر المالديف	٥١,٧٨٠	١٤٠,٠٠٠	٪١٠٠
٢١	ماليزيـــا	٣٢٩,٧٤٧	١١,٩٢٠,٠٠٠	٪٥٧
٢٢	برونـــاي	٥,٧٧٠	٢٠٠,٠٠٠	٪٧٦
٢٣	أندونيســيا	٢,٠٢٧,٠٨٧	١٤٠,٠٠٠,٠٠٠	٪٩٤
٢٤	اوزبكســتان	٤٤٧,٠٠٠	١٣,٦٩٥,٠٠٠	٪٨٨
٢٥	أذربيجان السوفيتية	٨٦,٠٠٠	٥,٧٠٠,٠٠٠	٪٩٠
٢٦	طاجيكستان	٦٣,٧٠٠	٣,٣٨٥,٠٠٠	٪٨٥
٢٧	تركمانستان	٤٨٨,١٠٠	٢,٤٩٥,٠٠٠	٪٦٦
٢٨	قازاخستان	٢,٧١٧,٣٠٠	١٤,١٧٠,٠٠٠	٪٥٠
٢٩	قيرغيزيـــا	١٩٨,٥٠٠	٣,٢٩٥,٠٠٠	٪٦٠
٣٠	داغســتان	٥٠,٣٠٠	١,٥٠٠,٠٠٠	٪٨٠
٣١	قفقاســيا	٣١٤,٣٠٠	١٥,٠٠٠,٠٠٠	٪٧٥
٣٢	تركستان الشرقية (سينكيانغ)	١,٧١٠,٧٤٥	١٢,٠٠٠,٠٠٠	٪٧٠
٣٣	كانســو	٣٦٧,٠٠٠	١٣,٠٠٠,٠٠٠[١]	
٣٤	نينج هســيا	٦٦,٥٠٠	٢,٠٠٠,٠٠٠[١]	
٣٥	يونّــان	٤٣٧,٠٠٠	٧,٠٠٠,٠٠٠[١]	

(١) هذا عدد المسلمين فقط، ويزيد العدد كثيراً عن هذا التقدير إذ يخفي المسلمون هناك أنفسهم نتيجة الضغط الشيوعي في الصين على المسلمين.

ثالثا : المسلمون في أوربـــا :

م	اسم البلد	المساحة بالكم²	عدد السكان	نسبة المسلمين
١	البانيـــــا	٢٨,٧٤٨	٢,٥٠٠,٠٠٠	٧٩٪
٢	تركيـــا أوربا	٢٣,٧٦٤	٢,٥٠٠,٠٠٠	٩٥٪
٣	تترســـتان	٦٨,٠٠٠	٣,٥٠٠,٠٠٠	٦٥٪
٤	بشـــكيريا	١٤٣,٦٠٠	٤,٠٠٠,٠٠٠[١]	٦٠٪
٥	الجوفاش (تشوفاشيا)	١٨,٣٠٠	١,٥٠٠,٠٠٠	٦٠٪
٦	مـــوردوف	٢٥,٠٠٠	١,٢٥٠,٠٠٠	٥٥٪
٧	إدمـــورت	٤٢,٠٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠	٥٩٪
٨	مـــاري	٢٣,٨٠٠	٧٥٠,٠٠٠	٧٩٪
٩	القـــرم	٢٦,١٥٠	٥,٠٠٠,٠٠٠[٢]	
١٠	أورنبـــرج		٢,٠٠٠,٠٠٠	٥٠٪
١١	شمال القوقـــاز		٣,٤٣٧,٠٠٠[٣]	٦٩,٨٪

(١) والمعلومات عنهم قليلة جداً في ظل الحكم الشيوعي الروسي .
(٢) هذا عدد المسلمين وتعرض معظمهم للإبادة والتهجير في ظل الحكم الروسي الشيوعي .
(٣) وتشمل : تشاشان انجوشيا، وكبارديا بلكاريا، وكرتشاي الشركسية والأديجا واوستينا الشمالية .

ومن هذا يتضح أن مساحة العالم الإسلامي تزيد على ٣٧ مليون كيلومتر مربع ، ويعيش فيه أكثر من ٨٥٠ مليون نسمة باستثناء الأقاليم التي انحسر عنها المدّ الإسلامي في الأندلس وصقلية والبلقان والهند . ورغم جميع المعوقات فمازال الإسلام في توسع دائم وخصوصاً في منطقتين هامتين من مناطق العالم : هما : قلب افريقيا وجنوبها ، وجنوب شرق آسيا[١] ، بالإضافة إلى أنه يشق طريقه إلى العالم الجديد - أمريكا الشمالية والجنوبية واستراليا - والإسلام هو دين المستقبل وقارة افريقية بشكل خاص هي قارة المستقبل بالنسبة للإسلام ، ولا يخلو قطر من أقطار العالم من مسلمين . وهناك أقطار تضم أقليات إسلامية كبيرة .

---

(١) فقد فشلت جهود المبشرين رغم امكانياتهم الهائلة وتكثيف جهودهم في آسيا وافريقية ، فأسلم مثلا ١٥٠٠ مواطن ماليزي دفعة واحدة في اقليم صباح .
المسلمون ص١ ، ص٤ (العدد ٣٥/ السبت ٢١ محرم ١٤٠٦هـ/ ٥ اكتوبر ١٩٨٥) .

وهذه الأقطار التي تضم أقليات إسلامية :
أولاً : في آســـيا :

م	القطـــــر	عدد الســكان	عدد المسلمين	نسبة المسلمين
١	الهنـــــد	٦٨٧,٠٠٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠,٠٠٠	١٥٪
٢	قـــبرص	٠,٧٥٠,٠٠٠	١٢٠,٠٠٠	١٩٪
٣	أرمينيــــا	٣,٠٠٠,٠٠٠	٣٧٦,٠٠٠	١١٪
٤	جورجيا (بلاد الكرج)	٥,٠٠٠,٠٠٠	٨٥٥,٠٠٠	١٥٪
٥	ســـــيلان	١٤,٨٥٠,٠٠٠	١,٤٨٥,٠٠٠	١٠٪
٦	بورمــــــا	٣٢,٠٠٠,٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠	١٠٪
٧	تايلانـــــد	٤٧,١٧٣,٠٠٠	١٠,٠٠٠,٠٠٠	٢٥٪[١]
٨	الفلبيين	٤٨,٤٠٠,٠٠٠	٨,٠٠٠,٠٠٠	٢٢٪[٢]
٩	الصين الشعبية	٩٥٠,٠٠٠,٠٠٠	٧٥,٠٠٠,٠٠٠	٨٪[٣]
١٠	سنغـــافورة	٢,٣٦٢,٧٠٠	٣٥٠,٠٠٠	١٥٪
١١	كمبوديا (كمبوتشيا)	٥,٧٤٦,١٤١	٧٠٠,٠٠٠	١٣٪[٤]
١٢	التبـــــت	٢,٠٠٠,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠	١٠٪

(١) وفيها اقليم فطاني الإسلامي الذي يبلغ عدد سكانه أكثر من ثلاثة ملايين يجاهدون ضد الهجمة الصليبية البوذية .

(٢) وفيها اقليم مورو الإسلامي الذي يجاهد لنيل حريته أمام الهجمة الصليبية الفلبينية .

(٣) باستثناء الأقاليم الإسلامية كانسو ويونان وتركستان ونينغ هسيا الخاضعة للصين .

(٤) انخفض هذا العدد في ظل الحكم الشيوعي إلى ٢٠٠ ألفا فقط .

ثانيا : في افريقيـــة :

م	القطـــــر	عدد الســكان	عدد المسلمين	نسبة المسلمين
١	كينيـــا	١٥,٣٢٧,٠٠٠	٥,٣٦٤,٤٠٠	٣٥٪
٢	ليبر يـــا	١,٧٨٠,٠٠٠	٥٩٦,٣٠٠	٣٣٪
٣	اوغنـــدا	١٣,٦٨٩,٢٠٠	٤,١٠٦,٧٦٠	٣٠٪
٤	ملاجـــاش	٨,٧٤٢,٠٠٠	٢,١٨٥,٥٠٠	٢٥٪
٥	موريشيـــوس	٩٢٦,٥٠٠	١٨٥,٣٠٠	٢٠٪
٦	مـــالاوي	٦,١٢٣,٠٠٠	١,٨٣٦,٩٠٠	٣٠٪
٧	زامبيـــا	٥,٦٧٩,٨٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠	١٥٪
٨	زمبابـــوي	٧,٦٠٠,٠٠٠	١,٦٥٠,٠٠٠	٢٠٪
٩	جمهورية افريقية الوسطى	٢,٢٢١,٠٠٠	٦٦٦,٣٨٠	٣٠٪
١٠	الكنغو(برازافيل)	١,٥٥٠,٨٠٠	٣٢٢,٥٠٠	٢٠,٨٪
١١	زائيـــر	٢٧,٨٦٩,٠٠٠	٢,٥٠٠,٠٠٠	١٠٪
١٢	بورونـــدي	٤,١١١,٣٠٠	١,٠٢٧,٨٠٠	٢٥٪
١٣	الجابـــون	١,٠٢٧و٥٠٠	٤٦٢,٣٠٠	٤٥٪
١٤	غينيا الاستوائية	٣٠٠,٠٠٠	٤٠و٠٠٠	١٣,٣٪
١٥	غانـــا	١١,٤٥٠,٠٠٠	٤و٥٨٠و٠٠٠	٤٠٪
١٦	بنين (داهومي)	٣,٥٦٧,٠٠٠	١,١٥٥,١٠٠	٤٥٪
١٧	انجـــولا	٦,٣٠٠,٠٠٠	١,٦٠٠,٠٠٠	٢٥٪

ثالثا : في أوربـــــا :

م	القطـــــر	عدد الســكان	عدد المسلمين	نسبة المسلمين
١	يوغســـــلافيا	٢٢,٣٥٤,٢١٩	٤,٥٠٠,٠٠٠	٢٠,١٪
٢	بلغــــاريا	٨,٨٩٠,٠٠٠	١,٥٠٠,٠٠٠	١٦,٨٪
٣	شرق أوربا[1]	٤٨,٤٤٥,٠٠٠	١٢,٣١٨,٤٤٠	٢٥,٤٢٪
٤	نطاق حوض البحر المتوسط[2]	١٣٨,٩٣٠,٠٣٧	٦,٦٧١,٥٠٠	٤,٨٪
٥	وسط أوربـــا[3]	١٥٤,٧٦٩,٣١٦	٢,٨٥٤,٠٠٠	١,٨٤٪
٦	غربي أوربـــا[4]	١٣٢,٩٠٣,٥٤٩	٣,٩٠٠,٠٠٠	٢,٩٣٪
٧	شمال غرب أوربا[5]	٢٢,٣٦٤,٤٨٧	٦٥,٥٠٠	٠,٢٩٪

(١) بما فيها بلغاريا والبلدان الإسلامية التي سبق ذكرها .

(٢) بما فيها يوغسلافيا والبانيا .

(٣) المجر، وتشيكوسلوفاكيا والنمسا وسويسرا وبولندا والمانيا الديمقراطية والاتحادية .

(٤) بريطانيا، وفرنسا وبلجيكا وهولندة . ففي فرنسا نشرت جريدة لوموند الباريسية في عددها الصادر ٢/٤/١٩٨٥م مقالاً بعنوان في فرنسا ألوف المساجد، وألف العمال المسلمون الأتراك في بوردو وضواحيها في أوائل مارس عام ١٩٨٥م جمعية إسلامية واستأجروا مكاناً اتخذوه مسجداً لصلاتهم ويعلمون فيه أبناءهم القرآن الكريم والدين الإسلامي (أخبار العالم الإسلامي الاثنين ٦ المحرم ١٤٠٦هـ).

وأما في بريطانيا فيوجد عدد كبير من المدارس الإسلامية ويطالب المسلمون باستقلال مدارسهم الإسلامية هناك . (المسلمون العدد ٣٧ ص٥) .

وفي أسبانيا انطلق صوت «الله اكبر» مرة أخرى بعد ٥٠٠ عام من خروج المسلمين من الأندلس . فتقرر بناء مسجد في مدريد بعد زيارة الملك فهد بن عبد العزيز لمدريد في فبراير عام ١٩٨٥م، ويكون تحت اشراف رابطة العالم الإسلامي . (المسلمون العدد ٤٣ ص١).

(٥) الدانمرك والنرويج والسويد وفنلندا .

رابعا : في العالم الجـــديد :

م	القطــر	عدد السكان	عدد المسلمين	نسبة المسلمين
١	أمريكا الشمالية[١]	٣٤٥,٠٠٠,٠٠٠	٥,٠٠٠,٠٠٠	
٢	أمريكا الجنوبية[٢]	٢٣٠,٠٠٠,٠٠٠	٥٠٠,٠٠٠	
٣	اوقيانوسيا (استراليا)[٣]	١٤,٧٢٠,٠٠٠	٢٨٠,٠٠٠	

(١) ويبلغ عدد المسلمين على أقل تقدير في الولايات المتحدة وحدها أربعة ملايين مسلم . وتبلغ عدد مدارسهم الإسلامية عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م أربعين مدرسة تعمل بنظام الدوام الكامل . (الشرق الأوسط العدد ٢٤٦٥/ الأربعاء ١٢ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ٢٨/٨/١٩٨٥م .

في حين ذكر لويس فرقان زعيم المسلمين هناك أن عددهم تجاوز ٣٠ مليون نسمة ، وطالب بتكوين أمة خاصة بالمسلمين السود في أمريكا لحمايتهم من الاضطهاد . (المسلمون العدد ٥ السبت ١٨ جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ/ ٥ مارس أذار ١٩٨٥م) ، وقد أخذت تظهر للمسلمين آثار هامة إقتصادية وسياسية ، وأخذ اليهود يخشون هذا التأثير فوصف عمدة نيويورك اليهودي (ادوارد كوتش) زعيم المسلمين لويس فرقان بالنازية أعداء اليهود (المسلمون العدد٤١ ص٢) .

(٢) عقد المؤتمر الأول لمستقبل الدعوة الإسلامية في أمريكا الجنوبية ـ برازيليا ـ عام ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م برعاية رابطة العالم الإسلامي ، حيث بحث المشكلات التي تعترض جهود الدعوة والدعاة في المنطقة ، ودرس مستقبلها لوضع الأسس الثابتة لنشاطها وانتشارها وإيجاد سبل التنسيق والتعاون بين الجمعيات والمراكز والمؤسسات الإسلامية العاملة في حقل الدعوة ، وبناء قنوات الاتصال بين مسلمي أمريكا الجنوبية ومسلمي العالم . (أخبار العالم الإسلامي الاثنين ١٦ محرم ١٤٠٦هـ/ ٣٠ سبتمبر ١٩٨٥م) ، المسلمون العدد ٣٨ ص ٦-٧ ، المسلمون العدد ٣٧) .

(٣) دخلها الإسلام عام ١٨٥٠م على يد الأفغان الذين استقدموا مع الإبل المستخدمة في النقل والكشوف الجغرافية ، فأسسوا العديد من المصليات عبر طرق القوافل التي سلكوها ، كما بلغ عدد المساجد عشرة . ثم دخلها الإسلام من رافد آخر عن طريق هجرة المسلمين من أقطار عديدة مثل (غينيا الجديدة ، اندونيسيا ، باكستان ، الهند ، تركيا ، لبنان ، قبرص ، البانيا ويوغسلافيا) إلى استراليا . وقد بدأت هذه الهجرة عام ١٣٣٤هـ . فازداد عدد المسلمين .

ويبذل جهد كبير للعناية بالمسلمين هناك منذ أن قدم الملك خالد بن عبد العزيز مليون دولار مساعدة منه للمسلمين باستراليا لبناء المدارس . كما قدمت دول الخليج مساعدات مادية وثقافية جيدة ، (جريدة المدينة ـ الأحد رجب ١٤٠١) كما اسهمت المملكة العربية السعودية في انشاء ٤٥ مركزاً إسلامياً عام ١٤٠٦هـ . والحكومة الاسترالية لا تعوق الدعوة الإسلامية ، ولكن اليهود وهم يسيطرون كلياً على دور الصحف وجميع وسائل الاعلام ورأس المال ، يقفون في وجه الدعوة . (المسلمون العدد ١١٤٢ ربيع الأول ١٤٠٦هـ/ ٢٣ نوفمبر ١٩٨٥م) .

وبـذلـك يزيد عدد الأقليات الإسلامية على ٢٥٠ مليون نسمة، فيصل عدد المسلمين أكثر من مليار نسمة في العالم بأجمعه(١)

(١) وقد بدأ الاهتمام الرسمي بالأقليات الإسلامية عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م حين رفع المؤتمر الإسلامي الذي عقـد في القـدس صوتـه احتجـاجا على اضطهاد المسلمين في الاتحاد السوفيتي، ثم نداء التضامن الذي وجهه الملك فيصل بن عبد العزيز عام ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م. وبدأت تأخذ مكانتها في المؤتمرات الإسلامية الدولية ـ مؤتمر العالم الإسـلامي ـ ومؤتمـرات وزراء خارجيـة الـدول الإسـلامية، وجهود رابطة العالم الإسلامي، ومعهد شئون الأقليات المسلمـة في جامعـة الملك عبـد العـزيز بجدة وإذاعة نداء الإسلام في مكة. (الأقليات الإسلامية في آسيا واستراليا ـ سيد عبد المجيد ص٩).

ثانيـــاً :

أهمية العالم الإسلامي[١] :

يتمتـع العـالم الإسلامي بمميزات متعددة اكسبته أهمية كبيرة، كما جعلته موطن الصراع بين القوى العالمية المختلفة، ومن هذه المميزات :

أولا : موقعه الاستراتيجي :

فهـو يشغـل قلب العالم القديم (آسيا وافريقيا وأوربا) ويمتد على مسافة تقـدر بنحـو ٢٠ ألف كم من الشـرق إلى الغـرب (من ايريانا في أندونيسيا إلى جزر الرأس الأخضر مقابل السنغال في المحيط الأطلسي). كما يبلغ امتداده من الشـمال إلى الجنـوب أكثـر من سبعـة آلاف كيلو مترا من جبال الأرال شمالاً إلى موزمبيق جنـوبـاً. فيشـرف بذلـك على الأذرع المـائيـة من البحار والمحيطات ويتحكم في منافذها الهامة.

فالبحار الهامة التي يشرف عليها العالم الإسلامي هي :

١ ـ **البحـر الأبيض المتـوسـط** : وهـو أهم بحـار العـالم من حيث القيمـة التـاريخيـة والتجـاريـة، وتشغل أرض الإسلام ساحله الجنوبي وساحله الشرقي وبعض سواحله الشـماليـة ـ البـانيـا وآسيا الصغرى ـ وكان في العصور الوسطى

---

(١) رجعت في هذا القسم إلى الكتب التالية بالإضافة إلى التي ذكرت في الحواشي :
أ ـ البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر. د. محمد السيد غلاب. وأخرون.
ب ـ اقتصاديات العالم الإسلامي. لمحمود شاكر.
جـ ـ جغرافية الشعوب الإسلامية. د. يسرى عبد الرازق الجوهري.
د ـ جغرافية العالم الإسلامي. د. صلاح الدين على الشامي وزميله.
هـ ـ جغرافية العالم الإسلامي. محمود طه أبو العلا.
و ـ العالم الإسلامي المعاصر. جمال حمدان.
ز ـ المسلمون تحت السيطرة الشيوعية. محمود شاكر.
ع ـ المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية. محمود شاكر.

بحيرة إسلامية، وازدادت أهميته في العصور الحديثة بعد شق قناة السويس وبعد انتشار المواصلات الجوية، حيث أصبح طريقاً اجبارية للطيران التجاري الجديد .

٢ ـ **البحر الأحمر** : وهو بحر إسلامي، يمتلك المسلمون سواحله كلها، وقد ازدادت أهميته بعد اتصاله بالبحر الأبيض المتوسط بقناة السويس . فأصبح أخطر طرق المواصلات البحرية في العالم، باعتباره حامل البترول ومعبر التجارة الأساسية ومجال تدفق القوة العسكرية ما بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود والمحيط الأطلسي وبين المحيط الهندي والمحيط الهادي[١] .

ويبلغ طوله **٣٣٨٤** كم ومتوسط عرضه **٢٤٠** كم، ويقترب عند بدايته في الجنوب حيث مضيق باب المندب فلا يتجاوز الفاصل المائى **٣٣** كم مما يسهل العبور بين جنوب غرب آسيا وشرق افريقيا[٢] .

٣ ـ **بحر العـــرب** : الذي يمتد من مضيق باب المندب إلى الهند، ويمتلك المسلمون سواحله جميعها .

٤ ـ **الخليج العربى** : وهو بحيرة إسلامية . تشرف عليه سواحل شبه الجزيرة العربية الشرقية وإيران والعراق .

٥ ـ **البحر الأسود** : وهو كذلك بحيرة إسلامية قبل أن يمتد الروس إلى بقاعه وسواحله الشمالية .

٦ ـ **بحر البنغال** : وتقع عليه بنغلاديش .

٧ ـ **بحر الصين الجنوبي** : ويطل عليه العالم الإسلامي من جهة ماليزيا الشرقية، وبروني وبورنيو الاندونيسية ومورو الفلبينية

وأما المحيطات الهامة فهي :

١ ـ **المحيط الأطلسي** : ويمتلك المسلمون معظم سواحل افريقيا الغربية المطلة على هذا المحيط من طنجة شمالاً حتى خليج بيافرة جنوباً .

---

(١) صراع القوى العظمى حول القرن الافريقي . ص ٧٦ .

(٢) الجغرافية التاريخية لحوض البحر الأحمر ص ٩ . أمين عبد الله .

٢ ـ المحيط الهندي : ويمتلك المسلمون قسطاً كبيراً من ساحل افريقية الشرقية (الصومال وتنزانيا) المطلة على هذا المحيط، كما يمتلكون شواطىء آسيا الجنوبية من باب المندب إلى كراتشى (بحر العرب) وشواطىء ماليزيا واندونيسيا .

٣ ـ المحيط الهادي : ويطل عليه العالم الإسلامي من خلال بعض جزر اندونيسيا والفلبين .

وأما أهم المنافذ المائية التي يتحكم فيها العالم الإسلامي فهي :

١ ـ مضيق جبل طارق : ويتحكم في اتصال المحيط الأطلسي بالبحر الأبيض المتوسط .

٢ ـ مضيق بنزرت : الذي يحكم اتصال حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي بحوضه الشرقي .

٣ ـ مضيق الدردنيل والبوسفور : وبينهما بحر مرمرة، ويحكمان اتصال البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأسود .

٤ ـ قناة السويس : وهي من أهم المنافذ المائية الاصطناعية في العالم، وتحكم اتصال البحر المتوسط بالبحر الأحمر .

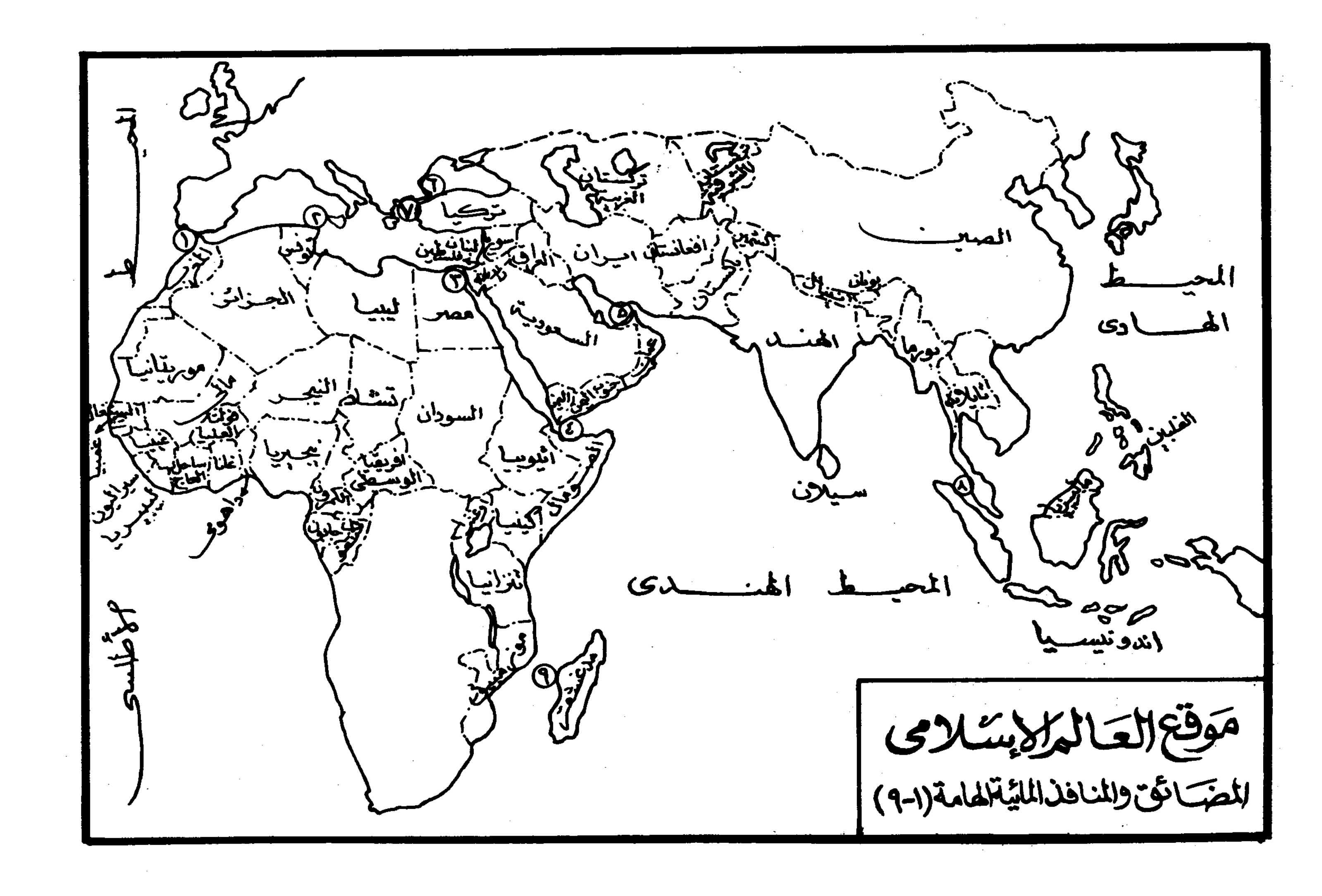
٥ ـ مضيق باب المندب وخليج عدن : ويحكمان اتصال البحر الأحمر ببحر العرب والمحيط الهندي .

ومضيق باب المندب (أو بوابة الدموع) لا يزيد اتساعه عن **(٣٣ كم)** تقسمه جزيرة (ميون) أو (بريم) إلى قسمين، ضيق من جهة الشرق (٣ كم فقط) والباقي من جهة الغرب[1] .

٦ ـ مضيق هرمز وخليج عُمان : ويحكمان اتصال الخليج العربى بالمحيط الهندي .

---

(١) صراع القوى العظمى ص ٨٠.



موقع العالم الإسلامي
المضائق والمنافذ المائية الهامة (١-٩)

٧ ـ **مضيق ملقا وسنغافورة** : ويحكمان اتصال المحيط الهندي ببحر الصين الجنوبي والمحيط الهادي .

كل ذلك اكسب العالم الإسلامي أهمية استراتيجية وعسكرية لها خطورتها في ميزان القوى العالمية ، وهذا يفسر لنا الاضطرابات والخلافات الحادة بين الدول ذات النفوذ على العالم الإسلامي ، فهي تعمل على ابقائه مضطربا وتعمل على إثارة المشاكل حتى يبقى ممزقا يسهل التحكم فيه ، وبذلك نفسر الأسباب التي جعلت الدول الكبرى تثير النزاعات بين أقطار المغرب العربي ، ومشكلة تشاد ، وجنوب السودان ، وقضايا المسلمين في اثيوبيا واريتريا والصومال ، والنزاع بين اليمن الشمالي والجنوبي ، والحرب العراقية الإيرانية وامتداد آثارها وأزمة لبنان ، وزرع اسرائيل في فلسطين ، والنزاع بين اندونيسيا وماليزيا ، وانفصال بنغلادش عن باكستان ، وغزو افغانستان . إذ يحاول المعسكران الشيوعي والغربي على منع الوحدة والتعاون بين أجزاء العالم الإسلامي بأي ثمن ، وهذا ما يتفق عليه المعسكران وإبقاء المنطقة منطقة صراع على النفوذ وقودها أهلها وامكانياتها الهائلة التي تذهب هدراً ولمصلحة الغرب أو الشرق ومصانعهما ! .

ثانيا : وفرة الثروات في العالم الإسلامي وتنوعها : يمتاز العالم الإسلامي بأهميته الإقتصادية بما حباه الله من ثروات متنوعة زراعية ومعدنية وحيوانية وهذه فكرة موجزة عن هذه الثروات :

١ ـ الثروات الزراعية :

يحوي العالم الإسلامي أراضي زراعية واسعة ، وتجري فيه كثير من الأنهار الهامة منها : نهر النيل والنيجر والملوية والسوس في افريقيا ، ودجلة والفرات والسند والغنج وسرداريا (سيحون) واموداريا (جيحون) والعاصي والليطاني والأردن في آسيا . بالإضافة إلى مياه العالم الإسلامي الجوفية الكثيرة .

ولاتساع العالم الإسلامي يتنوع مناخه ، الأمر الذي يؤدي إلى تنوع الثروات الزراعية ، والذي يؤدي بدوره إلى التكامل الزراعي الذي لا يتوفر لأي

عالم غير عالم الإسلام . وهذا بدوره يؤدي إلى الاكتفاء الذاتي .

ومن الممكن إجمال الأقاليم المناخية الإسلامية فيما يلي :

أ ـ **المناخ الاستوائي** : حار ماطر طوال العام ، غاباته كثيفة ، ويسود في الملايو وأكثر الجزر الأندونيسية وجنوب السودان .

ب ـ **المناخ الموسمي** : حار ماطر صيفاً ، وغاباته كثيفة ، ويسود في بنغلادش واليمن وعمان ونيجيريا ، وساحل خليج غينية ، وهضبة الحبشة .

جـ ـ **المناخ السوداني** : حار، أمطاره صيفية وأقل من أمطار المناخ الموسمي وتنمو فيه الأعشاب الطويلة ـ السفانا ـ التي تصلح كمراعي . يسود في السودان وتشاد والنيجر ومالي والسنغال .

د ـ **المناخ المعتدل الدافيء** : (مناخ حوض البحر الأبيض المتوسط) ويسود على سواحل البحر الأبيض المتوسط الجنوبية والشرقية والشمالية .

هـ ـ **المناخ القاري** : وهو إما صحراوي حار في الصحراء الافريقية الكبرى وشبه جزيرة العرب وجنوب إيران وجنوب باكستان وصحراء ثار في الهند . أو صحراوي بارد في هضبة إيران وهضبة الأناضول والتركستان .

ومن الغلات الزراعية الهامة في العالم الإسلامي :

١ ـ **الأرز** : في ماليزيا وبنغلادش وباكستان ومصر واندونيسيا .

٢ ـ **القمح** : في إيران وافغانستان وتركيا وباكستان والشام ومصر والعراق وأقطار المغرب العربى . وقدمت المملكة العربية السعودية كثيراً من الدعم للمزارعين حتى أوشكت أن تصل إلى الأكتفاء الذاتي في انتاجه بل وتمدّ غيرها من الأقطار الإسلامية .

٣ ـ **الخضروات والفواكه** : في اقليم البحر الأبيض المتوسط . والموز في الصومال وافريقية الغربية ، والحمضيات في تركيا وشمال افريقيا وبلاد الشام وخاصة فلسطين ، ونخيل التمر في المناطق الصحراوية .

٤ ـ **القطـن** : وينتج العالم الإسلامي أنواعه المختلفة :

طويل التيلة : في مصر والسودان .

ومتوسط التيلة : في تركيا وباكستان وافغانستان وإيران .

وقصير التيلة : في المغرب العربي وباكستان .

ويـزرع القطن في الجمهـوريـات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي في اقليم تركستـان في وادي سرداريـا وامـوداريـا ، وفي أذربيجـان وداغستـان غربي بحـر قزوين ، وتنتج هذه المنطقة لوحدها أكثر من انتاج دول العالم الإسلامي مجتمعة . ويصـل انتـاج العـالم الإسـلامي إلى ٤٠٪ من الانتاج العالمي للقطن . وتستغل بذور القطن في صناعة زيت القطن .

٥ ـ **الحبـوب الـزيتيـة** : لصنـاعـة الـزيـوت النبـاتية كالسمسم في مصر والسودان واندونيسيا وتركيا ، والفول السوداني في السودان ونيجيريا .

٦ ـ **الأشجـار الـزيتية** : كزيت النخيل وجوز الهند في اندونيسيا وماليزيا وبنغلادش ، والزيتون في اقليم البحر الأبيض المتوسط .

٧ ـ **قصب السكر** : في باكستان واندونيسيا وبنغلادش ومصر .

٨ ـ **بنجر السكر** : في تركيا وسوريا وإيران وافغانستان .

٩ ـ **المطـــاط** : من محاصيـل الأشجـار الغـابية في الاقليم المداري وتنتج نيجيريا ٧٢٪ من الانتاج العالمي . كما تنتجه كل من اندونيسيا والملايو .

١٠ ـ **الغـلات العلفيـة** : كالذرة والشعير والبرسيم والشوفان في كثير من البلدان الإسلامية التي تربي الأبقار .

٢ ـ الثروات الحيوانيـــة :

في العالم الإسلامي مراعي طبيعية واسعة :

أ ـ **السفـانـا** : وهي الحشـائش التي تتخللهـا الأشجار وتوجد على نطاق ضيّق في بعض الأجـزاء الغـربية من باكستان والأجزاء الشرقية من جزيرة جاوة ، وبعض جزر اندونيسيا الشرقية ، والسودان ومالي وتشاد وشمال شرق نيجيريا .

ب ـ **الاستبس** : وهي السهوب ذات الحشائش الخالية من الأشجار وتوجد في مالي وموريتانيا والنيجر ووسط السودان والصومال والجزائر والمغرب والتركستان وهضبة الأناضول وبعض أجزاء هضبة إيران .

جـ ـ **الكلأ الصحراوي** : وهي الأعشاب الشوكية والشجيرات القصيرة، وتوجد في الصحراء الكبرى الافريقية والصومال وشبه جزيرة العرب وهضبة إيران وجنوب تركستان .

ولوجود مثل هذه المراعي تنتشر في العالم الإسلامي تربية الإبل والماعز في الصحراء العربية، والخيول والأغنام والجمل ذو السنامين والياك (وهو حيوان يشبه البقر) في تركستان . والإبل والبقر والماعز والأغنام في افغانستان وإيران . والخيل والبقر والماعز من نوع الانجورا المشهور بشعره الجيد في تركيا . والإبل والأغنام والماعز في الصحراء الافريقية . وهناك تجربة ناجحة للمملكة العربية السعودية رائدة في استغلال الصحارى وتحويلها إلى جنّات تربي فيها أنواع مختلفة من الحيوانات .

٣ ـ الثروة المائية وصيد البحر :

يطل العالم الإسلامي بجبهات طويلة على مسطحات الماء لمجموعة من البحار التي تتوغل في جسم اليابس على شكل خلجان وأذرع كبيرة كما بينّا، كما أنه يحوي على أنهار كبيرة وبحيرات وبحار داخلية كبحر قزوين كل ذلك جعل العالم الإسلامي غنياً بالثروة المائية وصيد البحر، ولكن استغلاله لهذه الثروات قليل في الوقت الحاضر .

ومن أهم هذه الثـروات :

أ ـ **الأسماك** : وتستغلها اندونيسيا وباكستان وتركيا وماليزيا ومصر والمملكة العربية السعودية ومملكة المغرب[1] .

---

(١) ذكرت دراسة علمية اجراها معهد علوم البحار والمصايد المصرى بالاكاديمية المصرية للبحث العلمي والتكنولوجيا أن انتاج الدول العربية بالبحر المتوسط من الاسماك . وهي لبنان وسورية ومصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب ـ بلغ ٤٠٪ من الانتاج الكلى للبحر المتوسط لعام ١٩٨٤م (جريدة الشرق الأوسط ص ٤ الأحد ١٨/١/١٩٨٥م) .

ب ـ **الاســـفنـج** : ويصـاد من اعـماق تتراوح بين ٦ أقـدام و ١٥ قدماً ويكثـر صيـده بالقـرب من سواحـل البحـر الأبيض المتوسط الجنوبية، وسواحل البحر الأحمر .

جـ ـ **اللؤلـــؤ** : ويصـاد من ميـاه الخليج العربي ، وبالقرب من سواحل باكستان وبعض مناطق البحر الأحمر. وكانت له شهرة تاريخية كبيرة ، وقد أخذت أهميته الإقتصادية تتدهور أخيراً تحت ضغط منافسة اللؤلؤ الصناعي الرخيص الثمن .

٤ ـ الثروة المعدنية :

والعـالم الإسـلامي غني بمعـادنـه المستغلة والغـير مستغلة والاحتياطية ، وسنذكر أهمها :

أ ـ **البـترول والغـاز الطبيعي** : وتحتل دول العالم الإسلامي المركز المتفوق والمرموق في مجال انتاجه واحتياطيه الذي يقدر بأكثر من ٧٥٪ من احتياطي العالم كله . وأهم المناطق الإسلامية لانتاجه :

١ ـ منطقـة الخليـج العـربي : المملكـة العربية السعودية والعراق وإيران والكويت وقطر وعمان والإمارات العربية .

٢ ـ منطقة جنوب شرق آسيا : وهي ماليزيا واندونيسيا .

٣ ـ منطقة قفقاسيا بين بحر قزوين والبحر الأسود وتستغله روسيا السوفيتية .

٤ ـ منطقة خليج السويس : مصر .

٥ ـ منطقة شمال افريقيا : ليبيا والجزائر .

٦ ـ منطقة غرب افريقيا : نيجيريا .

وكـانت الشـركات الأجنبية تتلاعب كما تشاء في انتاجه وتسويقه ، إلى أن تكـونت منظمـة الـدول المصـدرة للبترول ـ الأوبك ـ عام ١٩٦٠م . فحافظت على المستوى المناسب للاسعار وجردت شركات الاستثمار من التلاعب بحقوق

الـدول المنتجـة له . وقد استخدم الملك فيصل بن عبد العزيز سلاح البترول في حرب عام ١٩٧٣م[1] . وكان ناجعاً ناجحاً .

ب ـ الفوسفـــات : ويستعمل لصناعة الأسمدة وتنتجه كل من المغرب والجزائر وتونس والسنغال ومصر والأردن وسوريا .

جـ الكــوبلت : من معادن السبائك الهامة ويمنع الصلب من الصدأ، كما يتحمـل درجـة الحـرارة العـاليـة جداً فتصنع منه الآلات في الطائرات النفاثة والآلات التي تدخل في صناعة الأسلحة الذرية . والمملكة المغربية هي رابع دولة في العالم في انتاجه .

د ـ الكـــروم : وهـو معـدن يستعمـل في صنـاعـة السبـائك المعدنية، والعالم الإسلامي ينتج ٤٥٪ من انتاج العالم منه . وتنتجه كل من : تركيا وإيران وباكستان والسودان .

هـ ـ الحــــديـد : في ماليـزيـا وتـركيـا وإيران وباكستان ومصر وغينيا وموريتانيا والمغرب والجزائر وتونس .

و ـ القصـــديـر : وهـو معـدن تحتـاجـه الصنـاعـات المعدنية الهامة فهو يشترك مع النحاس لتكوين البرونز، ويستعمل في صناعة الصفيح والعلب التي تحفـظ المأكـولات وفي عمليـات اللحـام والسبـائـك الـبرونـزيـة . وينتج العالم الإسلامي أكثر من نصف الانتاج العالمي من بلدان : ماليزيا، اندونيسيا، اقطار المغرب العربي، إيران، تركيا، نيجيريا .

ز ـ المنغنيـز : ويـدخـل في صنـاعـة السبـائـك والصلب وفي الصناعات الكيمائية . وأهم البلدان المنتجة له : مصر والمغرب وتركيا .

---

(١) أدرك العـالم الغـربي وخـاصـة الولايات المتحدة الامريكية أهمية استخدام سلاح البترول لمصلحة البلاد الإسلامية بعد أن شهدت نجاحه عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٧٣م . فلجأت إلى عملية تخزين البترول لتوجد المنافسة بين أعضاء أوبك فتنهار . كما عمدت إلى ابتزاز إيراد البترول مقابل الأسلحة التي تمد بها الأطراف الإسلامية التي أثارت بينها النزاع كالحرب العراقية الايرانية . وقد عمدت القوى العالمية على استمرار هذا الصراع ليبقى نزيفاً بشرياً ومالياً للعالم الإسلامي . وافراغ المنطقة من قوتها المالية والعسكرية ليسهل ابقاء السيطرة عليها، ودورانها في فلك النفوذ الأجنبي ! .

ح ـ **الرصـــــاص** : في إيران وتركيا والمغرب والجزائر وتونس .

ط ـ **امـلاح الصـوديـوم والبـوتـاسيـوم والكالسيوم والبر وم والمغنيزيوم ـ الامـلاح المعـدنيـة ـ**: وأشهر أماكن استغلال هذه الأملاح الهامة : البحر الميت حيث يقوم العدو الصهيوني باستغلالها في فلسطين .

ومن المعـادن الهـامـة الأخرى في العالم الإسلامي : الكولمبايت وتنتج منه نيجـير يـا ٩٠٪ من الانتـاج العالمي ، وهويستعمل بعد خلطه بمعادن أخرى في صنـاعـة محركـات الطـائـرات النفـاثـة . كما توجـد معـادن : الذهب والنحاس والتيتانوم والتنجستن والفحم الحجرى واليورانيوم .

٦ ـ الثروة الصناعية :

إن ما بيّنـاه من ثروات تتيـح للعـالم الإسـلامي الفرصة في أن يصبح عالماً صناعياً، إذ تتوفر فيه مقومات الصناعة وهي :

أ ـ توفر المواد الخام من مواد زراعية ومعدنية وحيوانية وغابية .

ب ـ توفـر مصـادر الطـاقـة ـ القـوى المحـركـة ـ من بتر ول وغـاز طبيعي ومساقط مياه التي تولد الكهرباء المائية، والفحم الحجرى، والطاقة الشمسية .

جـ ـ وفرة رؤ وس الأموال وخاصة في البلدان المنتجة للبتر ول .

د ـ توفر الأيدى العاملة وخاصة في اندونيسيا وبنغلادش وباكستان ومصر .

هـ ـ توفر الأسواق الاستهلاكية : الداخلية لاتساع العالم الإسلامي وكثرة سكانه . والخارجية لسهولة المواصلات التي تصل العالم الإسلامي بغيره .

ثالثا : العالم الإسلامي مركز المواصلات العالمية :

البر ية والبحرية والجوية ، ويعود ذلك إلى :

أ ـ موقـع العـالم الإسـلامي في قلب العالم القديم ـ آسيا وافريقيا وأوربا ـ وتوسطه بالنسبة للعالم القديم والجديد ـ أو أمريكا الشمالية والجنوبية واستراليا .

ب ـ إشرافه على البحار والمحيطات العالمية الهامة .

جـ توفر مواد الوقود، والمواني الجوية والبحرية .

د ـ صفاء معظم أجوائه الذي اجتذب خطوط الطيران العالمية .

وقـد زادت هذه الأهميـة بشق قنـاة السـويس التي سهلت اتصـال الشرق بالغرب بحراً وقلّصت المسافات إلى حدّ كبير .

الباب الأول

التحول من ماضي الأمة الإسلامية المجيد إلى حاضرها الأليم

الفصـــل الأول : العوامل الداخلية .
الفصـــل الثاني : العوامل الخارجية .
الفصـــل الثالث : نتائج التحديات الداخلية والخارجية .

التحول من ماضي الأمة الإسلامية المجيد إلى حاضرها الأليم

كان الإسلام الحد الفاصل بين القديم والجديد والحادث العظيم الذي غير مجرى التاريخ العالمي كله. وكان عامل الانقطاع الحضاري بين حضارات الفراعنة والرومان والفرس والهنود الوثنية وعامل ربط بين الحنيفية الابراهيمية ورسالة محمد ﷺ، بعد أن كانت تلك الحضارات الوثنية قد طغت على الحنيفية الابراهيمية، فأعاد الإسلام السلسلة - سلسلة النبوات وأوجد حضارة متصلة برسالات السماء من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ فكان كما قال ﷺ.

« مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كرجل بنى بيتاً فجمله وحسنه إلا موضع لبنة في زاوية من زواياه، فكان الناس يطوفون بالبيت ويعجبون ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم المرسلين»(١).

فلم يكن العصر الوسيط والنهضة الأوربية إلا ثمر ثان من ثمار الإسلام. فكان هذا من الطبيعي والحالة هذه أن يواجه الإسلام التحديات العاتية من أول ظهوره، التحديات الوثنية واليهودية والنصرانية والمجوسية، وأن تتعرض أمة الإسلام إلى كثير من التحديات الداخلية والخارجية أثناء مسيرة الإسلام، وأثبت الإسلام قدرته على البقاء والاستمرار والتمدد فما دخل في أرض وخرج منها، وما استطاعت الأزمات أن تقضي عليه أو تجعله ينهار، وظل محتفظاً بذاتيته الخاصة الواضحة عن غيره من النحل والأديان(٢).

نعم واجه الإسلام منذ ظهوره في مكة إلى أن قامت دولته في المدينة تحدي وثنية قريش والعرب، وتحدي أهل الكتاب من اليهود والنصارى داخل شبه الجزيرة وخارجها، وتغلب على هذه التحديات وامتد شرقاً وغرباً في عهد الخلفاء

---

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ٣٠٠ كتاب المناقب. باب خاتم النبيين ﷺ/ مسلم ج٤ ص١٧٩٠. كتاب الفضائل. باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين.

(٢) التحديات ص ١٠١. أنور الجندى.

الراشدين، وتعرض إلى محن داخلية إذ تمكن عبد الله بن سبأ اليهودي ومن هم على شاكلتـه من بذر التنـاقضـات بين المسلمـين ووسعوا هذه التناقضات فأدى ذلـك إلى امتشـاق الحسـام، واستمـرت الأحـداث زمن الاسـرة الأموية واشتد التحـدي من الـداخـل بين الإسـلام وبين من تظاهر بالإسلام من أهل الكتاب ومن الفـرس والمجـوس. وكـانت الأمـة من الوعي على دينها ومن القوة في إيمانها والتمسـك بعقيـدتهـا بحيث فوتت على أصحـاب الشـر والفساد أهدافهم فسار الإسـلام رغم ما أصـاب المسلمـين من جراح قدمـا، إلى أن بدأت عقيـدتهم تضعف وبـدأ الـزيـغ يدخـل نفـوسهم فأصـابهم التغير فقادهم إلى الضعف - مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى :

﴿**إن الله لا يغـير ما بقـوم حتى يغـيروا ما بأنفسهم**﴾[1]. فكانت العوامل الـداخليـة أهم من العـوامـل الخارجية التي اثرت على نقل العالم الإسلامي من ماضيـه المجيـد إلى حاضـره الأليم. فحينـما كانت الأمـة خاضعـة خضوعاً تاماً لسلطـان الإسـلام، حكمهـا منبثقـا عن قانـونـه، ومجتمعهـا قائما على نظامه، وأخـلاقهـا مستلهمـة من روحه، عزّت وتوحدت وأصابها الغنى، وحينما أخذت هذه الأمـة في الغـربة عن الإسلام أصابها الفرقة والضعف والتخلف، وسنتناول فيمايلي العوامل الداخلية ثم الخارجية، تلك التي اسهمت في نقل المسلمين من ماضيهم المجيد إلى حاضرهم الأليم ونتائج ذلك في ثلاثة فصول :

---

(١) سورة الرعد الآية ١١ .

الفصل الأول

العوامل الداخليـــــة :

١ ـ انشقـاق المسلمـين إلى فرق : الخـوارج والشيعة وأهل السنة : فقد نجحت القـــوى الحـاقـدة على الإسـلام المتسللة في صفـوف المسلمـين في شق المسلمين وصدعهم . فظهرت فرقة الخوارج وفرقة الشيعة وقد ناهضت كل منهما أهـل السنـة والجـماعة ، فعمل ذلك على تبديد طاقة المسلمين المادية والعسكرية والفكرية بتوجيهها إلى داخلهم في صراعات دامية .

٢ ـ اشتغـال المسلمـين بالفلسفـة وعلم الكـلام : اشتغـل المسلمـون في العصـر العبـاسي الأول (١٣٢ ـ ٢٣٢هـ) بترجمـة العلوم اليـونانية والهندية إلى اللغة العربية . ثم انحرف هذا الاتجاه إلى ترجمة الفلسفة الإلهية ، فدخلت الحياة الفكـريـة في العالم الإسلامي[١] . فانشغلوا بما لا ينفعهم في دنيا أو آخرة ، وبأمور جانبيـة ، وكـان ابن المقفـع وحنين بن اسحق وثابت بن قرة واضرابهم من الذين حملوا لواء هذا العمل قد استهدفوا غاية خطيرة هي نقل مذاهبهم وأديانهم إلى الفكـر الإسـلامي وكـان القسم الأكبر من هؤلاء النقلة من السريان والأقل من اليهـــود فنقلوا ما نقلوه وفق أهـواء خاصـة ، وأكثـرهم لم تكن غايتـه البحث عن الحقيقـة بل كان همهم الـدعـوة إلى شيعتهم وتـزيين أهوائهم الدينية وإدخال ما ليس في الإسلام فيه . لذلك كانوا يغيرون ويبدلون في النصوص التي بين أيديهم خدمة لأغراضهم . وظهر علم الكلام متسلحا بالمنطق الذي كان الوسيلة لتنمية القدرات العقلية للفيلسوف حتى يتأهل للتلقي عن العقل الفعال .

وقـد ذم بعض الفقهـاء الكـلام وأهله ، قال أبـو يوسف تلميذ الإمام أبي حنيفـة وصـاحبه : «من طلب الدين بالكلام تزندق ، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس ، ومن طلب غريب الحديث كذب»[٢] .

---

(١) أرسل المأمون إلى حاكم صقلية النصراني يطلب منه أن يبادر بإرسال مكتبة صقلية الشهيرة الغنية بكتب الفلسفة ، وتردد في إرسالها واستشار رجال دولته فأشار عليه المطران الأكبر بقوله : «ارسلها ، إليه فوالله ما دخلت هذه العلوم في أمة إلا أفسدتها» .

(٢) شرح الطحاوية ص ٧٢ .

وقال الإمام الشافعي : «حكمي في أهل الكلام أن يطاف بهم في القبائل والعشائر ويضربوا بالجريد والنعال ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكـلام ، وقـد أطلعت من أهـل الكـلام على شيء مما ظننت مسلماً بقوله ، ولأن يُبتلى العبد بكل ما نهي عنه ما خلا الشرك بالله خير له من أن يبتلى بالكلام»[1] .

وقال الإمام مالك : «أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد عليه الصلاة والسلام لجدل هؤلاء ؟»[2] .

قال ابن الحصار : «إنما ظهر التلفظ بها زمن المأمون بعد المائتين لما ترجمت كتب الأوائـل وظهـر فيها اختلافهم في قدم العالم وحدوثه ، واختلافهم في الجوهر وثبـوتـه ، والعـرض ومـاهيته ، فسارع المبتدعون ومن في قلبه زيغ إلى حفظ تلك الإصطلاحـات ، وقصـدوا بها الإغـراب على أهـل السنـة وإدخال الشبه على الضعفـاء من أهـل الملة ، فلم يزل الأمـر كذلـك إلى أن ظهـرت البدعة ، وصار للمبتـدعـة شيعـة والتبس الأمـر على السلطان حتى قال الأمير (المأمون) بخلق القـرآن ، وجـبر الناس عليه وضرب أحمد بن حنبل على ذلك فانتدب رجال من أهل السنة . . . فخاضوا مع المبتدعة في اصطلاحاتهم ثم قاتلوهم وقتلوهم بسلاحهم[3] .

وفي القرن الرابع الهجرى اتخذت الفلسفة طابع التحدي لعقيدة الإسلام على يد ابن سينـا (٣٧٠ ـ ٤٢٨هـ) الـذي يعتـبر من أخطر فلاسفة المسلمين . وقد نعته الذهبي بأنه : «رأس الفلاسفة الإسلاميين الذين مشوا خلف العقول وخـالفـوا الـرسـول»[4] وتـاب في آخـر أيـامه[5] . وقد روى عنه تلميذه ابن أبي أصيبعة : «أنه يجتمع كل ليلة في داره طلبة العلم ، وكنت اقرأ من الشفاء ، وكان

---

(١) نفسه ص ٢٢٩ وص ٧٢/ سير اعلام النبلاء ج ١٠ ص ٢٩ .

(٢) حلية الأولياء ج ٦ ص ٣٢٤، سير اعلام النبلاء ج ٩ ص ٩٩ .

(٣) القرطبي ـ الجامع لأحكام القرآن ـ تفسير الآية رقم ١٧٠ من سورة البقرة ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾ . ج٢ ص٢١٣ـ٢١٤ طبعة بالأوفست . دار احياء التراث العربي . بيروت .

(٤) انظر سير اعلام النبلاء ج١٧ ص٥٣٥ .

(٥) انظر ابن خلكان . وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٦ .

يقـــريء غيري من القـانـون نوبـة، فإذا فرغنـا حضـر المغنـون على اختـلاف طبقاتهم، وهيء مجلس الشراب بآلاته، وكنا نشتغل به»[1].

وكـان والـده قد استجـاب للاسـماعيليـة الفاطمية، وكان يحضر ابن سينا اجتماعاتهم في بيت والده[2]. ومن اشهر نظرياته: نظرية المعرفة التي وضع فيها الفلاسفة على قدم المساواة مع الأنبياء، ثم خصهم بميزة على الأنبياء حين قرر أن الفلاسفة استمروا في رسالتهم وارتقاء معارفهم في الوقت الذي ختمت النبوة بالرسول محمد ﷺ[3].

وبعـــد: فماذا استفـاد المسلمـون من ترجمة الفلسفة اليونانية؟ استفادوا الخبرة لفن قتل الوقت وقتل العقل، واستطابوا الإدمان على تعاطي هذه الكأس التي يقـدمهـا السفسطائيون للإجهاز على الأمم القوية عندما تبلغ القوة مداها، مقابل ما خسر المسلمون من الإيمان الفطري والاعتقاد النقي، وتهاونوا في دينهم وفـرّطـوا في لغتهم وانشغلوا في محاولات عقيمـة وداروا في حلقـة مفرغة ووقعوا في اغـلاط اليـونـان لأنهم أخـذوا دون تمحيص ودون أن يردّوا ما أخذوا إلى القرآن والسنـة، بل بلغ بهم الأمـر أنهم كانـوا يردون القـرآن إلى آراء اليـونـان، كقول اخوان الصفا:

«إن ادريس هو هرمس الممتلىء بالحكمـــة صفت نفســه فصعـدت إلى السماء وطـافت مع بعض اجـرامهـا ثلاثـين عامـاً وشـاهدت من العجائب مالا يشـاهـده إلا من يطـوف ذلـك الطـواف، وإلى هذا يشـير القـرآن الكـريم (في زعمهم) في قوله تعالى: ﴿**ورفعناه مكاناً علياً**﴾[4].

وهذا نوع من فهم القرآن لا يجيزه القرآن ولا العقل ولعلنا لو بحثنا تاريخ الفلسفـة الإسـلاميـة ومـا كان بين المتكلمـين من علماء المسلمـين من خلافـات لوجـدنـا أكثـر هذه الخلافات إن لم يكن كلها راجعاً إلى قضايا أخذها المسلمون

---

(١) طبقات الأطباء ص ٤٤٦.

(٢) نفسه ص ٤٣٧ وانظر سير اعلام النبلاء ج ١٦ ص ٥٣١.

(٣) انظر ابن سينا ـ إثبات النبوات. مقدمة ص ١٣.

(٤) سورة مريم الآية ٥٧. رسائل اخوان الصفاء ج ١/ ١٣٨.

عن اليـونـان من غير تمحيص[1]، وسـاعـدهم في ذلـك الـترف والحياة الباذخة والفراغ وفتور حركة الجهاد. مصداقاً لقوله تعالى :

﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾[2].

ولو كان هناك الوعي الكامل لاقتصرت الترجمة على ترجمة العلوم البحتة كالهنـدسـة والطب والفلك وغـيرهـا من العلوم النافعة وبشرط أن تكون صياغة ترجمتهـا متفقـة مع عقيدة الإسلام. ولكن الخطأ حصل بترجمة جميع العلوم ومنها الإلهيات عند ارسطو وأفلاطون وغيرهم. واستخدم أهل الكتاب في ذلك فتعكر صفـو العقيـدة لدي المسلمين بالفكر الاجنبي الذي اقحم على الحياة الإسلامية وبضـروب الجـدل التي زجى بها المتكلمون في أوقات فراغهم[3] فقال فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية :

«هؤلاء أهـل الكـلام المخـالفـون للكتـاب والسنـة الذين ذمهم السلف والأئمة، إنهم لم يقوموا بكمال الإيمان ولا بكمال الجهاد بل أخذوا يناظرون أقواماً من الكفّـار وأهـل البـدع الـذين هم ابعد عن السنة منهم، بطريق لا يتم إلا برد بعض ما جاء به الرسول (ﷺ) وهذا لا يقطع أولئك الكفار بالعقول فلا آتوا بما جاء به الرسول حق الإيمان، ولا جاهدوا الكفار حق الجهاد. وأخذوا يقولون : إنه لا يمكن الإيمان بالرسول ولا جهاد الكفار والرد على أهل الإلحاد والبدع إلا بما سلكناه من المعقولات وإن ما عارض هذه المعقولات عن السمعيات يجب رده تكـذيبـاً، أو تأويـلاً أو تفويضاً. لأنها أصل السمعيات، وإذا حقق الأمر عليهم وجد الأمر بالعكس»[4].

---

(١) انظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام «ثلاثة أجزاء». على سامي النشار.

(٢) سورة الرعد الآية ١١ .

(٣) انظر الإسلام والطاقات المعطلة. ص ١١٢. محمد الغزالي.

(٤) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ج ١ ص٢٣٨. تحقيق محيي الدين عبد الحميد وحامد الفقي.

٣ ـ الانقسام السياسى لدولة الإسلام :

فقد أفلحت النعرات السياسية في تصعيد بعض التناقضات وتعميق روح الخلافات فأدت إلى الصدع بين الزعامات المسلمة، وجاء وقت (القرن الرابع الهجرى) كان في العالم الإسلامي ثلاثة خلفاء : الخليفة العباسي الشرعي في بغداد، والخليفة الفاطمي في مصر، والخليفة الأموى في الأندلس. وهذا طبعاً أدى إلى طمع العدو الخارجي في العالم الإسلامي وأدى إلى ضعف هذا العالم الإسلامي في مواجهة اعدائه فتوقف المد الإسلامي ثم أخذ بالانحسار ليعود إلى المد من جديد في عهد الدولة العثمانية حاملاً معه بذور الضعف .

٤ ـ الشعوبية :

اكتسبت الشعوبية مفهوماً خاصاً فأطلقت على محتقري العرب والذين يصغرون شأنهم[١]. فهي والحالة هذه تعني التعصب ضد العرب وقد بدأها الذين تسللوا إلى الإسلام وهم يحقدون عليه من اليهود والنصارى والمجوس وقد رد بعض العرب بالتعصب للعرب، فخالف المتعصب ضد العرب والمتعصب للعرب روح الإسلام لأنها حملت روح التفرقة بين العرب وغيرهم من المسلمين[٢]. واستغلت الحركة الشعوبية الأدب واللغة والشعر العربي والتأليف والمفاخرة والمفاضلة بين العجم والعرب[٣] فكانت الشعوبية نزيفاً وضعفاً في الأمة الإسلامية في وقت تزايدت فيه اخطار التحديات الخارجية على المسلمين وعلى العالم الإسلامي (مثل التحدي الصليبي والتحدي المغولي) .

٥ ـ الباطنية :

وكانت من أكبر عوامل الهدم من الداخل في عالم الإسلام، فقد ضمت جميع العناصر المناهضة للإسلام من زراد شتية ومانوية ويهود ونصارى وكانت التناقضات فيها تبيض وتفرخ لأنها عاشت في الظلام وآمنت بالتقية بل وجعلتها

---

(١) لسان العرب ج ١ ص ٤٨٢، القاموس المحيط ج١ ص ٩١.

(٢) ويؤيد هذا من معانى الشعب في اللغة : «بمعنى التفريق». انظر لسان العرب ج١ ص٤٧٩.

(٣) انظر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجرى للمؤلف.

أساس عقيدتها. وقالت الباطنية :

«إن الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة»[1] وقرروا أن لظواهر القرآن الكريم والأحاديث بواطنٍ تجري مع الظاهر مجرى اللب من القشر، وان تصوراتهم توهم الجهال صوراً جليّة وهي عند العقلاء رموز وإشارات إلى حقائق خفية، وان من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا والاسرار والبواطن والأغوار وقنع بظواهرها كان تحت الاغلال التي هي تكليفات الشرع، ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه[2].

وبإسقاط التكاليف الشرعية وانكار المسئولية الفردية والالتزام الاخلاقي والجزاء الأخروى فتح الباب واسعاً أمام حرية الشهوات واللذات والدعوة الإباحية وعبادة الجسد، وقد عمدوا إلى صرف ألفاظ الشرع عن معانيها الظاهرة إلى أمور باطنة بغير دليل من القرآن والسنة وتسقط منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، لأن الباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى حسب مقتضى الأهواء والغايات وهدفهم الرئيسى هو هدم الشريعة بتأويل ظواهرها وتحريفها لتلائم مقاصدهم فهم يقولون : للشرائع باطن لا يعرف إلا بالإمام أومن ينوب منابه ففسروا : ﴿**يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائدولا آمين البيت الحرام**﴾ بأن القلائد هم الأئمة المستورون، والبيت الحرام هو الخليفة الفاطمي. ومعنى قوله تعالى : ﴿**وإذا قمتم للصلاة فأغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق**﴾. هو الإقرار بالإمام الناطق الذي يفيض عنه العلم ويوصل من قبله إلى معرفة الله تعالى والملائكة هم دعاة الإمام الذين يأخذون له العهد على المستجيبين ويربونهم على عقيدة الباطنية الاسماعيلية التي تمنح شخص الإمام الحاكم الريادة العقائدية والسياسية المغلقة وتمنحه مرتبة إلهية[3].

---

(١) انظر اخوان الصفاء ج ١ ص ٦. دار صادر. بيروت.

(٢) انظر تلبيس ابليس. لابن الجوزي.

(٣) القاضي النعمان المغربي. الرسالة المذهبية ص ٨٢.

وكـذلـك ما ورد في الحشـر والنشـر وغيرها فكلها عندهم رموز وأمثلة إلى بواطن، فمعنى الغسـل عندهم : بمعنى تجديد العهد عليه، ومعنى الطهور : التبرؤ من كل مذهب خالف الباطنية، ومعنى التيمم : أخذ العلم من المأذون، ومعنى الصـلاة : الـدعـاء إلى الإمـام، ومعنى الـزكاة : بث العلم لمن يزكى، ومعنى الحـج : طلب العلم الـذي تشـد رحـائـل العلم إليه، والجنابة : إفشاء السـر، والكعبـة : النبي، والبـاب علي، والتلبيـة : إجـابة الداعي، والطواف بالبيت سبعاً : الطواف بالإمام إلى تمام السبعة، والنار الجهل بعلوم الباطنية(١).

ولجأت البـاطنيـة إلى الفلسفـة يستمـدون منها أوهامهم فضمت فلاسفة ومفكـرين مثـل اخوان الصفاء وشعراء مثل أبي العلاء المعري، وعلماء مثل أبي حيـان التـوحيدي وابن سينا ووالده، وتمكنت من افراز جناح عسكري في القرن الخـامس الهجـرى بقيـادة الحسن الصبّـاح الـذي اتخذ قلعة الموت سنة ٤٨٣هـ مركزاً له يبث منها دعاته ليخدعوا الأحداث والبسطاء ويضمونهم، (باسم الدين ونصـرة آل البيت) واستعـانـوا في التأثـير على الاتباع بالمخدر أو الحشيش الذي كانـوا يقـدمـونـه لهم، فإذا أصـابهم الـدوار أمـروهم بما يريدون، ولذلك سموا بالحشـاشـين. وقـد بقيت هذه الفـرقـة تثـير الفتن وتنشـر الرعب، وتعاونت مع الصليبيـين في الشـام ضد المسلمـين واغتـالوا عدداً من قادة الإسلام، كما حاولوا اغتيال صلاح الدين أكثر من مرة .

وبقيت الباطنية نزيفاً داخلياً لجهد العالم الإسلامي، تأخذ كثيراً من جهد قادة المسلمين ومن أئمة المسلمين وعلمائهم الذين تصدوا لها بكل عنف .

٦ ـ الصوفيـــــة :

نشأ التصوف من ينبوعين مختلفين تلاقيا(٢) :

الأول : هو انصـــراف بعض العبـــاد المسلمـــين إلى الـزهـد في الـدنيـا

---

(١) انظر فضائح الباطنية ص ٥٥ ـ ٥٩. الإمام الغزالي.

(٢) ابن تيمية ـ للشيخ محمد أبو زهرة ص ١٩٧ ـ ١٩٨.

والانقطاع للعبادة. وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك. فقال:

«ما بال أقوام يقولون كذا وكذا، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني» (متفق عليه).

وبعد وفاته ﷺ كثر الزهاد الذين غالوا في الزهادة في الدنيا ونعيمها... وفي وسط تلك النفوس وجد التصوف مكانه إذ وجد أرضاً خصبة.

والثاني: هو ما سرى إلى المسلمين من فكرتين: الأولى فكرة الاشراقيين من الفلاسفة وهم يرون أن المعرفة تقذف في النفس بالرياضة الروحية والتهذيب النفسي. والثانية: فكرة الحلول الإلهي في النفوس الإنسانية، وقد ابتدأت هذه الفكرة تدخل في الطوائف التي كانت تنتمي كذباً إلى الإسلام في الصدر الأول عندما اختلط المسلمون بالنصارى وقد ظهرت في السبئية والكيسانية ثم القرامطة ثم في بعض الباطنية ثم ظهرت في لونها الأخير في بعض الصوفية.

وهناك معين آخر أخذت منه فيما يظهر النزعات الصوفية وهو كون النصوص والأحكام - أي نصوص القرآن والسنة - ظاهر وباطن - ويظهر أن المتصوفة استعاروا ذلك التفكير من الباطنية...

فالمغالاة في الزهد فتح لأفكار الحلول ثم وحدة الوجود فظهر التصوف في الإسلام الذي اشتد في القرن الرابع والخامس الهجرى، ثم بلغ أقصى مداه فيما بعد ذلك بعيداً كل البعد عن هدي القرآن الكريم والسنة المطهرة، حتى بلغ أن المتصوفة يسمون من يتبع القرآن والسنة أهل الشريعة: «أهل الظاهر». ويسمون أنفسهم أهل الحقيقة وأهل الباطن». فالتقت الصوفية مع الفلسفة والباطنية وحجبت كثيراً من المخدوعين عن فهم حقيقة العبادة في الإسلام، وعمدت إلى تقديس المشايخ فقالوا: «من قال لشيخه لِمَ لمْ يفلح».

وأدرك أئمة المسلمين وعلماؤهم أهداف الفلاسفة والباطنية والصوفية فكانت لهم جهودهم الموفّقة في تفنيد بدعهم، وردّ كيدهم وابراز الحق واضحاً جلياً من خلال مصادره الأصلية كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

ومن أبرز هؤلاء العلماء الأئمة الأربعة، ثم الإمام ابن تيمية وابن القيم

اللذان كانت لهما صولات وجولات مع أرباب البدع وأئمة الكلام وأساطين الفلاسفة فأوسعوا نظرياتهم وأقوالهم نقضاً ونقداً من خلال الفهم الأصيل والاعتقاد المستقيم والمنهج القويم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهما العروة الوثقى التي يجب على كل مسلم أن يتمسك بها مصداقاً لقوله ﷺ :

«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وسنتي» .

وفي العصور الحديثة هاجمهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ الدهلوي والشيخ أبوزهرة وغيرهم، فكان العلماء المخلصون بالمرصاد لكل من يحاول العبث بدين الإسلام .

٧ ـ الاسرائيليات[١] :

وهي جميع العقائد غير الإسلامية، لاسيما تلك التي دسها أهل الكتاب من اليهود والنصارى بواسطة من تظاهر منهم بالإسلام، فتمكنوا من دس تفاصيل كثيرة باطلة وتوسعات عديدة تتعارض مع الإسلام القائم أصلاً على التوحيد والمتصل اتصالاً واضحاً بالإيمان بالغيب والبعث والجزاء والمستمد من قواعد القرآن الكريم ومنهجه ومنطقه في مواجهة مختلف القضايا والأمور الخاصة فيما يتعلق بعالم الغيب وماراء المحسوس، وعلى عصمة الأنبياء والرسل .

ومن المعلوم أن مدارس للتفسير تكونت في زمن الصحابة والتابعين وتداولت تلك المدارس مجموعة من التفسير بالمأثور المنسوب بعضه إلى النبي ﷺ والمنسوب كثير منه إلى الصحابة، وأكثره منسوب إلى التابعين كمجاهد، وقتادة، ومسروق، والحسن البصري وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم وهم كثيراً ما اختلط بتفسيرهم من الاسرائيليات وادخل أعداء الإسلام في هذا الباب كثيراً من الأوهام المضللة، فقد توسع التابعون في الأخذ عن أهل الكتاب فكثرت الروايات الاسرائيلية في التفسير لكثرة من دخل من أهل الكتاب في

---

(١) انظر مقدمة تفسير ابن كثير عن الاسرائيليات وأقسامها الثلاثة . ج١ ص٤ . الحلبي بمصر .

الإسلام وميل نفوس القوم إلى سماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن[1]. ثم جاء بعد هؤلاء التابعين من عظم شغفه بالاسرائيليات وافرط في الأخذ منها إلى درجة جعلتهم لا يردون قولاً ولا يحجمون أن يلصقوا بالقرآن الكريم كل ما يروى لهم وإن كان بعيداً عن النص كالروايات في اسم الشجرة التي أكل منها آدم وأسماء أصحاب الكهف واسم كلبهم. . . واستمر هذا الشغف بالاسرائيليات والولع بنقل هذه الأخبار التي أصبح الكثير منها نوعاً من الخرافة إلى أن جاء دور تدوين التفسير فوجد من المفسرين من ضمنوا كتبهم بالقصص الاسرائيلي .

لقد نجح أهل الكتاب في دس الاسرائيليات وأبرز ما فيها مادة الكهانة والتنبؤات التي كان لها أثر سيء على المسلمين في عصور الضعف والتخلف، وتلك التفسيرات للآيات القرآنية والتوسع في أوصاف الملائكة والجنة والنار والحشر وتصويره تصويراً يخرج بها عن أصلها القرآني، والغمز في صحة عصمة الأنبياء والرسل عليهم السلام .

وقد ذهب أكثر الباحثين إلى أن أكثر الأحاديث الموضوعة من الاسرائيليات إنما وضعت عن تدبير وتخطيط وخصومة وكيد، وانها من عوامل الحرب الفكرية والعقائدية الضارية التي شنها اليهود وغلاة النحل المبتدعة على الإسلام والمسلمين بكافة الوسائل من التخفي والتسلل والتمويه بقصد تمزيق وحدة المسلمين وتلهيتهم عن دينهم القويم، وتشتيتهم عن طريقهم المستقيم[2]. وقد تنبه علماء المسلمين إلى مقاصدهم وإلى هذا الخطر منذ وقت مبكر، فقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يحذر من الأخذ عن أهل الكتاب «يامعشر المسلمين : كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ، احدث الأخبار بالله، تقرأونه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا : هذا من عند الله ليشتروا به

(١) التفسير والمفسرون ج ١ ص ١٧٦ . أحمد حسين الذهبي . ط لبنان .

(٢) الإسلام والدعوات الهدامة ص ٢٢٤ . أنور الجندى .

ثمناً قليلا ، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ، ولا والله ما رأينا رجلاً منهم قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم»[1].

وأثر عن الإمام أحمد بن حنبل قوله :

«ثلاثة لا أصل لهم : التفسير والملاحم والمغازي». أي أنها ليست ذات أسانيد صحيحة متصلة[2].

وقد أدت هذه التحديات الداخلية مع ما رافقها من تحديات أخرى وتحديات خارجية إلى شدة الضغط على العالم الإسلامي وقادت إلى الضعف والتفكك والإنحلال وتردّى المسلمون إلى حالة من العجز في مجال الخلق والإبداع وسادهم الجمود والتقليد والتواكل والانحراف عن النهج القويم، والابتعاد عن الشريعة ، وشاب إيمان المسلمين كثير من الكدر فانهارت قواهم ووقع العالم الإسلامي لقمة سائغة في يد الاستعمار الأوربي الحديث وخرّ صريعاً امام الهجمات الشرسة التي قادتها الصليبية الحديثة مع الصهيونية والشيوعية .

(١) صحيح البخاري / كتاب الشهادة ، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرهما . حاشية السندي ج٢ ص٧٤ .

(٢) هنالك عدة توجيهات لعبارة أحمد منها : أنه قصد كتباً مخصوصة ، ومنها ما ذكرناه من الكتب لكنها ليست على اطلاقها فهناك روايات كثيرة مسندة صحيحة متصلة في التفسير والملاحم والمغازي .

الفصل الثاني

العوامل الخارجيــة

١ ـ التحدي المغولي «التتري» :

المغـول والتتـار قبـائـل موطنهم الأصلى منغـوليا (شمال صحراء غوبي)، وكـانت هذه القبـائـل تقضي أوقـاتها في النزاعات القبلية وفي البحث عن منابت العشب ودانت بالوثنية التي تعرف باسم الشامانية(١).

واستطـاع تيمـوجـين بن بسـوكـاي الـذي ولـد في منغـوليـا عام ٥٤٩هـ/ ١١٥٥م أن يوحـد هذه القبـائـل عام ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م ووضـع لهم دستـوراً اجتـماعيـاً حربيـا مختصـراً عرف باسم الياسة الكبرى أو اليساق(٢) بالغ الشدة والعنف للطاعة فيه أكبر نصيب فكانوا أعظم الأمم طاعة لسلاطينهم(٣)، دون معـرفـة معـاني الشفقـة أو الـرحمـة(٤)، وبعـد أن وحـدهم لقب نفسـه «جنكيزخان» أي أعظم الملوك. واندفع بهم إلى الصين واستولى على بكين عام ٦١٢هـ فاستولى بذلك على مزيد من الكنوز والنفائس، وتعلم المغول استعمال البارود(٥)، ثم قضى على دولة الخطا السوداء (قره خطي) التركية المتاخمة لبلاد الصـين ٦١٥هـ(٦)، فأصبـح يطـرق أبواب العالم الإسلامي ويتحداه وكان هذا التحـدي شريكـاً لبعض الـوقت للغـزو الصليبي على عالم الإسـلام، وقد حمل بهمجية وبربرية ووحشية على العالم الإسلامي وكانت حملاته وحملات أخلافه، غاشمة كمدّ البحر أو الطوفان الذي كاد يفرق ويبدد أو يقوّض الحضارة الإسلامية .

---

(١) انظر المغول في التاريخ. د. فؤاد الصياد. ج١ ص ٣٢ ـ ٣٥.

(٢) انظر هذا الدستور/ المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٢٠ ـ ٢٢١.

(٣) صبح الاعشي ـ القلقشندي ج ٤ ص ٢١٢.

(٤) انظر الكامل ج ٩ ص ٣٢٩ ـ ٣٣١.

(٥) المغول في التاريخ ص ٥٣ .

(٦) نفسه ص ٥٧ .

اصطدم جنكيز خان بالدولة الإسلامية الخوارزمية ـ وكانت قد ظهرت سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م بعد أن ضعفت دولة السلاجقة وكانت بمثابة السور الفولاذي المنيع الذي يحمي الجبهة الإسلامية من جهة المشرق[١] تمتد من العراق العجمي غرباً إلى نهر السند شرقاً، ومن شمال بحر قزوين وآرال شمالاً إلى الخليج العربي والمحيط الهندي جنوباً شاملة : أذربيجان والعراق العجمي وفارس وكرمان وكمران وسجستان وخراسان وافغانستان والبامير والصغد وما وراء النهر. وكان على رأس هذه الدولة حين بدأت تطرقها المطارق المغولية السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه .

هاجم جنكيز خان الدولة الخوارزمية سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م وخاضت خوارزم حرباً مدمرة مدة خمس سنوات إلى أن تمزقت أوصالها واكتسح المغول أراضيها وأقاموا المجازر في بخاري[٢] وسمرقند[٣] ومرو ثم بلخ ونيسابور والري وهمدان وغزنه، فأبيد الملايين من السكان وتهدمت ألوف المساجد ودور العلم العامرة، وتحولت حواضر الإسلام الزاهرة في تركستان وفارس إلى كتل من اللهب والخراب. وترك جنكيز الدولة الإسلامية الخوارزمية اشبه ما تكون بصحراء جرداء، فأباد سكانها وخرب مدنها العامرة وأحرقها .

---

(١) انظر النجوم الزاهرة. أبو المحاسن. ج ٦ ص ٢٧٧ .

(٢) وصف ابن الأثير حالة الناس في بخارى يوم سقوط المدينة سنة ٦١٦هـ ومن وصفه :

«كان يوماً عظيماً من كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان، وتفرقوا أيدي سبأ وتمزقوا كل ممزق، واقتسموا النساء أيضا، وأصبحت بخارى خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس، وارتكبوا من النساء العظيم والناس ينظرون ويبكون ولا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم شيئا مما نزل بهم، فمنهم من لم يرض بذلك واختار الموت على ذلك، فقاتل حتى قتل . . . ومن استسلم أخذ اسيراً، والقوا النار في البلد والمدارس والمساجد، وعذبوا الناس بأنواع العذاب من طلب المال». (ابن الأثير. الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٣٣٢).

وحدث أن أحد السكان فر ناجياً بجلده إلى خراسان فسئل عما فعله المغول بمدينته فقال كلمات موجزة بالفارسية :

«لقد أتوا فخربوا، وأحرقوا، وقتلوا، ونهبوا، ثم ذهبوا». الصياد. المغول في التاريخ ج١ ص ١١٨ عن الجويني ج١ ص٨٣.

(٣) ووصف ابن الأثير أيضا ما أحدثه التتار في مدينة سمرقند سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م حاضرة بلاد ما وراء النهر وأعظم المدن التجارية آنذاك بعد أن استولوا على قلعة المدينة وجمعوا الأسلحة :

«فلما كان اليوم الرابع نادوا في البلد أن يخرج جميعهم ومن تأخر قتلوه، فخرج جميع الرجال والنساء والصبيان ففعلوا مع أهل سمرقند مثل فعلهم مع أهل بخارى من القتل والنهب والسبي والفساد، ودخلوا البلد فنهبوا ما فيه وأحرقوا الجامع وافتضوا الأبكار وعذبوا الناس بأنواع العذاب في طلب المال وقتلوا من لم يصلح للسبي. (الكامل في التاريخ ج٩ ص٣٣٣).

توفي جنكيز خان عام ٦٢٤هـ/١٢٢٧م فقام حفيده هولاكو بإتمام دوره في بلاد الإسلام فتحالف مع الصليبين وكانت زوجته نصرانية، واعلن الخاقان الأعظم انه إنما أرسل هولاكو إلى غرب آسيا ليقضي على الخلافة العباسية ويعيد بيت المقدس بعد أن كان قد حررها صلاح الدين عام ٥٨٣هـ. فاعتبر هولاكو نفسه محرراً للنصارى من المسلمين، وارسل إلى الصليبين قبل أن يبدأ غزوه المسلمين يقول:

«لدينا اعداداً كبيرة من المسيحيين بين قبائلنا، وقد جئنا بقوتنا وسلطاننا معلنين ضرورة تحرير جميع المسيحيين من العبودية ومن الضرائب التي فرضها عليهم المسلمون ومعلنين ضرورة معاملة المسيحيين معاملة تليق بهم، فلا يعتدى عليهم ولا على تجارتهم أحد، ونحن نصرح بأننا سنعيد بناء الكنائس التي خربها المسلمون»(١).

كما قام وزير المستعصم الخليفة العباسي وهو ابن العلقمي محمد بن محمد بمكاتبة هولاكو وجسّره وقوى عزمه على قصد العراق، وابن العلقمي هذا رافضي شيعي قام بإضعاف الخلافة العباسية بمكائده المختلفة، وأضعف الجيش وقلّل عدده وأشار على الخليفة بمداراة هولاكو(٢). فاستطاع هولاكو بتشجيع من النصارى والشيعة الوصول إلى بغداد عاصمة دار الإسلام ودار السلام، وبمساعدتهم تمكن دخول بغداد بجحافله، فخربوا المساجد واتلفوا المكتبات بإحراق الكتب أو بإلقائها في نهر دجلة، وقتلوا معظم سكان بغداد دون أن يستثنوا إمرأة أو طفلاً ودون أن يعطفوا على مريض أو يقدروا عالما(٣). وقد قدر المؤرخون القتلى بمليون وثمانمائة ألف، وبمليون، وبثمانمائة ألف(٤). وقتل الخليفة المستعصم بالله بتشجيع وتحريض من ابن العلقمي ونصير الدين الطوسى الاسماعيلي، فابن العلقمى نصح هولاكو بقوله: «بل المصلحة قتله،

---

(١) Lamb, The Crusades, The Flame of Islam pp 337-8

(٢) الذهبي - سير اعلام النبلاء ج٢٣ ص ١٨٠ وص ٣٦٢.

(٣) أبو الفدا - المختصر - ج٣ ص ٢٠٣.

(٤) الذهبي - سير - ج ٢٣ ص ١٧٩/ البداية والنهاية ج١٣ ص٢٠٢/ السيوطي - تاريخ الخلفاء ص٤٧٢.

وإلا فما يتم لكم ملك العراق»[1] اما نصير الدين الطوسي الاسماعيلي فكان وزيراً ومشيراً لهولاكو استصحبه هولاكو فهون عليه تخريب بغداد وقتل الخليفة المستعصم[2]. وجميع أفراد أسرته وأهل بيته .

وكان ابن العلقمي يطمع أن يزيل السنة بالكلية وأن يظهر البدعة الرافضة باتخاذه عند هولاكو يداً، وعمل بالفعل على تعطيل المدارس والمساجد والجماعات والجمعات والربط ببغداد، واستمر بالمشاهد ومحال الرفض، وكان يريد أن يبني مدرسة هائلة للرفض[3]. ولكن هولاكو أهمله وأذلّه فذاق وبال أمره، وتوفي مذموماً مدحوراً.

وهكذا أصبحت بغداد ـ دار السلام ـ بفعل التتار والنصارى والرافضة مأوى لجماعة من النصارى والزط والشيعة والوثنيين، فقد طلب هولاكو من بطريق النساطرة أن يجمع النصارى في إحدى الكنائس حتى يميزوا عن غيرهم فلا يتعرض لهم جند التتار .

وكان سقوط بغداد عاصمة الخلافة أشبه بزلزال رهيب دك بنيان بلاد الإسلام من أقصاها إلى أقصاها، ونظم الشعراء من العرب والفرس المراثي التي تشيع الأسى في النفس وتثير الشجون[4].

تقدم هولاكو بعد ذلك إلى الشام، وهاجم حلب ودخلها بعد حصار شديد وتركها شعلة من اللهب والدخان، ودخل كتبغا دمشق، فسقطت حاضرة الشام صريعة تحت أقدام المغول سنة ٦٥٧هـ، واشتركت معه فرق نصرانية أرمنية وافرنجية، فسنحت للنصارى الفرصة للتشفي والانتقام من المسلمين، فنظموا مواكب عامة حملوا فيها الصلبان وأنشدوا الأناشيد ويذمون دين الإسلام وأهله، واجبروا المسلمين على أن يقفوا احتراما لمواكبهم ومن امتنع تعرض للسب والأهانة، وبلغ بهم التحدي اقصاه فدقوا النواقيس، وتظاهروا بالخمر في

(١) الذهبي ـ سير ـ ج٢٣ ص١٨٠ .

(٢) البداية والنهاية ج١٣ ص ٢٠١ وص ٢٦٧ .

(٣) البداية والنهاية ج١٣ ص ٢٠١ / الذهبي ج٢٣ ص ١٨٠ .

(٤) البداية ج١٣ ص ٢١٩، الذهبي ـ دول الإسلام ج٢ ص١٢٥، المقريزي ـ السلوك ج١ ق٢ ص٤٢٥ / النجوم الزاهرة ج٧ ص٨٠.

رمضان ورشوه على ثياب المسلمين في الطرقات، كما صبوه على أبواب المساجد ولم يستثنوا حتى الجامع الأموي، فضجر المسلمون ورفعوا شكواهم إلى ابل سبان متسلم البلد وكان نصرانياً فلم يحفل بهم، بل أهانهم، وضرب بعضهم، وأخذ يزور الكنائس ويعظم رجالها على اختلاف مذاهبهم[١].

وقيض الله سبحانه وتعالى لأمة الإسلام: المماليك في مصر بقيادة قطز والظاهر بيبرس، وعلماء مثل العز بن عبد السلام، فتحركت في الأمة روح الجهاد واستثيرت طاقات الأمة ووجهت إلى الجهاد في مصر والشام، وتحركت جيوش الإسلام من مصر عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م والتقت بجيوش المغول تؤيدهم وتؤازرهم بعض النجدات النصرانية من الأرمن والكرج - في عين جالوت بين بيسان ونابلس على أرض فلسطين[٢] في ٢٥ رمضان والقى قطز بخوذته على الأرض أثناء المعركة وصاح بصوت كالرعد:

وا إسلاماه، اللهم انصر عبدك قطز على التتار»[٣] فكتب الله النصر المبين للإسلام، وانهزم المغول هزيمة منكرة لأول مرة في تاريخهم، بعد أن كانت القلوب قد يئست من النصرة عليهم لاستيلائهم على معظم البلاد الإسلامية، ولأنهم ما قصدوا اقليماً إلا فتحوه، ولا عسكراً إلا هزموه[٤]. فتكسرت حدة موجات التتار، وتحول مدهم إلى جزر، واسترجع المماليك منهم الشام بأكملها، فكانت عين جالوت فاتحة سلسلة من الانتصارات توالت على المسلمين، وحطمت اسطورة قوى المغول، وعاد دين الإسلام غض الإهاب[٥]. وأسلم بركة خان حاكم القبجاق وابن عمه هولاكو، فساعد المسلمين ضد ابن عمه[٦].

وبقي المسلمون يقاسون الأمرّين من المغول في فارس والعراق واستمرت غاراتهم على الشام والمسلمون يردونهم، كما حدث في وقعة حمص سنة

---

(١) البداية والنهاية ج١٣ ص٢١٩.
(٢) ياقوت - معجم البلدان - ج٤ ص١٧٧.
(٣) المقريزي - الخطط. ج٢ ص ٣٨.
(٤) أبو الفدا - المختصر ج٣ ص ٢١٤/ النجوم الزاهرة ج٧ ص ٩٠-٩١.
(٥) انظر القلقشندي - صبح الأعشى ج٧ ص ٣٦٠ - ٣٦٢.
(٦) البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٤٩/ المقريزي - السلوك ج١ ق٢ ص٣٩٥.

٦٨٠هـ[١]. وقد هداهم الله للإسلام فضاع على الصليبيين أملهم في الانتصار على المسلمين كما ضاعت مجهوداتهم من قبل في الشام، فقد اعلن أحمد بن هولاكو إسلامه عام ٦٨٠هـ[٢]. ولكن حالة المسلمين لم تمكنها من أن تبعث في نفوس المغول النواحي الإيجابية التي تقود إلى الإصالة وإلى المساهمة في رفع شأن الإسلام كدين وشريعة والمساهمة في بناء صرح الحضارة الإسلامية، وأعمال قازان الذي غزا الشام واجتاحها سنة ٦٩٩هـ إلى سنة ٧٠٢هـ وفعله القبائح[٣] دليل على ذلك. فاستمر العلماء يحرضون على جهادهم فكانت موقعة شقحب الفاصلة سنة ٧٠٢هـ التي انهزم فيها التتار هزيمة منكرة. وكانت فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية في حربهم، قال: «فإن هذه الفتنة التي ابتلي بها المسلمون مع هذا العدو المفسد الخارج عن شريعة الإسلام قد جرى فيها شبيه ما جرى للمسلمين مع عدوهم على عهد رسول الله ﷺ في المغازي التي أنزل الله فيها كتابه وابتلى بها نبيه والمؤمنين... فينبغي للعقلاء أن يعتبروا بسنة الله وأيامه في عباده، ودأب الأمم وعاداتهم، لاسيما في مثل هذه الحادثة العظيمة التي طبق الخافقين خبرها، واستطار في جميع ديار الإسلام شررها، واطلع فيها النفاق ناصية رأسه وكشر فيها الكفر عن أنيابه وأضراسه وكاد فيه عمود الكتاب أن يجتث ويخترم... وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفجرة التتار».

وبيّن الشيخ من تعاون مع التتار وسبب تعاونهم ذلك. فقال: «وفي المنتسبين إلى الإسلام من عامة الطوائف منافقون كثيرون في الخاصة والعامة، ويسمون الزنادقة... وهؤلاء يكثرون في المتفلسفة من المنجمين، ونحوهم، ثم في الأطباء، ثم في الكتّاب أقل من ذلك. ويوجدون في المتصوفة والمنفقهة، وفي المقاتلة والأمراء، وفي العامة أيضاً، ولكن يوجدون كثيراً في نحل أهل البدع لاسيما الرافضة. ففيهم من الزنادقة والمنافقين ما ليس في أحد من أهل النحل، ولهذا كانت الخرّمية والباطنية والقرامطة والاسماعيلية والنصيرية ونحوهم من المنافقين الزنادقة منتسبين إلى الرافضة.

---

(١) البداية والنهاية ج١٣ ص ٢٩٥.

(٢) ابن عبد الظاهر ـ محيي الدين ـ تشريف الأنام والعصور في سيرة الملك المنصور/ تحقيق مراد كامل ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي ١٩٦٩م/ ص٢٤.

(٣) البداية والنهاية ج١٤ ص ٦-٢٣/ النجوم الزاهرة ج٨ ص١٤٢-١٤٦.

وهؤلاء المنافقين في هذه الأوقات لكثير منهم ميل إلى دولة هؤلاء التتار لكونهم لا يلزمونهم شريعة الإسلام. بل يتركونهم وما هم عليه . . . »[1]

واستمرت قسوة التتار كأعمال تيمورلنك إذ ملأ بلاد آسيا الوسطى والغربية قتلى وأشلاء وأكداس من الجماجم وخرائب، وقد لحق بالشام من فتكه وتدميره الشيء الكثير[2].

وهكذا اسهم الغزو المغولي في ضعف بلاد الإسلام وفي انهاكها، وقد عبر السيوطي عن مأساة هذا الغزو بقوله : «هو حديث يأكل كل الأحاديث وخبر يطوي الأخبار، وتاريخ ينسي التواريخ، ونازلة تصغر كل نازلة، وفادحة تطبق الأرض وتملأها ما بين الطول والعرض[3].

وقال ابن الأثير في كامله ـ وهو لم يشهد خراب بغداد بل شهد خراب ما وراء النهر وخوارزم من بلاد الإسلام : «حادثة التتار من الحوادث العظمى والمصائب الكبرى التي عقمت الدهور عن مثلها، عمت الخلائق وخصت المسلمين، فلو قال قائل : إن العالم منذ خلقه الله تعالى إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها[4].

٢ ـ الحروب الصليبية :

مثل التحدي الصليبي التحدي الرئيسي في مواجهة الإسلام والمسلمين واستغلته اليهودية في صراعها مع الإسلام، وقد حملت الدولة البيزنطية وزر مقارعة الإسلام فكرياً وعسكرياً من أول ظهوره إلى أن تهاوت وانهارت نهائيا تحت مطارق الإسلام عام ٨٥٧هـ/١٤٥٣م. فانتقل ذلك إلى الامبراطورية الروسية والنمساوية وفرنسا وانجلترا، وفي الوقت الذي كان فيه الاسبانيون والبرتغاليون يتحركون بدافع الحقد على الإسلام والمسلمين ويدفعون المسلمين

---

(١) انظر ـ العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية/ للإمام محمد بن أحمد بن عبد الهادي/ دار الكتب العلمية ـ بيروت/ لبنان ص ١٢٠-١٤١.

(٢) صبح الأعشى ج ٨ ص ١٠٣ ـ ١٠٦.

(٣) تاريخ الخلفاء ص ٤٦٧ .

(٤) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٣٢٩ .

عن الأنـدلس . وكـل أولئكم يحركهم البـابـا في رومـا وتنفخ فيهم الكنيسة روح الحقـد على المسلمـين وتثـيرهـا حربـاً لا هوادة فيهـا . وبقيت هذه الـروح هي المسيطرة حتى بعد أن انشقت الكنيسة الكاثوليكية ، وقامت بحركة الاصلاحات الدينية ـ تمكن الأتراك السلاجقة أن يحيوا روح الجهاد في الأمة فحملوا راية الجهاد بعـد منتصف القـرن الخـامس الهجرى ضد البيزنطيين واصطدم سلطانهم ألب ارسلان بقوة بيزنطية هائلة ، كان يقودها الامبراطور ديوجينس وقد تشتت شمل النصـارى في معـركـة ملاذكـرد عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م وكانت معركة من المواقع الحـاسمـة في التـاريـخ نتـج عنهـا انتشـار الإسـلام في آسيـا الصغرى وتركيزه ، وأصبحت من ذلك اليوم من ديار الإسلام . فاتجه أباطرة بيزنطه لتسوية الخلاف مع البابا واستنجدوا به لحمايتهم ، فوجدوا أذنا صاغية من البابا : «اوربان الثاني» الذي دعا للحروب الصليبية بإعلان كليرمونت عام ١٠٩٥ ، حين القى خطاباً دعا فيه النصارى للحرب ضد المسلمين لاستخلاص بيت المقدس من المسلمين ووعــد من يشـترك فيهـا من النصـارى بالغفـران الكـامـل ، فتجـاوب هتـاف النصـارى : «هكـذا أراد الله» واتخـذوا شعار الصليب وبدأوا بالتدفق على بلاد الإسلام عام ١٠٩٧م فاشتعلت حرب ضارية بدون هوادة طوال قرنين من الزمان .

بدأ التدفق الصليبي في الوقت الذي كان فيه المسلمون قد بدأوا بالتفتت والصـراع بعـد وفـاة السلطـان ملكشاه سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٢م فانقسمت الدولة بعد خمس سنوات فقط من وفاته إلى خمسة ممالك متنافسة هي : سلطنة فارس ، ومملكـة حلب ، ومملكـة دمشق ، وسلطنـة سلاجقـة الـروم . وفي الـوقت نفسـه تعـرضت بلاد الشـام إلى انقسـام آخـر وظهـرت وحـدات سياسية عرفت باسم الاتابكيات مثل اتابكية دمشق ، الموصل ، وبعضها صغير جداً لا يتعدى أسوار مدينـة أو قلعـة واحـدة[1] . وسـاد هذه السلطنـات والاتابكيات النزاع والحروب وبـالإضـافة لذلك فقد دخلت هذه الدويلات مع الدولة الفاطمية التي (تحالفت

---

(١) انظر ـ ابن خلدون ج٥ ص ٢١/ وانظر البداية والنهاية ج١٢ ص١٥٦ .

مع الحركة الباطنية الاسماعيلية) في صراع مرير استنفذ طاقاتها المادية والبشرية. وفي هذا الجو تدفقت جموع الصليبيين يشترك فيها امراء الاقطاع والفرسان ورجال الدين. فانتصروا في البداية وأطاحوا بملك سلاجقة الروم واستولوا على عاصمتهم نيقية سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م وكوّنوا في بلاد الشام وآسيا الصغرى إمارة الرها وإمارة انطاكية وإمارة طرابلس ومملكة بيت المقدس اللاتينية عام ٤٩٢هـ/١٠٩٨م. وضرب الصليبيون مثالاً للحقد على الإسلام والمسلمين فاتسم الغزو بروح التعصب والانتقام فقد سفكوا الدماء في الرها وانطاكية وطرابلس وبيت المقدس، وسفكوا دم سبعين ألف مسلم أويزيد في ساحة المسجد الأقصى من المجاورين والعلماء والطلاب والعباد والزهاد وخاضت خيولهم بدم الضحايا من الرجال والنساء والأطفال[١].

ومن الجدير بالذكر أن الحروب الصليبية قد بدأت في الجزء الغربي من العالم الإسلامي قبل هذا التاريخ، فسقطت صقلية فريسة سائغة لهجمات النورمان سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م[٢] ومحيت من خريطة البلدان الإسلامية فكانت الشهيدة الأولى التي ذهبت ضحية الإهمال والتخاذل، واما الأندلس فكانت سنة ٤٠٧هـ[٣] مبدأ التفرق والتمزق فكان عصر ملوك الطوائف فأخذت كفة النصارى ترجح، وأصدر البابا اوربان مرسوماً حرم فيه على رجال الدين والفرسان الأسبان المشاركة في صليبيات الشرق لأن محاربة المسلمين باسبانيا لا تقل أهمية واعتبارا عن الحرب الصليبية الشرقية، فنتج من ذلك أن هرع الكثير من الفرسان من مختلف أوربا إلى الأندلس ليساهموا في حرب صليبية هي أقرب سبيلاً وايسر مشقة وعناء، واعلن البابا باسكال الثاني الحرب الصليبية ضد مسلمي الأندلس، وأصبح من المألوف أن يأذن البابا لملوك الأسبان في استعمال أموال الكنائس لمحاربة المسلمين، وكانت البعثات الصليبية الواردة من أوربا الشمالية (انكليز، المان، هولنديون) لا ترى مانعاً إذا تعطلت في سيرها أن تعين ملوك الاسبان في حرب المسلمين وأن يكتفي البعض منهم بتلك المساهمة.

---

(١) المراجع السابقة.

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٨ ص ١٥٧.

(٣) المطوي ص ١٨.



(١) الرها «إمارة» (٣) طرابلس «إمارة»
(٢) أنطاكيا «إمارة» (٤) بيت المقدس «مملكة»

وفي سنة **٦٣٢**هـ/ **١٢٤٤**م أصدر البابا جريجوار التاسع قراراً وعد فيه النصارى الذين يحاربون مع ملك البرتغال بغفران ذنوبهم كما لو كانوا في الحروب الصليبية في الأراضي المقدسة، فكان البابا يثير حماس البرتغاليين ضد المسلمين[١].

وتشاء حكمة الله تعالى أن ينهض في كل دور من أدوار التاريخ الإسلامي وفي كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي رجال يقومون في هذه الأمة على طريقة الأنبياء في ميدان القيم والمعتقدات يجددون أمر الدين وينفخون روح الجهاد في الأمة. تبعاً للقاعدة التي لا تتخلف: ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾. فظهر في بلاد المغرب دولة المرابطين والموحدين قارعتا الصليبيين في الأندلس. ومنّ الله تعالى على العالم الإسلامي في القرن السادس الهجري بعماد الدين زنكي أتابك الموصل، الذي التفّ حوله المخلصون من المسلمين وجعلوا من دولته دار هجرة تداعوا إليها من جميع الأقطار، فأخذ منذ توليه سنة **٤٨٧**هـ يعد الناس إعداداً إسلامياً ويطهر الدين من التيارات الفكرية المنحرفة كالباطنية وآثار الفلسفة اليونانية والممارسات الفاطمية للعبادات والشعائر ويعمل على تحقيق الوحدة الإسلامية بين الشام ومصر وشبه الجزيرة العربية، وبدأ بمقارعة الصليبيين وهزمهم في معارك كثيرة واستعاد الرها سنة **٥٣٩**هـ وفتح غيرها من حصونهم بالجزيرة[٢].

ولما استشهد سنة **٥٤١**هـ[٣] خلفه ابنه: الملك العادل نور الدين محمود زنكي (ت سنة **٥٦٩**هـ)[٤] وفي نفس السنة تمكن عبد المؤمن بن علي أن يملك ما في جزيرة الأندلس من بلاد الإسلام[٥]، وتمكن نور الدين أن يهزم الصليبيين هزائم متوالية واتم توحيد مصر والشام وشمال العراق والحجاز فوضع الصليبيين بين فكي كماشة. فقد دخلت قواته مصر بقيادة أسد الدين شيركوه سنة

---

(١) المطوي ص ١٩١.
(٢) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٨.
(٣) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ١٣.
(٤) نفسه ج ٩ ص ١٢٤.
(٥) نفسه ج ٩ ص ١٤.

٥٦٢هـ(١) وتوفي أسد الدين سنة ٥٦٤هـ فوزر صلاح الدين ابن أخيه للخليفة الفـاطمي العـاضـد ولـما مات العاضد سنة ٥٦٧هـ أقام الخطبة العباسية بمصر والغى الدولة الفاطمية، وأصبحت مصر جزءاً من الدولة النورية تابعة للخلافة العباسية(٢).

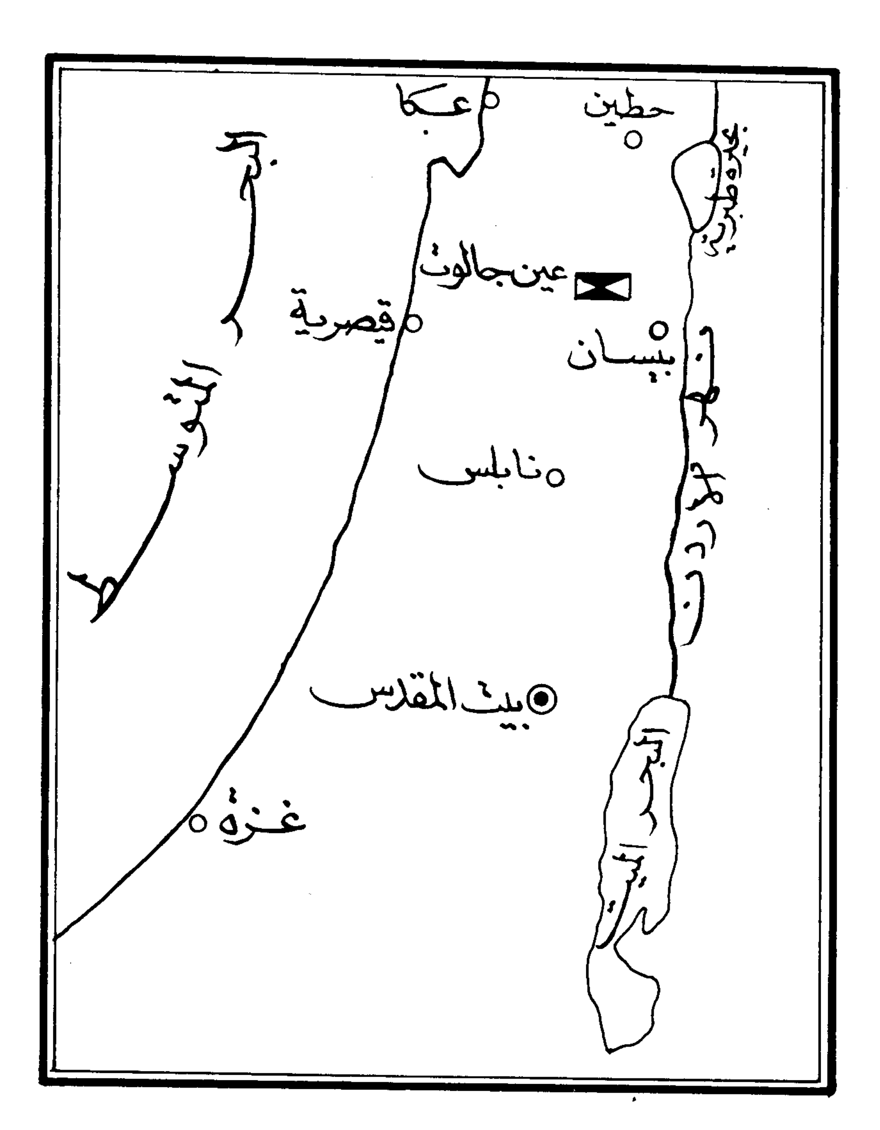
ولما توفي نور الدين رحمه الله سنة ٥٦٩هـ أتم مهمته الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب الذي هيأه الله سبحانه وتعالى لاستخلاص بيت المقدس، فقد جمع فيـه من خصـال الحـزم والعـزم والإخـلاص والحـرص على الجهـاد ونصـر الإسـلام ومكـارم الاخـلاق ما لا يجتمـع إلا في أفذاذ الرجال، فكان معجزة من معجـزات الإسـلام التي تتكـرّر ودليـلاً على أن الإسـلام لم ينتـه دوره ولم يفقـد الحيـويـة والانتـاج، فقـد استجمـع طاقة الأمة وهزم الصليبيين في معركة حطين بفلسطين عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م(٣) وكسر شوكتهم واستعاد بيت المقدس واحضر له المنـبر الـذي اعده نور الدين محمود للمسجد الأقصى فعاد الإسلام إلى تلك الديار غضّاً طرياً(٤). وفي نفس الوقت كان يوسف بن تاشفين والمعتمد بن عباد يخوضان معركة الزلاقة ضد الصليبيين في الأندلس سنة ٥٩١هـ(٥). وقد تم دحر الصليبيـين نهائيـا واخـراجهم من بلاد الشام على يد الأشرف خليل بن قلاوون من سلاطين المماليك عام ٦٩٠هـ/١٢٩١م(٦).

استطـاعت الحـروب الصليبيـة التي استمـرت قرنين في المشرق استنزاف جميـع القـوى البشـريـة والمادية في منطقة الشام ومصر واتسم الفكر الإسلامي في هذه الفترة بطابع المقاومة والتحدي ورد الفعل بالدعوة إلى الجهاد وابراز القدوة الحسنـة، ذلـك كما فعـل شيـخ الإسلام ابن تيمية وكما فعل قبله سلطان العلماء

---

(١) الكامل ج ٩ ص ٩٥.
(٢) نفسه ج ٩ ص ١١١.
(٣) نفسه ج ٩ ص ١٧٨.
(٤) نفسه ج ٩ ص ١٨٥. وانظر العماد الأصفهاني/ الفتح القسي في الفتح القدسي ص ٣٩٧-٣٩٨/ وابن شامة/ كتاب الروضتين ق٢ ص٤٢١.
(٥) البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٠.
(٦) البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٢٠.

العز بن عبد السلام ، ومن نتائجها أيضا أن القيت مقاليد الأمور بيد العسكريين لبروز روح التحدي والجهاد هذه ، فجمدت أوضاع المسلمين الإقتصادية وتناقصت الثروة وضعفت الأيدى العاملة ، بالإضافة إلى الخراب والدمار الذي حل بالمسلمين في جميع أقطارهم وخاصة الشام ومصر وآسيا الصغرى وتونس والأندلس .



فلسطين وموقعتا حطين وعين جالوت

وقد عزلت الحملات الصليبية الأندلس عن قاعدته في المغرب الإسلامي، وأخذت في تفتيت المسلمين مادياً ومعنوياً بصورة بطيئة مع تجريدهم بصورة مستمرة من مصادر قوتهم. وبالرغم من ذلك بقيت الأندلس تقاوم واحتملت فوق قدرة احتمال البشر على امتداد قرون عديدة إلى أن سقطت غرناطة آخر معاقل المسلمين سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م بيد فرديناند وايزابيلا(١). وكانت قد ضاعت أيضاً صقلية وجنوب ايطاليا وجزر البحر الأبيض المتوسط.

واستفاد الغرب الصليبي من الحروب الصليبية كثيراً(٢):

سياسيا: ازدادت سلطة الملوك، باشتراك عدد كبير من أمراء الاقطاع مع فرسانهم في الحروب الصليبية، فخلا الجو للملوك فزادت سلطاتهم على رعاياهم، فظهرت الممالك الأوربية الحديثة.

اجتماعيا: اقتبس الأوروبيون كثيراً من مظاهر الآداب الاجتماعية والأخلاق واللباس من المسلمين، وعادوا لتطبيقها على أوربا، كما اهتزت طبقة الاقطاعيين وأخذت تظهر طبقات أخرى مثل الطبقة الوسطى من التجار خاصة.

إقتصاديا: فقد تسلم الأووروبيون زمام التجارة بأنفسهم وتعلموا بعض الصناعات وخاصة صناعة الحرير والزجاج والورق ونقلوا بعض أشجار الفاكهة إلى أوربا وتعلموا أساليب الزراعة.

علمياً وثقافيا: فقد نشأت حركة واسعة في ترجمة العلوم والمعارف الإسلامية إلى اللاتينية بعد أن أطلع الأوروبيون على معلومات جغرافية وفلكية وتاريخية وزراعية مكنتهم من حب الاستطلاع.

وباختصار فقد أحدثت الحروب الصليبية تغيرا في أوربا في مختلف نواحي الحياة ومجالاتها ونقلتها من عصر الاقطاع المظلم إلى عهد جديد أطلق عليه اسم: عصر النهضة ـ وحركة النهضة هذه حركة تغيير شاملة لجميع نواحي

---

(١) انظر العسلي ـ الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية ص ٢٢٩ ـ ٢٣١.

(٢) انظر. د. سعيد عبد الفتاح عاشور/ أوربا العصور الوسطى ج١ ص ٤٧٥-٤٧٧.

الحياة السياسية والاجتماعية والإقتصادية والثقافية في أوربا وامتدت من القرن الثاني عشر الميلادي إلى القرن السادس عشر. وابتدأت في ايطاليا لصلتها الكبيرة بالعالم الإسلامي من بقية أوروبا عدا أسبانيا والبرتغال .

ويمكن تلخيص أسباب اليقظة الأوروبية في[1] :

١ ـ الروح الدافعة التي بثها الإسلام وحضارته في أرجاء العالم فأخذت تسري في أوصاله مجددة حياته وقواه ، وقد تلقفتها أوربا عن المسلمين إبان الحروب الصليبية في الشرق وعن طريق الأندلس وصقلية وجنوب ايطاليا والجامعات الإسلامية .

٢ ـ التمرد على الكنيسة الجاهلة ونبذ سلطانها السياسي والديني بكل ما يمثله من خطايا واخطار وحجر على الفكر وكبت للعلم واضطهاد للعلماء باسم دين الكنيسة وعصمتها .

نعم افادت النهضة الأوروبية من الحضارة الإسلامية كما تقول المصادر الأوروبية نفسها[2] ولكنها لم تسر على الخط الإسلامي بما أفادته ، بل صبغت ذلك كله بالصبغة اليونانية والرومانية والوثنية ، فكانت حركة النهضة ردّة إلى الوثنية الأولى ـ يغشيها غشاء رقيق من النصرانية ظل هذا الغشاء يرق كثيراً شيئاً فشيئاً إلى أن تمزق نهائياً في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين للميلاد . فصارت أوربا لذلك أعجب مركب حضاري ، أخذ من الإسلام روحه الحضارية ، ومن اليونان والرومان مثله وقيم حياته الجديدة التي قامت على انقاض مجتمع الكنيسة ودينها المهزوم ، وأخذت هذه تتعامل مع العالم الإسلامي حين تمّت لها الجولة بروح هي خليط من هذه المتناقضات فكانت ملحدة في كل شيء إلا مع المسلمين فهي صليبية تتحالف فيها الدولة العلمانية مع الكنيسة ، ويقوم فيها الرجل بدور الراهب والمبشر والعالم والمستشرق والجاسوس المحترف في آن واحد أحياناً[3] .

---

(١) انظر فتح الله ص ٢٦ .

(٢) انظر غوستاف لوبون ـ دور العرب في تكوين الفكر الأوربي .

(٣) فتح الله ص ٢٧ .

٣ ـ حركة الاستعمار الأوروبي :

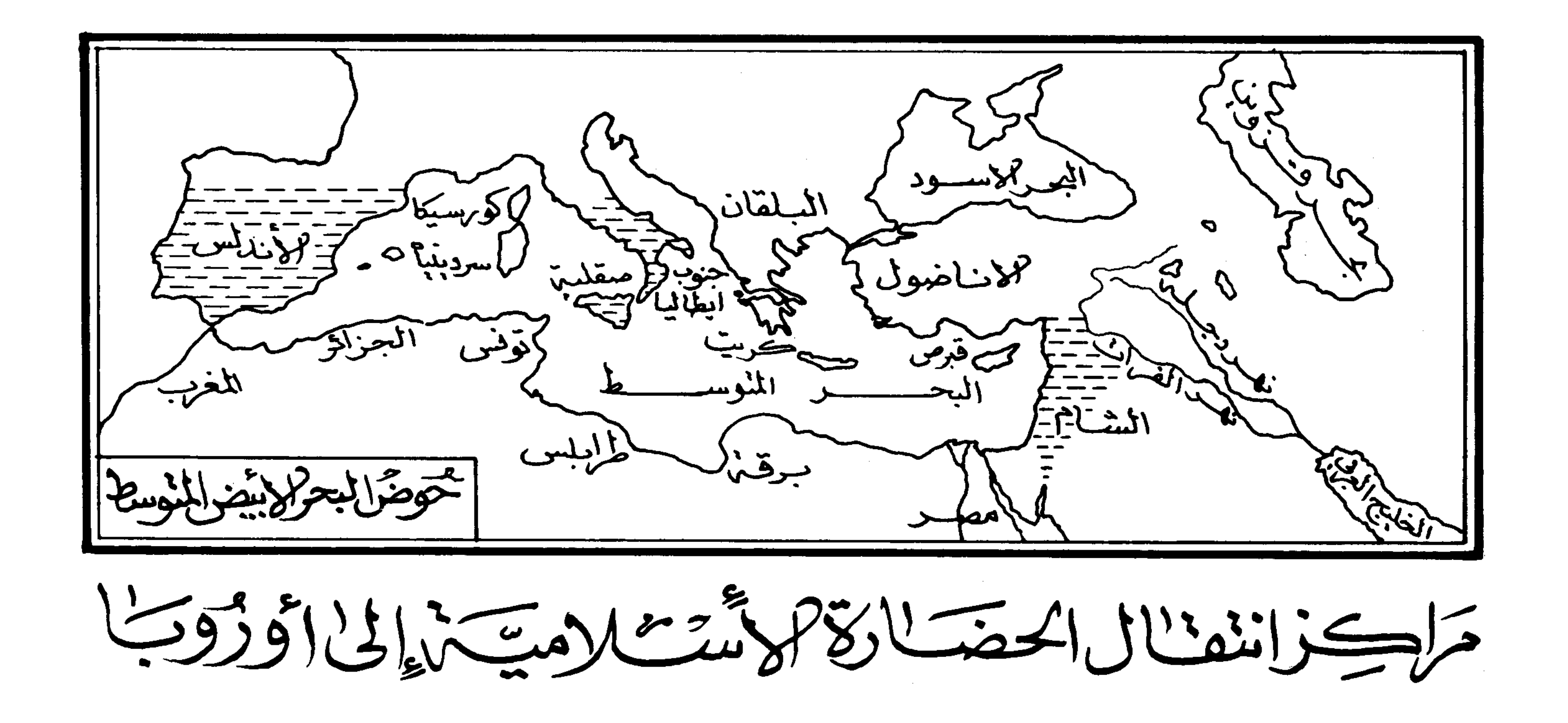
أدرك الصليبيون أن مهاجمة العالم الإسلامي في قلبه ضرب من المحال فبدأوا بتغيير الاستراتيجية، واتجهوا إلى أساليب أخرى. وكانوا قد تعلموا باتصالهم بالعالم الإسلامي : البوصلة والاسطرلاب وخرائط البحار وكروية الأرض، وعرفوا عن اقاليم خط الاستواء، فمكنهم ذلك من ارتياد البحار وتعلموا أسلوب التجربة فسارت مخترعاتهم قدماً، فاستطاع جاليليو العالم الايطالي اختراع المنظار الفلكي، ونادى كوبرنيكس بفكرة دوران الأرض حول الشمس، وتطور البارود الذي شل نظام الاقطاع نهائياً وقضى عليه. واخترع يوحنا غوتنبرج الألماني الطباعة بالحروف المتحركة، كل ذلك مكنهم من معاودة الهجوم على المسلمين بأسلوب آخر هو أسلوب الاستعمار الذي مرّ بمرحلتين :

المرحلة الأولى : الاستعمار الأوروبي القديم :

كانت حركة الكشوف الجغرافية التي تم شطر كبير منها في القرن الخامس عشر الميلادي أهم نتيجة عملية للنهضة الأوروبية، وقد هدف الأوروبيون من هذه الحركة إلى تحقيق أمرين :

أ ـ تطويق العالم الإسلامي لإضعافه تمهيداً لضربه في الداخل .
ب ـ البحث عن طريق تجاري لا يمر بديار المسلمين مع الهند .

وقد ساعد الأوروبيين في مهمتهم هذه الاسطرلاب والبوصلة والخرائط البحرية ومعرفة كروية الأرض، فقد سعى البرتغاليون للحصول على علوم المسلمين الملاحية واستعانوا بالتجار اليهود في الأندلس الذين قاموا بدور الجواسيس في الحصول على معلومات المسلمين وتقديمها إلى أسيادهم البرتغاليين. وساعد اليهود على نجاحهم في عمليات التجسس معرفتهم باللغة العربية، وقاموا برحلات بين المشرق والمغرب براً وبحراً لهذا الغرض وتظاهر بعضهم بالإسلام، فتتابع وصول الجواسيس إلى مصر وسائر بلاد الإسلام، ففي عام ٨٩٤هـ/١٤٨٨م قام جماعة من الجواسيس اليهود متخفين في زي تجار



مراكز انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا

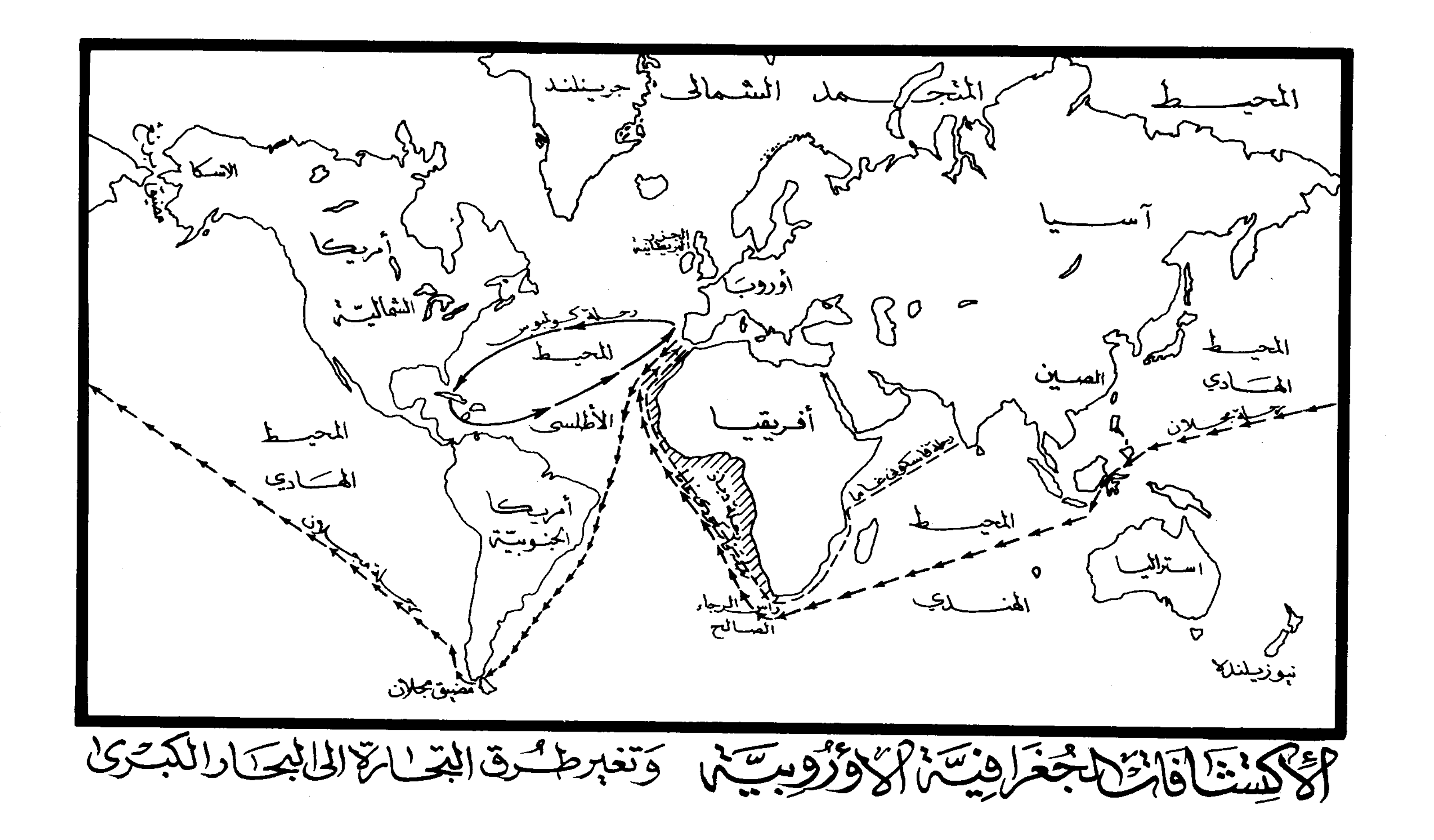
برتغاليين بالسفر إلى مصر سراً وكان على رأسهم «الفونسو دي بايفا»[1] ووقف الجواسيس على معلومات هامة عن كل ما يتصل بتجارة التوابل وغيرها من البضائع الشرقية، ثم اقلعوا على سفينة عربية من السويس إلى عدن، ثم استقلوا سفينة أخرى متظاهرين بالإسلام وسافروا إلى الهند، قبل وصول فاسكودي غاما إليها بنحو عشر سنوات وجمعوا ما راق لهم من معلومات ثم شدوا رحالهم إلى البرتغال عن طريق مصر، وفي أثناء مرورهم بالقاهرة التقى هؤلاء ببعثة تجسس أخرى كانت تضم ابراهام دى بيا ويوسف لاميجو[2] وهي على شاكلة البعثة الأولى تستهدف جمع المعلومات، وانضمت البعثتان في بعثة واحدة سافرت إلى هرمز ثم زيلع ومنها إلى الحبشة ثم عادت إلى مصر وواصلت سفرها في رحلة العودة إلى البرتغال، واستطاعت هذه البعثة الحصول على خرائط عربية عن المحيط الهندي ومعلومات تفصيلية عن التيارات البحرية والرياح الموسمية في هذا المحيط، فضلاً عن البيانات الخاصة بالتجارة الشرقية من حيث حجمها وفئاتها وما إلى ذلك. وقدمت البعثة كل ذلك إلى السلطات الحاكمة في لشبونة فكانت لهم نعم المعين في تقدير الموقف والمضي قدماً في إيفاد البعوث الكشفية الجغرافية ابتغاء الوصول إلى الهند بحراً. فتمكن بارتليمو دياز من الوصول إلى رأس الرجاء الصالح (جنوب افريقيا) وأتم فاسكودي غاما بمساعدة العالم المسلم أحمد بن ماجد الرحلة، فوصل البرتغاليون إلى كاليكوت في الهند وأخذوا يقيمون المراكز والحصون والقلاع على السواحل الافريقية والاسيوية، لبسط سيطرتهم العسكرية والتجارية على هذه المنطقة وهزموا اسطولاً إسلامياً ضم سفناً من المسلمين في الهند ومن دولة المماليك في مصر والشام ومن الدولة العثمانية في آسيا الصغرى والبلقان **٩١٥هـ/١٥٠٩م** في معركة ديوشمالي بومبي بالهند[3]: فتأكدت سيادة الصليبيين على البحار وانحسرت قوى المسلمين في المحيط الهندي .

---

(١) د. عبد العزيز الشناوي / أوربا في مطلع العصر الحديث ص ٩٧.

(٢) د. عبد العزيز الشناوي ـ أوربا في مطلع العصر الحديث ص ٩٨.

(٣) فتحي غيث ص ١٤٤ .



الاكتشافات الجغرافية الأوروبية وتغير طرق التجارة الى البحار الكبرى

وتمكن خريستوفر كولمبوس الجنوي الأصل - (٨٥٥ - ٩١٢هـ/ ١٤٥١ -١٥٠٦م) - من الوصول إلى جزر البحر الكاريبي ظانا أنها جزر الهند لصالح أسبانيا، وذلك لفكرة سيطرت عليه وهي أنه إذا ابحر غرباً من مضيق جبل طارق وعبر المحيط الأطلسي استطاع أن يصل إلى الشواطيء الشرقية لآسيا[١] وبالفعل وصل إلى جزر البحر الكاريبي، سنة ٨٩٨هـ/١٤٩٢م وعرف امريكو فسبوتشي أنّها أراض جديدة فسميت باسمه أمريكا ٩٠٧هـ/١٥٠١م[٢].

لقد حملت الاكتشافات الجغرافية الروح الصليبية بما فيها من حقد وكراهية على الإسلام والمسلمين تمثل ذلك في آراء البابا نيقولا الخامس - (٨٥١/ ٨٦٠هـ) (١٤٤٧/ ١٤٥٥) - الذي وضع خطة تنفذ مع الكشوف الجغرافية لضرب المسلمين ضربة أخيرة والقضاء على الإسلام قضاء مبرماً وأرسل في سنة (٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م) إلى ملك البرتغال (مرسوماً بابوياً تضمن ما يعرف باسم: «خطة الهند» تقوم على إعداد حملة صليبية نهائية تشنها أوربا الكاثوليكية للقضاء قضاء مبرماً على الإسلام بعد أن تحقق كشوف البرتغاليين أهدافها ويتصلون بالملوك النصارى سواء في افريقية أو آسيا كي يسهم هؤلاء الملوك في تمويل الحملة الصليبية بالأموال والرجال والعتاد ويتم تطويق البلاد الإسلامية[٣].

وتمثلت هذه الروح الصليبية في هنري الملاح أمير البرتغال، وفي القائد البرتغالي (البوكرك) الذي كان يعمل بهمة ونشاط للاستيلاء على جميع النقاط الاستراتيجيَة حتى يمهد للاستيلاء على مكة ومصر وبيت المقدس من المسلمين. وبالرغم من ضخامة هذه الآمال فإنها تدل على مغزى كبير وهو أن قادة البرتغال كانت تحركهم الأفكار الصليبية، واعتبروا أنفسهم مكلفين بالثأر للحملات الصليبية الفاشلة وحملوا لواء الأهداف التي عجز عن تحقيقها ملوك

---

(١) أوربا في مطلع العصر الحديث ص ١٠٤.
(٢) نفسه ص ١١٠
(٣) أوربا في مطلع العصر الحديث ص ٦١.

أوربا الصليبية السابقين[١]. وهذه الروح هي التي دعت القائد البوكرك أن يقول لرجاله قبل احتلاله مالقة عام ٩١٧هـ/١٥١١م :

«أجلّ خدمة لخضد شوكة الإسلام بحيث لا يقوم له قائمة بعد اليوم بعملنا هذا، وأنا على يقين أننا إذا انتزعنا الأفاويه والبهارات من يد العرب فإن الدمار سيحل بالقاهرة ومكة. وستتوقف تجارة البندقية مع العرب[٢].

وأما فرديناند وايزابيلا ملكا اسبانيا فقد غلب عليهما العداء للإسلام والمسلمين وشنا حرباً لا هوادة فيها على البقية الباقية من المسلمين في شبه جزيرة ايبريا، إلى أن نجحا في القضاء على آخر معقل إسلامي هناك ـ غرناطة ـ (٨٩٨هـ/١٤٩٢م). وكانا يمنيان النفس ببعث عهد الحروب الصليبية وانفاذ حملة لانتزاع بيت المقدس من أيدى المسلمين[٣] وأما كولمبوس الذي عمل لحسابهما فكان على طرازهما وطراز هنري الملاح تبرز فيه الناحية الصليبية، فقد رسمت الصلبان على أشرعة السفن التي أقلته في رحلاته، وكان يتوق لرفع الصليب عالياً في أراضي خان الكبير في الصين وتحويل ملايين الوثنيين إلى النصرانية، ولكنه شجع تجارة الرقيق ومارسها[٤].

وبعد : فماذا كانت نتيجة هذه الكشوف الجغرافية على بلاد الإسلام ؟! لقد تغيرت طريق التجارة عن بلاد الإسلام والبحر الأبيض المتوسط إلى المحيطات الكبرى ـ الأطلسي والهندي والهادي ـ فأدى ذلك إلى ضعف تجارة المسلمين ثم ضعف الصناعة والزراعة، فقد هجر الناس المدن إلى الأرياف وعاد الكثير منهم إلى البادية، فكسدت البضاعة وخوت الأسواق وقل عدد سكان المدن فأصبحت قرى، الأمر الذي أدى مع الزمن إلى عزلة المسلمين وإلى شيوع الجهل والتأخر والأمّية .

وأما من الناحية العسكرية فقد طمع الصليبيون بعد أن احاطوا بالعالم

---

(١) فتحي غيث ص ١٤٤ .

(٢) أنور الجندي ـ الإسلام والحضارة ـ ص ٦٥ .

(٣) أوربا في مطلع العصر الحديث ص ١٠٥ .

(٤) نفسه ص ١٠٩ .

الإسـلامي بوصـول مجلان إلى الفلبـين شرقاً ملتقيا النفوذ الاسباني بالبرتغال في أقصى المشرق من العالم الإسلامي ، فحاولت اسبانيا وفرنسا والبرتغال من اتباع الكنيسة الكاثوليكية الاتصال مع الحبشة الأرثوذكسية للقيام بغزو بحري إلى كل من عصب ومصـوع وسـواكن على أمـل غزو الحجـاز وهـدم قبر الـرسـول ﷺ وبالفعل قامت البرتغال بحملة دخلت البحر الأحمر ووصلت إلى ينبع وتحطمت أثـر عاصفـة هوجـاء ، امام هذا التحدي الصليبي وعجز المماليك عن المواجهة ، توجه السلطان سليم العثماني إلى الشام (٩٢٢هـ/١٥١٦م) فضمها إلى الدولة العثـمانيـة ثم ضم مصـر عام (٩٢٢هـ/١٥١٧م)[١] وامتـدت الـدولـة العثمانية وانتصبت ترد كيـد الصليبيـين ولكن دون أن تستطيـع استعـادة سيطرة المسلمين على البحـار خلا البحـر الأبيض المتوسط ، ولكنها استطاعت أن تمنع الصليبيين من مهـاجمـة قلب ديـار الإسـلام وشـمال افـريقيـة ، وتولت أمر الخلافة والدولة ، فكبحت جماح رغبـة الصليبيـين الشـريرة وامتدت في أوربا مما دفع الصليبية إلى مواقف الدفاع لفترة طويلة أمام الدولة العثمانية .

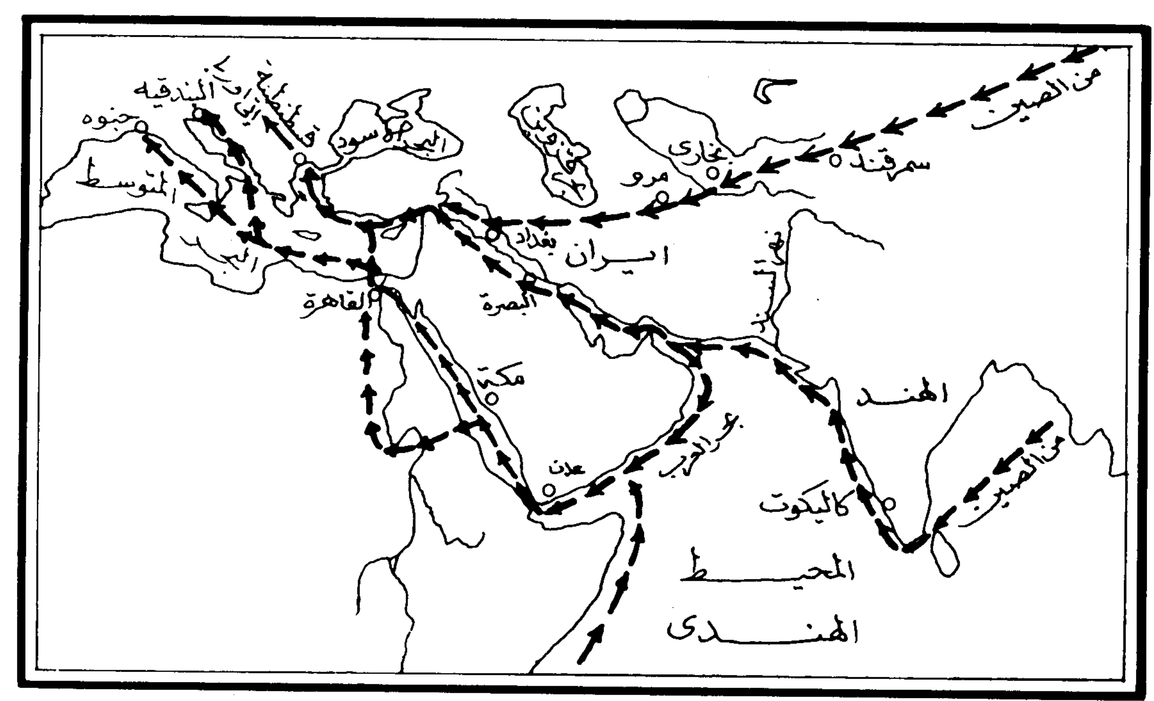
ونتـج عن حركـة الكشـوف الجغرافية اكتشاف العالم الجديد واستيطانه في حركـة سميت الاستعـمار الأوربي القـديم ـ واتبعت أوربـا الغربية اسلوب إبادة السكـان أو تهجـيرهم أو الاختلاط بهم بعد إذلالهم وفصلهم عن ماضيهم نهائيا كما حصل في الامريكتين واستراليا . وأصبح العالم الجديد امتداداً لأوربا ومتنفساً لها وظهيراً في مواجهة الإسلام .

كما حقق الصليبيون رغبتهم وأهدافهم في تطويق العالم الإسلامي وتحويل طرق التجـارة عن بلاد الإسـلام وتسلم زعـامـة البحار، وتدفق الذهب والفضة وغـيرهما من المعـادن النفيسـة إلى أوربـا ، وادخلت تحسينـات على بناء السفن التجـاريـة من الحجم والحمـولة والسرعة ومتانة الأجسام ، وطرأ تقدم كبير على عدد لا يستهان به من العلوم الجغرافية والفلكية والتاريخية ، فدخلت أوربا عصراً عرف في التاريخ الإقتصادي باسم : «الثورة التجارية»[٢] .

---

(١) د. علي حسون ـ الدولة العثمانية ص٤٠١ .

(٢) أوربا في مطلع العصر الحديث ص ١٢٥ .



طرق التجارة قبل الاكتشافات الأوروبية الجغرافية

المرحلة الثانية : الاستعمار الأوروبي الحديث (الامبر يالزم) :

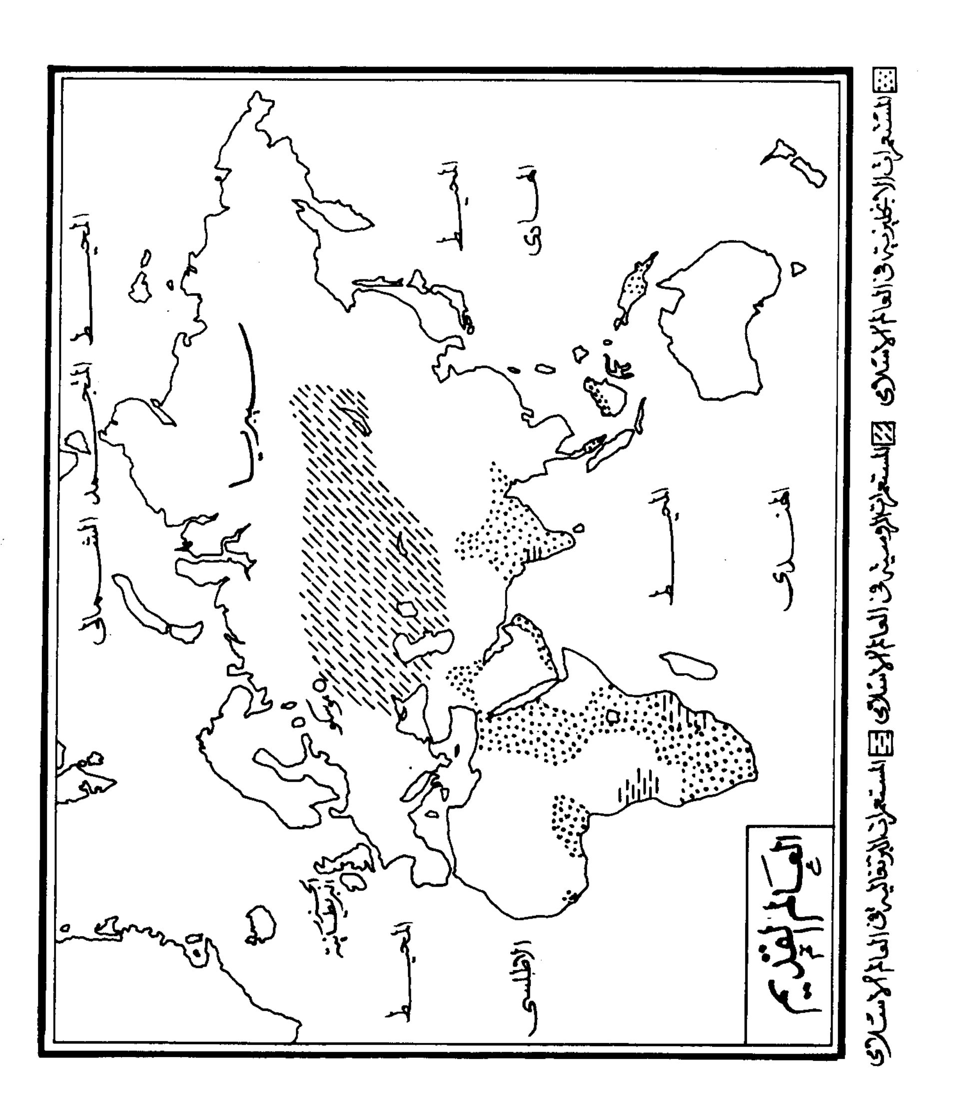
وقام على استغلال خيرات البلاد المستعمرة (بفتح الميم)واستعباد سكانها والسيطرة على مقدراتها .

وقد نتج هذا الاستعمار عن حركة في أوربا تسمى : حركة الثورة الصناعية أو «الانقلاب الصناعي» : وهي عبارة عن سلسلة من التغييرات في أساليب الصناعة أصبح الإنسان بسببها يعتمد على الآلات في انتاج مصنوعاته . وصارت هذه الآلات تدار بقوى غير بشرية سخرها الإنسان أو اخترعها كالبخار أو البترول أو الكهرباء وحديثاً بالطاقة الذرية . وقد بدأت هذه الثورة في بريطانيا في الثلث الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي ، واستمرت بعد ذلك وانتشرت في أوربا وأمريكا منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي ، وزاد الانتاج الصناعي

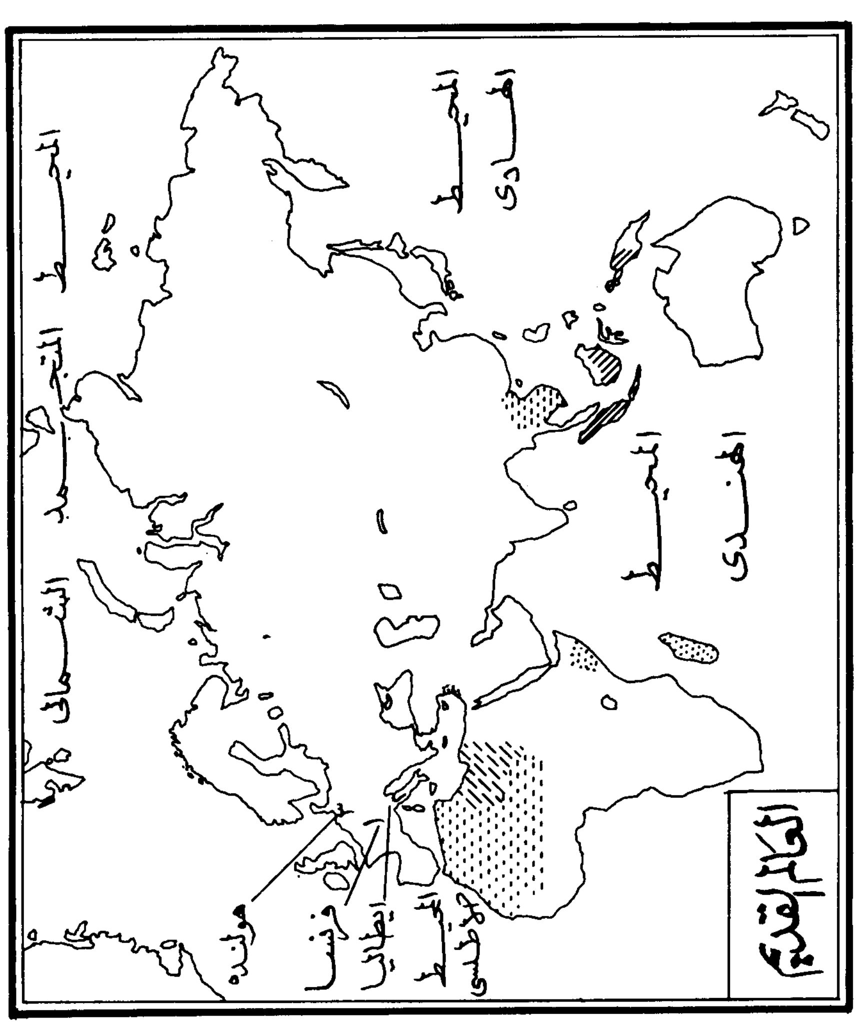
زيادة هائلة بقليل من النفقات فاحتاج أصحاب المصانع إلى المواد الخام والقوى المحركة، وإلى الأسواق لتصريف البضاعة فتم استغلال الفحم في أوربا واستخدم في استغلاله الأطفال والنساء، كما استخدموا في المصانع، فأدى ذلك إلى انحطاط الأخلاق وانتشر الفساد الخلقي كما انتشرت عادة شرب الخمر ولعب الميسر وغيرهما من المفاسد الخلقية، واخترعت السكك الحديدية لنقل المواد الخام ولتصريف البضائع، وظهرت طبقة تحتكر المصانع ازداد مالها زيادة فاحشة سميت بالطبقة الرأسمالية التي دفعت الحكومات الأوربية دفعاً لحركة الاستعمار للحصول على المواد الخام وإيجاد الأسواق لتصريف بضائعها، فتنافست الدول الأوربية في البحث عن مستعمرات فكان العالم الإسلامي هدفاً من أهدافهم ـ تحركهم ضده الخلفية الصليبية. ولذلك فالاستعمار الأوربي حلقة جديدة ومرحلة متصلة بالحروب الصليبية القديمة وآية ذلك أن اللورد اللنبي القائد الانجليزي بعد أن دخلت قواته القدس سنة ١٣٣٧هـ/١٩١٨م قال كلمته المشهورة الموحية بهذا المعنى: «الآن انتهت الحروب الصليبية».

وقد اتخذ الاستعمار الحديث اشكالاً متعددة، ولبس لبوساً متنوعة منها: الاحتلال العسكري، والاستعمار الإقتصادي عن طريق الشركات، وربط العملات المحلية بعملات الدولة المستعمرة، والقروض والمساعدات وإقامة المشاريع. والمعاهدات غير المتكافئة بين الدولة المستعمرة القوية والدولة المستعمرة الضعيفة فتكون المعاهدة بالطبع في صالح الدولة القوية. والحماية والانتداب والوصاية. وأما أهم أنواع الاستعمار الحديث والمعاصر وأدومها أثراً فهو الاستعمار الفكري الذي لا يزال العالم الإسلامي يعاني منه ويعيش فيه.

وقد تنافست الدول الأوربية في استعمار العالم الإسلامي وعلى الأخص بريطانيا وفرنسا وروسيا. ولقد اختارت فرنسا وبريطانيا لتوسعهما الاستعماري هذا ولفرض سلطتهما على المستعمرات نظام الحماية حتى لا يثير احتجاج الدول الأخرى نتيجة لتغييرهما الأوضاع الدولية في بلاد الإسلام وحتى تموهان على



العالم القديم
المحيط المتجمد الشمالى
سيبريا
موسكو
الجزر البريطانية
المحيط الاطلسى
المحيط الهادى
المحيط الهندى
المستعمرات الانجليزية فى العالم الاسلامى
المستعمرات الروسية فى العالم الاسلامى
المستعمرات البرتغالية فى العالم الاسلامى



العالم القديم
المحيط المتجمد الشمالى
المحيط الهادى
المحيط الهندى
المحيط الأطلسى
هولنده
فرنسا
ايطاليا
المستعمرات الفرنسية فى العالم الاسلامى
المستعمرات الايطالية فى العالم الاسلامى
المستعمرات الهولندية فى العالم الاسلامى

أبناء البلاد بأنهما لا تريدان ضم بلادهم أو النزول بها إلى مستوى المستعمرات، وحتى تحملان البلاد نفقات قوات الاحتلال ونفقات الإصلاحات التي تشيران بها عليها. وحتى تظهران أمام المعارضة في بلادهما بأنهما نزلا إلى عملية تضمن لهما المكاسب المادية والعسكرية والمعنوية دون أن تكلفهما الأموال والتضحيات، فضمنتا بهذا النظام الحصول على كل امتيازات الدولة المستعمرة والسيطرة على الامكانيات المادية والبشرية والاستراتيجية وكأنهما تتعاونان مع السلطات الوطنية في ذلك .

ورغم أن معاهدات الحماية تظهر وكأنها قد عقدت بين طرفين متساويين إلا أن الضغط العسكري الذي يصحب هذا التوقيع وسيطرة الدولة المستعمرة واشرافها على الشئون العسكرية والعلاقات الخارجية للقطر تظهر الأمر على حقيقته، وتحتل فيه الدولة المستعمرة جميع الوظائف العليا، وخاصة وظائف مديري المصالح مثل الاشغال والمعارف والصحة والمالية، بل يصبح لهم حق إصدار القرارات الوزارية الأمر الذي يؤدي إلى سرعة وقوة استغلال المستعمرين لامكانيات القطر نظرا لأن رعايا الدولة المتفوقة في البلاد يُمنحون الحماية اللازمة للقيام بعملياتهم وعضدهم أمام أي منافسة يقوم بها أي مواطن لدولة أخرى، وتظهر عمليات الاستغلال الاستعماري هذا في شكل شركات رأسمالية كبيرة تقوم باستغلال واستعمار مساحات واسعة من الأرض، وبشكل يهدف الاستغلال الرأسمالي أكثر مما يهدف التوطين، كما تمكنوا من استغلال الثروة المعدنية .

كذلك اتبعت بريطانيا وفرنسا أسلوب الوصاية والانتداب بعد الحرب العالمية الأولى لتكتسب الشرعية في تنفيذ مخططاتها في البلدان المستعمرة .

وفيما يلي الدول الأوروبية التي سيطرت على العالم الإسلامي :

١ - **بريطانيا** : واستعمرت ماليزيا وشبه جزيرة الهند وسواحل الخليج العربي والجنوب العربي ومصر والسودان وأوغنده وجزءاً من الصومال واريتريا وتنزانيا ونيجيريا وقبرص وغانا. كما استعمرت بعد الحرب الأولى : العراق وشرقي الأردن وفلسطين .

٢ ـ **فرنسا** : واستعمرت الهند الصينية ومالي وتشاد والنيجر والسنغال ومدغشقر (مالاغاش) وموريتانيا والمغرب والجزائر وتونس وغينيا وجيبوتي . وبعد الحرب الأولى استعمرت سوريا ولبنان وكيليكيا .

٣ ـ **ايطاليا** : واستعمرت : ليبيا وجزءاً من الصومال وارتيريا .

٤ ـ **روسيا** : واستعمرت : سيبريا وتركستان الغربية ، والأراضي الإسلامية في آرال وحوض نهر الفلغة وشبه جزيرة القرم وبلاد القفقاس (القوقاز) . وامتدت بنفوذها إلى شمالي إيران .

٥ ـ **أسبانيا** : واستعمرت : الريف المراكشي واقليم افني والصحراء المغربية . وإقليم مورو الإسلامي في الفلبين .

٦ ـ **هولندة** : واستعمرت : جزر الهند الشرقية (اندونيسيا) .

٧ ـ **البرتغال** : واستعمرت : موزمبيق .

٨ ـ **بلجيكا** : واستعمرت : الكونغو في أواسط افريقية .

وفي الوقت الذي بدأ فيه الاستعمار الأوروبي يكيل الضربات للعالم الإسلامي ، كانت كبرى دول الإسلام هي[1] :

١ ـ الدولة العثمانية : في الأناضول والعالم العربي والبلقان وهي دولة الخلافة .

٢ ـ الدولة الفارسية : في ايران وهي شيعية .

٣ ـ الدولة المغولية : في الهند .

وكان الصراع قائماً بين الدولة العثمانية والفارسية والمغولية ، واستغلت ذلك بريطانيا إلى أقصى حدّ فأيدت الفرس في صراعها مع الدولة العثمانية ففتحت فارس أبوابها للنفوذ الأجنبي مبكرة واتخذت من ذلك ركيزة وقاعدة لحماية الهند (درة التاج البريطاني) .

---

(١) انظر أنور الجندي ـ العالم الإسلامي والاستعمار ص ٣٨٦ .

وظهـر الاستعـمار بعد الحرب العالمية الثانية بأساليب جديدة بالابتعاد عن العنف والقـوة السـافـرة كلما استطـاع إلى ذلـك سبيـلا ولجأ إلى التلون حسب المـلابسـات الـزمنيـة والأوضاع الاجتماعية للبلاد التي يزحف إليها معتمداً على الخـديعـة والـدس والتـآمر لتحقيق مآربه ، وتسلم زعامة الاستعمار في هذه الفترة الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي متبعاً وسائل العمل غير المباشرة وذلك :

ـ عن طريق غزو الشعوب والسيطرة عليها من الداخل .
ـ وعن طريق التكتلات الإقتصادية الاحتكارية .
ـ وعن طريق الحرب الباردة .

فلجأ إلى :

١ ـ إقامة القواعد العسكرية في البلاد تحت ستار المعاهدات غير المتكافئة بحجـة الـدفـاع عن السـلام العـالمي أو للحماية . ولا تلبث البلاد أن تجد نفسها مكبلة بتلك القواعد التي تنطلق منها قوى العدوان في أي وقت .

٢ ـ عقـد الأحـلاف وجرّ البلاد إليها ، وعن طريقها تحرك البلاد الضعيفة الداخلة في نطاق هذه الأحلاف حسب هواها وبما يحقق المصالح الاستعمارية فحسب .

٣ ـ فرض السيطـرة الإقتصـاديـة عن طريق ادخـال البلاد في نطاق عملة البلد المستعمر وما يستلزمه ذلك من خلق جهاز مصرفي يحقق التبعية الإقتصادية للبلد المستعمر .

٤ ـ تقديم المعونات المشروطة للبلاد لتبقى البلاد مكبلة بمحض ارادتها لما يريده الاستعمار الجديد من ضغط وازهاق .

٥ ـ عرض المسـاعـدات الفنية غير البريئة عن طريق استغلال الاستعمار الجديد لحاجة البلاد النامية إلى تلك المساعدات . فيبدأ بمد يد المساعدة الفنية حتى إذا ما اطمأنت البـلاد المحتـاجة إلى تلك المساعدة رتبت حياتها على ذلك يفـاجئهـا الاستعـمار بطلبـاته أو بوقف تلك المساعدات أو يعرقلها وعندئذ لا تجد

الضحية من سبيل غير الاستسلام لهذا الاستعمار الجديد .

٦ ـ إقامة الدولة اليهودية الصهيونية في فلسطين . وإمدادها بالرجال من روسيا وبالأموال والأسلحة من امريكا لتبقى الذراع الطويلة التي تهدد العالم الإسلامي ، فلا تجد الاقطار الإسلامية مناصاً من أن تلجأ إلى أحد المعسكرين اللذان هما وجهان لعملة واحدة[١] .

٤ ـ الحركة الصهيونيـــة :

من جراء الثورة الصناعية في أوربا انتقلت المصانع من البيوت إلى المؤسسات الكبيرة التي تحتاج إلى أموال هائلة فاستغل ذلك اليهود الذين كانوا يملكون المال ، فبرزت البيوتات المالية اليهودية الكبيرة وفي مقدمتها بيت اسرة روتشيلد ، وأصبح زعماء اليهود يؤثرون تأثيراً كبيراً في العلاقات الدولية لأنها هي التي تحرك الصناعة وتستغل الحكومات في البحث عن مستعمرات . فنشأت الفكرة الصهيونية في أحضان الاستعمار وولدت على فراشه . وأصبحت تمثل بعداً جديداً للاستعمار والغزو الغربي المتطلع للسيطرة والنفوذ في العالم الإسلامي . وقد حاولت الصهيونية منذ قيامها كحركة منظمة أن تضمن التحالف والارتباط بالدول الاستعمارية في العالم (فرنسا ، والمانيا ، وبريطانيا ، والولايات المتحدة)[٢] .

والصهيونية حركة سياسية عنصرية دينية ، قام بها أصحابها في مواجهة التحديات والأخطار التي واجهت اليهود في أوربا تحت ظل فكرة القوميات ، فهي تهدف إلى جمع الملايين من اليهود في العالم في كيان يهودي قومي «في فلسطين» استناداً إلى مزاعم تاريخية ودينية تربطهم بها ، واتخاذ فلسطين نقطة انطلاق لدولة كبيرة تمتد من الفرات إلى النيل[٣] ، ومن ثمّ تكوين امبراطورية صهيونية عالمية تكون وريثة للحضارة الغربية .

---

(١) جريدة الشرق الأوسط ـ شجون عربية ـ علاقات موسكو وتل أبيب/ ص٢ السبت ١٤٠٦/٢/١٩هـ/ ١٩٨٥/١١/٢م .

(٢) انظر خيري حماد . الصهيونية . ص ٧٩ ـ ٨٠ .

(٣) ذكر ذلك الحاخام يهودا وزير الأديان الاسرائيلي في مؤتمر الكيرن كايميت بالقدس ١٩٥١م (خيري حماد ص٧٣) .

واعتبرت الصهيونية اليهود قومية بدون وطن وحمّلت أمم العالم مسئولية ايجاد هذا الوطن واختارت فلسطين لذلك[1]. وقد أخذوا فكرتهم العنصرية من التلمود ثاني الكتب المقدسة عند اليهود بعد التوراة، الذي يدعوهم إلى التعالى على غيرهم فهو يقول: «الشعب المختار فقط يستحق الحياة الأبدية، وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير».

أيها اليهود: انكم من بني البشر لأن أرواحكم مصدرها روح الله، وأما باقي الأمم فليست كذلك، لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة».

ويقول: «سلط الله اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم، فالله لا يغفر ذنباً ليهودي يردّ للأمي ماله المفقود، وردّ الأشياء المفقودة من الأجانب».

وهذه الأقوال دعوة صريحة إلى التعالى والاستغلال وامتصاص دماء الشعوب والأفراد[2].

وقد ذمهم الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم لذلك:

﴿وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه﴾[3].

﴿وقالوا ليس علينا في الأميين سبيل﴾[4].

وقد ربطت الحركة الصهيونية الهدف السياسي العنصري بالدين اليهودي ربطاً محكماً، بأن حولت العلاقة الروحية التي تربط اليهودي بفلسطين (كالتي تربط المسلمين بمكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس، وكالتي تربط النصارى ببيت لحم والناصرة، وكالتي تربط السيخ بمعبدهم الكبير في لاهور، والشيعة بكربلاء)[5]، حولت هذه الرابطة إلى هدف سياسي للاستيطان بفلسطين مدّعية أن اليهود يمثلون جنساً مميزاً يعود إلى بني اسرائيل واعلنت

---

(١) مع ملاحظة أن اليهودية دين وليست جنس، وفي اليهودية أجناس كثيرة كاليهودي الخزري واليهودي الأسود، واليهودي العربي والأوروبي.

(٢) خيري حماد. الصهيونية. ص١٣.

(٣) سورة المائدة الآية ١٨.

(٤) سورة البقرة الآية ١١٦.

(٥) ظفر الإسلام خان ـ التلمود ص ٧٠.

فلسفـة مستمـدة من الأسـاطـير تتمثـل في العـودة إلى فلسطـين بمـوجب الحق الطبيعي والتاريخي الذي يعود إلى ما قبل ثلاثة وعشرين قرناً. وحاولت أن تجعل من بعض نصوص العهد القديم وسيلة لكسب النصارى إلى صفها. ووضعت مخططـاً واسعـاً في سبيـل اكساب وجود اليهود في فلسطين حقاً تاريخياً بالتزوير في كتـابـات التـاريـخ ووضـع المـوسـوعات والكتب باللغات المختلفة[1]، وكذلك القصص المسـرحيـة والسينمائية التي تحاول فرض نظرية جديدة قوامها القول بأن اسـرائيـل هو الشعب المختـار الذي واجه الاضطهاد على مدى التاريخ[2]، وان عظماء الفكـر في العـالم وكبـار المكتشفـين والبـاحثـين في مختلف العلوم كانوا من اليهـود، واعـلاء شأن الجنس اليهودي والدعوة إلى السامية واعتبار كل من يقف في وجـه حركتهم هو من أعـداء السـاميـة[3] فنجحت الصهيـونيـة في دمج الفكر الـديني والسيـاسي، معتمـدة على إثـارة المشـاعر الدينية بعد تحويرها من ناحية وعلى الافـادة من التجـارب السيـاسيـة العنصـريـة المتزمته في العالم تحت شعار «الشعـارات القـوميـة». وكـانت الحركة الماسونية التي سبقت الحركة اليهودية في سبيـل تحقيق هدف عريض تسعى له اليهـودية العالمية للسيطرة على العالم. وقد تكشفت هذه المخططات من خلال ما تسرب إلى العالم من نصوص التلمود وما كشفت عنه بروتوكولات حكماء صهيون، ويوميات هرتزل وعديد من الكتابات التي سمحت الصهيـونيـة بإذاعتهـا بعـد الحـرب العالمية الثانية، وحاولت بها أن تكشف عن مخططـاتهـا الخفيـة التي كانت سريـة ومحاطة بقدر كبير من الكتمان، وذلك في محاولة في تضخيم دورها في سياسة العالم مما يولد اليأس لدى اعدائها، بعد أن نجحت في كثير من مخططاتها وتحكمت في مصائر كثير من دول العالم.

هذا وقد سميت الصهيونية بهذا الاسم نسبة إلى جبل صهيون (Zion) بالقدس.

---

(١) تقـول المـوسـوعـة (دائـرة المعارف البريطانية: «إن الصهيونية حركة يهودية قومية، هدفها خلق دولة قومية لليهود في فلسطين، إذ يعتبرون هذه البلاد وطنهم الأصلي ويسمونها أرض إسرائيل» خيري حماد ص٨).

(٢) انظر: جارودي ـ الصهيونية ص٣٧ وص٤٥.

(٣) تمكن اليهـود من استصـدار قانـون بفرنسا سنة ١٨٨١م إلى عدم التشهير بأي شخص بسبب انتمائه إلى عرق معـين أو أمـة ما أو جنس أو دين ولـذلـك من السهـل اتهـام من يكشف حقائق الصهيونية باللاسامية ويتعرض للمحاكمة القضائية/ انظر جارودي. الصهيونية. ص ٥-٦.

واستخـدمت الصهيـونية الاستعمار الأوروبي والشيوعية الروسية لتحقيق أهـدافهـا . وتحـركت في جسم الأمـة الإسـلاميـة بواسطـة مؤ سسـاتها الجهنمية المـاسـونيـة والنـوادي الـريـاضية والأندية الثقافية والجمعيات المختلفة فأحدثت الفـراغ الفكــري الــذي حاول أن يتغـذي بالفكـر الغـربي الـديمقـراطي أو الاشـتراكى . فأدى ذلـك إلى ازدواج الشخصيـة المسلمـة ولم تواجـه التحـدي الصهيــوني كعـادة الأمـة الإسـلاميـة في مواجهـة التحـديـات . فاشتـد الخطـر الصهيـوني . وسنتنـاول ذلـك بتفصيـل عنـد البحث في قضـايا العالم الإسلامي المعاصرة فهي قد قامت في مهمتين :

أ ـ المـزيـد من الصـلات بالغـرب والمزيد من التأكيد على أهمية دورها في الديمقراطية الغربية وحماية المصالح الأساسية للحضارة الغربية في منطقة الشرق الأوسط .

ب ـ المـزيـد من ربـط الصهيـونية بالشيوعية . واستغلال الشيوعية لتنفيذ المخططـات الصهيـونيـة ، بارتبـاط الأحـزاب الشيـوعيـة في البـلاد الإسـلاميـة بالمخططات الصهيونية .

وقـد هدفت الصهيـونيـة بالتعـاون مع الاستعـمار إلى أهداف أساسية في العالم الإسلامي :

١ ـ تمزيق وحـدة العـرب والمسلمين والحيلولة دون وحدة العالم الإسلامي بالفصل بين قارتي آسيا وافريقيا ، فهدفت الصهيونية إلى وراثة النظام الرأسمالي والسيطرة على العالم الإسلامي .

٢ ـ تتمـة الغـزو الثقـافي للعـالم الإسـلامي بتـدمـير كل القيم والأنظمـة والأخلاقيات ونقل أسلوب الإلحاد والإباحية والتسلط .

وقـد أفـرزت الصهيـونيـة فكراً خطيراً في عالم الإسلام وفي العالم أجمع هو الفكر الماسوني .

والمـاسـونيـة جمعية يهودية تهدف إلى تدمير القيم والأديان وهي تتشكل في إدارات اجتـماعيـة هدفهـا الأسـاسي تنفيـذ ما جاء في التـوراة المحرفة من إحياء الأوهام التي تسيطر على الزعامات اليهودية من إقامة مملكة اسرائيل الكبر ى وفي الوقت نفسه تحقيق ما جاء في بروتوكولات حكام صهيون التي حملت المخططات

الصهيونية اليهودية العالمية .

والترجمة الحرفية للاسم تعني : «جمعية البنائين الأحرار» أي الذين لا تربطهم رابطة أو تلزمهم نقابة[1] . وهي تزعم أنها مؤسسة اجتماعية فلسفية تحب الخير للإنسانية وترجو لها الترقي والتقدم وتهدف إلى البحث عن الحقيقة وترمي إلى تحقيق الأخلاق الدنيوية وتطبيق أسس التعاون والتآزر وتتخذ من وسائل الرقي المادية والمعنوية اساساً للتعامل الاجتماعي والفكري للإنسانية . ورفعت شعاراً براقاً هو : الإخاء والحرية والمساواة .

وقد كشفت بعض محافلها عن الأهداف الحقيقية لها وهي[2] :

١ ـ المحافظة التامة على اليهودية .

٢ ـ محاربة الأديان بصورة عامة .

٣ ـ بث روح الإلحاد والإباحية بين الشعوب .

وقد احتضنت بريطانيا الاخطبوط الماسوني فكانت اسبق الدول بإنشاء محفل ماسوني اعظم ثم توالى بعد ذلك انشاء المحافل الماسونية[3] ودخلت بذلك البلاد الإسلامية لتزيد من تمزقها ومشاكلها[4] .

٥ ـ الحركة الشيوعية :

ومن المصائب التي حلت بالعالم الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري ظهور الشيوعية كاتجاه عقائدي يناقض الإسلام بالكلية ، وككيان رسمي هدفه إبادة الوجود الإسلامي واستئصاله ليس من الاتحاد السوفييتى فحسب وإنما من العالم أجمع .

ففي عام ١٣٣٦هـ/١٩١٧م قام لينين مع قادة الحزب الشيوعي بثورة دموية سقط خلالها عرش القيصرية الروسية فتحقق بذلك قيام دولة للفكر الإلحادي اللا دينى في واحدة من أكبر دول العالم لتكون منطلق الغزو التبشيري

---

(١) الماسونية . محمد صفوت السقا وزميله ص ١١ .

(٢) د. صابر طعيمة ـ الماسونية ذلك العالم المجهول ص ١٥٩ .

(٣) انظر مجلة دار الهلال ـ القاهرة ـ العدد يونيو ١٩٧٧م ص٣٣-٣٤ .

(٤) انظر عن الماسونية في مصر/ محمد صفوت السقا. الماسونية. ص١٢٢ .

للعقيدة المادية الماركسية التي اعلن أصحابها : بأنه لا مبر ربعدُ للهدنة مع الميراث الديني وأصحابه وإلاّ أدّت هذه المهادنة إلى بعث ديني فيه خطر على التجربة الاشتراكية(1).

وتحرك الفكر الماركسي اللينيني وليد الصهيونية(2) في جسم الأمة الإسلامية فكرياً وواكبته حرب دموية هدفها استئصال المسلمين وتصفية وجودهم البشري والفكري في البلاد الإسلامية التي حكمتها .

وبعد ظروف انهاء الخلافة العثمانية وفدت الشيوعية إلى العالم الإسلامي يحملها يهود إلى مصر سنة ١٣٤٠هـ/١٩٢١م وسنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م حيث تعددت فيها المنظمات الشيوعية وكان من أشهرها :

١ ـ الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني واختصر إلى حدتو بزعامة اليهودي كوريل .

٢ ـ منظمة اسكرا (الشرارة أو الشعلة) ورئيسها يهودي ماركسي يدعي ايلي شوارتز وغير الاسم إلى نحو حزب شيوعي مصري ومختصره مخشم .

٣ ـ منظمة الفجر الجديد ـ التي سميت فيما بعد : الديمقراطية الشعبية (د . ش) وأسسها اليهوديان : يوسف درويش وريمون دويك . واختصت هذه المنظمة بإصطياد العمال والعاطلين والمنحرفين من الشبان والشابات .

٤ ـ المنظمة الشيوعية المصرية (م . ش . م) وأسسها اليهوديان اوديت وزوجها سلامون سدني .

وقد أثر الدعاة الشيوعيون في كثير من الطلبة والطالبات والعمال والمدرسين باسم الأماني الوطنية وتحرير مصر من الاستعمار ومناهضة الأحلاف العسكرية

---

(١) د. صلاح الدين المنجد ـ كتاب بلشفة الإسلام ص ٢٤ .

(٢) قال الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله من كلمة في فريق طلبة الكلية الحربية بواشنطن : «عندما نقول الصهيونية والشيوعية نذكر اسمين ولكن في الحقيقة إن الشيوعية وليدة الصهيونية وهدفها الأساسي هو التخريب والتحطيم» . (جريدة البلاد السعودية . جدة/ عدد يوم الخميس ٢٦ صفر ١٣٩١هـ/ ٢١ ابريل ١٩٧١م . عن وكالة الأنباء السعودية).
وكان هذا عنوان كتاب أصدره عبد الغفور العطار «الشيوعية وليدة الصهيونية» .

وسحروهم بالماركسية اللينينية وزعموا لهم أن الشيوعية نصير الشعوب المستعمرة المظلومة وانفقوا الأموال الكثيرة التي كانت تصلهم من موسكو بلا حساب[1].

وكذلك حمل الشيوعية إلى العراق يهود. واستطاعوا استمالة كثير من شباب العراق وشعرائه وأدبائه وكُتابه. وكان منهم: بدر شاكر السياب الذي روى للأستاذ قدري قلعجي ما لديه من علم عن الشيوعية في العراق[2].

وفي سوريا أسس الحزب الشيوعي يهودي يدعى شامي سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م وكان يتقن العربية[3].

واستطاعت الشيوعية أن تتسلل إلى الاقطار الإسلامية وأصبح في بعضها أحزاب شيوعية قوية كاندونيسيا وبنغلادش والعراق وسوريا والبلدان الافريقية.

واستطاعت الصهيونية والشيوعية أن تشغل المسلمين بصراع وهمي مع الاستعمار، وبصراع حقيقي ورهيب فيما بينهم مما أسموه التقدمية والرجعية والاقطاع والرأسمالية[4]، وكانت الاشتراكية المخدر الذي امات الشعور الإسلامي وألهاه عن الأخطار اليهودية وغيرها[5]. فكانت بذلك تحدياً خطيراً تحول من تحدٍ خارجي إلى داخلي. والتحدي الداخلي أشد واعنف من التحدي الخارجي. فما بالك إذا كان هذا التحدي الداخلي مدعوماً بقوى خارجية هائلة الشيوعية والصهيونية.

وكانت الشيوعية عاملاً مساعداً لانتشار ونموّ كثير من الاتجاهات الفلسفية المادية التي تلتقي معها في اساس النظرة إلى الكون والإنسان والحياة والوجودية كانت أبرز هذه التيارات على الأطلاق، وقد وضع فلسفتها جون بول

---

(١) الشيوعية وليدة الصهيونية. ص ٨٩.

(٢) في كتابه تجربة عربي في الحزب الشيوعي - ص١٩، ٢١-٢٢.

(٣) الشيوعية وليدة الصهيونية ص ٩٢.

(٤) نفسه ص ٧٤.

(٥) انظر الاشتراكية في التجارب العربية. باشميل ص ٣٤.

سارتـــر ذو النسب اليهـــودي سنـة ١٣٢٣ـ١٤٠٠هـ (١٩٠٥ـ١٩٨٠م) وتقـوم نظريته على إبطال مبررات الوجود وإبطال تفسيره والحكمة منه . ومن هنا تلتقي نظريته بالشيوعية من حيث إنكار وجود الله .

ودعـــوتـــه جريئـة للإبـاحيـة والتحـرر من المعتقـدات والأعـراف والقيم والتقاليد، مما تعتبر المبرر الرئيسي لنشاط الفئات غير الطبيعية في العالم كالهيبيين والخنافس وأشياعهم .

يقـول سارتـر : «إن ما ينبغي أن تكـون عليـه حياة الوجودي هو توديع ما يسميه الجبناء وجداناً وضميراً والاستجابة إلى داعي الحيوانية وتلبية كل ما تدعو إليه شهواته، ونبذ كل التقاليد والتعاليم الاجتماعية، وتحطيم القيود التي ابتدعتها الأديان»[1] .

ودخلت فكـرة الـوجـوديـة إلى العالم الإسلامي وزار سارتر كثيراً من دوله ومعه عشيقته سيمون دي بوفوار المؤمنة بفلسفته[2] .

---

(١) وليم جيمس . إرادة الاعتقاد . ص ١٢١ ترجمة . د . محمود حسب الله .

(٢) وسيمون هذه لا توارب ولا تلف في ذكر أفكارها فهي ترى أن الزواج الذي قررته الأديان شيء سخيف، وان من حق المـرأة أن تعـاشـر من تحب وإذا كانت متـزوجـة فلا يسـوغ اكراهها على الرضا بشخص واحد . . / وقد نشرت مجلة الهلال في ١/١/١٩٦٦م مقالاً ضد الزواج طافحاً بأوسخ الأفكار/ وهو عدد ممتاز من مجلة الهلال يتضمن «مـوسـوعـة الجيب الاشتراكية، من الاشتراكية الخيالية إلى الواقع المعاصر، وفيه عرض أفكار سيمون هذه واستقدم سارتر وعشيقته إلى القاهرة ليتحدثا إلى المثقفين في الجمهورية العربية المتحدة وعرضت لهما الدعاية في الأهرام وأسرة تحريـرهـا : حسنـين هيكـل ولطفي الخـولي ولـويس عوض . وعقـدت النـدوات والمحاضرات القيت وتحدث الراديو والتلفزيون ينشر المشاهد والمحاورات وفي جامعة القاهرة . . . انظر . محمد الغزالي . الإسلام في وجه الزحف الأحمر ص٣٦ـ٣٧ .

الفصل الثالث

نتائج التحديات الخارجية والداخلية على العالم الإسلامي

كان من نتائج هذه التحديات مايلى :

أولاً : الابتعاد عن تطبيق الشريعة الإسلامية :

إن توالي هذه التحديات والوقوف في وجهها تصدها الأمة ممثلة في علمائها ومجدديها وقادتها المخلصين استنزف قواها وقادها أخيراً إلى الضعف، وأخذ العالم الإسلامي يسير من ضعف إلى ضعف. وأخذ المسلمون يتخلون عن موقعهم الأساسي في قيادة البشرية وتوجيهها إلى وجهة الخير التي يكلفهم بها الإسلام، وتخلوا عن التبعات التي اناطها بهم في كل اتجاه، حين قعدوا عن الاجتهاد وركنوا إلى التبعية والتقليد .

وانقطعت صلتهم بماضيهم وأسلافهم في الجهاد وتضحياتهم، فانحسر إرثهم الإسلامي في بطون الكتب يدورون حوله فأهدرت في الأمة روح الإبداع والابتكار، وانقاد المسلمون إلى عصر من الجمود وهو نوع من الأنطواء على الذات في مواجهة التحديات حفظ عليهم حضارتهم وكيانهم ولو في حالة توقف حضاري، والتزم علماء الأمة ومفكروها دائرة الحواشي والمتون وعكفوا على نصوص السابقين وكتبهم ينزلونها أحيانا منازل العصمة والقداسة[1].

وفي الوقت الذي بدأ فيه العالم الإسلامي يتحرك من جموده ويبعث الإسلام في مختلف مجالات حياته وينفض عنه غبار الجمود والتقليد والجبرية والتواكل بقيام دعوات سلفية لإحياء الإسلام في قلب الأمة (كحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد، والحركة السنوسية في ليبيا والحركة المهدية في السودان، والحركة الدهلوية في الهند، والسلفية في المغرب وشركة إسلام والجمعية المحمدية في أندونيسيا، وحركة عثمان دنفديو في السودان الغربي) كان

---

(١) فتح الله ص ٢٤ .

قد طغى سيل الحضارة الغربية المادية والتهم الاستعمار الغربي بلاد الإسلام واشتد التحدي فلم تنجح هذه الحركات في لمّ شعث المسلمين وكان نجاحها محدوداً وفي بلاد معينة . فابتعد المسلمون عن تطبيق الشريعة بفعل هذا الاستعمار والصهيونية والشيوعية واساليبها أكثر فأكثر(١)، واشتد الأمران الوهن الداخلي والتآمر الخارجي على الكيد للشريعة الإسلامية وتشويه معالمها فكرياً وصرف المسلمين عنها واقعياً .

وكان أول قطر بدأ فيه الغاء الشريعة الإسلامية هو الهند، فقد أخذ الانجليز يلغون القانون الإسلامي آناً بعد آن ويستبدلون به القوانين الوضعية حتى تم الغاؤه في اواسط القرن التاسع عشر ولم يبق منه إلا ما يسمى بقانون الأحوال الشخصية الذي يتعلق بمسائل النكاح والطلاق وغيرهما(٢).

وألغى الانجليز الحكم بالشريعة في السودان عام ١٣١٧هـ/١٨٩٩م وقد أخذ أساساً من قانون العقوبات الذي وضعه الانجليز للهند سنة ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م .

وفي العراق استبدل الانجليز فور الاحتلال بقانون الجزاء العثماني قانوناً جديداً أصدره قائد قوات الاحتلال سنة ١٣٣٧هـ/١٩١٨م باسم قانون العقوبات البغدادي . وفي تونس طبق القانون الوضعي عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤م .

وفي الوقت نفسه كانت بريطانيا وفرنسا تدفعان الدولة العثمانية - دولة الخلافة - إلى منزلق خطير جداً يأخذ اسم الإصلاح وشكله بينما ينطوي في داخله على أكبر المفاسد، وقد اعان على ذلك جنود الغزو الفكري من أبناء الدولة نفسها ورعاياها، فأصدرت الدولة العثمانية عقب مؤتمر باريس سنة ١٢٧٢هـ/١٨٥٦م الذي انهى حرب القرم(٣). قوانين عرفت باسم التنظيمات

---

(١) انظر وصف لوثروب ستودوارد للعالم الإسلامي في القرن الثامن عشر الميلادي . حاضر العالم الإسلامي ج١ ص٢٥٩-٢٦٠ .

(٢) فتح الله ص ١٠٤ - ١٥٠عن أبي الأعلى المودودي/ رسالة القانون الإسلامي وطرق تنفيذه ص ١٠-١١ .

(٣) انظر. د. علي حسون. الدولة العثمانية ص ١٥٨ .

الخيرية ـ التجديدات ـ وتضمنت انشاء ما يسمى بالمحاكم المختلطة والمحاكم التجارية تابعة للدولة نفسها وتطبيق قوانين أجنبية باسم دولة الخلافة الإسلامية ذات السيطرة الواسعة على المسلمين. وكان هذا هو حدث الأحداث في بداية انهيار التشريع الإسلامي من حيث التطبيق والتنفيذ. وحتى مجلة الأحكام الشرعية (الأحكام العدلية التي أصدرتها الدولة عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٦٩م وقننت فيها أحكام المعاملات من مذهب أبي حنيفة لتقابل ما يسمى بالقانون المدني في الأنظمة الوضعية ـ حتى هذه المجلة لم تكن تطبقّ إلا على رعايا الدولة فقط وفي الأحوال التي لا يكون فيها أحد طرفي النزاع أجنبياً، ثم مع ذلك استمرت عرضة للتحريف والانتقاص(١) إلى أن انحسرت دولة الخلافة ثم زالت .

وأما مصــــر :

بعد فشل حملة نابليون ـ اتجهت فرنسا لتدعيم محمد على باشا والترحيب ببعثات الطلاب المصريين في بلادها وبعث العلماء والأطباء والقادة العسكريين إليه ليكونوا في الحقيقة رسل التغيير وحملة الحضارة الفرنسية. وكان في بداية هذا إدخال بعض القوانين التجارية والحربية إلى مصر نقلاً عن قوانين فرنسا .

وظل النفوذ الفكري الفرنسي يتسلل إلى مصر حتى كان الخديوي اسماعيل الذي ربي في فرنسا وصاغته صالونات باريس وصداقاته المتعددة لرجالها ونسائها صياغة جديدة غريبة تماماً عن الأمة فكان مبهوراً بها رأى وسمع وكانت أمنيته التي صرح بها مراراً أن يجعل مصر قطعة من أوربا، فأسرف في تشييد القصور وإقامة التماثيل والحدائق والمتنزهات والمسارح ودور الغناء بلا ضرورة ولا وعي فأغرق بلاده في الديون وأنشأ دار الأوبرا واستقدم لها المغنيين والمغنيات واستأجر أشهر موسيقيي أوربا ليضعوا لها الألحان .

وكان اسماعيل هذا أول من تجرأ على هدم شريعة الإسلام هدماً غير مسبوق في تاريخها فقد أنشأ أول مدرسة للحقوق على النمط الفرنسي فأصبحت مصدراً أساسيا لتخريج أجيال مقطوعة الصلة بشريعة الإسلام، ثم طورت لتصبح كليات واسعة النطاق .

---

(١) انظر فتح الله ص٤٦ ـ ٤٧، د. محمود مصطفى. أصول قانون العقوبات في الدول العربية ص ٩-١٠، على حسون ص ١٦١-١٦٢.

ويذكر محمد طلعت حرب ـ الإقتصادي المصري الشهير[1] : ان اسماعيل لما أراد أن ينفصل بمصر عن الدولة العثمانية وعد ملوك أوربا إن أيدوه أن يبدل أحكام القرآن فيما يتصل بالحياة السياسية والاجتماعية ويفصل السياسة عن الدين ويطلق الحرية للنساء بحيث يسرن في إثر المرأة الغربية، وينقل إلى مصر معالم المدنية الأوروبية .

وغرقت مصر في الديون . فتدخل الأجانب بحجة حماية أموالهم حتى كان في الوزارة المصرية وزيران انجليزى وفرنسي . فدخلت رياح الانقلاب التشريعي وانتهت باحتلال البلاد كلها ثم فرض شريعة الغرب عليها .

ثانياً : سقوط الخلافة العثمانية وتفكك الأمة الإسلامية :

العثمانيون من شعب الغزّ التركي ، وأصلهم من بلاد التركستان ، نزحوا أمام اكتساح جنكيز خان لدولة خوارزم الإسلامية بزعامة سليمان الذي غرق أثناء عبوره نهر الفرات سنة ٦٢٨هـ . فتزعم القبيلة ابنه ارطغرك الذي ساعد علاء الدين السلجوقي في حرب البيزنطيين فأقطعه وقبيلته بقعة من الأرض في محاذاة بلاد الروم غربي دولة سلاجقة الروم .

ويعتبر عثمان بن ارطغرل هو المؤسس الأول للدولة العثمانية وبه سميت عندما استقل بإمارته سنة ٦٩٩هـ/ ١٣٠٠م نتيجة لانحلال دولة سلاجقة الروم ، وأخذت هذه الإمارة على عاتقها حماية العالم الإسلامي وتولت قيادة الجهاد وأصبحت المتنفس الوحيد للجهاد ، فجاءها كل راغب فيه ، واجتذبت المتحمسين لنصرة الإسلام من مجاهدين وعلماء ودعاة ، فتمكنت بذلك من ردّ الصليبيين ونقلت الصراع من آسيا إلى أوربا[2] . وبهذه العاطفة الإسلامية المتأججة في نفوسهم ممتزجة بالروح العسكرية المتأصلة في كيانهم حملوا راية الإسلام وأقاموا أكبر دولة إسلامية عرفها التاريخ في قرونه المتأخرة امتدت على ثلاث قارات هي : آسيا وأوربا وأفريقيا فاستطاعوا إزالة الدولة البيزنطية من

---

(١) ويضيف فتح الله (ص٥٢) أن هذه الواقعة التاريخية لم نجد من يكذبها وهي مأخوذة عن : تربية المرأة والحجاب الذي نشر عام ١٨٩٩م ردّا على كتاب قاسم أمين . تحرير المرأة . للدكتور ماهر حسن فهمى ص١٤٠ . ط وزارة التعليم المصرية/ ص٦٥ من ط سلسلة اعلام العرب .

(٢) العسلي . الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية ص ٣٠٠ .

الـوجـود واستولوا على البلقان ودقّوا أبواب ڤينا عاصمة الامبراطورية النمساوية على نهر الـدانـوب ووصلوا جنـوب روسيا وساحل بحر الأدرياتيك وهددوا روما نفسهـا مركـز البـابـوية ، فبسطت بذلك لواء الإسلام على ما يعرف اليوم بدول أوربـا الشـرقيـة واليـونـان وجـزر البحر المتوسط وأجزاء من ايطاليا والنمسا ، كما خضعت لها الأرض الممتـدة من شمال القفقـاس شمالاً حتى الصحـراء الافريقية جنـوبـاً وحـدود المغرب الأقصى غرباً ، ومدّت جناحها الشرقي حتى بلاد فارس وجبـال كردستـان شاملة مسـاحـة من الأرض قدرت بأكثـر من ١٠ ملايـين ميل مربع . فكانت أقوى دولة في العالم آنذاك[١] .

ويتسـاءل المؤ رخـون كيف تمكن الاتراك العثمانيون منذ البداية المبكرة من أن يحرزوا الانتصـارات على الـدولـة البيـزنطيـة العـريقة ، وتأتي الاجابة على السنتهم وفي مقـدمتهم المؤ رخ الشهـير ستافريانوس الذي يؤ كد «أن نصرهم لم يكن بالإمكـان تحقيقـه لولا عظمـة الإسلام وما غرسه في قلوبهم من حب عميق للقتال في سبيل الله والرغبة الصادقة في نشر رسالة الإسلام ، واستمد عثمان ومن خلفـــوه قوتهم من الفيض الـدائم المتـدفق من الغـزاة أو المقـاتلين في سبيـل الله والدين ، والذين وفدوا من كل انحاء الأناضول ليقاتلوا ضد أعداء الإسلام» .

لقـد تكـونت في كل أنحـاء الأنـاضول جمعيات الاخوة الإسلامية ، تدعو للجهـاد في سبيـل الله ، وتتعاون من أجل أعداء المجاهدين لإعلاء كلمة الحق ، وكـان شعـارهـا الـدائم «فضّـل أخـاك على نفسك» . وحين زار الرحالة المسلم الشهـير ابن بطـوطـة آسيـا الصغرى في عام ١٣٣٣م وصف معيشتهم وتعاونهم وكرمهم وأعجب بسمو أخلاقهم .

ولقد قدم المسلمون من الاتراك للنصارى في أوربا أمثلة صادقة حية تمثل سماحـة الإسـلام وعظمـة المسلمـين لهذا أقبـل الكثير ون منهم على الدخول في الإسـلام ، فاعتـزوا به وعـزوا وصـار منهم كبـار القـادة في جيش المسلمين وتولى

(١) على حسون . الدولة العثمانية ص ٩ .

كثيرون منهم أهم المناصب في الدولة[١]. الأمر الذي أزعج أوربا وجعلها تعقد التحالفات الصليبية المتكررة لطرد العثمانيين، ولكن الفشل كان لها بالمرصاد[٢]، فظهر في عالم السياسة الأوربية ما عرف باسم المسألة الشرقية التي كانت تعني حينذاك ضرورة تكاتف أوربا النصرانية لمواجهة خطر العثمانيين وإيقاف تيار فتوحهم الجارف. وقد وصفها بعض الكتاب من الشرق ومن الغرب بأنها مسألة النزاع بين النصرانية والإسلام أي مسألة حروب صليبية متقطعة بين الدولة العثمانية القائمة بأمر الإسلام وبين دول النصرانية[٣].

وبعد أن أصاب المسلمين بما فيهم الدولة العثمانية الوهن تغيّر مفهوم المسألة الشرقية وأصبحت تعني ضرورة طرد العثمانيين من أوربا وتقسيم ممتلكاتهم في هذا الميدان الأوروبي، ثم تقسيم ممتلكاتهم جميعها وخرجت التسمية الأوربية للدولة العثمانية باسم الرجل المريض، وكانت روسيا القيصرية لا تنقطع عن إثارة الفتن بين دول البلقان وتأليبهم على الحكم العثماني ومدّهم بالسلاح بدعوى التخلص من حكم المسلمين[٤]. وبلغ التعصب بأحد كتاب فرنسا أن اقترح حلا للمسألة الإسلامية القضاء على المسلمين ونبش قبر الرسول الكريم ﷺ ونقل عظامه إلى متحف اللوفر بباريس[٥].

أما في بريطانيا فتظاهرت بأنها تقف مع وحدة املاك السلطان وكانت تبتلع شيئاً من أملاكه كلما حانت الفرصة ثم تنتظر مدة لتهضم ما ابتلعته دون ضجة من بقية الدول الأوروبية[٦].

لقد اتهم الكثيرون الدولة العثمانية بكل باطل وألصقوا بها صورة التخلف الدائم، وتناقلت ذلك الأقلام الغربية الحاقدة على هذه الدولة وعلى الإسلام

---

(١) نظر: د. محمد كمال الدسوقي. الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ص١٤-١٥.

(٢) كالتحالف الصليبي عام ١٣٦٤م وسنة ١٣٩٦م. معركة نيبوليس. وسنة ١٤٧٩م. انظر. دسوقي ص٢٣، وص٢٦ وص٤٨.

(٣) د. محمد محمد حسين. الاتجاهات الوطنية. ج١ ص٢٣ عن المسألة الشرقية ص٥ لمصطفى كامل.

(٤) تاريخ الدولة العلية ص ٣٤١.

(٥) تاريخ الاستاذ الإمام ج١ ص ٨٠١.

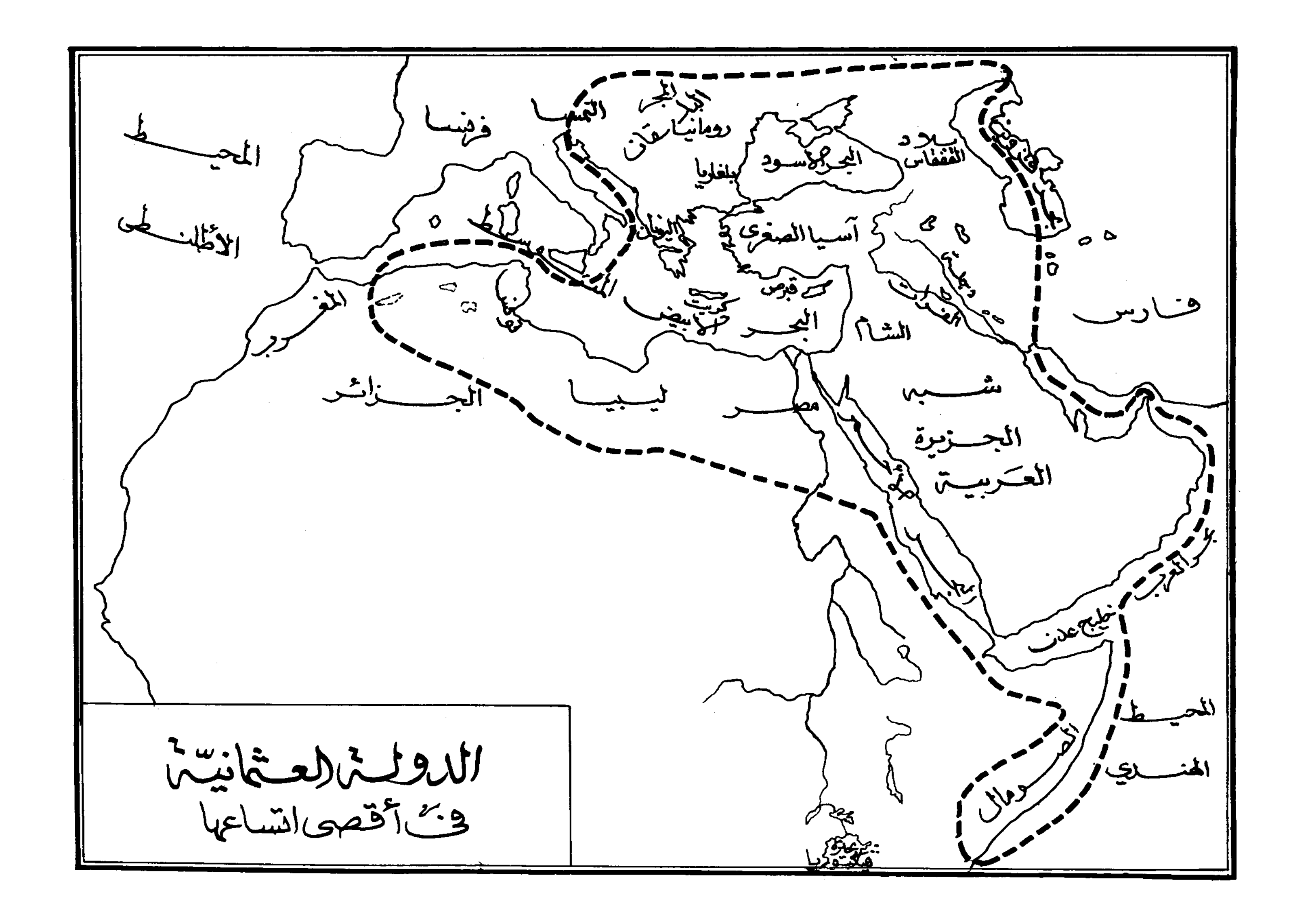
(٦) انظر ـ المسألة الشرقية لدسوقي. ص ٢٨٠ وص٣٠٤.

وربطوا في غمرة حقدهم بين ذلك التخلف وبين الإسلام، ونسبوا له كل ما أصاب الدولة من ضعف ووهن، وكل ما جاء بها من كوارث ومشاكل على مرّ العصور، ونسوا أو تناسوا أن كل ما يصيب الأمة الإسلامية من خير وعزة يصيبها دائماً حين تتمسك بالقيم الإسلامية، وأن كل ما يحل بها من هوان يحل بها حين يضعف تمسكها بالدين الحنيف، وان الإسلام والتمسك به سرّ عظمة هذه الأمة .

وقد بقيت الدولة العثمانية عزيزة الجانب وهي تذود عن حمى الإسلام وأسدت خدمات جليلة للإسلام والمسلمين على امتداد تاريخها، ولكنها في الفترة الأخيرة من حياتها وقعت في أخطاء عديدة أخطرها على الإطلاق هو : عدم اتخاذ الإسلام مصدراً أساسياً للتشريعات والقوانين والأنظمة التي تسير عليها الدولة ـ فكثر إصدار التشريعات والقوانين الوضعية فيما سمي بالتجديدات (كما ذكرنا) وذلك بسبب الضغوط الأوروبية، فتنكبت الدولة الطريق في مواجهة العواصف الاستعمارية مما نتج عنه عدم استطاعتها المقاومة وانهارت في النهاية .

وفي هذا الجو الحرج ارتقى عبد الحميد الثاني سلطة الخلافة (١٢٩٣ـ١٣٢٧هـ /١٨٧٦ـ١٩٠٨م) في أسوأ ظروف التآمر على الدولة وعلى المسلمين، فقد استولى اعداء المسلمين على افريقية شمالها وجنوبها وغربها وشرقها وتوغلوا في وسطها، كما استولوا على معظم آسيا في القوقاز والتركستان وهندستان وجميع جنوب شرق آسيا، وشواطيء شبه الجزيرة العربية عدن وحضرموت وعمان وإمارات الخليج، ولم يبق خارجاً عن سيطرة اعداء المسلمين إلا نجد والاحساء وعسير واليمن داخل شبه الجزيرة العربية والعراق والشام وبلاد الأناضول وجزء من البلقان في شرق أوربا (وطرابلس الغرب التي سقطت عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١١م بيد ايطاليا) تحت سلطان الخلافة العثمانية .

في هذه الظروف نادى السلطان عبد الحميد بفكرة الجامعة الإسلامية في مختتم القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين في محاولة لحفظ الدولة العثمانية المتداعية من الانهيار وليصون عقدها من الانفراط وفي محاولة لتنمية الشعور


الدولة العثمانية
في أقصى اتساعها
المحيط
الأطلنطي
فرنسا
النمسا
رومانيا
بلغاريا
البحر الأسود
بلاد
القفقاس
آسيا الصغرى
اليونان
قبرص
كريت
البحر الأبيض
الشام
فارس
المغرب
الجزائر
ليبيا
مصر
شبه
الجزيرة
العربية
خليج عدن
الصومال
المحيط
الهندي

بالـرابطـة الإسـلاميـة وتغـذيـة الإحسـاس بالخطر الذي يهدد شعوبها أمام غول الاستعمار المتربص بها[1] فيدعوها إلى التجمع حول دولة الخلافة بوصفها أقوى البلدان الإسلامية واقدرها على قيادة المعركة ضد العدو المشترك .

ومن الحق أن يقـال إن هذه الحـركـة والـدعـوة هزت دول العـالم الغـربي وخـاصـة انجلترا وفـرنسـا وروسيا وكلفتها جهداً كبيراً في سبيل مقاومتها ورميها بكـل نقيصـة واتهـام السلطـان عبـد الحميد والتشكيك فيه ، فلجأت إلى التآمر بالاشتراك مع الصهيونية والمحافل الماسونية للإطاحة به .

وكـان كرومـر المعتمـد الـبريطـاني في مصـر سنـة (١٣٠١-١٣٢٥هـ/ ١٨٨٣-١٩٠٧م) هو أول من ألّب أوربا على الجامعة الإسلامية ، وحرص على أن يتحدث في تقاريره السنوية عن الجامعة الإسلامية ببغض شديد . وفي الوقت نفسه نشرت الأهرام (المصرية) تصريحات مثيرة لوزير فرنسي هو (هانوتو) هاجم فيها الجامعة الإسلامية . وكانت مهاجمة الجامعة الإسلامية تستتبع بالتالي مهاجمة الدولة العثمانية حتى تتفرق الوحدة التي تجمع من حولها الدول الإسلامية لتواجه النفـوذ الاستعـماري الـزاحف الـذي قد رسم مخططـه على أسـاس التهـام هذه الـوحـدات والحيلولـة دون التقـائهـا مرة أخـرى في أي نوع من الوحدة ليستديم سيطرته عليها[2] . فاتخذوا لذلك عدة أعمال أساسية[3] .

١ - تعميق الدعوات الاقليمية والخاصة بالوطنية والأرض والأمة والعرق .

٢ - خلق جو فكري عام لمحاربة الوحدة الإسلامية وتصفيتها .

وكـل هذا مقـدمة لإلغاء الخلافة العثمانية نهائياً وبالتعاون مع الصهيونية . وقبـل أن نذكـر كيف زالت الخـلافـة لابـد لنـا من ذكر الجوانب المشرقة في تاريخ الدولة العثمانية ومنها :

---

(١) الاتجاهات الوطنية ج ١ ص ٢٠ .

(٢) أنـور الجنـدي . العـالم الإسـلامي والاستعـمار ص ١٧٨-١٧٩ / انظر حاضـر العـالم الإسـلامي ج٤ ص٦٦-٨٦ . لشكيب ارسلان .

(٣) نفسه ص ١٨٢ .

١ ـ ان العثمانيين هم الذين أزالوا من خريطة العالم أعتى امبراطورية صليبية هي الامبراطورية البيزنطية وفتحوا عاصمتها القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م التي استعصت على المسلمين ما يربو على الثمانية قرون . وكانت الدوافع الحقيقية وراء محاولة الفتح إسلامية جهادية حافزها بشارة النبي ﷺ وثناؤه على الفاتح وجيشه ، وغايتها اعلاء كلمة الله في الأرض والجهاد في سبيله[١] كما تابعوا المدّ الإسلامي في أوربا حتى أصبح شرق أوربا كله ترفرف عليه رايات الإسلام ففتحوا بلغراد سنة ٩٢٧هـ وبودا عام ٩٣٢هـ وحاصروا فينا عاصمة النمسا في قلب أوربا ٩٣٥هـ/١٥٢٩م . وسنة ٩٣٨هـ زمن السلطان سليمان[٢] وسنة ١٠٩٤هـ/١٦٨٣م[٣] .

٢ ـ حفظ العثمانيون لشمال افريقية إسلامه وعروبته ، عندما وقفت ضد أطماع الصليبيين الأسبان الذين بدأوا يتجهون إلى استعمار الشمال الأفريقي بعد قضائهم على الدولة الإسلامية في الأندلس بسقوط غرناطة سنة ٩٨٧هـ/ فقد هاجر الكثير من المسلمين إلى شمال افريقيا وقام الاسبان بملاحقتهم حتى وصلوا الشواطيء الإسلامية ، واحتلوا بعض موانيء المغرب الأقصى والجزائر ، وقبل الحفصيون في تونس الحماية الاسبانية بالضغط والقوة . فقام العثمانيون بالحاق الجزائر بناء على طلب أهلها سنة ٩٣٥هـ ، ثم حرروا تونس سنة ٩٤١هـ[٤] وحرروا طرابلس الغرب من الأسبان سنة ٩٢٦هـ[٥] فكبحوا جماح الصليبيين هناك .

٣ ـ جعل العثمانيون البحر الأحمر بحراً إسلامياً مغلقا بمعنى تحريم الملاحة في هذا البحر على السفن النصرانية ، وكان التبرير لهذا الاجراء هو ان البحر الأحمر تطل مياهه على الأماكن المقدسة الإسلامية ، فيجب ألّا تدنس

---

(١) ويعني قوله ﷺ : «لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش ذلك الجيش» . رواه الإمام أحمد والحاكم عن بشر الغنوي كما في كنز العمال .

(٢) المسألة الشرقية ص ٥٧ .

(٣) د . علي حسون ص ٩٦ .

(٤) انظر علي حسون ص ٥٢ ، ص ٥٤ .

(٥) نفسه ص ٥١ .

تلك المياه بوجود سفن نصرانية، وكان سبب هذا الاجراء الوقائي هو تآمر البرتغاليين مع ملك الحبشة على غزو الأماكن المقدسة في مكة والمدينة. واستولى البرتغاليون على عدن ومسقط عام ٩٢١هـ. فكان حافزاً للدولة العثمانية على إلحاق المنطقة لانقاذها[1].

٤ ـ تحقق في ظل الدولة العثمانية الوحدة الإسلامية على مساحة كبيرة من العالم الإسلامي من العراق شرقاً إلى مراكش غرباً ونعمت تلك المنطقة بالهدوء والاستقرار نوعاً ما. فقد ضم السلطان سليم الشام عام ٩٢٢هـ/ ومصر عام ٩٢٤هـ، ووصل تبريز عام ٩٢٠هـ، وفتح السلطان سليمان العراق سنة ٩٤٠هـ وحماه من تغلغل المذهب الشيعي الصفوي.

٥ ـ حفظت الدولة العثمانية قلب العالم الإسلامي من الزحف الاستعماري الصليبي الأوروبي ما بقيت قوية لمدة ثلاثة قرون، وجه الصليبيون خلالها اهتمامهم إلى تطويق العالم الإسلامي بالزحف على أطرافه البعيدة عن مركز الخلافة.

٦ ـ ولعل من انصع تلك الصفحات المشرقة موقف السلطان عبد الحميد من المطامع الصهيونية في فلسطين حيث رفض رفضاً قاطعاً السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين ضارباً بإغراءاتهم المادية عرض الحائط كما سنتحدث عنه في حينه.

هذا ولا يخفى علينا الأصوات التي ترتفع بين حين وآخر فتصف الخلافة العثمانية بعديد من الصفات المستقاة من التصورات الغريبة فهي دولة استعمارية، اخضعت الشعوب بالقسر والقوة، وكبتت الحريات واستخدمت الأساليب الدكتاتورية في خنق أصوات المعارضة إلى غير ذلك من المساويء التي يعددها البعض إما انسياقاً وراء كتاب الغرب، أو التجاهل عن عمد للدور الأساسي الذي قامت به هذه الخلافة في صدّ أعداء الإسلام.

وإذا ذكرنا المساويء فإننا يجب أن نركز على الانحراف عن النهج الإسلامي مثل قتل الأقرباء خوفاً من المنازعة على الحكم أو للتفرد بالسلطة أو

---

(١) نفسه ص ٤٦.

إباحة شرب الخمور للانكشارية وتشجيع الصوفية، فالواقع أن الدولة العثمانية كانت ذات عاطفة إسلامية قوية وإن لم تكن تستطيع إستيعاب المفاهيم الإسلامية بشكل سليم وصحيح في احيان كثيرة وهذا هو الداء الحقيقي وكان العلاج يكمن في العودة إلى النهج الإسلامي لا في إبعاده نهائياً .

ولا ننسى أن الدولة العثمانية قامت بخدمات للمسلمين والإسلام فاحتفظت بنظام الخلافة وأعادت للخليفة هيبته، وبقيت الخلافة تحتل قوة إسلامية كبيرة تجد لها في مسلمي الهند واندونيسيا وتركستان والصين وفي مختلف انحاء العالم الإسلامي صدى وتأييداً كرمز لوحدة المسلمين . وكان هذا السبب الرئيسي في عداء العالم الأوروبي لها إذ خشيت أوربا أن تتكرر أحداث التاريخ فيعود المسلمون لمجدهم وعزهم في ظل الخلافة، فلم يهدأ بالها حتى قضت على هذا النظام .

كانت الصهيونية وليدة الاستعمار قد لجأت بمساعدة الدول الاستعمارية للاتصال بالدولة العثمانية وبالسلطان عبد الحميد بعد أن نجحت في عقد مؤتمرها الأول في بال بسويسرا سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م برئاسة هرتزل اليهودي النمساوي . ففي عام ١٣١٩هـ/١٩٠١م قام تيودور هرتزل زعيم الحركة الصهيونية العالمية يرافقه ايمانويل قره صو زعيم الاقلية اليهودية التركية والحاخام ليفي موستيه بزيارة كانت الأولى من نوعها للسلطان عبد الحميد حاولوا أن يحصلوا على إذن يسمح فيه لليهود بالهجرة إلى فلسطين بصفتهم رعايا للدولة العثمانية، كما حاولوا اغراءه بتسديد ديون الدولة العثمانية وقدرها خمسون مليوناً من الجنيهات، وهبة مقدارها خمسة ملايين من الجنيهات لخزينة السلطان الخاصة[1]، فرفض السلطان عبد الحميد بإباء وأعلن استحالة تحقيق هذا الهدف طالما هو على قيد الحياة . ومن أقواله لهرتزل لما تكرر طلبه :

«لو كنت اعلم أنك جئت اليوم تطلب في ما رفضت إجابتك إليه من قبل لما سمحت لك بالدخول علي . واعلم ياهير تسل أن فلسطين جزء من أرض

---

(١) على حسون/ ص ١٩٢، أسرار الانقلاب العثماني كتبه بالتركية مصطفى طوران، ترجمه كمال خوجة ط٤ ص١٦-١٧ .

الإسـلام، وأرض الإسـلام لا تبـاع بالـذهب والدراهم، ولقد حصلنا على كلٍ شبر منها ببذل دماء أجدادنا، ولن نفرط بشبر منها قبل أن نبذل كل دمائنا دفاعاً عنها»[١].

فكان من نتائج ذلك أن عمل اليهود ومن والاهم على اسقاط عبد الحميد فكـان من أقـوى الاسلحـة التي قاومت بها الـدول الأوروبيـة حركـة الجـامعـة الإسـلاميةالدعوة الاقليمية واعلاء شأن الجنسية والوطن والعرق. والعمل على تشـويـه سمعـة السلطـان بوسائل الاعلام المختلفة واتهامه بالاستبداد والرجعية والتخلف والفساد.

ونجح الاستعمار والصهيونية ومن والاهم في اسقاط السلطان عبد الحميد والاغراء بين العنصرين الكبيرين في الدولة وهم الأتراك والعرب.

فكـان جلادستـون زعيم حزب الأحـرار بانجلترا يلقي الخطب الـرنـانـة ويؤلف الرسائل المطولة ناسباً إلى تركيا اضطهاد النصارى مشيراً إلى السلطان عبد الحميد بقوله: «الشيطان وعدو المسيح»[٢].

اما لورنس العرب فقد قال في إحدى المرات[٣]: «علينا أن ندفع بالغرب لانتزاع حقوقه من تركيا بالعنف... لأننا بهذا نقضي على خطر الإسلام وندفع به (أي بالإسلام) لإعلان الحرب على نفسه وبذلك تمزقه من القلب، إذ ينهض في مثـل هذا الصـراع خليفـة في تركيا وخليفة في العالم العربي ويخوض الخليفتان حرباً دينية، وبذلك يقضى على خطر الخلافة الإسلامية بصورة نهائية...»

وقادت جمعية الدونمه (وهم اليهود الذين أسلموا تقية وعاشوا في سالونيك في ظل الدولة العثمانية) الحركات ضد السلطان عبد الحميد. تحت أسماء مختلفة أهمهـا حركـة تركيـا الفتـاة وحـركـة حزب الاتحـاد والترقي التي اتخذت من مقارّ المحافل الماسونية مراكز لها للعمل وخلقت حركة ضخمة سداها ولحمتها الحملة على السلطان عبد الحميد واتهامه بالاستبداد.

---

(١) من مذكرات هرتزل/ على حسون ص ١٩٢.

(٢) الدولة العلية ص ٣٣٩.

(٣) د. علي حسون ص ٢٦٢.

فقد تكونت جمعية سرية في كلية الطب العسكري في استانبول وعرفت باسم جمعية الاتحاد والترقي تزعمها شاب الباني اسمه إبراهيم تيمو وتأثرت هذه بحركة الكاربونارى الايطالية وبآراء القوميين الاتراك وفي مقدمتهم نامق كمال. واكتسبت هذه الجمعية السرية كثيراً من الأنصار وانضم إليها أعضاء جمعية تركيا الفتاة. واتخذوا من جنيف مركزاً لقيادة الجمعية، وأنشأوا في باريس جريدة تمثل آراء الجمعية أسموها الميزان[1].

ومع بداية القرن العشرين انتشرت جمعيات سرية كثيرة وخاصة في سالونيك باسم الوطن والحرية تتعاون مع جمعية الاتحاد والترقي لمعارضة الحكومة العثمانية[2]. وتمكنت هذه الجمعيات أخيراً من الثورة سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م واسقاط السلطان عبد الحميد سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م، وكان قره صو اليهودي واحداً من الذين اشتركوا في خلعه وقدم له قرار العزل[3].

---

(١) المسألة الشرقية. د. دسوقي ص ٣١٣.

(٢) نفسه ص ٣١٥.

(٣) ونقتطف هذه الفقرات من الرسالة التي وجهها السلطان عبد الحميد إلى شيخه بعد عزله يوضح فيها أسباب تنازله عن الخلافة:

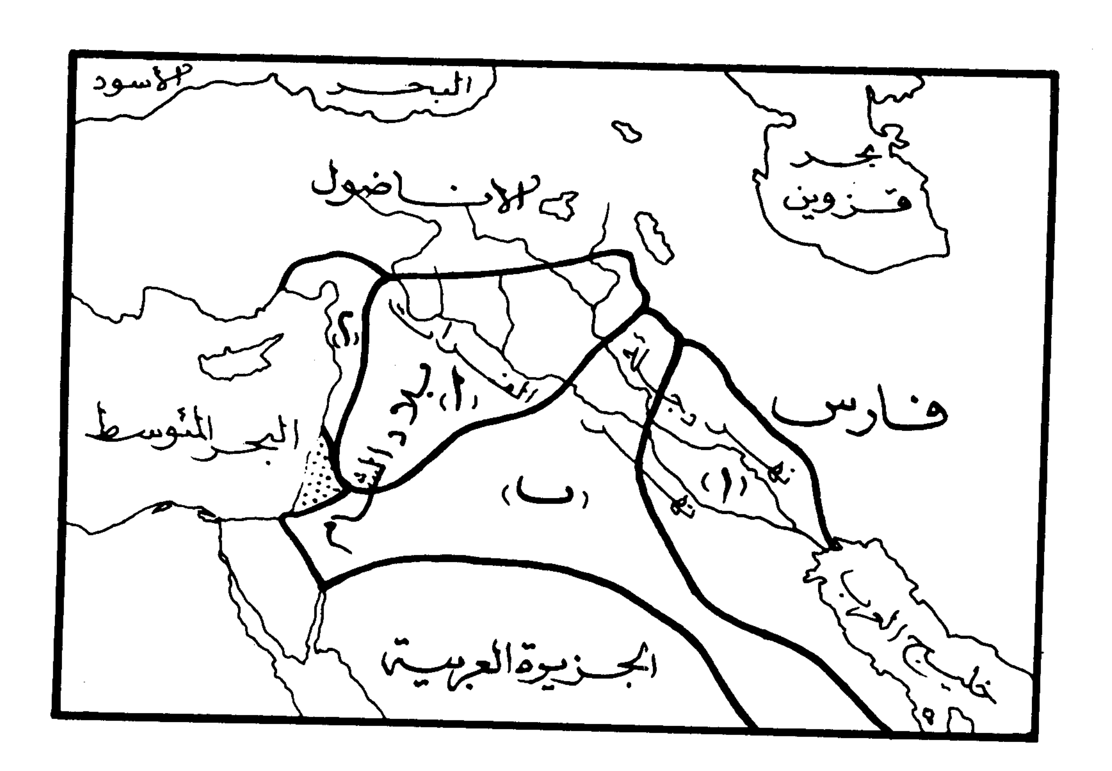
«إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما، سوى أنني - بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد والترقي باسم (جون تورك) وتهديدهم - اضطررت واجبرت على ترك الخلافة.

إن هؤلاء الاتحاديين قد اصروا وأصروا عليّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة (فلسطين) ورغم اصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف وأخيراً وعدوا بتقديم (١٥٠) مليون ليرة انجليزية ذهباً، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً واجبتهم بهذا الجواب القطعي الآتي:

انكم لودفعتم ملء الدنيا ذهباً فضلاً عن (١٥٠) مليون ليرة انجليزية ذهباً فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين. لهذا لن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي أيضاً.

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي، وابلغوني أنهم سيبعدونني إلى (سلانيك) فقبلت بهذا التكليف الأخير -

هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل بأن الطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشيء عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة فلسطين، وقد كان بعد ذلك ما كان...» نشر هذه الرسالة سعيد الأفغاني في مجلة العربي الكويتية في عددها الصادر في شهر شوال سنة ١٣٩٢هـ الموافق لكانون الأول سنة ١٩٧٢م، ضمن مقال بعنوان: سبب خلع السلطان عبد الحميد).



تقسيم بلاد الشام والعراق حسب اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦م
(١) لبريطانيا (٢) لفرنسا منطقة دولية
(أ) منطقة نفوذ فرنسية (ب) منطقة نفوذ بريطانية

وبسيطـرة جمعيـة الاتحـاد والـترقي غدت الحكـومـة العثـمانيـة تركيـة في مضمونها، قومية في عصبيتها، بينما كانت من قبل عثمانية في مضمونها وإسلامية في رابطتها[1]. فقد تأثرت هذه الجمعية بقوة الأفكار القومية الطورانية التي تدعو إلى تحريـر كافـة الاتـراك. مدّعـين أن الشعـوب الإسـلامية في الأناضول وآسيا الـوسطى تشكـل أمـة واحـدة، وهي الأفكـار التي تطـورت أخـيراً بمجهودات الكـاتب الـتركي الشهـير ضياكوك آلب. فاتبعت سياسة التتريك وذلك بجعل اللغـة الـتركية هي اللغة الرسمية الوحيدة بعد أن كانت تقف اللغة العربية إلى جانبها. فتأججت حركة الدعوة إلى القومية العربية، في مواجهة حركة التتريك.

كوّن العـرب حزب الـلامـركـزيـة وتعني أن تأخـذ الـولايات غير التركية استقـلالاً ذاتيـاً وتبقى خاضعة خارجياً لاستانبول. كما كوّنوا جمعيات سرية مثل الجمعيـة القحطـانيـة برئـاسة عبد الكريم الخليل والضابط عزيز على المصرى، والجمعيـة العـربية الفتاة التي تشكلت في باريس عام **١٣٢٩**هـ على منهج جمعية تركيـا الفتـاة ومن قبـل طلاب يدرسـون هنـاك تشبعـوا بالأفكار الغربية وخاصة مبـاديء العصبيـة القـوميـة واستعمـل بعضهم المصطلحـات المـاسـونيـة وكان قصـدهم: استقـلال العرب التام، وقد نقلوا مقرهم من باريس إلى بيروت ثم إلى دمشق حيث ازداد عدد الأعضاء وخاصة من النصارى العرب.

وتكونت الجمعية الإصلاحية في بيروت عام **١٣٣١**هـ وتعاونت مع جمعية النهضة اللبنانية في المهجر فقدمتا رسالة مشتركة إلى حكومة فرنسا عام **١٣٣١**هـ التمستـا فيهـا منهـا احتـلال سوريـا ولبنـان بينـما اتجه المصلحون العراقيون نحو الانجليـز وأيـد بعضهم إقـامة إشراف بريطاني على برامج الإصلاح، بل وحتى إلى بسط الحماية البريطانية على البلاد[2].

---

(١) أضـاعـت تركيـا في فترة الأربـع سنـوات الأولى من حكمهم كافـة ولايـات الـدولـة الأوروبية عدا تراقيا الشـرقيـة. فضمت النمسـا ولايـة البـوسنة والهرسك عام ١٣٢٦هـ، وانفصلت بلغاريا، واحتلت ايطاليا ليبيا وجزر البحر الأبيض المتوسط، وأخذت اليونان جزيرة كريت.

(٢) تاريخ الدولة العثمانية. د. علي حسون. ص ٢٤٩.

ولما بطش الاتحاديون بأعضاء الجمعيات العربية، قامت العربية الفتاة بعقد مؤتمر عربي في باريس سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٣م، وقد هيأ الفرنسيون المكان المناسب لعقد الاجتماع وقرر المؤتمرون[١]:

١ ـ ضرورة تنفيذ الإصلاح بسرعة.
٢ ـ اشراك العرب بالإدارة المركزية.
٣ ـ جعل اللغة العربية لغة رسمية في كافة الولايات العربية.
٤ ـ جعل الخدمة العسكرية محلية بالنسبة للعرب إلا حين الضرورة.
٥ ـ التعاطف مع مطالب الأرمن.

وواضح أن مطالبهم معتدلة ولا تدعو للانفصال عن الدولة، وأكد الأعضاء بأن حركتهم لا دينية وتعادل عدد النصارى مع عدد المسلمين في المؤتمر وكان برئاسة عبد الحميد الزهراوي.

وقد علقت فرنسا آمالاً كبيرة على المؤتمر وكان لها العديد من الأنصار في داخله ثم قامت بنشر مقرراته.

ولما قامت الحرب العالمية الأولى (١٣٣٣-١٣٣٧هـ/ ١٩١٤-١٩١٨م)، دخلت تركيا الحرب إلى جانب دول الوسط (المانيا والنمسا) في حين تمكن الانجليز (بمراسلات الحسين مكماهون) من جرّ العرب إلى جانب الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وروسيا) فسادت فكرة القومية العربية ووقع الصدام بين العرب والترك[٢]. وسقطت تركيا بعد هزيمتها في الحرب واحتل الحلفاء واليونان أجزاء منها ووقعت الآستانة تحت سيطرة الانجليز وأصبح الخليفة كالأسير فيها.

إن خلع السلطان عبد الحميد وقيام جمعية الاتحاد والترقي في الحكم كانت خطوة أساسية نحو تحقيق المخطط الذي تم أثناء الحرب وبعد الحرب في مراحل نلخصها فيما يلي:

١ ـ اتفاق الحلفاء على تقسيم العالم الإسلامي الخاضع للدولة العثمانية

---

(١) نفسه ص ٢٥٠/ الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ص٣٣٣.

(٢) انظر: الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ص ٣٧٠، ٣٩٦-٤٠١.

بين الحلفـاء، تجلّى ذلـك في معـاهـدة سايكس بيكـو سنـة ١٣٣٤هـ/١٩١٦م السرية في الوقت الذي وعدوا فيه العرب بالاستقلال. وأهم ما تضمنته هذه المعاهدة :

أ ـ أن يكـون جنـوب العـراق لبر يطـانيـا، وساحل سوريا الشمالي (لبنان والساحل الشمالي من سوريا) لفرنسا.

ب ـ تتكـون دولتـان عربيتـان شمال العراق وأواسط بلاد الشام وجنوبها، يكون النفوذ في الأولى التي تشمل شمال العراق وشرق الأردن لبر يطانيا، والنفوذ في الثانية التي تشمل أواسط سوريا والجزيرة الفراتية لفرنسا.

جـ ـ تكون فلسطين دولية .

د ـ تكون الآستانة والمضائق (البوسفور والدردنيل) لروسيا .

٢ ـ وعـد بلفـور الـذي أصـدرته بريطانيا للصهيونية في ٢/١١/١٩١٧م (محرم ١٣٣٦هـ) بأن تكون فلسطين وطناً قومياً لليهود.

٣ ـ تسليم تركيـا لأبشـع حركة تغريب وتدمير للقيم الإسلامية بنقلها من دولـة ذات طابـع إسـلامي إلى دولـة غربية الطابع فيمكن القول بأن الفترة التي بدأت في تركيـا بخلع السلطـان عبد الحميد وتولي الاتحاديين للحكم هي الفترة التي اجتمعت فيهـا إرادة الحـاكمين والاستعمار على تصفية الدولة العثمانية وابراز طابـع الجـامعـة الطـورانية وإبلاغ العلاقة بين الترك والعرب أشد مراحلها عنفاً وقسوة مما مهد إلى زوال الدولة والتهام الغرب للأجزاء العربية ومنح اليهود وعد بلفور الذي يعطيهم الحق في إقامة دولة في فلسطين .

فقد قام الاتحاديون بتوجيه الدولة وجهة قومية لا دينية، ولما احتل الانجليز استـانبـول (الآستـانـة) وأصبـح الخليفـة شبه أسير في أيديهم، وأصبح المندوب السامي البر يطاني والجنرال هارنجتون (القائد العام لقوات الحلفاء في استانبول)

هما أصحاب السيادة الفعلية(١)، ظهر مصطفى كمال(٢) باشا بمظهر المنقذ لشرف الدولة من الحلفاء واليونان الذين احتلوا ازمير بتمكين من بريطانيا سنة ١٣٣٨هـ وتوغلوا في حقد صليبي دفين في الأناضول. فقام مصطفى كمال باستثارة روح الجهاد في الأتراك ورفع القرآن وردّ اليونانيين على أعقابهم، وتراجعت أمامه قوات الحلفاء بدون أن يستعمل أسلحته واخلت أمامه المواقع ولعلها كانت بداية الطعم لإظهار شخصية مصطفى كمال وجعلها تطفو على السطح تدريجياً(٣). فقد ابتهج العالم الإسلامي وأطلق عليه لقب الغازي ومدحه الشعراء وأشاد به الخطباء.

فأحمد شوقي قرنه بخالد بن الوليد في أول بيت من قصيدة مشهورة(٤):

الله أكبر كم في الفتح من عجب ... ياخالد الترك جدّد خالد العرب

ثم يجعله في مصاف صلاح الدين الأيوبي حين يقول:

حذوت حرب الصلاحيين في زمن ... فيه القتال بلا شرع ولا أدب

بل وشبه انتصاره بانتصار بدر فيقول:

يوم كبدر فخيل الحق راقصة ... على الصعيد وخيل الله في السحب
تحية أيها الغازي وتهنئة ... بآية الفتح تبقى آية الحقب

فكان الناس إذا قارنوا كفاح مصطفى كمال المظفر باستسلام الخليفة القابع في الآستانة مستكيناً لما يجرى عليه من ذل، كبر في نظرهم الأول بمقدار ما يهون الثاني. وزاد في سخطهم على الخليفة ما تناقلته الصحف بإهداره دمِ

---

(١) على حسون ص ٢٧٠.

(٢) ولد عام ١٢٩٩هـ/ وكان والده كما يقول مصطفى كمال: رجلاً ضائع الفكر يقاوم علماء الدين ويؤيد الأفكار التي تتسرب من الغرب ويتشبث بها. فنشأ ابنه على ذلك وتأثر بأفكار نامق كمال ذو الآراء غير الملتزمة، وطالع العديد من الكتب عن الثورة الفرنسية وازداد اعجابه بنابليون. قام بتأليف جمعية سرية ـ الوطن في دمشق ـ ففشلت. فانضم إلى جماعة الاتحاد والترقي في سالونيك. اكتسب الكثير من طبائع الغرب وبهرت أنظاره وافتتن بحضارته ومعاييرها الفنية والاجتماعية. واهتم بحرية الجنس والعلاقات بين الرجل والمرأة. وفي عام ١٣٧٧هـ/ عين قائداً لأحد الجيوش في فلسطين حيث قام بإنهاء القتال مع الانجليز فورا وبصورة تامة وسمح للعدو بالتقدم شمالاً دون مقاومة وسحب قواته شمالاً بعد حلب حسب مخطط متفق عليه. (انظر على حسون ص٢٦٣ ـ٢٦٥).

(٣) نفسه ص ٢٤٥.

(٤) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ٢٦ ـ ٢٧.

مصطفى كمال واعتباره عاصيا متمرداً. ولم يكن مصطفى كمال في نظرهم إلا بطلاً مكافحاً يغامر بنفسه لاستعادة مجد الخلافة، الذي خيل إليهم أن الخليفة يمرغه في التراب تحت أقدام الجيوش المحتلة.

ولكنه لم يلبث غير قليل حتى ظهر على حقيقته صنيعة لأعداء الإسلام من اليهود والنصارى وخاصة انجلترا التي رأت أن الغاء الخلافة ليس بالأمر الهين وإن ذلك لا يمكن أن يتم دون اصطناع بطل واعطائه صورة عظيمة وإظهار هالة حوله وتصويره وكأن المعجزات تجري على يديه وعندها يمكن توجيه الطعنة على يديه بلا ألم عميق إذ الشعور قد تخدّر من نشوة الانتصارات الزائفة. فالحلفاء أنفسهم هم الذين اصطنعوا القلاقل وطلبوا من السلطان إخمادها واقترحوا اسم مصطفى كمال لتلك المهمة ليصبح محط آمال الناس وموضع تقدير ضباط الجيش فتتصاعد مكانته وهيبته وتتدهور سمعة الخليفة وينحط مركز الخلافة في أعين الناس، فالألاعيب الانجليزية لا تدرك بسهولة[1].

كان مصطفى كمال قد انتقل إلى أنقرة واتخذها مقّراً له واستقبل هناك استقبال الفاتحين سنة ١٣٣٧هـ. وكان يقول: «إن كل التدابير التي ستتخذ لا يقصد منها غير الاحتفاظ بالسلطنة والخلافة وتحرير السلطان والبلاد من الرق الأجنبي»[2].

وفي عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م أعلنت الجمعية الوطنية التركية قيام الجمهورية في تركيا وانتخب مصطفى كمال أول رئيس لها، وتظاهر بالاحتفاظ مؤقتا بالخلافة فاختير عبد المجيد بن السلطان عبد العزيز خليفة، بدلاً من محمد السادس الذي غادر البلاد على بارجة بريطانية إلى مالطة ولم يمارس السلطان عبد المجيد أي سلطات للحكم. وفي عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م قدم مصطفى كمال اعظم هدية للغرب وهي الغاء الخلافة التي كانت في اعتبار المسلمين جميعاً عقدة الصلة والرابطة الوثيقة بحسبانها قوة خاصة لهم في مواجهة الغزو الغربي

---

(١) د. علي حسون ص ٢٧٧.

(٢) نفسه ص ٢٧٩.

والصهيوني ثم الشيوعي . واخرج السلطان عبد المجيد من البلاد ، واعلن دستوراً جديداً لتركيا ، وبدأ حكم كمال اتاتورك كرئيس للجمهورية التركية رسمياً. فأثار بذلك موجة من الاستياء الشديد عمت العالم الإسلامي . فشوقي الذي مدحه سابقاً بكى الخلافة ، وهاجم مصطفى كمال في عنف لا يعد له إلا تحمسه له بالأمس ، فيقول(١) :

بكت الصلاة وتلك فتنة عابت بالشرع عربيد القضاء وقاح
أفتى خزعبلة وقال ضلالة وأتى بكفر في البلاد براح

وعم الاستياء المسلمين في الهند الذين علقوا علي تركيا أملاً كبيراً في الخلاص من الاستعمار البريطاني لبلادهم . بل إن عدداً من زعمائهم كان قد هاجر بالفعل إلى أنقرة .

وفشلت المحاولات التي بذلت في سبيل إحياء الخلافة الإسلامية في أي بلد من البلدان الإسلامية الأخرى لأن الأحوال الملائمة لذلك لم تكن متوفرة في أي بلد إسلامي آخر. وحين عرضت الخلافة على الغازي أبى أن يقبلها(٢) وقد تأكد أن مصطفى كمال كان ينفذ مخططاً مرسوماً له في المعاهدات التي عقدت مع الدول الغربية . فقد فرضت معاهدة لوزان سنة ١٣٤٠هـ/١٩٢٣م على تركيا فقبلت شروط الصلح والمعروفة بشروط كرزون الأربع (وهو رئيس الوفد الانجليزى في مؤتمر لوزان) وهي(٣) :

١ ـ قطع كل صلة لتركيا بالإسلام .

٢ ـ إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاء تاماً .

٣ ـ إخراج الخليفة وأنصار الخلافة والإسلام من البلاد ومصادرة أموال الخليفة .

(١) من قصيدته في رثاء الخلافة/ ديوان شوقي ج١ ص ١١٤ .

(٢) المسألة الشرقية ص ٤٢٩/ د. دسوقي . كان الانجليز يعارضون في ظهور الخلافة الإسلامية في أي صورة من الصور. ولكنهم ـ كعادتهم ـ لم يكونوا يصرحون بهذه المعارضة حتى لا يثيروا المسلمين ويدعوهم إلى التشبث بالخلافة ، فكانوا يعملون على تعقيد المساعي المبذولة في اعادتها بوسائل ملتوية خفية . والذي يقرأ كتاب Whither Islam ص١٦٩) مثلا يستطيع أن يدرك بين سطوره شماتة الكاتب في الجهود المبذولة لإقامة الخلافة . (الاتجاهات ج٢ ص٥١) .

(٣) انظر ـ علي حسون ص٢٨٧ .

٤ ـ اتخاذ دستور مدني بدلاً من دستور تركيا القديم .

وقد نفذ مصطفى كمال المخطط كاملاً وبدأت حكومته تبتعد تدريجياً عن الخطوط الإسلامية وتسلم تركيا لعمليات التغريب . فألغيت وزارة الأوقاف سنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م وعهد بشئونها إلى وزارة المعارف ، وفي عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م اغلقت المساجد . وقضت الحكومة في قسوة بالغة على كل تيار ديني وواجهت كل نقد ديني لتدابيرها بالعنف . وفي عام (١٣٥٠-١٣٥١هـ/ ١٩٣١-١٩٣٢م) حددت عدد المساجد ولم تسمح بغير مسجد واحد في كل دائرة من الأرض يبلغ محيطها ٥٠٠ متر وأعلن أن الروح الإسلامية تعوق التقدم .

وتمادى مصطفى كمال في تهجمه على المساجد فخفض عدد الواعظين الذين تدفع لهم الدولة أجورهم إلى ثلاثمائة واعظ ، وأمرهم أن يفسحوا في خطبة الجمعة مجالاً واسعاً للتحدث عن الشئون الزراعية والصناعية وسياسة الدولة وكيل المديح له . واغلق أشهر جامعين في استانبول وحول أولهما وهو مسجد أيا صوفيا إلى متحف ، وحول ثانيهما وهو مسجد الفاتح إلى مستودع .

أما الشريعة الإسلامية فقد استبدلت وحلّ محلها قانون مدني أخذته حكومة تركيا عن القانون السويسرى عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م . وغيرت التقويم الهجري واستخدمت التقويم الجريغوري الغربي ، فأصبح عام ١٣٤٢هـ ملغيا في كل انحاء تركيا وحل محله عام ١٩٢٦ميلادية .

وفي دستور عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م أغفل النص على أن تركيا دولة إسلامية ، وغير نص القسم الذي يقسمه رجال الدولة عند توليهم لمناصبهم ، فأصبحوا يقسمون بشرفهم على تأدية الواجب بدلاً من أن يحلفوا بالله كما كان عليه الأمر من قبل . وفي عام ١٩٣٥م غيرت الحكومة العطلة الرسمية فلم يعد الجمعة ، بل أصبحت العطلة الرسمية للدولة يوم الأحد ، وأصبحت عطلة نهاية الأسبوع تبدأ منذ ظهر يوم السبت وتستمر حتى صباح يوم الاثنين .

وأهملت الحكومة التعليم الديني كلية في المدارس الخاصة ، ثم تم إلغاءه بل أن كلية الشريعة في جامعة استانبول بدأت تقلل من اعداد طلابها إلى أن

أغلقت عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م .

وامعنت حكومة مصطفى كمال في حركة التغريب فأصدرت قراراً بإلغاء لبس الطربوش وأمرت بلبس القبعة تشبهاً بالدول الأوروبية .

ومنذ عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م بدأت الحكومة تفرض إجبارياً استخدام الأحرف اللاتينية في كتابة اللغة التركية بدلاً من الأحرف العربية . وبدأت الصحف والكتب تصدر بالأحرف اللاتينية ، وبدأ مصطفى كمال بنفسه هو ورجال الجمعية الوطنية يعلمون طريقة الكتابة بالحروف اللاتينية . وحذفت من الكليات التعليم باللغة العربية واللغة الفارسية وحرم استعمال الحرف العربي لطبع المؤلفات التركية واما الكتب التي سبق لمطابع استانبول أن طبعتها في العهود السالفة ، فقد صدرت إلى مصر، وفارس والهند، وهكذا قطعت حكومة تركيا ما بين تركيا وماضيها الإسلامي من ناحية ، وما بينها وبين المسلمين في سائر البلدان العربية والإسلامية من ناحية أخرى(١) .

وتشبهاً بالغرب أصدرت حكومة مصطفى كمال قانوناً عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م يقضي بأن يحمل كل فرد اسم اسرته ، وألا يتعامل رسمياً إلا بذلك الاسم مما لم يكن معروفاً قبل ذلك في تركيا . وبعد أن صدقت الجمعية الوطنية على القانون الخاص بألقاب الأسر خلعت على مصطفى كمال لقب «أتاتورك» ومعناه أبو الأتراك وأخذ أتاتورك ينفخ في الشعب التركي روحاً جديدة للاعتزاز بقوميتهم بصفتهم أسلاف الأتراك الأولين، واستغل ما نادى به بعض المؤرخين من أن لغة السومريين أصحاب الحضارة القديمة في بلاد ما بين النهرين كانت ذات صلة باللغة التركية فقال : بأن الأتراك هم أصحاب أقدم حضارة في العالم ليعوضهم عما أفقدهم إياه من قيم بعد أن حارب كل نشاط إسلامي .

---

(١) انظر ما كتبه الأمير شكيب ارسلان عن أعمال مصطفى كمال في تركيا ج٣ ص ٣٥١-٣٥٣ .

وعملت حكـومتـه على الاهتـمام بكـل ما هو أوروبي فازدهـرت الفنـون واقيمت التـماثيـل لأتاتورك في ميادين المدن الكبرى كلها، وزاد الاهتمام بالرسم والموسيقى ووفد إلى تركيا عدد كبير من الفنانين اغلبهم من فرنسا والنمسا[1].

وعملت حكـومتـه على إلغاء حجاب المرأة وأمرت بالسفور، والغى قوامة الـرجـل على المـرأة وأطلق لها العنـان باسم الحـرية والمساواة، وشجع الحفلات الـراقصـة والمسـارح المختلطـة والرقص. وتزوج من لطيفة هانم ابنة أحد أغنياء أزمـير الـذين كانـوا على صلة كبيرة مع اليهود من سكان أزمير، وجرت مراسم الــزواج على الطـريقـة الغـربيـة كي يشجـع على نبـذ العـادات الإسـلاميـة واصطحبهـا وطـاف بها أرجاء البلاد وهي بادية المفاتن تختلط مع الرجال وترتدي أحدث الأزياء العصرية[2].

وأمـر أخـيراً بترجمـة القـرآن الكـريم إلى اللغـة الـتركية ففقد كل معانيه ومدلولاته، وأمر أن يكون الأذان باللغة التركية.

لقـد تجلت سيـاسـة أتاتورك في برنامج حزبه (حزب الشعب الجمهوري) لعـام ١٣٤٩هـ مرة وعـام ١٣٥٥هـ مرة ثانيـة والتي نص عليها الدستور التركي وهي المباديء الستة التي رسمت بشكل ستة أسهم على علم الحزب وهي:

«القـوميـة، الجمهورية، الشعبية، العلمانية، الثورة، سلطة الدولة» فتم تغيـير المنـاهـج الـدراسيـة وأعيـد كتـابـة التاريخ من أجل ابراز الماضي التركي القـومي، وجرى تنقية اللغة التركية من الكلمات العربية والفارسية، واستبدلت بكلمات أوروبية أو حثية قديمة. وجرى التخلى عن أهداف الجامعة الإسلامية والجـامعـة الطـورانيـة والعثـمانية في السياسة الدولية[3] وأعلن أنه اتجه إلى أوربا وانفصـل عن العـالم الإسـلامي والعـرب وآسيـا وامعنت حكـومتـه في استـدبار الإسلام حتى حاربت بقسوة أي محاولة ترمي إلى إحياء المباديء الإسلامية[4].

وكانت خطوات الغازي هذه بعيدة الأثر في مصر وأفغانستان وإيران والهند

---

(١) انظر. دسوقي. المسألة الشرقية ص ٤٢٨ - ٤٣٢.

(٢) علي حسون ص٢٦٥.

(٣) علي حسون. ص ٢٩٤.

(٤) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ١٠.

الإسـلاميـة وتـركستـان وفي كل مكـان في العـالم الإسلامي ، إذ أتاحت الفرصة لدعاة التغريب وخدام الثقافة الغربية الاستعمارية أن ينفذوا إلى مكان الصدارة وأن يضربوا المثل بتركيا في مجال التقدم والنهضة ، فقد هللت له صحف مصر ـ الأهـرام والسيـاسـة والمقطم ـ وكـان (هـذا التأييـد معروف المصدر، فقد كانت الصحف أجـيرة لأكثـر من نفـوذ) وبـررت تصـرفـات كمال أتاتورك ووافقت عما ابتـدعـه ، ونشـرت له أقـوال : «ليس لتركيـا الجديدة علاقة بالدين» . وأنه ـ أي مصطفى كمال : «ألقى القـرآن ذات يوم في يده فقـال : ان ارتقـاء الشعـوب لا يصلح أن ينفذ بقوانين وقواعد سنت في العصور الغابرة»[1] .

وكان للإعلام اليهودي دور كبير في التر ويج لهذه الردّة ، مثلما كان له دوره البارز في تشجيع أتاتورك على البطش بأية معارضة إسلامية ، وكانت تزين له أن ما يقـوم به من مذابـح وحشيـة ضد المسلمـين ليست سوى معـارك بطـولية ، كما كانت منبراً لكل دعوات التشبه بالغرب الصليبي والمناداة بالحرية الفاجرة للمرأة الـتركيـة ، والـتر ويـج لفنـون الانحلال الخلقي معتبرة أن شرب الخمر والمقامرة والزنا ليست إلا مظاهر للتمدن والتحضر .

كل ذلـك أسهم في حركـة التغـريب في مصـر وإيران وأفغانستان . فإيران كانت قد فتحت أبوابها للمؤثرات الأجنبية[2] منذ عهد الدولة الصفوية الشيعية (٩٠٦ـ١١٣٥هـ/ ١٥٠٠ـ١٧٢٢م) ، فقـد تعاونت مع البرتغال ثم الانجليز، وشجع الصفويون بناء الكنائس ودخلها المبشرون والقسس .

وفي عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م نصب رضـا خان نفسـه ملكـاً ولقب نفسـه «ببهلوي» وكان صديقاً حميماً لكمال أتاتورك وحرص على تقليده واقتفاء خطاه ، ففي عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م ألغى الحجـاب الشـرعي وهـاجمه ، وكانت زوجته أول من كشفت عن رأسهـا في احتفـال رسمي ، وأمـر الشـرطـة بمضايقة النساء اللواتي رفضن الاقتداء بملكتهن وخرجن محجبات .

---

(١) وكـان هذا تحديـا سافـراً لمشاعر المصريين الذين كانوا يعطفون على الخلافة ويتمسكون بها ، ويتمسكون بإسلامهم . (انظر ـ الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ١٢ـ٢٤) .

(٢) انظر د. عبد الله محمد الغريب ـ وجاء دور المجوس ص٨٠ـ٩٥ عن إيران في ربع قرن للدكتور موسى الموسوي .

وفي عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م الغى رضا بهلوي أحكام الشريعة الإسلامية ووضع قانوناً مدنياً وأخر للعقوبات بني على الأساس الفرنسي .

وفي عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م قلص مادة التعليم الديني في المدارس الحكومية ثم جعلها غير الزامية في المدارس الابتدائية والثانوية . وفرض اللغة الفارسية بدلاً من اللغة العربية .

وتوج صداقته لأتاتورك بزيارة قام بها عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م . وفي عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م . غير اسم الدولة فأصبحت إيران بعد أن كانت فارس .

واما ابنه محمد رضا فكان على صلة وثيقة مع عميل المخابرات البريطانية مسيوبراون . واصطحبه معه إلى بلاده بعد أن أنهى دراسته الاعدادية في مدرسة روزه قرب جنيف .

وفي عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨ اعترف شاه إيران باسرائيل وأقام علاقات متينة معها . وهكذا خطت إيران خطواتها نحو التغريب .

وكان من نتائج خطوات أتاتورك أن وجد اليأس أيضاً في قلوب مسلمي الهند واندونيسيا ، وتسللت الأفكار الغربية إلى حركاتهم ، وأفرد الحكم الشيوعي بمسلمي الاتحاد السوفيتي فتمكن لينين من ضرب الإسلام والمسلمين هناك وضربت آمالهم في التحرر .

وأما العرب فقد استمر التآمر ضدهم بعد معاهدة سايكس ـ بيكو ـ ووعد بلفور ، فاقتسم الانجليز والفرنسيون بلادهم المتبقية بموجب معاهدة سان ريمو عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م ، فأصبحت العراق وشرق الأردن وفلسطين بيد الانجليز مع التزام بريطانيا بسياسة تهويد فلسطين لتنفيذ وعد بلفور وأصبحت سوريا ولبنان بيد فرنسا حيث قامت فرنسا بتجزئة سوريا إلى لبنان ودولة الدروز والعلويين ولواء الاسكندرونة ودمشق وحلب وأثارت النعرات الطائفية والقبلية ! .

فتمزقت أوصال العرب في كيانات متعددة ، لكل منها نظامها الخاص وحدودها الخاصة ، وحال الاستعمار والصهيونية دون التقائها في وحدة واحدة .

فكان سقوط الخلافة العثمانية أكبر انتصار للصليبية واليهودية العالمية والشيوعية ـ يقول وزير المستعمرات البريطانية :

«من دواعي فرحنا أن الخلافة زالت، لقد ذهبت، ونتمنى أن يكون ذلك إلى غير رجعة»[1].

وبذلك بدأت الأمة الإسلامية دوراً جديداً من أدوار الجهاد ضد التحديات والبحث عن الذات[2]وشهد العالم الإسلامي تغيرات فكرية واجتماعية وسياسية وإقتصادية هامة، سنتعرض لها في الباب القادم إن شاء الله .

وقبل ذلك نذكر تتابع التطور الذي حصل في تركيا الجديدة لنرى هل استفادت من تخليها عن الإسلام ونبذها له في حياتها القانونية والتطبيقية وتخليها عن المسلمين والتجائها إلى التغريب والغرب؟! .

توفي أتاتورك عام **١٣٥٦هـ** بعد أن حقق علمانية تركيا رغم أنف المسلمين وبعد وفاته فاز عصمت اينونو برئاسة الجمهورية متابعاً سياسته، وقد التزمت تركيا الحياد في الحرب العالمية الثانية، وعندما ظهر انهزام المحور بشكل حتمي دخلت الحرب في نهايتها إلى جانب الحلفاء، ولكن الروس اقترحوا عليها بعد الحرب التخلي عن أراضي شرقي آسيا الصغرى، وضم مساحة كبيرة من شمالي شرق الأناضول إلى جورجيا السوفيتية، فتلفتت تركيا إلى الولايات المتحدة الامريكية فأقامت على أرضها القواعد العسكرية الامريكية، وجرى تقوية الجيش، وارتفعت نسبة الانفاق العسكري، وظهرت الأزمات الإقتصادية العنيفة التي تزايد خطرها يوماً بعد يوم، وازداد التضخم المالي .

وسمحت الدولة بتشكيل أحزاب علمانية جديدة فنشأ الحزب الديمقراطي عام **١٣٦٦هـ** من انشقاق داخل صفوف حزب الشعب الجمهوري نفسه، وفاز في الانتخابات بدغدغة عواطف الناس، وقد تبنى السياسة الأمريكية وأصبح رئيسه جلال بايار رئيسا للجمهورية عام **١٣٧٤هـ**، كما أصبح

---

(١) الغزالي ـ هموم داعية .

(٢) انظر ـ جب ـ الاتجاهات الحديثة في الإسلام ص ١٥٠ ـ ١٥٥ .

عدنـان منـدريس رئيسا للوزراء، وأصبح منصب رئيس الوزراء يفوق في الأهمية منصب رئيس الجمهورية .

وبقيت الأزمات والكوارث الإقتصادية في تردٍ مستمر وتوجهت الانتقادات للحـزب الحـاكم، فحـل الحـزب القـومي (الـذي ظهـر عام ١٣٦٨هـ) بحجة معـــارضتـــه المبـاديء الكـمالية ولكنـه تشكـل باسم آخـر هو الحـزب القـومي الجمهـوري . وفـرضت غرامـات فادحـة على الصحفيين الذين يحطون من قدر الحكـومـة، وضيق على أسـاتـذة الجـامعـات والقضاة والموظفين المدنيين بصورة عامة، وفرضت قيود على الاجتماعات عام ١٣٧٦هـ .

ووجـه الحـزب الـديمقـراطي التهمـة إلى كثير من الأبرياء بالاشتراك بما سمي : «مؤامرة الضباط التسعة» واتهمهم بالارتداد عن مباديء العلمانية والميل إلى جانب المنظمات الدينية الإسلامية .

وقـد حصـل بالفعل بعض التراجع عن بعض العداء ضد الإسلام بفعل الضغط الشعبي الإسلامي، تمثل ذلك في[1] :

إعـادة الآذان إلى الأداء باللغـة العـربيـة، وسمـح بتلاوة القرآن الكريم بالإذاعـة، وامتـد التـدريس الـديني إلى المـدارس، وسمـح بافتتـاح المـدارس الشرعية، وافتتحت كلية الدين الإسلامي في انقرة، وجرى بعض التراجع عن المبـاديء العلمانيـة ولكنهم اظهـروا بوضوح عدم رغبتهم بالتالي في إشراك الدين بالسياسة، واستمروا في اخماد الجماعات الإسلامية التي تنادي بالأحكام الإسلامية .

ولمـا خشي بعض الحـاقـدين على الإسـلام من رفـاق أتـاتورك الكماليين العـودة إلى الإسـلام افتعلوا الاضطـرابـات وتـدخل الجيش فقلب نظام الحكم سلمياً عام ١٣٨٠هـ بقيـادة جمال جورسيـل قائـد القـوى الـبر يـة . واجـريت التصفيـات، ثم أصبـح جمال جورسيـل رئيسـا للجمهـوريـة . وظهـر في خضم الاضطـرابـات عام ١٣٨١هـ حزب العـمال الـتركي وسيطـر عليه الماركسيون .

---

(١) على حسون ص ٢٩٩ .

وأصبحت المصادمات هي الصورة المألوفة يوميا للحياة التركية العادية . كما سادت روح التطاحن داخل حزب العدالة الحاكم فسقطت الحكومة عام ١٣٩٠هـ . وتشكلت حكومة جديدة برئاسة المهندس سليمان ديميريل زعيم حزب العدالة بأغلبية ضئيلة . تبعها عدة انقلابات متتالية وتدخلات من الجيش حيث أصبحت البلاد مسرحاً للفوضى فازداد التأخر الإقتصادي وشقاء الإنسان التركي .

هذا وقد انحازت تركيا إلى جانب حلف شمال الأطلسي عام ١٣٧١هـ وحصلت على العضوية الكاملة فيما بعد .

وتظاهر عدنان مندريس بتأييد الغرب حينما أرسل الجنود إلى كوريا لمساعدة قوات الأمم المتحدة عام ١٣٧٠هـ، وعقدت تركيا اتفاق صداقة مع اليونان ويوغسلافيا سنة ١٣٧٣هـ تحول فيما بعد عام ١٣٧٤هـ إلى حلف البلقان . كما تحول الحلف المشترك للمساعدة مع الباكستان عام ١٣٧٤هـ إلى حلف بغداد، بتوقيع الميثاق العراقي التركي سنة ١٣٧٥هـ، وانضمت إليه باكستان وبريطانيا(١)، ووقع اتفاق منفصل مع الولايات المتحدة. وقد فشل حلف بغداد بثورة العراق عام ١٩٥٨م . وبقيت العلاقات مع العرب فاترة . وخاصة مع سوريا التي خسرت لواء الاسكندرونة لصالح تركيا ١٩٣٩م .

الحركة الإسلامية أمام التحديات في تركيا(٢) :

قاد المسلمون ثورات مسلحة ضد الحكم العلماني التركي المعادي للإسلام وظهرت أهم الثورات في المنطقة الجنوبية الشرقية عام ١٣٤٤هـ، ثم في منيمين عام ١٣٤٩هـ وقد قمعها الكماليون بشدة منقطعة النظير وذهب ضحيتها عدد كبير من العلماء، وأهملت المنطقة اقتصاديا وعلميا .

وقامت حركة النور بزعامة الشيخ بديع الزمان سعيد النورس وتلامذته من بعده، وقد كتب العديد من الرسائل الإسلامية تحت عنوان «رسائل النور» في سبيل التوعية الإسلامية ومقاومة مبادىء الكماليين والعلمانية ، ولم تعمد حركته

---

(١) علي حسون ص ٣٠٤ .

(٢) انظر علي حسون ص ٣٠٨ - ٣١١ .

إلى حمل السلاح واقتصر جهادها على اللسان . وقد حاول أتاتورك استمالته وناقشه واستنكر دعوته الناس إلى الصلاة مدعيا أنها تثير الفرقة بين أعضاء المجلس فأجابه :

«إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإسلام إنما هي في الصلاة، وان الذي لا يصلي خائن وحكم الخائن مردود» .

فسجنه ثم نفاه بعد أن اتهمه بمؤامرة لقلب نظام الحكم ، ولكن دعوته استمرت في الانتشار سراً بين صفوف الجامعيين ومعسكرات الجيش ودوائر الدولة ، ومثل للمحاكمة مرة أخرى بتهمة اتهامه أتاتورك بالدجال ، فوقف أمام المحكمة . ومما قال :

«إنني لأعجب كيف يتهم أناس يتبادلون فيما بينهم تحية القرآن وبيانه ومعجزاته باتباعهم للسياسة والجمعيات السرية ، على حين يحق للمارقين الافتراء على القرآن وحقائقه في وقاحة وإصرار، ثم يعدّ ذلك أمراً مقدساً لأنه حرية . أما نور القرآن الذي يأبى إلا أن يشع في أفئدة ملايين المسلمين المرتبطين بدستوره ، فهو خطورة ينهال عليها جميع ألفاظ الشر والخبث والسياسة . . . اسمعوا يامن بعتم دينكم بدنياكم وتنكستم في الكفر المطلق : إنني أقول بمنتهى ما أعطاني الله من قوة إفعلوا ما يمكنكم فعله فغاية ما نتمناه أن نجعل رؤوسنا فداءً لأصغر حقيقة من حقائق الإسلام . . . »[1]

فأعيد إلى منفاه وبقي حتى عام ١٣٦٧هـ حين بدأت الحكومة بالتراخي بخصوص النشاط الديني ، واجازت طباعة رسائل النور فانتشرت بسرعة ، فروع ذلك السلطات فألقي القبض عليه وأحيل للمحكمة الجزائية عام ١٣٦٨هـ ، وحكم عليه بالسجن لمدة عشرين شهراً وفرضت عليه الإقامة الجبرية حتى وفاته في ٢٧ رمضان ١٣٧٩هـ . وبقيت حركته مستمرة في تركيا .

وقام أيضا حزب السلام الوطني الذي تزعمه السيد المهندس الميكانيكي نجم الدين اربكان عام ١٣٩٢هـ . وهو ذو اتجاه إسلامي ، برنامجه المجاهدة عن

---

(١) علي حسون ص ٣١٠ .

طريق المجلس النيابي للوصول إلى حكم إسلامي . وعن طريق اشتراكه في الحكم مع حزب العدالة حقق بعض المكاسب الإسلامية .

فقد اعتنى بالثقافة الإسلامية في المدارس وسمح للجمعيات الإسلامية بممارسة النشاط ، وتحسنت علاقات تركيا مع البلاد العربية ، ولما تسلم نجم الدين منصب نائب رئيس الوزراء شجع وسهل مهمة أداء فريضة الحج . وانزلت تركيا قواتها في قبرص بضغط من حزب السلامة لنصرة المسلمين هناك وتمكن أعداء الإسلام من اكراهه على الاستقالة .

هذا ولا تزال الحركة الإسلامية في نمو متصاعد على الرغم من ضخامة الأعداء المحيطين بها ، وجسامة الأخطار التي تواجهها من اليمين واليسار على السواء .

الباب الثاني

واقع العالم الإسلامى

الفصل الأول: من الناحية الفكرية.

الفصل الثاني: من الناحية الاجتماعية.

الفصل الثالث: من الناحية السياسية.

الفصل الرابع: من الناحية الاقتصادية.

الفصـــل الأول
واقع العالم الإســـلامي
من الناحيــة الفكريــة

الفكــر ركيــزة هامــة في حيــاة الأمم ودليــل على حيــويتها وتقدمها أو على جمودها وتخلفها في جميع المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية[١]

والأمة القوية هي التي يجتمع أبناؤ ها على عقيدة واحدة ومبادىء واحدة فتكون لها وجهة نظر واحدة أى تتمتع بوحدة الفكر.

وتعتبر وحدة الفكر من أبرز ظواهر التاريخ الإسلامى ، فقد انتظم مختلف وحداته ودوراتــه ومــوجــاتــه فكر واحد وثقافة واحدة ، بقيت الرابط المشترك الأعظم بينها مهــما اختلفت أقطــارهــا ودولها وأنظمتها . هذا الفكر هو روح الجماعة الإسلامية والمحرك الأساسي والقالب الذي تشكلت فيه مختلف القيم والمفاهيم والتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

ولعلّ أبرز ما يتمثل في الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية هو:

الأصــالــة : فقــد قام الفكــر الإســلامى على التــوحيــد والنبــوة والمساواة والعدل . وهي أسس جديدة خاصة بالحضارة الإسلامية لا صلة لها بالحضارات المادية السابقة للإسلام ـ السريانية والفارسية والرومانية واليونانية والهندية .

ولقــد أدرك الأوربيــون وفي وقت مبكــر ما للفكــر من أهميــة في صراعهم الحضاري مع المسلمين ولمسوه يقينا بما ترتب على نتائج الحروب الصليبية ـ لمسوا يومهــا أن انتصــارهم العسكــرى لم يجدهم شيئــاً أو يبق لهم وجــودا في الأمــة الإســلاميــة بعــد أن دحــرهــم صلاح الدين ومن بعده ، ولذلك اتجهوا إلى أفكار الإســلام فانكبــوا على الفكــر الإســلامى فترجمــوه وقــامــوا بدراسته وتلخيصه ، فكــانت أولى أعــمالهم ترجمــة القــرآن الكــريم إلى الــلاتينيــة وبعــدهــا فتح باب الــدراســات الإســلاميــة والعــربيــة عنــدهم على مصــراعيــه[٢] ، فكانت حركة

(١) السحمراني ـ مالك بن نبي ـ مفكراً اصلاحياً ص١٣٢ .

(٢) السحمراني ـ نفسه ص١٣٢ .

الاستشراق التي مهدت لهم طريق الاستعمار فيما بعد. هكذا عمل الأوربيون على اكتشاف الفكر الإسلامي وترجمته من أجل إثراء ثقافتهم فقادهم ذلك إلى حركة النهضة الأوربية وساروا فيها أشواطاً. ثم عملت أوربا على كشف الفكر الإسلامي مرة أخرى لهدف سياسي لتضع خططها الرامية للسيطرة على بلاد الإسلام مطابقة لما تقتضيه الأوضاع في البلاد الاسلامية من ناحية ولتسيير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه هذه السياسة في البلاد الاسلامية لتسيطر على الشعوب الخاصة فيها لسلطانها(١). ومن هنا بدأ يظهر الأثر السلبي للانتاج الاستشراقي الفكري الذي كتب عن المسلمين وأحيانا بالعربية ليمارس دور التخدير أو الالهاء ليبقى العالم الإسلامي خلواً من أي توجيه أصيل، وليبقى الباب مفتوحا لتلقى ما يصدرونه من أفكار تحكم سيطرة المستعمرين السياسية الاستعمارية تحت شعار التقدمية التي هي في الواقع ستار يخفى مطامع الغرب ووحشيته.

هذا الأسلوب هو ما نسميه: الغزو الفكري: وهو من شعب الجهد البشرى المبذول ضد عدو ما لكسب معارك الحياة منه ولتذليل قياده وتحويل مساره وضمان استمرار هذا التحويل حتى يصبح ذاتياً إذا أمكن، وهذا هو أقصى مراحل الغزو الفكري بالنسبة للقلوب وإن كان في الوقت نفسه هو أقصى درجات نجاح الغزاة.

وسلاح هذا الغزو: الفكرة، والرأى والحيلة والنظريات والشبهات وخلابة المنطق وبراعة العرض وشدة اللدد، ولداوة الخصومة وتحريف الكلم عن مواضعه وغير ذلك.

ويتميز الغزو الفكري بالشمول والامتداد فهو حرب دائبة لا يحصرها ميدان، بل تمتد إلى شعب الحياة الإنسانية جميعاً، وتسبق حروب السلاح وتواكبها حتى تستمر بعدها لتكسب ما عجز السلاح عن تحقيقه، فتشل إرادة المهزوم وعزيمته حتى يلين ويستكين وتنقض تماسكه النفسي حتى يذوب كيانه فيقبل التلاشى والفناء في بوتقة أعدائه أو يصبح امتداداً ذليلا لهم(٢). وقد دمغ

---

(١) انتاج المستشرقين. م.س. ص١٢.

(٢) د. عبد الستار ـ فتح الله ـ الغزو الفكري ص٧.

الله سبحانه وتعالى قادة هذا اللون من الحرب بأسماء وصفات غاية في النكارة، مثل: الشياطين، السفهاء، المعوقين، المرجفين، أكابر المجرمين، وأئمة الكفر، والذين في قلوبهم مرض.

كذلك سمى هذا اللون ذاته بصفات أساليبه الخسيسة ونتائجه الخبيثة مثل: زخرف القول، الغرور، الخبال، الفتن.. الخ[1].

وقد بيّن القرآن الكريم أن نتائج وغايات هذا اللون من الحرب هي أخبث وأنكد من آثار السيف والقتل ـ قال تعالى: ﴿**والفتنة أكبر من القتل**﴾[2].

وفي مرحلة السيطرة الاستعمارية على بلاد الإسلام اهتم الغرب كثيراً بإحداث الفراغ الفكري واقتلاع الشعوب الإسلامية من جذورها الحضارية بإظهار تهافت كل ما تملكه من مقومات أمام عصر الذرة وغزو الفضاء، ولم يفصل الغرب في عدائه للإسلام والمسلمين أبداً بين العروبة والإسلام وإن حاولت جامعاته وارسالياته أن تلقن المسلمين غير ذلك، فموروبيرجر أستاذ الشرق الأدنى بجامعة برنستون الأمريكية ومؤلف كتاب العالم العربي اليوم يقول في معرض حديثه من معارضة الغرب للوحدة العربية:

«لقد ثبت تاريخياً أن قوة العرب تعني قوة الإسلام ونفس الشيء يمكن أن يتكرر اليوم حيث يحرز الإسلام انتصارات واسعة في أفريقيا»[3].

وعمل المستعمر على نقل المعركة بين أبناء البلد المغلوب على أمره بأن استخدم من تربىّ في معاهده ومن قلّده فأثارهم ضد دعاة الفكر الإسلامي في بلادهم، فتحوّل الأمر إلى صراع داخلي خلق الفوضى وسرّب في غمرته الأفكار الهدامة، وزرع اليأس في نفوس دعاة الفكر الأصيل من امكانية التغيير. بذلك حاول الغرب والمتغربون تعطيل النشاط الفكرى فبقى النشاط السياسي بالتالي أعمى والأفكار دون جدوى[4].

---

(١) فتح الله ص١١.

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٧، فتح الله ص١٢.

(٣) محمد جلال كشك ـ الغزو الفكري ص٧.

(٤) سمابلوفتش ـ أحمد م. س الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ص٤٢، ٤٣.

وحتى يتم تعطيل دور المفكر فقد عمل الاستعمار على :
أ ــ تنفير الرأى العام من أفكاره بجميع الوسائل المتاحة للاستعمار.
ب ــ أن ينفره هو نفسه من القضية التي يكافح من أجلها بإشعاره بعبث كفاحه[1] .

فيخلق المستعمر بهذه الطريقة نمطين من المواجهة لأى مفكر يريد أن يدخل حلبة الصراع لمواجهته ، حين يستغل امكاناته الضخمة الإعلامية والثقافية وعملاءه في السر والعلن لكي يحارب شخصا وعى مشكلات بلاده ، وأراد أن يواجهها بأسلوب سليم بدايته وضع الأسس الفكرية واستقطاب الناس حولها ، وكثيراً ما تحاول حكومات بلاده التعتيم على ما ينشره أو يقوم به ، وتزداد معاناته حين يواكبه قومه باللامبالاة ، ويواجه بالأفكار المصدّرة الملّونة بالأحمر أو الأزرق ولكنها في مضمونها تحمل القناعات الاستعمارية القديمة برداء الحرية والإخاء والمساواة ، أو الماركسية والاشتراكية[2] ، وبهذا عمل الاستعمار على تحطيم المعنويات الإسلامية وبقية الروح الإسلامية التي يستند إليها وجود الأمة التاريخى بملامحها الخالدة المميزة له .

وقد شهد العالم الإسلامي تغيّرات فكرية في عهد الجمود وقبل انهيار الخلافة العثمانية ، فنشطت دعوة المفكرين للعودة إلى الإسلام والتكتل الإسلامى أي فكرة الجامعة الإسلامية ، وإصلاح أوضاع المسلمين وعقيدتهم كدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد والدعوة السنوسية في ليبيا والدهلوية في الهند والمهدية في السودان . إلا أن هذه الدعوات الثلاث وما شابهها كانت محدودة النجاح حيث لم تتجاوز نطاق بيئتها الإقليمية . أما دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فكان لها أثر إيجابى أشمل في بقاع شتى من العالم الإسلامي .

وبعض هذه الدعوات انحصر عند حملة الأقلام والمفكرين ولم تمسّ عامة الناس إلاّ مسّا خفيفا ، فبقى عامة الناس على أوضاعهم العقدية كما نشط دعاة التغريب وكان حملة الفكر في جميع الأطراف مضطرين أن يبرروا اتجاهاتهم

(١) السحمراني ـ مالك بن نبي ص١٣٧ .
(٢) نفسه ص١٣٩ .

وأفكارهم بالتوفيق مع الإسلام العميق الجذور لدى الأمة وإن كان التخلف الفكري عندهم قد هدّ كيانهم وكيان الأمة، وكان من الممكن أن تنتهي الأمة على أسس الإسلام ولكن الضربات الموجعة وشدة الانحراف عن النهج الإسلامي لدى عامة الناس كانت من الشدة بحيث حالت بين تلك العناصر المفكرة على أسس الإسلام وبين العامة. فذهبت جهودهم بفائدة محدودة.

وبعد انهيار الخلافة العثمانية عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م واجه الغرب الصليبي والشيوعية والصهيونية الأمة الإسلامية بالتحدي الكبير فنشط الاستشراق[1] والتبشير[2] والمنحرفون من الأمة نفسها وأصبحوا في حلّ من القيود يعبثون كما شاء لهم العبث وأخذت أفكارهم بما أوتيت من دعاية منظمة وبتشجيع من السلطات الحاكمة تجد هوى وتأييداً لدى العامة لتصبح رأيا عاماً باسم التقدمية والنهضة والإصلاح ومقاومة الاستعمار، وقامت مدرسة فكرية جديدة بين المسلمين ترمي إلى تقريب الشقة بين تعاليم الإسلام وبين ما جاءت به حضارة الغرب من أفكار ونتائج ونظريات في ميادين الحياة، وكان عماد هذا العمل هو تفسير النصوص تفسيراً عصريا يلائم الفكر السائد ومحاولة إيجاد نقطة التقاء بين الخطين الإسلامي والمادي على تباينهما وعلى الأقل على تباعدهما - وقد ألجأ الهجوم الفكري هذه المدارس إلى مواقف دفاعية غريبة عن الإسلام إذ جردته من كثير من أحكامه الصريحة وجاءت لها بمعان جديدة بعيدة كل البعد عما تلقاه المسلمون عن النبي ﷺ وأصحابه، وذلك مثل: تعدد الزوجات، الطلاق، الربا، التماثيل، الجهاد، أهل الذمة...

وهذه الأمور كلها بلغ فيها الإسلام الغاية العليا في الأحكام والسمو ولكنها عادت في منطق العقول المهزومة وفي رؤية المدارس المغلوبة أمام الضغط

---

(١) معظم المستشرقين من المبشرين.

(٢) التبشير باعثه الحقيقي والأول في رأى القائمين به هو القضاء على الأديان غير النصرانية توصلاً إلى استعباد أبنائها ويبدو بوضوح أن أشد الأديان مراساً في إباء الاستعباد هو الإسلام ولذلك يتمنى المبشرون أن ينصروا المسلمين كلهم. ومع أن التبشير يتناول البوذيين والبرهميين أيضاً فإن المقصود الأول بالجهود التبشيرية هم المسلمون، ولقد استوى في هذه الرغبة جميع المبشرين على الرغم من اختلاف طوائفهم وتباين الأقنعة التى يرفعونها على وجوههم.
(التبشير والاستعمار ص٤٥).

الفكري الغازي ـ عادت مثالب أو نقاط ضعف في الإسلام تحتاج إلى دفاع ـ أو هي في أوهامهم ـ كانت فضائل صالحة لزمانها واحتاج التطور البشري إلى تعـديلهـا[1]. ولـووا عنق النصـوص ليؤيـدوا فروضهم التي وضعـوهـا. ووجد المفكـرون المسلمـون الخلّص أنفسهم في مؤخـرة الـركب لا في الصدارة الجديرة بهم فالإلحـاديـون والمـاديـون وأذنـاب المستعمـرين والتوفيقيون يسددون عليهم الطرق والنفعيون المرتزقة يزاحمونهم ويثيرون حولهم الضجيج، ورغم ذلك ظلوا على ولائهم للفكـر الأصيـل وإيـمانهم به فعـالجوا قضايا الفكر الإسلامي ومدى ارتباطه بواقع البشر معالجة بارعة مقنعة.

وأطلت رؤوس الأفكـار المنحـرفـة بدون حاجـز وبحـرية كاملة تدعمهم السلطـات الحـاكمـة وتـزودهم بكـل ما يريدون من وسائل نشر ودعاية وإعلان ووظـائف عليـا وحـراسـة، فدخـل الفكـر القـومي والـوطني والعلماني والمـادي والاشـتراكي والعـالمي والـوجـودي إلى صفـوف المسلمـين باسم العلم وحـرية البحث والنهضة والإصلاح والثورة على كل قديم.

وقـد جاءت فكـرتـا القومية والعالمية بمثابة تحديان أو خطران يراد بها هدم الـرابطـة الإسـلاميـة. فمبـدأ القـومية يستهدف العنصرية وهي تستهدف إيجاد الصـدع بين العـرب والفرس والترك والهنود وهم جميعا مسلمون، كما تهدف إلى إعلاء شأن التاريخ الإقليمى[2]، أما العالمية فهى تستهدف القضاء على الذاتية الإسلامية المتميزة، وهي كثيرة كانت تلبس ثوب الرحمة والإنسانية وحب السلام والـوئـام منهـا: المـاسونية والشيوعية والروحية والدعوة إلى التوفيق بين الأديان، وبـين الإسـلام والنصرانية منها خاصة[3] والدعوة إلى كليهما ـ القومية والعالمية ـ سارت في خط واحـد من أجـل معـارضـة مفهـوم الإسـلام الذى دعا إلى وحدة فكرية واجتماعية بين أهله تعلو على العنصر والقومية والدم.

---

(١) انظر فتح الله ص٩٣-٩٤.

(٢) أنور الجندي ـ تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات ص٣٠٠.

(٣) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص٣١٥.

وأدرك الغرب أن العالم العربى بخصائصه وحسن موقعه الجغرافى وأهميته السياسية يحسن الاضطلاع برسالة الإسلام ويستطيع أن يتقلد زعامة العالم الإسلامي ويزاحم أوربا وينتصر عليها إذا هو تمسك برسالة الإسلام ولقد مرّ معنا أن الغرب في عدائه للإسلام والمسلمين لم يفصل أبداً بين العروبة والإسلام، كما مرّ معنا رأي موروبيرجر. والبيانات الفرنسية في حرب الجزائر كانت تعلن مصرع كذا من المسلمين في معارك الجزائر[1]، فبعد أن حاول الفصل بين العرب والعالم الإسلامي، واجه العرب بالتحدي فأثار في مختلف أجزائه أفكاراً إقليمية ضيقة تبدد أفكاره، فبرزت فيه دعوات فكرية هدامة نذكر منها:

١ ــ الدعوة إلى الارتماء في أحضان الغرب، وأخذ حضارته دون وعى ولا تمييز، وقد ترجم هذا الاتجاه كثير من هجناء الفكر الذين تقدموا إلى الصفوف الأولى في قيادة الأمة بعد زوال الخلافة العثمانية مثل طه حسين وسلامة موسى وقاسم أمين وأحمد لطفى السيد وصهره إسماعيل مظهر في مصر.

فسلامة موسى في كتابه «اليوم والغد» **١٣٤٥هـ (١٩٢٦م)** يرى أن مصر جزء من أوربا وليست جزءاً من آسيا (أي من الإسلام)[2] ويرى: «أننا إذا أخلصنا النية مع الانجليز فقد نتفق معهم إذا ضمّنا لهم مصالحهم. وهم في الوقت نفسه إذا أخلصوا النية لنا فإننا نقضى على الرجعية في مصر وننتهي منها فلنولّ وجهنا شطر أوربا[3].

وطه حسين في كتابه مستقبل الثقافة في مصر (ظهر سنة **١٣٥٧هـ/١٩٣٨م**) فيقول: «إن سبيل النهضة واضحة بيّنة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء وهى أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم، لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره وما يحمد وما يعاب»[4] وهذا شبيه بقول أغا أو غلي أحمد أحد غلاة

(١) كشك ـ ص٧، ص١٢.

(٢) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص٢٢٢.

(٣) نفسه ج٢ ص٢٢٧.

(٤) مستقبل الثقافة في مصر ص٤١.

الكماليين من الترك في أحد كتبه:

«إننا عزمنا على أن نأخذ كل ما عند الغربيين، حتى الإلتهابات التي فى رئيهم والنجاسات التي في أمعائهم»[1].

وقاسم أمين يقول في كتابه المرأة الجديدة بعد أن تحدث عن أوضاع المرأة المسلمة في مصر: «هذا هو الداء الذي يلزم أن نبادر إلى علاجه وليس له دواء إلاّ أن نربي أولادنا على أن يتعرفوا شئون المدنية الغربية ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها، وإذا أتى ذلك الحين ـ ونرجو ألاّ يكون بعيداً ـ انجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس وعرفنا قيمة التمدن الغربي وتيقنا أن من المستحيل أن يتم إصلاح مافي أحوالنا إذا لم يكن مؤسسا على العلوم العصرية[2].

وتقاطرت البعثات على الدول الأوربية من أبناء المسلمين استكمالاً لتعليمهم العالي وما ماثله، وكانت هذه هى نهاية المطاف في الإجهاز على بقايا الإسلام وطباع الشرق وعاداته في نفوسهم حيث لايرجعون إلاّ وقد تأثروا بوجهة الغرب وفلسفته أو أخذوا طريقة العيش الأوربى (على حدّ تعبير المؤرخ توينبي) وبذلك أصبحوا رصيداً في حساب أعداء الإسلام بالسلوك والتربية لإحداث الإنقلاب الجذري في حياة المسلمين من حيث علموا أو جهلوا ومن حيث أرادوا أو انساقوا مع التيار بلا فهم ولا وعى[3]. وقد عمّ هذا الأسلوب بلاد الإسلام، ومن هذه الصور ما كتبه ك. ك. يرج: الأستاذ بجامعة ليدن يقول:

«اضطر الأندونوس من جانبهم إلى انتجاع الجامعات الهولندية لاستكمال دراستهم... نجد أولئك المعلمين ينسفون بقوة ثقافتهم الغريبة من نفوس الناس اعتقادهم بالعادات القديمة واحترامهم لها ـ ومعنى هذا أنهم يوهنون أساس المجتمع القديم وأساس الإسلام أيضاً...

(١) مصطفى صبري ـ موقف العقل والعلم والعالم ج١ هامش ص٣٦٩. وصدق رسول الله ﷺ «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ـ والله لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه وراءهم».

(٢) المرأة الجديدة ص١٩٢-١٩٣.

(٣) فتح الله ص ٧٤.

إن تغير نزعة الشباب الأندونيسي المستنير إزاء ثقافته القديمة بتأثير التعليم الأوربي وبتأثير البيئة الهولندية يشبه ما حدث عند الشباب المصري منذ نصف قرن أو ثلاثة أرباع القرن، ومسلك الشباب الأندونيسي إزاء التعليم الغربي يسير على مثل ما سار في مصر، يظهر الشباب عداءه للعقلية الغربية ولكنه لا يستطيع في الوقت نفسه الاستغناء عن الثقافة الغربية . . وهو ينزع نزعة قومية شديدة ولكنه رغم ذلك منقطع عن وجوه كثيرة ـ بسبب ثقافته الغربية ـ عن جمهور الأمة التي ولد فيها»[١] .

٢ ــ احتقار الماضي الإسلامي وتربية الأجيال تربية علمانية (لا دينية) حديثة :

والاتجاهات الفكرية التي حملت وزر هذا تلك التي دعت إلى الارتباط بالماضي التاريخي الغامض البعيد السابق على ماضيهم الإسلامي الحيّ، ودعوة إحياء الحضارات القديمة ظهرت في وقت واحد في كل من تركيا ومصر والشام والعراق وشمال أفريقية وفارس والهند وأندونيسيا[٢] . وكمثال على ذلك :

الفرعونية في مصر: التي أطلت برأسها فنشطّ دعاتها لغزو الأقطار بها وملأوا أبصار قارئي الصحف وأسماع شاهدي الندوات بالدعاية لها، ورسموا رأس أبي الهول على طوابع البريد وعلى أوراق النقد واتخذه النحات محمود مختار شعاراً لتمثال نهضة مصر الذي وضع نموذجه في باريس عام ١٩٢٠م . واتخذت كل كلية من كليات الجامعة شعاراً لها يمثل وثناً من معبودات الفراعنة ونقلت رفات سعد زغلول بعد وفاته بثلاث سنوات إلى ضريح بني على طراز فرعوني[٣] . وأصبحت هذه الجامعة الفرعونية دعوة انفصالية تنزع نحو الأنانية والانطواء على النفس وتعارض الجامعة الإسلامية والجامعة العربية[٤] . ورأت في العرب غزاة دخلاء كاليونان والرومان سواء بسواء . وتزعمت صحيفة السياسة

---

(١) (كتاب وجهة الإسلام ص١٩٠ ترجمة أبي ريدة). فتح الله ص٧٧ .
(٢) حصوننا مهددة من الداخل ص ٦٩ .
(٣) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص١٤٦ .
(٤) نفسه ج٢ ص١٤٧ .

الأسبوعية هذا الاتجاه فأفسحت صدرها لدعاته وأعان عليه رئيس تحريرها محمد حسين هيكل في شطر كبير من حياته إلى أن عدل عن اتجاهه إلى الاتجاه الإسلامي[1].

وأثيرت الفنيقية في لبنان والأشورية في العراق، والبربرية في المغرب لعزل هذه الأجزاء عن بعضها والتفريق بينها تفريقاً يحول دون التقائها في وحدة واحدة قوية. وكأن ذلك كان مبرراً للدعوة العبرية في فلسطين.

وقد عرضت المناهج - مناهج الدين والتاريخ الإسلامي بالذات عرضاً منفراً مغرضاً يجعلها على هامش المنهج الدراسي مما يغرس في نفوس الأطفال والتلاميذ والناشئة عامة عدم الاهتمام بهما ويطبعهم على الاعتقاد بعدم جدواهما دراسياً لما يرسب في نفوسهم بالتالي الاستخفاف بالدين من حيث هو سلوك وعبادات وبالتاريخ الإسلامي من حيث هو سجل لأمجاد الأمة الإسلامية[2].

٣ ــ العمل على تطوير المعاهد الدينية وخاصة الأزهر في مصر:

الأزهر كما نعرف أعرق المعاهد الإسلامية، بل هو أعرق جامعة في العالم كله، وقد استطاع بفضل الأوقاف العديدة التي وقفها عليه أغنياء المسلمين خلال عصره الطويل وبفضل ما كان يتمتع به علماؤه من هيبة ومكانة أن يحمى العلوم الإسلامية والعربية بعيدة عن أن تمتد إليها يد الملوك والحكام بالتغيير والتبديل[3]، وظل هذا المعهد الوحيد - بمنأى عن العبث ببرامج التعليم فيه، في حين امتدت يد المحتل الأوربي إلى كل برامج التعليم في مصر فشكلها حسب ما تقضى به مصالحه ورسخت مكانته حتى احتل مكاناً مرموقاً في العالم الإسلامي كله يتوارد عليه الطلاب من شتّى بقاعه ثم يعودون إلى بلادهم ينشرون فيها الوعى الإسلامي وينشرون معه فضل الأزهر ويشيدون به ويدعمون مكانته في نفوس الناس. وازدادت مكانته بعد سقوط الخلافة العثمانية

---

(١) نفسه ج٢ ص١٤٩.

(٢) فتح الله ص٧٠.

(٣) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص١٧٦.

فأصبح رمز الجامعة الإسلامية[1] والقلعة الإسلامية التي حسب لها أعداء الإسلام كل حساب، وكان فيه رجال يلتهبون غيرة على الإسلام ويجابهون أعداءه في الداخل والخارج بكل جرأة.

من أجل ذلك كله تعرض الأزهر لمقت أعداء الإسلام وصب اللعنات من قبل دعاة التغريب واللادينية حتى جعلوه رأس المشاكل الثقافية في مصر والعقبة الكؤود في سبيل النهضة. وكان المستعمر قد وضع خطة إلى القضاء على نفوذه ونفوذ المعاهد الإسلامية الأخرى كالقرويين في فاس والزيتونة في تونس - وتهوين مركزه حيث وقفوا في طريق علمائه وحالوا بينهم وبين مراكز القيادة ومناصب الحكم ووظائف الإدارة، وأشاعوا بين الناس أنهم يهدفون إلى تكريم الدين على أن يكون الإسلام على حدّ تعبيرهم بعيداً عن السياسة وبمعزل عن الحكم، فأعفوا علماء الدين من التجنيد وأسقطوا الجهاد عمن يحفظ كتاب الجهاد - القرآن الكريم - فأبعد القرآن وتعاليم الدين عن المدارس والمحاكم وسائر دواوين الحكومة[2].

وبقي الأزهر رغم ذلك مركزاً من مراكز الدعاية المعادية لبريطانية كبيرة ومتعددة الامكانيات، وكان يدرك دوره، يظهر ذلك، في البيان الذي أذاعه شيخه الأكبر سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م عندما اشتدت حملة فرنسا على الإسلام وعلى اللغة العربية بين مسلمى البربر في المغرب الأقصى[3]. فجندّ النفوذ الاستعمارى عدداً حملوا لواء السخط عليه من أبناء المسلمين، وكانت بداية ذلك سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م عندما قامت في الأزهر حركة تدعو إلى إصلاحه، وفي عام ١٣٤٦هـ ١٩٢٧م أخذت صحيفة السياسة تطالب: بصبغ الأزهر بالصبغة العصرية العلمية وهجر طرق التدريس العتيقة». مستهدفة مؤامرة قديمة كان قد عجز عن تنفيذها الإنجليز خوفاً من الهياج الدينى - وجاءت الآن تحت شعار

---

(١) الاتجاهات الوطنية ج١ ص١٧٦.

(٢) أنور الجندي - العالم الاسلامي - ص٣٤٥.

(٣) انظر الاتجاهات الوطنية ج٢ ص١٧٦ نور الإسلام العدد الخامس من المجلد الأول ص٣٤٢ - ٣٤٣.

الـوطنيـة والإصـلاح تارة وبسلاح البطش والاستبداد تارة أخرى، وهذه المؤامرة تستهدف: عزل الأزهر عن الحياة، واخضاع برامجه لرقابة تضمن إفناء شخصيته وفرنجته، بحيث يصبح الدين تبعاً للحياة وذيلاً لها، يتبعها ويتشكل بها بدل أن يقـودهـا ويقـوّمهـا. وسـار الشيخ محمد عبده في هذا المجال شوطاً عن حسن نية وربـما عن شعـور بالنقص، وربـما كان هذا من أهم أسبـاب التقـدير والتمجيد اللذين حظى بهما الشيخ من المستشرقين والمبشرين ومن كرومر عميد الاحتلال في مصر[1].

وجـاء الـدكتـور طه حسـين ولطفى السيد وأضرابهما وطالبوا أن تزال هذه الصخـرة العنيفـة التي تعـترض الجسر الثقافي العريض الذي يمتد في أوربا إلى مصر عابراً البحر الأبيض المتوسط، زاعمين أن مصر اكتشفت هويتها غربية مئة بالمئـة. فيصـوّره طه حسـين أثرا من مخلفات العهود المتأخرة المنحطة ومشكلة من المشاكل التي تتطلب حلاّ[2]، ويقول:

«ولابد من تطور طويل دقيق قبل أن يصل الأزهر إلى الملاءمة بين تفكيره وبـين التفكـير الحـديث والنتيجـة الطبيعيـة لهذا أننا إذا تركنا الصبية والأحداث للتعليم الأزهرى الخالص ولم نشملهم بعناية الدولة ورعايتها وملاحظتها الدقيقة المتصلة عرّضنـاهم لأن يصـاغـوا صيـاغـة قديمـة، ويكـوّنـوا تكوينا قديما. . . فالمصلحـة الـوطنية العامة من جهة، ومصلحة التلاميذ والطلاب الأزهريين من جهة أخرى تقتضيان إشراف وزارة المعارف على التعليم الأوّلى والثانوي في الأزهر»[3].

وصـدرت قوانـين تطـويـع الأزهـر باسم تطويره[4] تباعاً من عام **١٩٣٦م ١٣٥٥هـ** إلى عام **١٩٧٦م ١٣٩٦هـ**. وتم التطـويـع في عهـد الاستقلال وكان ثمرة من ثماره ونضرب لذلك مثلين:

---

(١) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص٢٧١ / وانظر الحاشية رقم ٢ ص٢٧١-٢٧٢.

(٢) مستقبل الثقافة في مصر ص٨٧.

(٣) نفسه ص٧٥.

(٤) العلمانية - ص٦٠١.

أ ــ إلغاء القضاء الشرعي جملة وادماج محاكمه في دوائر تابعة للمحاكم الأهلية التي قامت من أول يوم على القانون الوضعي، فقد ألغيت المحاكم الشرعية المصرية ١٩٥٥م - ١٣٧٥هـ.

ب ــ إدخال القانون الوضعي في صلب البرامج الدراسية لكلية الشريعة بجامعة الأزهر وتسميتها كلية الشريعة والقانون بموجب القانون المعروف بقانون تطوير الأزهر. وهذا عمل يقصد به تقريب الشقة بين الشريعة والقانون وحل عقدة الرفض في الرؤوس والنفوس التي يخشى دائما أن تنبعث منها قيادة جادة لحركة تحكيم الشريعة وإعادتها إلى التفرد بالهيمنة على شئون الحياة[1].

وكان من أثر الانتصار في تطوير الأزهر أن تم تطويع البقية الباقية في معاهد الثقافة الإسلامية خارج مصر بسرعة إما بدوافع ذاتية وإما بقوانين إجبارية، كجامع الزيتونة في تونس والقرويين في المغرب والمعاهد الدينية في الهند. وكان قد أثر من الحاكم الفرنسي ليوطي - صنوكرومر في مصر - قوله: إذا تم لفرنسا القضاء على القرويين فقد ضمنت لنفسها الخلود في المغرب.

ورغم ذلك فقد بقيت هذه المعاهد بشيوخها وشبابها، تحمل الفكر الإسلامي الأصيل وتواصل رسالتها، وأنشئت جامعات أخرى إسلامية تحمل الرسالة كالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وجامعة أم القرى في مكة المكرمة وجامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض. . . وكلها تهدف إلى:

أ ــ تعليم الأمم الإسلامية المتأخرة في المعارف وهدايتها إلى أصول الدين وإلى فهم الكتاب والسنة ومعرفة الفقه الإسلامي وتاريخ الإسلام ورجاله.

ب ــ إثارة كنوز العلم التي خلفها علماء الإسلام في العلوم الدينية والعربية والعقلية وهي مجموعة مرتبطة بعضها ببعض وتاريخها متصل الحلقات.

جـ ــ عرض الإسلام على الأمم غير المسلمة عرضاً صحيحاً في ثوب نقي خال من الغواشي المشوهة لجماله، وخال مما أدخل وزيد فيه من الفروض المتكلفة التي يأباها الذوق، ويمجها طبع اللغة العربية.

---

(١) فتح الله ص ١٣٢ .

د ـ العمل على إزالة الفروق المذهبية، أو تضييق شقة الخلاف بينها، فإن الأمة في محنة من هذا التفزيق ومن العصبية لهذه الفرق ودراسة أسباب الخلاف دراسة بعيدة عن التعصب تهدي إلى الحق[1].

هـ ـ تخريج الدعاة الواعين على عقيدتهم، الواعين على أوضاع أمتهم ووسائل نهضتها، وتحقيق الخير لها.

٤ ـ مهاجمة اللغة العربية والدعوة إلى العامية:

اللغة العربية اختصها الله لغة القرآن الكريم، وخصّها مرة أخرى لتكون لغة أهل الجنة، وخصّها أيضا لغة لرسوله الكريم ﷺ. ولذلك فقد رافقت رحلة الإسلام وانتشاره إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي. وبها كتب المسلمون على مختلف أجناسهم وديارهم. وأثرت تأثيراً كبيرا في اللغات الفارسية والتركية والأوردية واللغات الأفريقية في شرق أفريقيا واللغة الماليزية.

وكان المسلمون يتطلعون إلى أن الدولة العثمانية تأخذ باللغة العربية لغة للدولة. غير أن التحول الذي أصاب تركيا بعد الحرب وتغريبها وانسلاخها من العالم الإسلامي دفعها للتخلص من الأثر العربي ـ فعملت على تصفية اللغة التركية من الكلمات العربية، حيث عقد عدد من المؤتمرات التي قامت بإخراج ١٣٦٥٠ كلمة عربية[2] حلت محلها كلمات تركية وأوربية. ففقدت تركيا تراثاً ضخماً يتمثل في مئات المجلدات في الأدب والنقد والثقافة التي كتبت باللغة التركية العثمانية ـ فضلاً عن أن استعمال الأتراك للحروف اللاتينية افقدهم تصوير الأحرف المشابهة كالفاء والحاء والصاد والضاد والظاء والعين. فإن هذه الحروف لايمكن أن تجد في اللاتينية ما يصورها بحرف واحد يقوم مقامها.

ومنذ أن اتسع النفوذ الأجنبى في العالم الإسلامي واجهت اللغة العربية مقاومة بعيدة الأثر من اللغات الثلاث: الفرنسية والانجليزية والهولندية. فقد قطع الاستعمار الغربي الطريق على توسع اللغة بين مسلمي العالم بالعمل على:

---

(١) أنور الجندي ـ العالم الإسلامي ص٣٤٥-٣٤٦.

(٢) أنور الجندي ـ الاستعمار ص٣٥٨.

١ ــ نقل كثير من اللغات إلى الحروف اللاتينية وترك الخط العربي وفي مقدمتها اللغة التركية والأندونيسية.

٢ ــ شجع لغة محلية أو أكثر في كل بلد إسلامي غير عربي لتصبح لغات قومية. وهذا طبعاً يتم على حساب اللغة العربية كالأوردية والسنسكرتية والبنغالية في الهند. واللغات المحلية في أفريقيا.

٣ ــ توسيع نطاق لغته وجعلها اللغة الرسمية كما فعل في الهند الإسلامية وبنغلاديش وباكستان وفي غرب أفريقيا ووسطها وشرقها[١].

أما في البلاد العربية فقد عمد الاستعمار إلى الدعوة لاستخدام العامية والتحريض على جعلها لغة التأليف والكتابة. كما فعل في الجزائر ومصر وبلاد الشام والعراق وتونس والمغرب.

ففي الجزائر ـ واجهت اللغة العربية محاولات خطيرة كادت هذه اللغة تُمحى من الأساس محواً تاما، حتى أتيح لجمعية العلماء الجزائرية وقادتها عبد الحميد بن باديس ـ والبشير الإبراهيمي وغيرهما أن تعيد بناء اللغة العربية من خلال ثلاث مائة مدرسة أقيمت في المساجد على نحو بارع استطاع أن يتحقق تحت مدافع الاستعمار وفوهات بنادقه. وكان لذلك أبعد الأثر في التحول التاريخي الذي شهدته الجزائر. وقد أشار إلى ذلك المؤرخ الفرنسي جاك بيرك حين قال: «إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا»[٢].

أما في مصر بلد الأزهر فقد كانت الحملة أشد. وبدأت عام ١٨٨١م / ١٢٩٩هـ حين اقترح المقتطف كتابة العلوم باللغة التي يتكلمها الناس في حياتهم العامة[٣]، من غير أن تحدث هذه الدعوة أثراً. ثم هاجت المسألة مرة أخرى ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م حين ألف أحد قضاة محكمة الاستئناف الأهلية في مصر من الانجليز ـ وهو القاضي ولمور ـ كتاباً سماه لغة القاهرة وضع لها فيه قواعد، واقترح اتخاذها لغة للعلم والأدب. كما اقترح كتابتها بالحروف

(١) انظر ـ أنور الجندي ـ العالم الإسلامي ص ٣٥٩.

(٢) نفسه ص ٣٦٢.

(٣) الاتجاهات الوطنية ج٢ص٣٥٩.

اللاتينية. فحملت عليه الصحف مشيرة إلى موضع الخطر من هذه الدعوة التي لاتقصد إلّا إلى محاربة الإسلام في لغته. وفي ذلك الوقت كتب حافظ إبراهيم قصيدته المشهورة على لسان اللغة العربية[١].

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي | ونـاديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني | عقمت فلم أجزع لقول عداتي

وفي عام ١٩٢٦م/١٣٤٥هـ دعا مهندس الري الانجليزي ـ السير وليم ولكوكس إلى هجر اللغة العربية ـ وترجم أجزاء من الانجيل إلى ما سماه اللغة المصرية. ونوّه سلامة موسى بالسير ولكوكس وأيده. فعاد الناس لمهاجمة الفكرة. ولكنها اكتسبت نفراً من دعاة الجديد، فاتخذوا القومية والشعبية ستاراً لدعوتهم وخاصة بعد حركة الكماليين في تركيا. وساعد على انتشارها المسرح الهزلي الذي اتخذ اللهجة السوقية، ثم انتقلت إلى المسرح الجدّي حين تجرأت عليه وقتذاك فرقة تمثيلية تتخذ اسماً فرعونيا وهي فرقة رمسيس. ثم ظهرت الخيالة ـ السينما ـ فاتخذت هذه اللهجة. ولم يعد للعربية الفصحى وجود في هذا الميدان. ثم ظهرت هذه السوقية العامية في الأدب المكتوب فاستعملها كثير من كتاب القصة في الحوار[٢].

وتسللت الدعوة إلى مجمع اللغة العربية ـ فظهرت في مجلته الناطقة باسمه سلسلة من المقالات عن اللهجة العربية العامة كتبها أحد أعضائه هو عيسى اسكندر المعلوف المعروف بعدائه للعربية الفصحى. والغريب أن هذا المجمع ضم المستشرق جب المعروف بصفته الاستعمارية. وأعجب من ذلك أن عبد العزيز فهمي ثالث الثلاثة الذين بنى عليهم الوفد المصري ١٩٤٣م/١٣٦٣هـ اقترح كتابة العربية بالحروف اللاتينية. وشغل المجمع ببحث اقتراحه عدة جلسات امتدت خلال ثلاث سنوات[٣]. ودعا خلفه توفيق الحكيم في المجمع اللغوي إلى قاعدة سكنّ تسلم، وتبعاً لهذه القاعدة فتح

(١) نفسه ج٢ ص٣٦٠/ ديوان حافظ ج١ ص٢٥٣.
(٢) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص٣٦٢.
(٣) نفسه ج٢ ص٣٦٣.

البـاب في البـلاد العـربيـة في كليات اللغة العربية والآداب لما سمي : التراث أو الأدب الشعبي وحضرّت فيه رسائل جامعية عليا .

وقد وجدت هذه الدعوى صدى لها في بلاد الشام فمنهم المتطرف كسعيد عقـل وأنيس فريحـة والمتـدرج كبعض المهجريين . وقد ردّت هذه الدعوى بشدة وفنّدت مزاعمها[1] .

وعلى كلٍ فقد كانت الدعوات الهدامة للغة العربية تستهدف غايتين :

أ ـ تفـريق المسلمـين ، والعـرب خاصـة ، بتفـريقهم في الدين وفي اللغة والثقـافـة ، وقطع الطريق على توسع اللغة العربية المحتمل بين مسلمي العالم ، وبذلك لاتتم لهم وحدة .

ب ـ قطع ما بين المسلمين وبين قديمهم ، والحكم على كتابهم ـ القرآن الكريم[2] ـ بأن يصبح أثراً ميتاً كأساطير الأولين التي أصبحت حشو لفائف الـبردي أو بأن يصبـح أسلوبـه عتيقـاً باليا بتحويل أذواق الأجيال الناشئة عنه . والحكم على تراثهم كله بالمـوت لأن هذا القـديم المشـترك هو الـذي يربطهم ويضم بعضهم إلى بعض[3] .

---

(١) انظر هذه التفنيدات ـ الاتجاهات ص ٣٧٧ـ٣٨٠ . وقد عمد الدكتور أنيس فريحة (أحد أساتذة التاريخ واللغـات السـاميـة في الجـامعـة الأمريكية إلى إرجاع فكرة الكتابة العامية بالحرف اللاتيني تحت ستار تسهيل اللغة .
وظهر له في هذا الباب : تبسيط قواعد العربية وتبويبها على أساس منطقي جديد (طبع جونية سنة ١٩٥٢م) فيقول :
«ولا نرى حلاً للكتابة إلا بتبني الحرف اللاتيني وضبط الكلمات فيه مرة واحدة» .

وفي تسهيـل اللغـة هذا الـذي يقـترحه فريحة يقترح لأسماء الاشارة (ص٣٣ـ٣٤) عدداً أكبر من العدد الذي كتبته كتب النحو المدرسية .

وفي كتـابـه «محـاضـرات في اللهجـات وأسلوب دراستهـا» و«نحو عربية ميسرة» وفيه ينضح بالحقد على اللغة العربية الفصحى وبالبغض لأهلها وبالتهكم على تراثها والهزء برجالها (انظر الصفحات ١١ ، ١٣ ، ١٨ـ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٥٣ ، ٧٣ ، ١٢٣ ، ١٢٥ـ١٢٦ ، ١٩٤ .

وفي الصفحـة ١٩٨ يقـول : ولكن للنـاس أن يسألـوا : ماذا سيحـل بالقـرآن الكـريم؟ ومـاذا سيحل بالأدب القديم : وجوابنا هو أن القرآن الكريم سيخلد ، سيبقى على ماهو عليه كما بقيت كتب دينية عديدة رغم انحراف لغة الناس عن لغة هذه الكتب» .

انظر التبشير والاستعمار لفروخ والخالدى ص(٢٢٥ـ٢٣٢) .

(٢) وهيهات أن يتم ذلك لهم . فالله سبحانه وتعالى تكفّل بحفظه : إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» .

(٣) انظر الاتجاهات الوطنية ص٣٨٤ .

وبقى في لبنـان من يصـر إلى اليـوم على اللهجـة اللبنـانية وعلى رأسهم الشـاعـر سعيـد عقل، ويسمونها: اللغة اللبنانية. ووصل به التطرف إلى كتابة هذه اللغـة بحـروف لاتينيـة وله جريدة أسبوعية محدودة الانتشار والتأثير، تطبع بالحروف اللاتينية.

ومنهم أيضا الشاعر موريس عواد الذي يخرج قصائده بهذه اللغة الشعبية كما يسميهـا، وخـرج حديثاً برواية من ١٩٢ صفحة كتب على غلافها: (روايي باللغا اللبناني) وقد سبقه ذلك تجربة قام بها الشاعر المصري بدر نشأت شقيق د. كمال نشأت[١].

وعلى الإجمال فاللغة العربية تهان وتنقص من عدة جهات حالياً[٢].

١ ـ الـروايـات التمثيلية التي تحكي عبارات السوقة والعقليات الجاهلة. فتحيي ألفاظا كان يجب أن تموت مكانها وتؤذى المسامع باللهجات العامية المنكورة.

٢ ـ الـزعـماء الـذين لا يحسنـون الفصحى ويحلو لهم أن يتحـدثـوا إلى الجمهور ساعات طويلة. تختلط كلماتهم العربية والعامية.

٣ ـ الأشخـاص الذين يقلدون المنتصر والذين ذابت شخصياتهم ذوباناً تاماً، فيرون من الرقي أن يكون حديثهم بأي لغة إلّا العربية.

٤ ـ ورجـال المجـامـع الـذين يرون العـربيـة تنهـار أمام ألفاظ الحضارة المحـدثـة ومصطلحات العلوم الكثيرة، ومع ذلك فهم لايحركون ساكناً، مع أن العربية في خطر حقيقي.

وامتـد التـلاعب باللغـة العربية إلى لوائح الإعلانات في الشوارع العامة وأسماء المحلات والمعارض التي تكتب بخطوط عريضة ومليئة بالأخطاء اللغوية، بعـد أن أقصيت من ميـادين العلوم، ولحق أدبهـا من تشـويـه وغبن في ميـادين الآداب والفنون[٣].

---

(١) الشرق الأوسط ص١٩ السبت ٢/١١/١٩٨٥م.

(٢) محمد الغزالي ـ مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ص٩١.

(٣) نفسه ص ١٠٧.

٥ ـ اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية من الغرب:

وجـدت المـدارس الأجنبيـة في بلدان العـالم الإسـلامي، وأطلق غلاة المبشـرين والقسـاوسـة وأضـرابهم في وضـع برامـج التعليم لمدارسهم، حتى أن المـوضـوعات العلمانية التي تعلم من كتب غربية وعلى يد مدرسين غربيين تحمل معها الآراء النصرانية[١].

والـواقـع أن الاستعمار كان حريصا على توجيه التعليم لتخريج طائفة من المتعلمين يخدمون مصالح الحكومة والشركات، ويهدف أساساً إلى القضاء على الثقـافـة الإسلامية بالطعن فيها وإثارة الشكوك من حولها والشبهات في أعماقها. فسيطـر على المـدارس الـوطنيـة ـ التي تضم عامـة أبناء الأمة ممن يقدرون على التعليم ـ عن طريق رجـالـه وعمـلائـه الذين تولوا وضع المناهج الجديدة والسهر على تنفيـذهـا وخـدمـة أغـراضها القريبة والبعيدة كالخطة التي رسمها كرومر في مصر ونفذها القس الإنجليزى دنلوب وتلاميذه من بعده، ولاتزال لها آثار وذيول سيئـة تطبـع بعض جوانب التعليم المصـري ومقلديـه في العـالم العـربى. فقـد استطاع أن ينزع من برامج التعليم الدين وروح الأدب العربي وتاريخ الإسلام وصلة مصر بالعرب والعربية ثم أدخل في برامج المدارس أن مصر فرعونية. وفي كل وحدات العالم الإسلامي نجد نفس الهدف قد أعد بصورة أخرى ففي الهند الإسـلاميـة يحاول التعليم الـتركيـز على الحضـارات الـوثنيـة، وفي تركيا يجرى الاهتـمام بالتـاريـخ الطـوراني وأمجاد جنكيزخان. وفي أندونيسيا يركَّز على تاريخ ما قبل الاسلام وكلها محاولات للقضاء على العوامل الجامعة للعالم الإسلامي[٢].

وحـرص النفـوذ الاستعـماري أن يجعـل من جامعـاتـه ومعـاهـده مصدراً لتخريج القادة والحكام في العالم الإسلامي. فقد أوصى المؤتمر التبشيرى المنعقد عام ١٩٠٦م/١٣٢٤هـ في القاهرة[٣] ـ بوجوب إنشاء جامعة علمانية على نمط الجامعة الفرنسية لمناهضة الأزهر والذي قالوا عنه: إنه يهدد كنيسة المسيح بالخطر.

---

(١) التبشير والاستعمار. . فرّوخ ـ ص٦٦.

(٢) أنور الجندي ـ العالم الإسلامي ـ ص٣٣٥.

(٣) الغارة على العالم الإسلامي ص٢٢.

ولـذلـك حرصت الجـامعـات منذ إنشائها على اقتباس الأنظمة والمناهج الـلادينيـة ، فحـين قام سعـد زغلول ولطفى السيـد وزمـلاؤ هما في مصر بإنشاء الجـامعـة المصرية كان النص الأول من شروط إنشائها : هو ألاّ تختص بجنس أو دين بل تكـون لجميـع سكـان مصـر على اختـلاف جنسيـاتهم وأديانهم فتكون واسطة الألفة بينهم . فخلت الجامعة من علوم الإسلام[1] .

ويقــول اللورد لويـد ممثـل بريطـانيـا في مصـر في حفـل كليـة فكتـوريـا بالاسكنـدريـة عام ١٩٢٦م : «إن أبنـاء هذه الكليـة من ثمانيـة أجناس أو تسعة أجناس مختلفة . . . كل هؤلاء لايمضى عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظـر الـبر يطـانيـة» فهـو يكشف عن الغاية من التعليم البر يطاني ـ خلق جيل يؤمن بانجلترا ويتعاطف معها مغضيا عن استعمارها ونفوذها في بلاده[2] .

والجامعة الأمريكية في بيروت معروفة الأهداف والمرامي[3] .

كان التعليم الحـديث علمانيـاً منـذ البـدايـة ، وتعـدّى الأمـر المناهج إلى أسلوب الـتر بيـة وفلسفـة السلوك فقـد طبق الاختـلاط بين الـذكور والإناث في معظم جامعـات العـالم الإسلامي ، وأدخلت التقاليد الغربية المنافية للإسلام في صلب النظـام الجـامعي ، أو شيـدت في إطـاره معـاهـد عليـا للرقص والتمثيـل والنحت والمـوسيقى باسم براق ـ الفنـون الجميلة ـ فقـد قال قاسم أمين : «لعل أكـبر الأسبـاب في انحطـاط الأمـة المصـرية تأخرها في الفنون الجميلة ـ التمثيل والتصـويـر والمـوسيقى»[4] . وقـد أصبـح في مصـر وفي غيرهـا من أقطـار العـالم الإسلامي جيوشاً من هؤلاء فماذا كانت النتيجة؟ .

وأدخلت أنظمـة التعليم في العـالم الإسـلامي ـ العلوم ـ بصورتها الغربية المعــاديـة للدين دون تفـريق بين دين ودين ، صحيـح أن الاستعـمار فرض تلك الأنظمة فرضاً ولكنها لاتزال بعد رحيله كما كانت أو أشد بل أنها لتطبق في بلاد لم تطأها لمستعمر قدم كتركيا . ودخلت الأفكار الغربية في هذه المناهج :

---

(١) أحمد لطفي السيد ـ مؤلف حسين فوزى النجار ص٢٦٢ / العلمانية / سفر الحوالي ص٦٠٧ .

(٢) أنور الجندي ـ العالم الإسلامي ص ٣٣٨ .

(٣) التبشير والاستعمار ص٩٥ ـ ١٠٩ .

(٤) كتاب «قاسم أمين» ـ ماهر حسن فهمي ـ ص٣٩ .

فالفـرويـديـة تجدها مقررة في أقسام علم النفس في الجامعات قاطبة على أساس أنها نظرية علمية.

والـداروينيـة، تدرسها مناهج العالم الإسلامي على أنها حقيقة علمية في مواد كثيرة كالأحياء والتاريخ الطبيعى وعلم الأرض سواء ذكر داروين أو لم يذكر.

وفي أقسام الاجتماعيات تدرس نظرية دوركهايم بل يدرس علم الاجتماع بكامله على المنهج الغربي المبني على أساس لاديني.

وفي أقسـام الكيميـاء والفيـزيـاء والفلك والطب... الـخ تدرس مناهج محشـوة بايحـاءات فلسفيـة أووثنيـة، في العبـارات المسمـومة مثل: المادة لاتفنى ولاتستحدث. خلقت الطبيعة كذا... هيأت الطبيعة.

وكـذلـك تعمـد المنـاهـج إلى تفسـير الـزلازل والبراكين وسقوط النجوم والكسوف تفسيراً ماديا صرفا ـ فكل المناهج تتصف بالطابع المادي.

وأما المقررات الأدبية البحتة فنجد أنها فاقت المقررات العلمية، فصيغ التاريخ[1] في قالب غربي مقسم إلى ثلاثة عصور كبرى:

أ ــ العصور القديمة.

ب ــ العصور الوسطى.

جـ ــ العصور الحديثة.

وكلها تبين أهمية الحضارة الأوربية وتغفل الحضارة الإسلامية المميزة.

كما حشيت مقـررات التـاريـخ بدسـائس المستشـرقـين وسمـوم المبشرين وكتبت بأسلوب شديد التأثر بالأساليب الغربية التي تفسر التاريخ تفسيراً مادياً أو فلسفيـاً خاصـاً أو اقتصادياً، وكتب التاريخ الإسلامي على شكل سلسلة عنيفة

(١) لقـد دعـا الإسـلام إلى الـوعي بالتـاريـخ المـاضي والقائم جميعاً وصولاً إلى الحتمية الوحيدة وهي الحياة الآخرة، التي تكون هذه الحياة الدنيا منطلقها ومجالها العملي وتكون هي المقر الأخير بالحساب والجزاء، ومن هنا فإن للإنسان دوره في صناعة التاريخ وبناء المجتمعات وإنشاء الحضارة وله أيضا مسئوليته عن الوجهة التي يتجه إليها في هذا العمل. (الجندي التحديات ـ ص٩٦).

من الصراعات والدسائس والفتن وأغفلت الدعوة الإسلامية تماماً، ودور المسلمين في الرقي البشري، وما قدمته الحضارة الإسلامية في انتشال الأمم من وهدة الجهل والانحطاط والجاهلية.

ونجد في كتب التاريخ احياء الثغرات الإقليمية الجاهلية وعرضها من زواياها البراقة التي تغري باعتناقها والاعتزاز بها والاهتمام بمعرفته كما حدث بالنسبة لتاريخ الفراعنة والأشوريين والسومريين والبابليين والفنيقيين والكنعانيين وغيرهم.. وأخطر من هذا أن المناهج تقوم بنصب مثل عليا جديدة أمام أجيال المتعلمين المسلمين فتعرض لهم تاريخ أوربا وحياة أبطالها وعلمائها ومذاهبها الفلسفية والاجتماعية ونظرياتها العلمية بطريقة لامعة جذابة ليتم استقطاب المسلمين عن دينهم بإحدى الطريقتين[1]:

أ ـ طريق الاعتزاز بما قبل الإسلام وفي هذا فرقتهم وتباعدهم.

ب ـ طريق الفناء في الحضارة الغازية وفي هذا محوهم وردتهم، وحتى مادة المطالعة فكأنما هي ملخص موجز للغزو الثقافي الغربي إذ تحوي موضوعات منوعة يجمعها الاعجاب بالغرب وتمجيد حضارته ورجالها والاقليمية والطبقية، وتخلو من التصورات الإسلامية والقيم الإيمانية إلا قليلاً.

٦ ـ استيراد المذاهب اللادينية في الفكر والأدب:

كان من أخطر الأدوات العصرية التي اعتمد أعداء الإسلام عليها الصحافة باعتبارها أكثر شيوعاً وأبعد تأثيراً سواء كانت محلية أو مستوردة مجلوبة من وراء البحار والحدود، تحمل للمسلمين قيماً جديدة وتحفل بضروب من الأفكار المخربة وأحاديث الجنس الفاضحة والصور العارية والقصص البذيئة والمقالات والبحوث التي تتناول كثيراً من المقدسات بالنقد والتجريح في غير ما حرج[2].

---

(١) فتح الله ص ٧١ .

(٢) فتح الله ص ٨٤ .

يقـــول جب: «وللوصـــول إلى هذا التطـــور الأبعـــد . . يجب ألا ينحصـــر الاعتماد على التعليم في المدارس - بل يجب أن يكون الاهتمام الأكبر منصرفاً إلى خلق رأي عام والسبيـــل إلى ذلـــك هو الاعتـــماد على الصحافة» . ثم يقول : «إن الصحافة هي أقوى الأدوات الأوربية وأعظمها نفوذاً في العالم الإسلامي»[١] .

وبالصحافة سارت النهضة الفكرية والأدبية الحديثة مساراً غريباً حتى آل الأمـــر إلى الـــواقـــع الفكـــري والأدبي المعاصر، فنقلت الدارونية والفرويدية إلى مجال الأدب بطـــريق الـــترجمـــة أولاً ثم الـــدراســـة المستفيضة كما استورد المسلمون المذاهب الفكرية الحديثة مثل الإلحاد والشك واللاأدرية واللامعقول . . فعملوا بذلـــك على تفـــريـــغ الكلمـــة العـــربيـــة والحـــرف العربي من مدلوله ومعناه باسم الـــرمـــزيـــة وبـــاسم العقـــل البـــاطن وباسم القاموس الخاص بالمفكر أو الأديب[٢] وتعرض الأدب إلى ظاهرة التقسيم والتجزيء .

وكـــان من ضمن القـــائمـــين بهذه الحـــركـــة اسماعيـــل حمد أدهم (ت عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م) وهـــو مستعـــرب من أصـــل مزيـــج تركي روسي ، كان على صلة بالاستشراق الروسي . وجاء إلى مصر من تركيا بعد إعلان العلمانية وحاول نشر الالحاد فيها : فألف رسالة صغيرة عنوانها : لماذا أنا ملحد؟ وطبعها في مطبعة التعاون بالاسكندرية بين فيها أنه من جماعة : المجمع الشرقي لنشر الإلحاد[٣] .

وأمـــا إســـماعيـــل مظهـــر (ت ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) فقـــد ركـــز على فكـــرة الدارونية والأصل الحيواني للإنسان[٤] في مقالاته فيقول بخبث وتلاعب بالألفاظ :

اكتفت الأديان بالقول بأن الغاية من خلق الإنسان والجن هي أن يعبدوا الله ، فكـــرة حسنـــة ولكنها غير صحيحة[٥]، إذ لو صح هذا ، إذن لاعتقد بجانبه بأن الله في حاجـــة لأن يعبـــده الإنس والجن! ولظهـــر النظـــام الكـــوني في مجمـــوعه

(١) انظر الاتجاهات الوطنية ج٢ ص٢٠٣-٢٠٥ عن وجهة الإسلام .
(٢) د. عدنان زرزور - قضية ورأي - الشرق الأوسط ص١٥ السبت ٢٦/١٠/١٩٨٥م .
(٣) العلمانية - سفر - ص٦١٣ .
(٤) انظر نفسه ص ٦١٤ .
(٥) مخالفة صريحة لقوله سبحانه وتعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلّا ليعبدون﴾ .

بمظهر شيء ما خلق إلاّ ليعضد الحياة الإنسانية التي يجب أن تسخر لعبادة الله ، وهذا في معتقدي أبعد الأشياء عن أن يكون الغاية من وجود الإنسان[1] .

وتحرر منصور فهمى (ت عام ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) في اطروحته : (حالة المرأة في التقاليد الإسلامية وتطوراتها بإشراف المستشرق اليهودي ليفي برول من الالتزام بحقيقة الوحي في تفسير سلوك النبي ﷺ وعلاقاته وتشريعاته [2] .

وطرح الشيخ على عبد الرازق قضية العلمانية لأول مرة في صميم الفكر الإسلامي في كتابه الإسلام وأصول الحكم ، ولاترجع خطورة الكتاب لدقته في البحث ، فالكتاب يمتاز بجمال أسلوبه أكثر من امتيازه بالتزام المنهج العلمي ، فهو يعتمد على المستشرقين فيما لا يوثق بهم فيه ، بينما يفرط تفريطاً ظاهراً في الرجوع إلى المصادر العربية الأصيلة على كثرتها وأهميتها وتوافرها[3] . ويكثر من وضع الفرضيات التي تنقلب بعد قليل عنده إلى نظريات مسلمة ، وهو جريء وعنيف في مصادمة عواطف الناس وفي تحدي مشاعرهم وفي التشكيك ـ الساخر أحياناً ـ فيما تطمئن إليه نفوسهم دون أن يقدم الأدلة القوية الواضحة على ما يذهب إليه . وقد صدر الكتاب في ظروف إسلامية حرجة بعد سقوط الخلافة العثمانية . وخطورة الكتاب في الواقع تكمن أنه استند لأول مرة في التاريخ الفكري الإسلامي إلى حجج ومبر رات دينية شرعية مستمدة من الكتاب والسنة والتاريخ الإسلامي لتبر ير العلمانية ضمن اطار الإيمان الديني ذاته وليس من منطلق العلمانية الخالصة المنافية للدين . وفي هذا تكمن خطورة أفكاره .

كما أصدر الدكتور طه حسين كتابه في الشعر الجاهلي عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م مستخدماً منهج الشك الديكارتي والنقد التاريخي الأوربي في غربلة الروايات والنصوص الدينية بما في ذلك آيات القرآن الكريم . وهنا

---

(١) العلمانية سفر ص ٦١٤ .

(٢) الجندي ـ العالم الإسلامي ص٣٤٣/ د. محمد جابر الأنصاري تحولات الفكر ص٢١ والأطروحة بالفرنسية سنة ١٩١٣م ولم تترجم للعربية .

(٣) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ٨٥ .

والشيخ علي خريج أزهري وقاضي شرعي . أصدر كتابه ١٩٢٥م بعد أن أصدرت الحركة العلمانية الكمالية كتيباً بررت فيه لجوءها إلى العلمنة ببعض المبر رات المستمدة من مبادىء الإسلام ذاته . د. الأنصاري ص٢١ .

تكمن خطورة هذا الكتاب وليس في مجرد تشكيكه بمصادر الشعر الجاهلى. ومن هذا المنطلق كان طه حسين يؤكد وقتها أن العلم في ناحية والدين في ناحية أخرى وأن التوفيق بينهما محال[1].

واستمرت أفكار الغرب المنحرفة تظهر في الأدب العربي من إسماعيل مظهر إلى لطفي السيد ومنصور فهمي وأمين الخولي وطه حسين إلى صادق جلال العظم[2]، تخفى بعضهم تحت أقنعة البحث العلمي أو التمذهب الأدبي حتى لا يصدم مشاعر المسلمين فتنصرف عن انتاجه وبعضهم هاجم مشاعر المسلمين وعقيدتهم بكل جرأة وصراحة كما سبق بل أن بعض الأدباء في محاضراتهم وكتاباتهم زيفوا التاريخ ووضعوه في إطار عجيب من الأفكار المتناقضة المنحرفة كجورجي زيدان في رواياته عن تاريخ الإسلام. والدكتور لويس عوض المستشار الثقافي للأهرام إذ جعل - في محاضراته بمعهد الدراسات العربية - المعلم يعقوب العميل الذي استغله المحتل الفرنسى في غزو نابليون مصر بداية القومية المصرية والكفاح القومي وهو نفسه الذي كوّن فيلقا لضرب الشعب المصري وتحطيم ثورته ونهب أمواله. كما يعتبر الحملة الفرنسية هي بداية تاريخ مصر القومي وتحررها[3] ويشيد الدكتور عوض بمحاكمة الفرنسيين لسليمان الحلبى قاتل كليبر ويفسر الصراع أثناء الحملة الفرنسية بأنه بين قوتين أجنبيتين: الفرنسيون والأتراك. الأول يحمل مبادىء الثورة الفرنسية ويسعى لايقاظ القومية المصرية والثاني يختص بكل الموبقات والصفات الكريهة.

كما يضع الدكتور لويس عوض السيد عمر مكرم ومحمد كريم والمحروقى وحسن طوبار وسليمان الحلبى في كفة والجنرال يعقوب وفرط الرمان في كفة أخرى على قدم المساواة بل يفضل من كان في جانب فرنسا لأنهم يمثلون حسب رأيه الجانب الأفضل لأنهم كانوا مع التطور.. مع التاريخ.. مع بعث القومية.. فيعقوب هو حامل بذور القومية المصرية.. ويستحق أن يوضع كما يقول الدكتور: مع محمد علي وعلي بك الكبير وعبد الناصر لأنهم كانوا جميعا أدوات في

---

(١) انظر / محمد الخضر حسين شيخ الأزهر - نقض الشعر الجاهلي لطه حسين.

(٢) في كتابه نقد الفكر الديني - انظر: الميداني - صراع مع الملاحدة حتى العظم.

(٣) كشك - الغزو الفكري ص١٣٢، انظر الجبرتي ج٣ ص١٥.

يد هذا الشعب العظيم[1]!!.

وفي المســرحيــات تمسخ القيم والمبـادىء ففي مسـرحيـة لعبـد الـرحمن الشرقاوى مثلاً:

لم يذكـر من أهـداف المقاتلين الجزائريين شيئاً من الإسلام والعروبة ـ بل يعـرى الثـورة الجـزائـريـة من حقيقتهـا حين يصـرّ على أن أهـدافها: الحرية ـ الإخـاء ـ الأمن والحب ـ وحيـاة أفضـل ـ بل ويجعـل البطلة الفـرنسيـة العـاهرة سيمـون هي بطلة القصـة ـ مات زوجهـا في الهنـد الصينيـة فجاءت إلى الجزائر لتقـوم بأهم عمـل ثورى في المسـرحيـة ـ وتنشد هذه: من أجل فرنسا ما أصنع! وتتعانق مع هند الجزائرية.

ويشتد في المسرحية الحرص المبالغ فيه على كرامة فرنسا وشرفها، وإظهار الحنان المسيحى من الفرنسيين ـ أما الإسلام فلا شىء في حياة الثورة الجزائرية. إلّا للجواسيس والمجانين.

والمسـرحيـة تحجب طبيعـة الحرب الصليبية التي تشنها فرنسا ممثلة الغرب الصليبي ضد الثورة الإسلامية الجزائرية وجهادها[2].

وظهرت أيضا الأفكار الغربية المنحرفة عند الشعراء وخاصة شعراء العراق كالرصافي والزهاوي.

فامتلأ ديـوان جميـل صدقى الـزهـاوي (ت عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) بالأفكار الالحادية التي لا تخرج في جملتها عن نظرية دارون فمن رباعياته:

ما نحـن إلّا أقـرد من نسـل قرد هالـك
فخـر لنـا ارتـقـاؤهـا في سلم المـدارك

---

(١) نفسه.

(٢) انظر نفسه ص٨٧-١٢٣.

ويتأثر بنظرية هيجل الأثيرية في قوله:

ولعل الأثير في كل أرض وسماء كالله في التأثير
ولعل الذاتين واحدة في الأصل والخلف جاء في التعبير

وكان من نتيجة شيوع هذه الأفكار في الفكر والشعر والصحافة التمهيد لانتشار الأفكار المادية ولاسيما الشيوعية وتغذيتها بروح الشك العام في كل شيء تقريبا حتى أصبح الشباب المتعلم في العالم الإسلامي فريسة الشكوك القاتلة والوساوس الشيطانية فانتظم كثير منهم في صفوف المنظمات اليسارية أو القومية وغيرهما من الأحزاب اللادينية لاسيما بعد الحرب العالمية الثانية حتى أصبحت الاشتراكية موضة العصر كما يقولون.

فبعد نجاح الثورة البلشفية في روسيا عام ١٩١٧م/١٣٣٦هـ تحولت للاهتمام بالشرق وأسست الأممية الثالثة عام ١٩١٩م/١٣٣٨هـ وهو التاريخ الذي اتخذ منه اليساري اللبناني يوسف يزبك تقويما جديداً محل التاريخين الميلادي والهجري. وقد انحصرت الأفكار الشيوعية قبل ذلك في نطاق العلمانيين النصارى، فأصدر سلامة موسى عام ١٩١٣م/١٣٨٢هـ كتابه الاشتراكية. ثم بدأت تتسلل في أوساط المتعلمين المسلمين على نطاق ضيق أولا فقام الكاتب المصرى مصطفي حسنين المنصورى (ت عام ١٩٦٤م/١٣٨٤هـ) بتأليف كتابه: تاريخ المذاهب الاشتراكية ليصبح بهذا العمل أول اشتراكى مسلم في العالم العربي. وتأسس الحزب الاشتراكي المصري عام ١٩٢٠م/١٣٣٩هـ. وترجم خالد بكداش زعيم الحزب الشيوعى السوري البيان الشيوعي عام ١٩٣٣م/١٣٥٢هـ.

وبدأت أفكار القومية تغزو المسلمين بمفهوم علماني على أيدي النصارى أولاً إلى أن تبناها ساطع الحصري (١٨٨٠-١٩٦٨م / ١٢٩٨-١٣٨٨هـ) الذي أنكر أن يكون الدين عنصراً في القومية[١]، وتكونت الأحزاب ذات الأفكار

---

(١) خدوري د. مجيد - الاتجاهات السياسية في العالم العربي - الترجمة العربية ص٢٠٨.

المستوردة كالحزب القومي السوري عام ١٩٣٢م/١٣٥١هـ وتبلور حزب البعث عام ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ.

وساهمت المذاهب الأدبية مع المذاهب الفكرية في انزلاق المسلمين إلى التردى الفكري فالرومانسية وجدت لها صدى في روايات جرجي زيدان التي شوه فيها التاريخ الإسلامي ليحاكي الرومانسيين الانجليز، وترجمت أعمال معظم أدباء أوربا المشهورين من شكسبير إلى تولستوي ومع أن بعضها روائع إنسانية فقد كان الاتجاه الإباحي هو الطاغي على الترجمات كما في أعمال الكسندر دوماس وأميل زولا وأناتول فرانس. وظل الاتجاه الإباحي يسيطر على حركة الترجمة تقريباً تحت ستار الواقعية حتى الحرب العالمية الثانية. ثم ظهرت اصداء اللامعقول على أثر نضوجها في الغرب حينذاك. كما ظهرت الكتابة الاسطورية التي اتخذها سارتر وكامو أسلوب التعبير عن فلسفة الضياع والعبث، إلّا أنهما استخدما أساطير اليونان، أما العرب أمثال طه حسين (في على هامش السيرة وعلي وبنوه) وتوفيق الحكيم (في أهل الكهف وزينب. .) فقد استخدموا التاريخ الإسلامي والقصص القرآني.

وقد أسهمت وسائل الإعلام ـ من صحافة وتليفزيون وإذاعة ومسرح التي يدير معظمها أناس علمانيون ـ اسهاماً قوياً في تنمية الاتجاه الإباحي في الفكر وتعميمه وبالتالي في هبوط الأدب أسلوباً ومضموناً كما في كتابات إحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ وشيعتهما نثراً وأعمال نزار قباني وزمرته شعراً.

وظهرت شعارات علمانية تطالب بفصل الأدب عن الدين بل عن الأخلاق، فنجد شعارات: الفن للفن، الأدب غير الملتزم، والأدب للشعب، والأدب للواقع. . ومن الذين نادوا بفصل الأدب عن القيم الدينية سلامة موسى.

وكما برزت الوجودية[1] في انتاج أنيس منصور والماركسية في كتابات نجيب

---

(١) انظر زيارة سارتر وعشيقته سيمون إلى مصر/ الغزالي ـ الإسلام في وجه الزحف الأحمر ص٣٦-٣٧.

محفوظ، برز الاتجاه الضائع الناهج نهج اللامعقول في شعر: بدر شاكر السياب العراقي والشاعر اللبناني الملقب أدونيس واسمه الأصلي أحمد سعيد علي.

والاتجاه إلى اللامعقول لم يفض إلى الثورة على الأدب الأصيل في مضمونه ومحتواه بل تعداه إلى الشكل والأسلوب فظهر ما يسمى بالشعر الحرّ الذي بدأه باكثير وبدر شاكر السياب بترجمة الشعر الأوروبي إلى عربية منثورة، بعد الحرب العالمية الثانية في الوقت الذي كان يتسلل فيه إلى العالم العربي صراخ وعويل من ركام أوربا شعراً ونثراً وقصصاً ملأى بالثورة والنقمة والشبق وبكل ما يدهش ويثير.

ومن الذين اشتهروا بهذا الشعر نزار سليم وحسين مروان وبلندر الحيدري وعبد الوهاب البياتي ورفعت الجادرجي وحسين مروان في العراق ونزار قباني في الشام ومحمود درويش في فلسطين المحتلة.

وفيما يلي قطعة من هذا الشعر تبين انسلاخ الشاعر من عقيدته وموطنه، والقطعة للشاعر محمد الفيتوري يقول فيها:

نار خطايانا
تسيل في حنايانا
فلنتكىء على عظام موتانا
ولنصمت الآنـــا
برج كنيسة قديمة وراهب قلق
وغيمة تشد قدميها وتعبر الأفق
ورجل بلا عنـــق...
وامرأة على الرصيف تنزلق
وقطة في أسفل السلم تختنق
وصوت ناقوس يدق
يرسم دورة على الفضاء، ويدق

يقول الشيخ محمد الغزالى: بعد أن أورد هذا الشعر...: ودعك من

أضغـاث الأحـلام التي ينقلك إلى جوها هذا الكلام المفكك، ودعك من تقطع الروابط العقلية بين هذه الألفاظ المتصيدة فهي كما قيل: سمك، لبن، تمر هندي..

ولكن الشيء الذي لاتدعه والذي يثير انتباهك حتماً هوجراثيم الاستعمار الثقافي أو الغزو الصليبي[1] الذي سيطر على هذا الشاعر الهائم، فهوفي القاهرة المدينـة المعروفة بشمسها الزاهية، ومآذنها السامقة وصبغتها الإسلامية الأولى، ولكن التبعيـة الفكـريـة والنفسية الغالبة على هذا الشخص التائه جعلته لايرى إلّا الغيـوم وأبـراج الكنـائس والـرهبـان القلقـين ورنـين النواقيس وكأنه في لندن أوروما لا في مصر[2].

إن ما وصـل إليـه حرب الفكـر هذا كان أكـبر وأشد من القتل لأنها فتنت أجيـالاً متتـابعـة من المسلمـين ولاتزال ـ فتنة عارمة وتركتهم على الردة الصامتة البـالغـة غايـة الفكـر حين دثـروهـا لهم بثوب زور ودلسوها عليهم باسم التقدم والحضـارة ثم بلغت الغفلة غايـة مداهـا حين قابل المسلمون ذلك بالإقبال وكان خليقاً أن يستثير فيهم عزائم النزال[3] والجهاد.

(١) كانت فرنسا قد عملت لمدينة الجزائر شعاراً انتشر في العالم كله بواسطة الطابع البريدي الذي رسم عليه صليب ضخم في السماء منتصراً على هلال صغير منكس فوق البحر. يشير بذلك إلى انتصار الصليبية على الإسلام (عمار أوزيجان ـ الجهاد الأفضل ص٢٩ـ٣٠).

(٢) الغزالي ـ حصاد الغرور ص١٩٤ـ١٩٥/ وانظر مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ص٩٧ـ١٠٦.

(٣) فتح الله ص ٣٠.

ورغم هذه الأعراض الفكرية التي غلبت على واقع المسلمين اليوم، إلّا أن الفكر الإسلامي الأصيل بقي حياً وشق طريقه وبقي في أوساط الأمة بأصالته حتى اضطر أصحاب الأباطيل أن يغيروا وأن يبدّلوا في أساليبهم بل أن ينحنوا في كثير من الأوقات أو أن يتراجعوا عن أفكارهم[1].

---

(١) مثل طه حسين الذي انحنى وغيّر أساليبه مراراً أمام الفكر الإسلامي. ومحمد حسين هيكل (ت١٩٥٦م/١٣٧٦هـ) الذي طرح مفهوماته في الأدب الفرعوني وترجم أبحاثاً عن النظرية الوضعية لأوغست كونت وألف كتابا عن حياة روسو وشرح فكرته في الدين الطبيعي ـ عاد وكتب حياة محمد وفي منزل الوحي وقال في زيارته للمدينة المنورة: «لقد كنا نطلب العلم في باريس فرانت علينا شوائب الغرب ولما عدنا إلى أرضنا وقرأنا تراثنا جاءت العودة وقراءة التراث ورائحة التراب تردنا، كانت ثقافة الغرب كالرمال غطت الحجر الصلب. . وعودتنا كالريح أزالت الرمال عن قلوبنا، فإذا الحجر الصلب قلوبنا في مكانها ـ (من مقال بقلم محمد حسين زيدان بعنوان: الدكتور محمد حسين هيكل في ذاكرة الأزهر/ الشرق الأوسط ص١٣ الأحد ٢ ذي الحجة سنة ١٤٠٥هـ ١٨/٨/١٩٨٥م).

والدكتور مصطفى محمود الذي كتب بعنوان شمعة تحترق مقالاً تحدث فيه عن دور الصدفة في حياة الناس وعلاقتها بالتخطيط وتكلم عن الكوليرا التي أصابت مصر، وتابع فيها الرواية الانجليزية للسخرية من الحج والحجاج المسلمين وزمزم. . . (انظر كشك أساليب الغزو الفكري ص٤٧).

عاد إلى الإسلام وفي رحلة العودة غرق في التصوف ومتاهات الباطنية (انظر كتابه ـ القرآن ـ محاولة لفهم عصري ـ دار الشروق ـ بيروت مايو (أيار) ١٩٧٠م).

الدارونية في تفسيره « ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين» ص٧٣.

والشجرة ــ ص ٨٠ .

وفكرته عن الجنة والجحيم ص٨٦. وانظر عن المتصوف والراهب واليوجي ص١٣٢-١٣٣.

وخالد محمد خالد: صاحب كتاب (هذا أو الطوفان) وكتاب الديمقراطية أبداً. انتقل إلى الكتابات الإسلامية ـ رجال حول الرسول. . ومقالاته القيمة في جريدة «المسلمون».

الفصل الثاني
واقع العالم الإسلامي
من الناحية الإجتماعية

يستحيل على الإنسان أن ينفرد بنفسه انفراداً تاماً وفي هذا آية من آيات الخالق المبدع جل جلاله، فحاجته إلى غيره حاجة العضو إلى العضو والخلية إلى الخلية فالاجتماع تعبير عن غريزة مستكنة في أعماق نفس الإنسان والجماعة صفة لازمة من صفاته، وإذا وجدت الجماعة وجدت الصلات بين أفراد هذه الجماعة، وقد نظم الإسلام سلوك الناس والنظام هو العنصر الثالث في سنة بناء المجتمع، فلابد إذن أن يتوفر في المجتمع : أفراد وصلات اجتماعية يحددها العرف المتبع وأنظمة تضبط سلوك الأفراد وتبيح لهم الانطلاق في ميدان وتكبح جماح انطلاقهم في ميدان آخر. وينبثق عن كل ذلك سلطة يفترض احترامها[1]

ولابد من الإدراك المتبادل والشعور بالانتماء إلى هيئة واحدة وهذا الشعور لا يتم إلا بوجود مبدأ يصدر عنه أفراد الجماعة وعقيدة يشترك جميع الأفراد في احترامها والحفاظ عليها والدفاع عنها وهذه العقيدة المشتركة هي العنصر الرابع في بناء المجتمع وهي أعظم العناصر السابقة أهمية وأكبرها خطراً ذلك أنها تتحكم فيها كلها وتوجهها جميعها الوجهة التي ترضاها، فهي التي تحدد الصلات الاجتماعية وهي التي ترسم نهج السلوك، وهي التي تضع قواعد المجتمع وتقيم نظمه وتهدي إلى مثله[2].

والمجتمع الإسلامي هو ذاك المجتمع الذي تميز عن المجتمعات الأخرى بنظمه الخاصة وقوانينه السماوية وأفراده الذين يشتركون في عقيدة واحدة ويتوجهون إلى قبلة واحدة ولهذا المجتمع وإن تكوّن من أقوام متعددة وألسنة متباينة خصائص مشتركة وأعراف عامة وعادات موحدة[3] ففيه مقومات

---

(١) د. محمد أمين المصرى ـ المجتمع الإسلامي ـ ص ١٢، ١٤ .

(٢) نفسه ص ١٦ .

(٣) نفسه ص ١٧ .

المجتمع القوي المتماسك، بطابع واضح متميز فلو أن إنساناً سار في العالم الإسلامي وتنقل في تطوافه من مدينة جاكرتا متجهاً إلى أقصى الغرب حتى بلغ مدينة طنجة ومرّ في مسيرته هذه على مختلف البلاد الواقعة على محور جاكرتا ـ طنجة لوجد ظاهرات اجتماعية تكاد تسيطر على هذه البلاد جميعها[1].

فقد جاء الإسلام بتربية الإنسان تربية فطرية سليمة فأقام بناءه على تقوى الله ونظر إلى الكون والإنسان والحياة نظرة كلية شاملة لجميع نواحيها، وأعطى تفسيراً مقنعاً لما قبل الحياة وما بعد الحياة، وتظهر هذه النظرة الكلية بوضوح في:

١ ــ أن الإسلام جاء لجميع البشر: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[2].

٢ ــ اهتم الإسلام بالناحية المادية والروحية في حياة الإنسان، واهتم بالحياة الدنيا والآخرة. ﴿**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**﴾[3].

٣ ــ اهتم بالإنسان كفرد وعضو في مجتمع، كما اهتم بالمجتمع[4].

ورسم الإسلام مثلاً أعلى غير ذلك المثل الأعلى للجاهلية فالشجاعة والمروءة التي لاحد لها، والكرم إلى حد الإسراف، والولاء التام للقبيلة، والثأر، قام الإسلام بوضع قيم أسمى منها: فالخضوع لله والانقياد لأوامره واجتناب نواهيه والتحلي بالصبر بما يحمله من معنى الشجاعة وضبط النفس وتحمل المشاق في سبيل بلوغ الهدف وإخضاع المنافع الشخصية لأوامر الله، والقناعة وعدم التفاخر بالتكاثر بالأموال والأولاد، وتجنب الكبر والعظمة[5]. كل ذلك

---

(١) نفسه ص ٣٣.

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣.

(٣) سورة القصص الآية ٧٧.

(٤) وبذلك يتميز الإسلام عن الاشتراكية التي تهتم بالمجتمع دون الفرد وتنظر إلى الفرد كسن في دولاب، فغاية المجتمع تبرر الوسيلة.

وعن الرأسمالية التي تهتم بالفرد دون المجتمع. ولا مانع لهذا الفرد أن يستعمل كافة الأساليب للوصول إلى أهدافه ـ الغاية تبرر الوسيلة ـ.

(٥) انظر ما قاله جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لنجاشي الحبشة/ ابن هشام ج١ ص٣٣٦.

من مقومات الشخصية المسلمة المتميزة المتوازنة فأقام بذلك نظاماً إسلامياً يتصل بجميع نواحي حياة الإنسان وتنبع قيمه من التقوى والإيمان بهذه القيم باعتبارها جزءاً من العقيدة التي تنظم حياة الفرد والمجتمع، وفي ظل هذا النظام يكون سلوك الإنسان صادقاً ونابعاً من الإيمان بصحة ما يقول أو يفعل على أساس أن السلوك السوي يؤدي إلى مرضاة الله ويؤدي في الوقت نفسه إلى سعادة المجتمع، وقوله وسلوكه مع الناس ومعرفة قدر نفسه، فيوجد التوازن في النفس والمجتمع ويبتعد عن الازدواجية المقيتة.

ومن القيم الاجتماعية التي بثّها الإسلام قيم المساواة والحق والعدل والرحمة والأمانة والإحسان والبر والوفاء وحسن الصلة في المجتمع، وأقرّ قيماً سلوكية تفصيلية تؤدي إلى التوازن الاجتماعي والاستقرار النفسي كالاستئذان في دخول الأبواب، وتأدية التحية، والقول الحسن، وعدم السخرية بالآخرين، وحث على تحمل المسئولية.

ولن يعوزنا بالتدليل على كل ذلك من كتاب وسنة فأينما توجهت تجد الدليل، وتاريخ المجتمع الإسلامي العملي يثبت ذلك. ويكفي في هذه العجالة الأدلة السريعة التالية:

قال تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم، واتقوا الله لعلكم ترحمون**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**﴾[3].

وقال تعالى: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض**﴾[4].

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.
(٢) سورة الحجرات الآية ١٠.
(٣) سورة الحجرات الآية ٩.
(٤) سورة آل عمران الآية ٣٤.

وقال تعالى: ﴿**إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[1].

وقال ﷺ:

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[2].

وقال عليه الصلاة والسلام: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»[3].

وقال: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[4].

وجعل ﷺ: المجتمع في تكافله وتضامنه وعمق مسئوليته: «مثل قوم استهموا في سفينة»[5].

ومن هنا جاء وصف الأمة الاسلامية «خير أمة أخرجت للناس» وأنها «أمة الوسط» قال تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾[6].

وقد بقي المجتمع الإسلامي سليماً قوياً، «وللمسلم حرمة كبيرة» يقول عمر بن الخطاب وهو يوصي أحد قادته بالجيش: وأن رجلاً أحب إلى من مائة ألف دينار[7]. ويقول: «وتالله لمسلم أحب إليّ مما حوت الروم»[8] عندما استأذنه معاوية في غزو الروم بحراً.

وفي زمن عمر بن عبد العزيز تجمع الزكاة فلا يجد المسلمون من يأخذها[9]، وفي زمن المهدي العباسي لاتجد سائلاً[10] في أرجاء الدولة..

وفي ظل المسلمين في الهند تفتح المطاعم المجانية لجميع سكان الهند

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٢) متفق عليه / البخاري ـ أدب ٢٧ ، مسلم بر ٦٦، ٦٧ .

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط، والحديث ضعيف/ انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة للالباني مجلد ١ ص٣٢١ رقم ٣١٠.

(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد.

(٥) رواه البخاري والترمذي وأحمد.

(٦) سورة آل عمران الآية ١١٠ .

(٧) الطبراني ج ٤ ص ٢٥٤/ البداية ج ٧ ص ١١٩ .

(٨) الطبري ج ٤ ص ٢٩٠ .

(٩) فقد اغنى عمر الناس ـ تاريخ الخلفاء ص ٢٣٥ .

(١٠) الكامل ج ٥ ص ٧٣ .

الهنادكة والمسلمين عند حدوث المجاعات فتمرّ المجاعات دون حدوث هزات اجتماعية! .

نعم بقي المجتمع الإسلامي قوياً إلى أن تضافرت العوامل الكثيرة كما سبق عليه، فلجأ إلى العزلة وأصابه الجمود والجمود كما سبق وقلنا نوع من المحافظة على الذات، وأصيب كنتيجة حتمية للفقر والمرض والجهل في أخلاقه وتقاليده وعاداته، فغلبت عليه الأعراف الجاهلية والعادات المستحدثة على الأخلاق الإسلامية الأصيلة، غير أن الناس بحكم العاطفة الإسلامية الموروثة وبما جبلوا عليه من الغيرة على فضائل الخلق كانوا ينسبون كل قيم وموازين وأعراف مجتمعهم للدين أو على الأقل يلتمسون لها فيه أصولاً، ورسخ ذلك الانحراف المتمسح بالدين حتى أصبح هو الواقع المألوف الذي كان لدى الناس استعداد للوقوف في وجه من يحاول تغييره سواء أكان مجدداً إسلامياً مخلصاً أو متجدداً مفسداً أجنبيا، وظهرت محاولات إسلامية جادة مخلصة للنهوض بهذا المجتمع على أسس إسلامية صحيحة مثل : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والدعوة السنوسية وجمعية العلماء في الجزائر والسلفية في المغرب المرتبطة بابن حنبل وابن تيمية وحركة الإمام محمد بن عبد الوهاب على حد تعبير العلامة علال الفاسي[1] ودعوة السرهندي والدهلوي في الهند، وحركة شركة إسلام ومجلس العلماء والجمعية المحمدية في أندونيسيا، وحركة عثمان دنفديو، وحركة أحمد وبللو في إفريقيا الوسطى والغربية وحركة الاخوان المسلمين في مصر. وغيرها من الحركات على اتساع ساحة العالم الإسلامي، وقد أحدثت هذه الحركات بالفعل تغيّرات اجتماعية وتحولات نحو الإسلام، ولكنها جاءت في عهد أعاصير هبت على هذا المجتمع وأصابته بشدة حين تم خضوع بلاد الإسلام للإستعمار الغربي، فلم تستطع أن ترد المجتمع الإسلامي إلى أسسه، فأصابته أعاصير التحلل وسادته الأفكار المتناقضة والازدواجيات في كل أمور الحياة.

---

(١) أنور الجندي - العالم الإسلامي ص ٢٨٨ .

فقد شرع المستعمرون في بلاد المسلمين في تنفيذ خطتهم التي كانت ترمي إلى أمرين أساسيين[1]:

أولهما: إنشاء جيل مجانس لهم في ثقافتهم ليسهل عليهم الاتصال به والتفاهم معه[2].

والثاني: وهو أخطر الأمرين جميعاً أن تخلو الأجيال المقبلة من الدين ومن الثقافة الإسلامية ومن الحمية الإسلامية.

وكان لابد لبلوغ هذه الأهداف من احداث انقلاب جذري في حياة المسلمين يصادم المنهاج الإسلامي في جملته الأساسية بحراسة الجيوش المستعمرة وعلى يد من ربّتهم على منهاجها من أهل البلاد.

بدأ احتكاك المجتمع الإسلامي المنحرف عن الإسلام بالمجتمع الغربي الشارد عن الدين في القرن التاسع عشر الميلادي ومنذ اللحظة الأولى أحس الغرب ـ المغرور بتقدمه المادي ـ بتفوقه الاجتماعي على العالم الإسلامي الذي لاشك أنه كان لديه من الفضائل ما يفتقده الغرب، لكن نظرة الغالب إلى المغلوب لاتسمح بالرؤية الصحيحة عادة لاسيما والروح الصليبية الحاقدة كانت من ورائها. وبالمقابل أحس المجتمع الإسلامي بالانبهار القاتل واستشعر النقص المرير ولم يتردد الغربيون[3] في القول بأن سبب تخلف المسلمين هو الإسلام، فقد استمدوا ذلك من الوهم الذي كان يسيطر على أولئك بأنهم مسلمون حقاً. وهكذا كان الطريق مفتوحا لمهاجمة القيم الإسلامية وتدمير مقومات المجتمع من خلال مهاجمة ذلك الواقع المتخلف الذي لايمثل الإسلام، وكان النموذج الغربي المشاهد الذي فصل الأخلاق عن الدين يزيد الأمر قوة

---

(١) فتح الله ص ٦١.

(٢) انظر قول اللورد لويد في حفل فكتوريا بالاسكندرية ـ أنور الجندي ـ العالم الإسلامي ـ ص٣٣٨. ورأي جب ـ الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ٢٠٣-٢٠٥.

(٣) انظر رأي كرومر في الإسلام ـ الاتجاهات الوطنية ص ٢٥٩-٢٦٢.

ومن آرائه: «ان الإسلام ناجح كعقيدة ودين ولكنه فاشل كنظام اجتماعي فقد وضعت قوانينه لتناسب الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي ـ ولكنه مع ذلك ابدي لا يسمح بالمرونة الكافية لمواجهة تطور المجتمع الإنساني».

ووضـوحـا. وقـد جهـد الاحتـلال الأجنبي بشتى الطرق حتى تمكن من تحطيم مظلة الأعـراف الأخـلاقية في المجتمعات الإسلامية فانطلقت تسري في أوصالها كل موبقات الحضارة الأوربية حتى وصلت في ظل الاحتلال إلى مرحلة الشيوع والاستعـلان ثم إلى مرتبـة الاستقـرار والاستحسـان ثم إلى درجة الشرعية التي تحميها القوانين الوافدة. ودخل في روع المغلوبين أن الانحلال والفساد هي من ضرورات التحضر والمدنية في جوانبها الصحيحة[1]. وقد ظهر هذا الانحلال في البـدايـة في السلوك الفـردي فانحـرف النـاس عن نهج الدين واستهوتهم مظاهر الحياة الغربية فأقبل كثير منهم على الخمور والفجور والقمار والربا ونحو ذلك، ثم دب دبيب التهـاون في الـدين فتنـاول العبـادات والعقـائـد وغـيرهـا من أنـواع الانحـلال، فتكـاسـل النـاس عن أداء العبـادات وانتشرت في الجو ضروب من الفلسفـة والمـذاهب الضـالة، واستمالت الشباب وغير الشباب وصارت العلاقة الجنسيـة والنـزعة الإباحية الشغل الشاغل للسينما وكثير من المجلات والصحف ابتغـاء وفـرة الـربـح والـدخل، فانحرف الشباب وفسدت روابط الأسرة ثم عم السيل وطم فانهارت الفضائل الاقتصادية والاجتماعية[2] فشهد العالم الإسلامي موجـة في التغيـير الاجتـماعي دعيت: التغريب: وهو تغيير قيم الأمة ومثلها أي تغيير عقيدتها وثقافتها وأخلاقها، وبعبارة أوضح ابعاد المسلمين عن دينهم باسم المـدنـيّـة أو التطـور أو التقـدم. وقـد بدأ التغـريب في العـالم الإسـلامي على يد المستعمـرين ومؤسسـاتهم التبشيرية والاستشراقية أي بالإرساليات. ولكنه وفق الأسلوب الجديد أصبح يتم على أيدي المسلمين أنفسهم من تلاميذ المستشرقين والمبتعثين، يساندهم في تنفيذ هذا المخطط بعض الحكام من المسلمين وقد اتخذ هذا خطة استراتيجية بعيدة المدى حتى لا تحسّ الأمة الإسلامية بالهدف البعيد، بل قد تحسّ بالاسلوب الذي يجري فيه التغيير وكأن هذا التغيير يحدث تلقائيا،

---

(١) فتح الله ص ٦٣.

(٢) نفسه ص ٦٤ عن الدكتور إبراهيم اللبان ـ رسالة التربية الدينية التي يحتاج إليها العالم الإسلامي ـ نشرتها مجلة الأزهر.

في مجال الأخلاق والعادات والتقاليد تحت قناع التطور والمدنية والتقدم ومسايرة روح العصر مستخدما وسائل الإعلام المختلفة المسندة إلى غير المتمسكين بالدين .

ومن أجل عدم اصطدام الأفكار الجديدة بمشاعر المسلمين يقوم بالاعداد لها والتخطيط جيش من المبشرين الذين درسوا العالم الإسلامي من جميع جوانبه ونواحيه، وخبراء في علم النفس وعلم الاجتماع وعلم التاريخ، فضلاً عن أجهزة المخابرات والإحصاء المختلفة، فاستغلوا في سبيل مآربهم كل وسيلة من العلم والطب والسياسة والحياة الاجتماعية ومن الثقافة والأدب واللغة ليسلبوا الاسلام كل مناحي الشخصية وكل أسباب الحياة[1]، لتخرج أفكارهم تحمل شعارات العلمانية والقومية وتحرير المرأة .

وقد أدرك هؤلاء أن لابد لإحداث التغيير الاجتماعي المطلوب من اقتحام حصون المسلمين - اقتحام حصونهم - باسم تحرير المرأة الذي سنوليه اهتماما خاصاً، لأنه أهم مظاهر التغيير الاجتماعي وعنه تنشأ كافة الأمراض الاجتماعية . وقبل ذلك نلخص الآثار التي تركها الاستعمار في العالم الإسلامي من الناحية الاجتماعية لتتضح الصورة . فقد عمل الاستعمار على إضعاف معنويات المسلمين وأفكارهم وتجهيلهم وتحطيم كيانهم الاجتماعي بأن :

١ ـ شجع الاستعمار قيام نظام طبقي أساسه وجود فئة من الاقطاعيين والاحتكاريين يستأثرون بالثروة، على غرار النظام الاقطاعي في أوربا في العصور الوسطى، وباقى الناس في ذل وفقر وجهل - بمعنى آخر أوجد - التفاوت الطبقى الكبير - الذي لم يعرفه المسلمون في تاريخهم . ووجد أدوات من الطبقتين - الغنية والفقيرة . الغنية المتسلقة والفقيرة المحتاجة فأصبحت علاقات المجتمع عدائية بدل الحب والتعاون والتكافل في المجتمع الإسلامي .

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٢١٧ .

٢ ـ جعل بعض البلاد مرتعاً خصبا للأجانب بأن شجع الأوربيين على النـزوح إلى البـلاد بما فيهم اليهـود، والاستيطـان فيهـا، واعتبرهم طبقـة ارستقـراطيـة أجنبيـة لامـانـع إطلاقاً من أن تستعبد غيرها وتسخرهم لخدمتها، وبجـانبهـا طفيليـات تعيش على فتـاتهـا من أفراد المجتمع الإسلامي تسخرهم لأغـراضهـا، كما حصـل في الجزائر وأندونيسيا والهند الإسلامية ومورو وتركستان والشاشان وأقطار أفريقية.

٣ ـ عمـل على نشـر الأمـراض والعـادات الاجتماعية السيئة في البلدان الإسـلاميـة فعلّم النـاس: النفـاق وفقدان الثقة بالنفس وعدم تحمل المسئولية، وأشـاع فيهم بأسـاليبـه: روح الخـوف والجبن من الحـاكم والتشكـك في أعـمال الغـير، ونشـر فيهم عادات مرذولـة زاعـماً أنهـا من مميـزات المدنية والتقدم مثل: تعاطى الخمر ولعب القمار والإباحية والسفور والخلاعة والاستخفاف بكل ما هو إسـلامي على اعتبـار أنـه قديم وبالي ورجعي والتباهي بكل ما هو أوروبي على اعتبار أنه حديث وتقدمي.

وأما أهم ميدان اقتحمه المستعمر وكان له الأثر البعيد في السير الاجتماعي الإسلامي فهو فكرة **تحرير المرأة**:

كرم الإسـلام المـرأة ونظـر إليها على أنها عرض يجب أن يصان وكرّمها أمّا وزوجـة وأختـا وابنـة ورحمـاً. وخصها بأشياء تلائم طبيعتها الأنثوية تكريماً لها لا انتقاصا وزادت حقوقها أحيانا كثيرة عن حقوق الرجل. فالرجل مكلف بالنفقة عليهـا غنيـا كان أو فقـيراً، والمرأة غير مكلفة بالنفقة على الرجل ولو كانت غنية وهـو فقـير.. ثم جاء عصـر الجمـود فتأخـر فيـه المجتمع الإسلامي كله لا المرأة وحـدهـا. وفي ظل هذا التخلف نفـذت سهـام القـوى المضـادة للإسـلام إلى المسلمين بحجة تحرير المرأة، وقد بدأت هذه السهام تنفذ منذ حملة نابليون على مصـر (١٢١٣-١٢١٦هـ/ ١٧٩٨-١٨٠١م) وبـالإرسـاليـات الأجنبية، ولكن حركـة الابتعـاث إلى أوربـا (كانت أهم من كل من ذلك) زمن محمد على باشا والى مصـر، وكـان من أشهـر المبتعثـين الأوائل من المسلمين الشيخ محمد رفاعة الطهطـاوي الـذي يعـد كذلـك من روّاد الإصلاح، هذا الشيخ كتب كتاباً عن

مدينـة باريس ـ الـذهب الإبـريـز في أخبار باريس ـ وصف فيه لأبناء أمته الحياة الإجتماعية في فرنسا آنذاك تعرض فيه لوصف النوادي والمراقص ظهر فيه :

١ ــ ان الأخـلاق ليست مرتبطـة بالـدين ، وهي فكـرة انقدحت في ذهن الشيخ لكنه لم يستطع أن يعبر عنها بجلاء فهاهو المجتمع الفرنسي يمارس ألوان الدياثة التي لا يرضاها الإسلام طبعاً ، ولكنها مع ذلك ليست خارجة عن قوانين الحيـاء ولا يشم منهـا الشيـخ رائحـة العفن بل هي معـدودة في باب الأدب ، وقد نمت هذه الفكـرة بعـد ذلـك وتـرعـرعت حتى قال قاسم أمـين بصـراحة : إن الحجاب وسيلة لستر الفواحش وان التبرج دليل على الشرف والبراءة ـ ومن ثم فلا علاقة بين الدين والأخلاق ـ.

٢ ــ إن المجتمـع الغـربي الديوث يكرم المرأة ويحترمها ، وفي المقابل نرى المجتمع الإسلامي يحافظ على العرض لكنه يحتقر المرأة ـ حسب الواقع المنحرف آنذاك ـ وبذلك نصل إلى المفهوم الذي وجد في أوربا نفسه وهو أن حقوق المرأة مرتبطة بتحررها من الدين ، فما لم ينبذ الدين فلن تحصل على الحقوق .

وقريب من قصد رفاعة ما قصده أحمد فارس الشدياق إذ وصف بأسلوبه المقـامي الخـاص الحياة الغربية ووضع المرأة فيها في كتابه «الساق على الساق» . وهكذا وجدت البذرة الأولى لما سمي «قضية المرأة»[١] .

وكان أهم ما ظهر في هذا الموضوع كتابين لقاسم أمين الذي اقترن اسمه من بعـد بلقب (محـرر المـرأة) وهما «تحرير المرأة» والمرأة الجديدة. طبع الأول سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م . والثاني سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م .

ففي كتـابـه تحريـر المـرأة تناول أربع مسائل وهي الحجاب واشتغال المرأة بالشئون العامة وتعدد الزوجات والطلاق ، وذهب في كل مسألة من هذه المسائل ما يطابق مذهب الغربيين زاعماً أن ذلك هو مذهب الإسلام[٢] . والكتاب موجه

---

(١) العلمانية ـ سفر ـ ص ٦٢٦ .

(٢) الاتجاهات الوطنية ص ٢٩٤ .

لخدمـة فكـرة معينـة يحاول المؤلف أن يسخّر النصوص لخدمتها لذلك جاء مملوءاً بالمغـالطـات، سواء كان ذلك في تفسير الآيات القرآنية أم في النصوص التاريخية والفقهية، أو الأدلة العقلية. وقد أثار كتابه موجة من المعارضة أكثرها مقالات صحفيـة[١]. ولكنـه كشف عن أهـدافـه الحقيقية في كتابه الثاني (المرأة الجديدة) الـذي بدأ فيـه أثـر الحضارة الغربية واضحاً. فالتزم فيه مناهج البحث الأوروبية الحـديثـة التي ترفض كل المسلّمات والعقـائد السابقة سواء منها ما جاء من طريق الـدين ومـا جاء من غير طريقـه ولا تقبـل إلا ما يقـوم عليـه دليل من التجربة أو الواقع، وهو ما يسمونه (الأسلوب العلمي)[٢]. وقارن فيه بين الحضارة اليونانية والرومانية والإسلامية ورجح الحضارة اليونانية والرومانية على الحضارة الإسـلاميـة[٣]. ثم يدعو في آخر كتابه دعوة صريحة إلى الأخذ بأساليب الحضارة الغربية فيقول:

«هـذا هو الـداء الـذي يلزم أن نبـادر إلى علاجـه، وليس له دواء إلا أننا نربي أولادنـا على أن يتعـرفوا شئون المدنية الغربية ويقفوا على أصولها وفروعها وآثـارهـا - إذا أتى ذلـك الحين - ونرجو أن لا يكون بعيداً - انجلت الحقيقة أمام أعيننـا ساطعـة سطـوع الشمس، وعـرفنـا قيمـة التمـدن الغـربي وتيقنّا أنه من المستحيل أن يتم إصلاح ما في أحوالنا إذا لم يكن مؤسساً على العلوم العصرية الحديثة، . . .»[٤].

وقد طبق ذلك في بيته فأحضر لابنتيه مربيتين - أحداهما فرنسية والأخرى انجليزية[٥].

والـواقـع أن قاسم أمين لم يدع قط إلى اختلاط المرأة بالرجال ومراقصتهم ولم يدع قط إلى أن تتجـاوز كشف النقـاب إلى الكشف عن الأذرع والسـوق والصدور والظهور. ولم يدعُ قط إلى اتخاذ الملابس الضيقة التي لا تخفي عورات

---

(١) نفسه ج ١ ص ٣٠٢.
(٢) الاتجاهات الوطنية ج ١ ص ٣٠٢. وانظر كتابه - أي قاسم أمين - ص ٧٥، ٨٣.
(٣) نفسه ج ١ ص ٣٠٩.
(٤) نفسه ج ١ ص ٣١٠ وانظر كتابه - المرأة الجديدة ص ١٩٢-١٩٣.
(٥) قاسم أمين ص ٧٧/ ماهر حسن فهمي.

الجسم إلا لتبرز مواضع الفتنة والإغراء منها. ولكن قاسم أمين وإن لم يدع إلى شيء من ذلـك هو الـذي فتـح الباب لمثل هذه الدعوات وهو الذي خطا الخطوة الأولى في طريق كان لابـد أن يسـير النـاس فيـه من بعده خطوات في سرعة غير منتظرة فقد خلعت المرأة النقاب ثم استبدلت المعطف الأسود بالحبرة (إزار كانت المـرأة تلتحف به إذا برزت للطـريق) ثم لم تلبث أن نبـذت المعطف وخـرجت بالثيـاب الملونـة، ثم أخذ المقصّ يتحيف هذه الثياب في الذيول وفي الاكمام وفي الجيــوب ولم يزل يجور عليهـا فيضيقهـا على صاحبتهـا حتى أصبحت كبعض جلدها، ثم انها تجاوزت ذلك كله إلى الظهور على شواطيء البحر في المصايف بما لا يكـاد يسـتر شيئـا ولم تعد عصمة كثير من النساء في أيدي أزواجهن ولكنها أصبحت في أيــدي صانعي الأزيـاء في باريس من اليهـود ومُشيعي الفجـور. وقطعت المـرأة مرحلة التعليم الابتـدائي والثـانوي واقتحمت الجامعة مزاحمة فيما يلائمهـا وفيـما لا يلائمها من ثقافات وصناعات، وشاركت في الوظائف العامة. ثم لم تقف مطـالبهـا عنـد حدّ في الجـري وراء ما سماه أنصارها «حقوق المرأة» أو «مسـاواتهـا بالرجل» وكأنما كان عبثا أن خلق الله ـ سبحانه ـ الذكر والأنثى وأقام كلاً منهـما فيـما أراد. فأمتلأت المصـانـع والمتـاجر بالعاملات والبائعات، وحطم النساء الحواجز التي كانت تقوم بينهن وبين الرجال في المسارح وفي الترام وفي كل مكـان فاختفت المقـاعـد التي جرت العـادة على تخصيصهـا للسيـدات بعد أن أصبحن يفضلن مشاركة الرجال[1].

وكان من رائدات ما يسمى بالحركة النسائية : هدى شعراوي حرم على شعـراوى وصفيـة زغلول حرم سعد زغلول باشا، وتسمية كل منهما باسم زوجها هو اتبـاع للتقليـد الغـربي الـذي ينسب المـرأة لزوجها بعد زواجها، وهو مخالف للعـرف الإسـلامي الـذي يجعـل للمـرأة شخصيتها المستقلة. والأولى هي ابنة

---

(١) الاتجاهات الوطنية ج ٢ ص ٢٤٩ .

مصطفى فهمي باشا أشهر أصدقاء الانجليز من رؤساء الوزارات المصريين في عهد الاحتلال والثانية هي بنت سلطان باشا وهو من كبار الضباط المصريين الذين تعاونوا مع الاحتلال الانجليزى[1].

وقد خرجتا مع ٣٠٠ متظاهرة أثناء وقوف الشعب المصرى للمطالبة بحقوقه بشجاعة عام ١٣٣٨هـ/١٩١٩م فمزقن الحجاب وأحرقنه في ميدان عام فكان هذا أعظم اسهام منهن في الثورة!![2]بل وتجرأت هدى شعراوي على ما لم تتجرأ عليه امرأة مسلمة من قبل فسافرت إلى باريس وإلى أمريكا لدراسة شئون المرأة وأخذت تلقي بالتصريحات والأحاديث لمندوبي الصحف[3].

وتكتب صحيفة السياسة الأسبوعية مقالاً عن فتاة تركيا سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م تصف فيه سفر باخرة اتخذتها وزارة التجارة التركية معرضاً عاماً في رحلة على نفقة الحكومة تتنقل بين موانىء أوربا الشهيرة. تقل خمساً وعشرين فتاة تركية جميلة، مقصوصات الشعور لا يكاد يميزهن الرائي من فتيات لندرة وباريس.. ونشر مراسل الصحيفة ما صرحت به أحداهن:

«ان المرأة التركية اليوم حرة، وإننا نعيش اليوم مثل نسائكم الانجليزيات. نلبس أحدث الأزياء الأورو ربية والأمريكية ونرقص وندخن ونسافر ونتنقل بغير أزواجنا»[4].

وصحيفة المقتطف تكتب مقالا تثني على مصطفى كمال وتقرنه بواشنطن زاعمة أنه أكبر زعيم معاصر... وتشيد بالتطور الاجتماعي الذي طرأ على تركيا بسفور النساء واشتراكهن في المجتمعات مع الرجال ومشاركتهن الشبان في الدراسات الجامعية[5].

وفي المجال التعليمي حرص لطفي السيد والدكتور طه حسين واتباعهما على أن يكون التعليم مختلطاً في الجامعة فيه الذكور والإناث، واشتد الصراع في

(١) نفسه ج ٢ ص ٢٥٠/ الحاشية.
(٢) انظر قصيدة حافظ ابراهيم في وصف المظاهرة متهكما - ج٢ ص٨٧.
(٣) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ٢٥١.
(٤) الاتجاهات الوطنية ج ٢ ص ٢٥٥-٢٥٦ عن السياسة الأسبوعية عدد ١٧ يوليو ١٩٢٦م.
(٥) نفسه عن المقتطف عدد ابريل - نيسان ١٩٢٦م ص ٤١٠-٤١٣.

الجامعة من أجل ذلك وقد رفع بعض طلبة الكليات التماساً إلى مديرها وعمدائها سنة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م يطلبون فيه إدخال التعليم الديني في الجامعة كما يطلبون الفصل بين الطلبة والطالبات. وكتب الرافعي ـ شيطان وشيطانة ـ ردًا على طه حسين وسهير القلماوي، كما كتب مقالاً حيا فيه طلبة الجامعة الذين رفضوا الاختلاط[1]. ولكن الانتصار كان لدعاة الاختلاط.

واستمرت المعركة مسعورة فسلامة موسى يغرق في الوهم والخيال حتى جعل وضع المرأة هو المسئول عن مشكلات مصر من أولها إلى آخرها[2].
واسماعيل مظهر جمع شبهاته القديمة وآراء غيره ونسقها في كتاب أسماه «المرأة في عصر الديمقراطية» وفيه[3]:

«لقد اتخذ الرجعيون الذين يرهبون التطور فرقاً من أوهام سلطت عليهم أو رغبة في بسط سلطانهم على النساء. . . من بضعة نصوص أشير بها إلى حالات قامت في عصور غابرة سبيلاً إلى استعباد النساء استعباداً أبدياً، لقد حضّت المرأة في ذلك العصر على أن تقرّ في بيتها وإن لا تبرج تبرج الجاهلية الأولى» ويقول:

«فلما جاء الإسلام ـ عطف إلى ناحية المرأة فاعتبرها نصف إنسان وأضفى عليها من الكرامة والاحترام ذلك القدر الذي لا يزال حتى الآن موضع انبهار كل المشترعين. . . غير أن خمسة عشر قرناً من الزمان كافية في الواقع لأن تهيىء العقلية الإنسانية إلى خطوات أخرى في التشريع للمرأة».

وتلاه خالد محمد خالد في كتابه: «الديمقراطية أبداً»: وكان حظ المرأة من ديمقراطيته شيئين[4]:

١ ـ حق المرأة في وقف تعدد الزوجات.
٢ ـ تأميم الطلاق على حد تعبيره.

---

(١) نفسه ج ٢ ص ٢٦١/ وانظر وحي القلم ج ٣ ص ١٨٤ـ١٨٨ تحت عنوان قنبلة بالبارود لا بالماء المقطر، وص ١٨٩ـ١٩٧ تحت عنوان شيطان وشيطانة.
(٢) العلمانية ـ سفر ـ ص ٦٣٧/ عن الأدب للشعب ص ٦٦ـ٦٧.
(٣) ص ١١٨.
(٤) انظر كتابه ص ١٦٤ ـ ١٦٥.

وعدّ حسين مؤنس الحجاب الإسلامي العائق الأكبر في سبيل انتهاء مصر للغرب ذلك أنه ربطها بالمجتمعات الشرقية المتخلفة في حين أن المرأة المصرية القديمة كالمرأة الأوروبية الحديثة سواء بسواء وحضارتهما واحدة(١).

بل بعد أن تحقق السفور والاختلاط وسار شوطاً نرى كاتباً هو إبراهيم المصري يقول: «الاعتقاد الشرقي الشائع بأن الرجل والمرأة متى التقيا فلابد أن ينهض الشيطان بينهما وينفث في نفسيهما سموم الرذيلة والشر، هذا هو سرّ تأخرنا. وهو من بقايا عصور الجهل والخوف والظلام»(٢).

وصدر سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٩م في تركيا قانون مدني على غرار قانون نوشاتيل المدني السويسري فحرم تعدد الزوجات وقضى على الحجاب والحريم ونظرة الطلاق، وفي برهة وجيزة جعل من المرأة التركية شقيقة المرأة السويسرية وصنوها(٣).

فأصبحت المرأة التركية ترتدي أثواب السهرة العارية الكتفين والظهر كما لا تحجم عن ارتداء المايوه... وما من أحد يشكو من التفكك الخلقي».

ومن مصر وتركيا امتد تأثير المعركة بالصحافة إلى البلاد العربية والإسلامية فيقول الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي داعياً إلى خلع الحجاب(٤):

هزأوا بالبنات والأمهات ... وأهانوا الزوجات والاخوات
هكذا المسلمون في كل صقع ... حجبوا للجهالة المسلمات
إن هذا الحجاب في كل أرض ... ضرر للفتيان والفتيات

وتأخرت الدعوة في الشام عن مصر حتى أن أول كتاب يتحدث عنها لم يصدر إلا سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م بعد وفاة قاسم بعشرين سنة وهو الكتاب

---

(١) انظر مصر ورسالتها ص ٥١ ـ ٥٢.

(٢) الهلال عدد أول يناير ١٩٣٨م، ٢٩ شوال ١٣٥٦هـ ص ٢٦٨-٢٧٢ (مقال: بعد السفور. وانظر طعنه في الحديث الشريف: ما اجتمع رجل وامرأة إلا والشيطان ثالثهما، ولا عليه فهو نصراني ولكن اللوم كل اللوم على المسلمين/ انظر الاتجاهات الوطنية ج٢ ص٢٦١.

(٣) العلمانية ص ٦٤٢ عن الإسلام والغرب ص ١٨١.

(٤) العلمانية ص ٦٣٠/ عن ديوان الزهاوي ص ٣١٩.

الذي الفته - أو الف باسم - نظيرة زين الدين بعنوان «السفور والحجاب». وقد قرظه على عبد الرازق صاحب «الإسلام وأصول الحكم»[1].

وكتب الشيخ على الطنطاوي في مذكراته بعنوان:

امتهان الفضيلة يوم الاحتفال بالجلاء في سوريا[2]: شهدت يوم الجلاء بنات السادسة عشرة وما فوقها يمشين في العرض بادية افخاذهن تهتز نهودهن في صدورهن تكاد تأكلهن النظرات الفاسقة... وشهدت بنتا جميلة زينت بأبهى الحلل والبست لباس عروس وركبت السيارة المكشوفة وسط الشباب. قالوا: انها رمز الوحدة العربية.

وأخذت صور هذا كله فنشرت في الجرائد وعرضت في السينمات، فازدادت جرأة الناس على نقض عرى الأخلاق، حتى رأينا صور ناس من كبارنا مع نسائهم عراة على البحر منشورة في المجلات. قالوا: انه يوم النصر يجوز فيه مالا يجوز في غيره...».

وكانت تونس أسبق بلاد المغرب إلى دعوة السفور فقد كتب الطاهر الحداد كتابه عام **١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م**: «امرأتنا في الشريعة والمجتمع» وفي الامكان أخذ نموذج لتأييد فكرته من المحاولة الفنية التي اشترك فيها محمود بيرم شاعراً وعلى الدعاجي راسماً. فقد قام الشاعر يؤرخ للمراحل التي قطعتها المرأة التونسية قبل أن تلقي الحجاب وذلك من ستة عشر بيتاً جسمت كل رباعية منها مرحلة من مراحل تطور الحجاب أبرز معانيها ووضحها على الدعاجي بأربعة رسوم ظهرت فيها المرأة في وضعيات متباينة[3].

هذا وقد نشرت مجلة العربى في استطلاع لها عن تونس صورة للوحات الدعاية المنصوبة في الشوارع، فلوحة تمثل أسرة ترتدي الزي المحتشم وعليها إشارة (×) وأخرى تمثل أسرة متفرنجة متبرجة.

---

(١) العلمانية ص ٦٣٠.

(٢) من ذكريات الشيخ الطنطاوي / نشرت في مجلة الرسالة سنة ١٩٤٦م، الشرق الأوسط العدد ٢٣٤٠ ص ١٠ الخميس ٥ شعبان سنة ١٤٠٥هـ الموافق ٢٥/٤/١٩٨٥م

(٣) العلمانية ص ٦٣١ - ٦٣٢، انظر مجلة الفكر - تونس. ديسمبر ١٩٧٥م عدد خاص عن المرأة في عام المرأة.

والغريب أن القوانين التونسية تعاقب من يتزوج ثانية بالحلال وتبرىء من يخادن بالحرام(١) .

وفي المغرب الأقصى تمكن العهد الاستقلالي من أن يحقق في بضع سنوات ما لم يستطعه الاستعمار في عشرات السنين في هذا الميدان .

وفي الجزائر أوحت الثورة للنساء بالكفاح فخرجت العذارى المحاربات من بيوتهن ونزعن الحجاب لأول مرة منذ أن اعتنقت بلادهن الإسلام ، وكذلك في فلسطين .

وبنجاح فكرة «تحرير المرأة» عمت الفوضى الاخلاقية العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه على تفاوت في ذلك وتولى الجيل الذي رباه المستعمرون تربية جيل جديد تقبل الانحلال وتآلفه ، وحوربت أحكام الله على يد أبطال الاستقلال أكثر مما حوربت بأيدي المستعمرين - جيل (على حد تعبير الشيخ الغزالي(٢)) يستحي من الانتساب للإسلام ويكره أن يُرى وهو يقوم بشيء من شعائره ، يحب أن يراه الناس خارجاً من حانة ولا يحب أن يروه خارجاً من مسجد ، ومن السهل عليه أن يوصف بأنه زنى بعشر نسوة لكنّ وجهه يسودّ لو قيل : تزوج من اثنتين ، اما أن يفكر في تلاوة آيات من القرآن أو يرجع إلى شيء من سنة رسول الله ﷺ فذلك لا يخطر له ببال .

وهكذا ظل الناعقون يصيحون في كل مكان ويسلكون كل اتجاه - فكرياً أم عملياً - حتى آل الأمر إلى الواقع المؤلم الذي عبر عنه أوفى تعبير جان بول رو بقوله :

«إن التأثير الغربي الذي يظهر في كل المجالات ويقلب رأساً على عقب المجتمع الإسلامي لا يبدو في جلاء أفضل مما يبدو في تحرير المرأة»(٣) .

والسلاح الفتاك الذي استخدم لتقويض المجتمعات الإسلامية ونقل الأوبئة الاجتماعية الغربية هو وسائل الاعلام من صحافة وإذاعة وسينما

---

(١) العلمانية ص ٦٤٣ .

(٢) كفاح دين ص ١٤٧ .

(٣) الإسلام في الغرب ص ١٧٨ .

وتلفزيـون وفيـديـو. إلى جانب ذلـك يأتي التعليم المختلط والنوادي المختلطة والشـواطيء (البـلاجـات) المختلطة، وتأتي الأزياء الخليعة المستوردة من بيوت اليهود في الغرب وخاصة باريس. وتأتي موانع الحمل ووسائل الاجهاض، إلى جانب ذلـك يكـون الاختلاط الفاضح في دوائر الحكومة والمؤسسات وفي وسائل المواصلات وفي الشقق والمساكن وفي كل مكان في معظم اقطار العالم الإسلامي .

فقد افتتحت السينما الأولى بالقاهرة سنة ١٨٩٦م، ثم انتشرت في ارجاء العالم الإسلامي[١]، وافتتحت الخمارات في كل مكان حتى تغلغلت إلى الريف وفتحت دور البغـاء المـرخصـة من الحكومة في معظم العواصم الإسلامية، وتجرأ الناس على ارتكاب الموبقات والجهر بها باسم الحرية الشخصية[٢].

وتحت مختلف دواعي المـدنيـة والـترفيه وأمثالها أدخل المستعمرون جيوشاً أخبث من جيـوش الاحتـلال العسكـرى وهي أنـواع من الممثلين والممثـلات وأمثـالهـا من البغـايـا والـراقصات وشجعوا إنشاء المسارح وفرق الغناء والتمثيل والمـراقص والمـلاهي المتنـوعـة، وكـانت الأجنبيـات أولاً ثم الـوطنيـات من غير المسلمات هن العنصـر الأسـاسي في هذا الغزو، فشجع ذلك المرأة المسلمة على السفور والتعري والاختلاط الماجن ثم التقليد في كل شيء. ولم يكن هذا تغييراً في القشـرة السطحيـة للمجتمع الإسلامي وانما كان زلزالاً رهيباً ومدمراً، ينسف بنيـان الأخـلاق من قواعـده، وكانت نتائجه غاية في السوء من شيوع الزنا والربا والمسكـرات والمخـدرات والتي أدت بدورهـا إلى تخريب إقتصادي بانتقال الثروة الـوطنيـة تبـاعـاً إلى أيدي الأعداء الأجانب من كل لون. وكان جزء كبير ينتقل إليهم عبر المراقص والخمارات وغانيات أوربا أو ساقطاتها[٣].

(١) من الجدير بالذكر أن اليهود هيمنوا على الأوساط الفنية في مصر منذ زمن بعيد، فعائلة موصيرى هي التي أسست شركة السينما عام ١٩١٥م باسم جوزي فيلم ومنذ عام ١٩٢٩م احتكرت هذه الشركة استيراد الأفلام الخام وبيعهـا وكـذلـك طبـع الـترجمـة على الأفـلام الأجنبية التي كانت تستوردها، ثم توسعت الشركة بعد ذلك واقامت استوديو للانتاج السينمائى. (الإسلام والحركات الهدامة ـ معالي عبد الحميد حمودة ص٣٩)

(٢) الاتجاهات الوطنية ج ١ ص ٢٤٤ .

(٣) باشميل ـ اكذوبة الاشتراكية العربية ص ٢٠ .

ثم جاءت البلاد الإسلامية التي ادّعت الاشتراكية فأنشأت معسكرات الفتوة وزوّدت هذه المعسكرات بمجموعات ضخمة من الفتيات الجميلات قاموا بتجنيدهن خصيصاً إلى جانب الفتيان العزاب في هذه المعسكرات لإشاعة الانحلال والفساد بين الشباب.

وقد أفسح المجال عمداً للأقلام المسعورة والايعاز لها وتشجيعها بنشر التشكيك في الإسلام وكتابة البحوث والتحقيقات المختلفة التي تشيع البلبلة بين الطلبة والطالبات وتشجعهم على الانحلال والانفلات من قيود الفضيلة والتحفظ والاحتشام، وكذلك حطمت الاقلام الإسلامية وروقب أصحابها أو خدّر أصحابها بإرهابهم وتسليط حرب حامية عليهم من حروب الأعصاب. ثم الايعاز إلى الصحف السيارة المؤممة بأن لا تنشر لهم أي بحث مركز فيه تركيز على الدعوة الإسلامية ولهذا تجدها خالية تماماً من أي بحث إسلامي تستفيد منه الدعوة الإسلامية الصحيحة. ولا تجد فيها إلا من يروّج الإلحاد ويدعو للتحلل[1].

فلا عجب إذا سمعنا عن جرائم اجتماعية في العالم الإسلامي تضاهي تلك التي في أوربا وأمريكا من قتل واختطاف واغتصاب وتشرد. ولا عجب أن تنتشر الأمراض الاجتماعية الفتاكة الناشئة عن فقد كل من الجنسين خصائصه المميزة. وليس ما نشاهده من تخنث الرجال وترجل النساء إلا صورة من ذلك. ولا عجب أيضاً أن تتقوّض البيوت وتنهار الأسر ويصبح جنوح الأحداث مشكلة اجتماعية تعاني منها بلاد تسمى بلاداً إسلامية. ولا عجب أن نجد الروح الانهزامية الفارغة المحبة للتقليد والتي من أكبر مكونيها اعلامنا المرئي والمسموع والمكتوب .

إن التربية غير السليمة لا يمكن أن تنتج إلا جيلاً غير سليم، وهاهو الجيل المعاصر المنكود تتجاذبه الازدواجيات، والشهوات والشبهات وتمزقه التناقضات والغوايات وتغتاله النزوات المبهورة والاغراءات القاتلة، فلا يستطيع

---

(١) نفسه ص ٢٣ .

لضعف عقيدته إلا أن يسلم نفسه ذليلاً لشياطين الجن والإنس ينهشون فكره وجسده ويلهبون ظهره بسياطهم حتى يسقط مشلولاً ممزقاً على مذبح الإباحية. فانتشرت ظاهرة تعاطي المخدرات بين الشباب هرباً من ـ مشاكل الحياة الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ ـ ٢٩ سنة، وازداد تعاطي الهيروين بعد الافيون والحشيش في مصر بشكل خاص[١] بعد عملية التطبيع مع الكيان الصهيوني بين أثرياء الطبقة الجديدة بعد سياسة الانفتاح، وفي أوساط الفنانين والفنانات ثم في أوساط طلاب الجامعة وأولاد الأثرياء وأعضاء النوادي المشهورة ـ فكثرت جرائم القتل والسرقة والتهريب[٢] واتخذت بيوت الفنانين والفنانات أوكاراً لتعاطيها وتوزيعها[٣].

وفي الخليج نشرت المسلمون تقريراً خطيراً عن انتشار المخدرات واستعمال الغراء بديلاً عن المخدرات في محاولات لهدم الكيان الجسدي للأمة بعد محاولات هدم الكيان الفكري لها[٤]. وكذلك العقاقير المنشطة والمهلوسة التي تأتي من أوربا[٥].

---

(١) انظر: الشرق الأوسط العدد ٢٣٤٠ ص ١٠ الخميس ٢٥/٤/١٩٨٥م ٥ شعبان سنة ١٤٠٥هـ.
بل ان الأدوية التي تصدرها الدوائر الأجنبية للبلاد الإسلامية تحوي مواد كيماوية تؤدي بمن يستعملها إلى الإدمان. فقد أذاع التلفزيون البريطاني ندوة عن كتاب أصدرته الدكتورة ديانا أستاذة الفارما كولوجي بكلية الطب في انجلترا بعنوان Bitter Pills أي الأقراص المرة. بينت فيه الدكتورة أن هذه الأدوية مصنوعة أساساً لتصديرها لشعوب العالم الثالث لتخديرهم وتأخيرهم...

ويشبه موقف شركات الأدوية شركات الانتاج الاستهلاكية كشركات الملابس والأطعمة والسجاير.

... ولننظر إلى الأدوية التي يزعمون انها تعيد الشباب أو تقوي الرجال. ٢٪ يستهلك في أوربا و٩٨٪ تستهلك في بلاد المسلمين!!. (الشرق الأوسط العدد ١٦٠١ الأحد ٤ رجب ١٤٠٣هـ/ ١٧/٤/١٩٨٣ ص ١٠

(٢) الشرق الأوسط ص ٢٠ الاثنين ٧ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ/ ٢٨/١/١٩٨٥م

(٣) فعلى سبيل المثال قبض على ماجدة الخطيب وشقيقها لتعاطي المخدرات وتوزيعها. (الشرق الأوسط ص٢٠ الثلاثاء ٤ محرم ١٤٠٦هـ/ ٨/١٠/١٩٨٥م، والشرق الأوسط ص ٢٠ محاكمة ماجدة الخطيب الأربعاء ١ ربيع الأول ١٤٠٦هـ/ ١٣/١١/١٩٨٥م.

(٤) الشرق الأوسط ص ٧ الجمعة ٢٦/٤/١٩٨٥م.

(٥) الشرق الأوسط ص ٢٠ الاثنين ٢٨/١/١٩٨٥م.

وفي الـوقت الـذي تحرم فيـه اسرائيل بشدة المخدرات داخل المستوطنات تقوم بزراعتها وبيعها للعرب، فهي لها دور في مزارع المخدرات في جنوب وشمال لبنـان ودور في بيعـه وتـرويجـه وتهـريبـه، قال النائب العام المصري : «ان هناك مخططـاً ارهـابيـاً لإفساد شباب مصر، ولذا يجب على الدولة أن تحسم هذا الأمر لأن السيـاح الاسـرائيليين يستغلون تطبيع العلاقات ويقومون بترويج هذه المواد السامة داخل البلاد»[1].

ورغم الانحـراف الـذي حصل للمجتمع الإسلامي في جميع أقطاره فقد بقي الإسـلام، وبقي علماؤه ينـيرون الطريق لهذا المجتمع المنحرف، وبالفعل بدأ العـد العكسي في طريق العـودة، فأصبحنـا نلمس هذه العـودة في الشبـاب والشـابـات بشكـل خاص وبـدأنـا نرى الحجـاب يعـود إلى بعض المسلمات. ودعـوات العـودة لا تفـتر ولا تهدأ رغم دواعي الانحـراف لأن الإسلام هو فطرة الإنسان السليمة[2].

---

(١) الشرق الأوسط ص ٢ ٢٦/١٠/١٩٨٥م (شجون عربية).

(٢) بين الله سبحـانـه وتعـالى معـالم السلوك الآدمي أو الـوضـع الـذي يجب على الإنسـان فعله بحكم هذه الآدمية، وعدم الاستجابة تخلّ بآدميته ويهبط به دركات بعضها دون بعض على قدر تخليه عن تلك الأوامر والنواهي حتى يلتحق بسـائـر الخـلائق الأخـرى التي تدب على وجه الأرض. قال تعالى : ﴿يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سؤآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون﴾. (الاعراف : ٢٥).

فاللباس الذي يواري السوأة وفوقه الريش الذي يتجمل به الإنسان في لباس البدن أو في مقام الزينة والأثاث، كل ذلـك من أوضـاع بني آدم، كما أن من شأن أحـدهم أن يتجمـل بلباس التقوى يستر به عورة النفس والروح بعد ستره لسـوأة الجسـد والبـدن، ذلـك من آيـات الله في الخلق والتـدبير. أما النزع والتجريد وكشف السوآت فأوضاع شيطانية لا يصل إليها بنو آدم أو لا ينحدرون إليها إلا وقد أصاب الشيطان سوءة في نفوسهم وعقولهم. قال تعالى : ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾.

هذه الـولايـة توحي بعصـر سيـادة الشيطـان وطـاعته ونفاذ أمره. ونحن لا نشك أن الصرعات العقائدية التي تنطلق في ظل الجنس والمخـدرات والإبـاحيـة أو التي تطلق لها العنـان من عصـر الفرويدية التحررية حتى الآن، انها تعبد الشيطان بل أن بعض هذه الصرعات التي تعبده حقيقة تعيش في الوقت نفسه أحلام المخدرات وأوهام الجنس وفي مستنقعات العري والتكشف.

وجاء في الدعاء المأثور : «اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واختم بالصالحات آجالنا».

(من الشرق الأوسط ص ١٤ ـ حقيقة ورأي ـ د. عدنان زرزور ٢/١١/١٩٨٥م).

الفصل الثالث
واقع العالم الإسلامي من الناحية السياسية

تخلّى العرب والمسلمون عامة عن الدور المنوط بهم في قيادة البشرية وتوجيهها وهدايتها، فتداعت عليهم الأمم والشعوب لكي يظفر كل بما يريد وهم في جمود وضعف، ليس من بعده ضعف، ولقد بدأ الانحراف في تصرفات بعض الحكام المسلمين قديماً، غير أن نقض عروة الحكم لم يظهر إلا في العصر الحديث حين بلغ المسلمون قرارة الضعف وغاية التدهور، فقد كان الإسلام طيلة القرون السابقة أعمق في النفوس من أن يستبدل به أي منهج آخر، وكانت الجاهلية أحقر من أن تطاوله أو تطمع في أبنائه.

روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «لينقضنّ الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة يتشبث الناس بالتي تليها وأولهن نقضاً الحكم وآخرهن نقضاً الصلاة»[١].

وقد أدرك الغربيون التي تولت حضارتهم قيادة الفكر البشري وتوجيه الحضارة الإنسانية أهمية الحكم في الإسلام فعملوا على ابعاد أحكامه وإلغاء الخلافة العقد الذي يجمع المسلمين ليتبعثروا بعد ذلك. كما أن خبراءهم لم يجمعوا في الشئون الإسلامية والعربية على شيء مثل اجماعهم على توقع الخطر من جانب الشعوب الإسلامية التي يرون مظاهر اتحادها وطلائع تكتلها حقيقة واقعة يصعب تجنبها، يجد القارىء هذا الإحساس واضحاً في كتاب «حاضر العالم الإسلامي» للوثروب ستودارد[٢]. كما يجده في مقال الوزير الفرنسي المشهور هانوتو الذي ردّ عليه محمد عبده في مطلع القرن العشرين[٣]. ويجده بشكل أكثر صراحة في كتاب إلى أين يتجه الإسلام الذي أشرف على نشره وجمع مواده المستشرق الانجليزي هـ. أ جب سنة **١٩٣٢**م والذي اشترك في تحريره أساتذة متخصصون في الدراسات الإسلامية والشرقية من جامعات فرنسا

---

(١) المسند ج ٥ ص ٢٥١، والجامع الصغير ـ صحيح ـ.

(٢) انظر ص ٢١ ـ ٢٣ من حاضر العالم الإسلامي. وانظر ص ١٢-١٤ الجزء الأول.

(٣) الاتجاهات الوطنية ج ١ ص ٣٤٧ وما بعدها.

والمانيا وهولندا وانجلترا، وفيه يبرز عطف حكومات الاحتلال الغربية على كل مشاريع الحكومات الوطنية في الشرق الإسلامي والعربي منه خاصة التي من شأنها تقوية الشعوبية فيها وتعميق الخطوط التي تفرق بين هذه الأوطان الجديدة مثل الاهتمام بتدريس التاريخ القديم على الإسلام لتلاميذ المدارس وأخذهم بتقديسه، والاستعانة على ذلك بالأناشيد، ومثل خلق أعياد محلية غير الاعياد الدينية التي تلتقي قلوب المسلمين ومشاعرهم على الاحتفال به، ومثل العناية بتمييز كل من هذه البلاد بزي خاص ولاسيما غطاء الرأس - مما يترتب عليه تمييز كل منها بطابع خاص، بعد أن كانت تشترك في كثير من مظاهره[1]. كما قال مستر بلنت في كتابه «مستقبل الإسلام» بعد أن أبان أغراض حكومته الانجليزية وأمانيها في مستقبل الإسلام في فاتحة كتابه[2]:

لا تقنطوا فالدّر ينثر عقده ليعود أحسن في النظام واجملا

«أي أن هدم السلطنة العثمانية لا يضر بالمسلمين بل أن هذا العقد العثماني ينثر ليعود عقداً أحسن وأجمل...»

بقي العالم الإسلامي يمثل كتلة سياسية واحدة رغم ما أصابه من انحراف وجمود، ورغم ما أصابه من فرقة وتشتت، يتمسك بمفهوم الولاء والبراء الإسلامي، ويجمعه رمز الخلافة، والبيت الحرام. ويطلق على غير المسلمين الكفار، ولا يقبل الخضوع لهم، بل ويتحداهم رغم ضعفه وهوانه. وكانت قد إبتدأت فيه عوامل اليقظة الفعلية وكان من الممكن أن يستعيد ذاتيته ودوره في التوجيه العالمي وفي قيادة العالم عندما انبثقت من قلب الجزيرة العربية - منذ منتصف القرن الثامن عشر تقريباً (القرن الثاني عشر الهجري) - دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعيدة عن التحديات الخطيرة التي واجهها العالم الإسلامي كله من خلال النفوذ الأجنبي الزاحف وهذا ما أعطاها قوتها ومكّن لها وأتاح لها فرصة البقاء والتأثير كما زاد من قوتها وأثرها أنها انبعثت في مكان الدعوة الإسلامية، وأنها استهدفت كل المسلمين القادمين من مختلف انحاء العالم الإسلامي قاصدين بيت الله الحرام، ودعوتها إلى التوحيد أقوى علامات المقاومة

---

(١) انظر الاتجاهات الوطنية ص ١٤٠ - ١٤٢.

(٢) نفسه ج ١ ص ٢٥/ المسألة الشرقية لمصطفي كامل ص ١٩ - ٢٢.

للاستعمار والنفوذ الغربي والانحرافات في عالم الإسلام بحسبان أن الإسلام دعوة خالصة لا تقر بالعبودية إلا لله وحده متخطية جبرية التصوف والتواكل - وقد تحولت هذه الحركة إلى دولة عندما التقى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالإمام محمد بن سعود في الدرعية وتعاهدا على نشر عقيدة التوحيد الخالصة وتطبيق شرع الله ومن ثم بدأ الجهاد في سبيل الله حتى عم التوحيد ربوع الجزيرة العربية وقد حرص الاستعمار على وأدها والقضاء عليها وحمل عليها الحملات وأوغر عليها صدر الدولة العثمانية التي رأت فيها خطراً عليها وعلى نفوذها، فتمكن محمد على باشا والى مصر من اسقاطها. ولكن الحركة لم تمت بل وسعت مداها وتأثر بها دعاة السلفية في الهند والعراق والشام ومصر والمغرب جميعاً، فكان من تلاميذها الألوسي الكبير في بغداد، وجمال الدين القاسمي في الشام وخير الدين في تونس وصديق حسن خان في يهوبال بالهند وأحمد بن عرفان الشهيد بالهند[1]. وهكذا سجلت الحركة يقظة إسلامية قبل قدوم نابليون بأكثر من ستين عاماً. وانبعثت منها السنوسية على يد محمد بن على السنوسي الذي تلقاها في مكة وكونت جيلاً قادراً على أن ينشر الإسلام في انحاء افريقيا ويشكل في الوقت نفسه كتائب للجهاد في سبيل الله في الجزائر وليبيا. وكان قد بدأ عمله الجادّ عام ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م بالبيضاء في الجبل الأخضر حتى توفي سنة ١٢٧٣هـ /١٨٥٦م. وبالدعوة السنوسية واصل الإسلام مدّه في افريقيا فأصبحت نواحي بحيرة تشاد مركزاً للإسلام في أواسط افريقيا ثم امتد عمل السنوسيين حتى بلغ النيجر الأدنى. وتأسست ممالك إسلامية مثل سلطنات رابح وأحمد وساموري. حتى أن مسيو رودفريرجن قال: «إن السنوسية هي المسئولة عن جميع أعمال المقاومة التي قامت ضد فرنسا في الجزائر وان السنوسية هي المدبرة لجميع نكبات فرنسا في الشمال الافريقي وفي السنغال... وهي العقبة في سبيل توسعنا الإقتصادي والسياسي داخل افريقيا وهي عائق في طريق أهدافنا في القارة الواقعة شمال خط الاستواء[2].

---

(١) الجندي - العالم الإسلامي والاستعمار ص ٢٥٥/ وانظر حاضر العالم الإسلامي. لوثروب.

(٢) نفسه ص ٢٦٣.

وقد تحولت الحركة كلياً إلى مقاومة عسكرية مسلحة عندما دخلت ايطاليا طرابلس الغرب عام ١٣٢٩هـ/١٩١١م.

كذلك برزت في السودان حركة ثالثة وهي حركة محمد أحمد ـ الحركة المهدية ـ وقامت حركته على الجهاد وتحرير مفهوم الإسلام من البدع والخرافات معاً، واستطاعت الحركة أن تواجه الحملات التي شنتها بريطانيا في ظل احتلال مصر (١٣٠٠-١٣١٦هـ/ ١٨٨٢-١٨٩٨م) وأن تسحق كل عمليات الغزو التي وجهت إليها[١].

وقد حاول المستعمر الغربي تشويه الحركات الإسلامية الثلاث وعمل على القضاء عليها جميعاً وعلى الحركات التي مثلها تقوم على أساس الإسلام في الحكم وتعلن الجهاد في وجه الغاصب. وعمد إلى إشاعة فكرة فصل الدين عن الحياة في العالم الإسلامي[٢].

وقد ابتدأ الانحراف غير المقصود عن الحكم بالإسلام في جناحي العالم الإسلامي القويين ـ تركيا ومصر، من منطلق التخلص من جمود الفقه الإسلامي أمام التغيرات الحيوية الجديدة ومن توهم المسلمين بأن سبب تخلفهم هو عجزهم التنظيمي والإداري وان محاكاة أساليب الحياة الغربية جديرة بالقضاء على ذلك التخلف. وعلى هذا الأساس قامت الحركة المسماة حركة الإصلاح في جناحي العالم الإسلامي. ولمرونة المفهوم واتساعه صاحب حركة الإصلاح من سوء الفهم وغبش التصور مما أدّى آخر الأمر إلى سحق الشريعة الإسلامية باسم الإصلاح. فنشأت في تركيا حركة ثورية تطالب بالإصلاح الداخلي الذي تمثل في وضع حدّ لسلطة السلطان عبد الحميد المطلقة، وقد لمع اسم مدحت باشا[٣] في حركة الإصلاح المرنة هذه فصمم على إيجاد دستور وفق الأحكام الغربية الصرفة بغية إرضاء الدول الأوروبية ليلقى الدعم والتأييد وذلك زمن السلطان عبد العزيز والسلطان مراد الخامس والسلطان عبد الحميد حيث تولى الصدارة

---

(١) الجندي ـ نفسه ص ٢٦٩ .

(٢) انظر ـ شكيب ارسلان في حاضر العالم الإسلامي ـ فصل عن قضية فصل الدين عن السياسة ج٣ ص ٣٥١-٣٦٤.

(٣) انظر علي حسون (ولد مدحت عام ١٢٣٧هـ وتوفي عام ١٣٠١هـ في الطائف). ص١٦٣.

في عهده تحت ضغط الدول الأوروبية ليفسح لهم المجال في نشر الأفكار الغربية فوضـع دستـوراً دعـاه : قانـون أسـاسي عام ١٢٩٤هـ استـوحـاه من الدستور البلجيكي ، فأصبـح الـدستـور البلجيكي المعـدل دستـوراً للدولـة الإسـلاميـة العثمانية بعد أن كان الإسلام هو دستور الدولة . فلم ينفذه السلطان عبد الحميد ونفى مدحت باشـا وقـد ثبتت اتصـالاتـه بالانجليـز في وقت كان فيـه دزرائيـلي اليهـودي رئيسـاً لوزراء بريطـانيـا . وأخذ عبد الحميد يدعم مركز الخلافة وتقوية الجامعة الإسلامية[1] . فقامت خلية جماعة الاتحاد والترقي في سلانيك كما سبق وان بيّنـا التي عملت على اسقـاط عبـد الحميـد واقصاء الشريعة الإسلامية من حكم تركيـا ، ثم مصطفى كمال الـذي قضى نهائيـاً على الشـريعة الإسلامية في تركيا . وسار بتركيا مسيرة من يجعل الإسلام أجنبياً عن الحكومة التركية . وكان قادة حركة الإصلاح التركية من مختلف الميول والاتجاهات فضياء الدين وقع في يده كتـاب ادمـون ديمـولان عن سر تقـدم الانجليز السكسونيين ومن ثم اعتنق فكرة اللامركزية .

وأحمـد رضـا كان قد تعرف على اوغست كومت فاعتنق الوضعية إلى حدّ أنـه اصـر على تأريـخ منشـوراتـه بالتـاريـخ الخاص بالوضعيين وحذف التاريخ الهجـرى . وأمـه نمسـاويـة وأبوه كان يعرف باسم انجليزى على بك نظراً لميوله للانجليز وحبه لهم .

ونـامق كمال كان وطنيـاً متأثـراً بالنزعة القومية التي عاصرها أثناء إقامته في العواصم الأوروبية المختلفة[2] :

وامـا مصطفى كمال فقـد تمت صنـاعـة بطـولته بكل دقة والقى اليونان في البحـر فكـان على يديه انتهاء الخلافة واعلان العلمانية بل وصف الأمير شكيب أرسلان حكومته أنها : دولة مضادة للدين والحكومة البلشفية في روسيا سواء بسواء[3] .

---

(١) نفسه ص ١٩٩ .

(٢) كشك ـ القومية والغزو الفكري ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ .

(٣) حاضر العالم الإسلامي للوثروب ج٣ ص٣٥٨ .

والـواقـع أن مصطفى كمال قد خلق نمـوذجـاً صارخـاً للحكـام في العالم الإسلامي بالتخلي عن أحكام الإسلام وكان لأسلوبه الاستبدادي الفذ[1]. أثره في سيـاسـات من جاء بعـده منهم . كما أنـه أعطى الاستعـمار الغربي والشيوعي مبرراً كافياً للقضاء على شريعة الإسلام .

أما في مصـــــر :

فقـد بدأ الانحـراف عن الشـريعـة منـذ زمن محمـد على باشا . وفي عهد إسماعيـل الـذي كان هدفه الأكبر هو أن يجعل مصر قطعة من أوربا[2]. وأما في عهـد الاحتـلال الـبريطاني فقد لقي دعاة الإصلاح تشجيعاً من كرومر لأن هذا الإصلاح يحقق له هدفين :

فهـو يشغـل الـرأي العام بما يُطرح على بساط البحث من مسائل وما يثار من مشاكل فينصرف عن الانسياق في تيار الكراهية للاحتلال الانجليزي .

ثم إن الإصلاح يدعم في الوقت نفسه حجة الاستعمار في أنه دائب على العمـل لترقيـة مصر وإصلاحها . ولذلك أطلق كرومر حرية الصحافة في الكلام عن عيوب المجتمع ووسائل علاجه . ويساعد كرومر في دعوته عدد من النصارى بعضهم من الشـــام وبعضهم من مصـــر[3]. فأخـذوا بمسـاعـدة بعض العلماء والزعماء يعملون على حركة إلغاء الإسلام أو عزله عن شئون الحياة كلها .

وانشىء الحـزب الـوطنى الحرالذي نطقت باسمه جريدة المقطم الصريحة في ولائهـا للانجليـز لا تستخفي ولا تداري[4]. وكـذلـك حزب الأمة الذي دعا إلى التحـــرر الفكـري والتعـاون مع الأوروبيـين في كل مجالات الحيـاة ثقـافيـاً وإقتصـاديـاً وسياسياً وكان اللورد كرومر يسميهم حزب الشيخ محمد عبده ويعقد

---

(١) انظر أرمستر ونغ ـ الرجل الصنم .

(٢) الاتجاهات الوطنية ج ٢ ص ١٩٠ .

(٣) الاتجاهات الوطنية ج ١ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .

(٤) نفسه ج ١ ص ٩٣ .

عليهم الآمـال في مستقبـل مصر السياسي ويوصي ممثلي الاحتلال بأن يمنحوهم كل عون وتشجيع(١).

وكـان الانجليـز أيضـا يحتضنون في مصر كل مناهض للسلطان العثماني، وكـل معـارض للخديوي الذي يستمد وجوده الشرعي من ذلك السلطان وكل داع إلى الإصلاح الداخلي، لأنهم يريدون أن يضعفوا أثر العصبية الإسلامية في مستعمراتهم من ناحية، ولأنهم يريدون أن يشغلوا الناس عن التفكير في الجلاء(٢). فكانت سياستهم تدور حول خطتهم السياسية المشهورة : فرق تسد (Devide in order to conquer) (٣).

وكانت بريطانيا عازمة على إلغاء الشريعة الإسلامية فور تمكنها من البلاد غير أن كرومر رأى أن أفضل وسيلة لذلك هو تفريغ المحاكم الشرعية من محتواها بأن يتـولاهـا علماء : «ذوي طابـع تحرّري» تتم تربيتهم بإشرافه في معهد خاص لقضـاة الشـرع(٤). وأنشا مجلس شورى القوانين(٥). وأصبحت تشتد الدعوة في فصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية أو فصل الدين عن الحياة وشئونها أسوة بأوربا(٦). واستغل كرومر صداقة الشيخ محمد عبده استغلالاً بشعاً مما دعا باحثاً أوربيا مثل جب لأن يقول : «. . . وهذا الرأي يعتبر لبنة في بناء الحركة المتمدنة أو خشبـة الخـلاص في حركة التحرر العلمانية»(٧). والواقع أن فتاوى محمد عبده وآراءه الجـريئـة جعلت أولئـك يعتبـر ونه من ركائز العلمانية في العالم الإسلامي، فقـد تجرأ على أضعـاف مفهـوم الـولاء والبراء، ودار الحرب ودار الإسلام، فقد أعلن جواز الاستعـانـة بالكفـار وأهـل البـدع والأهواء فيما ينفع المسلمين، حين استفتـاه بعض مسلمي الهنـد الـذين يدعـون إلى إنشـاء الجمعيات لتربية أيتام

---

(١) نفسه ج ١ ص ٩٥.
(٢) نفسه ج ١ ص ١٠٨.
(٣) نفسه ج ١ ص ١١٣.
(٤) على غرار الكليـة التي أنشأتهـا النمسـا في سيراجيفو لتخريج القضاة الشرعيين كما ذكر الشيخ محمد عبده نفسه ج١ ص٣٤٧.
(٥) انظر نفسه ج ١ ص ٢٦٥.
(٦) نفسه ج ١ ص ٢٧٤.
(٧) الاتجاهات الحديثة في الإسلام ص ٧٢.

المسلمين مستعينين ببعض الأجانب غير المسلمين[1]. فأوجد الشيخ بقصد أو بدون قصد القاعدة التي ارتكز عليها دعاة الإصلاح للتعلق بأذيال الغرب وإقصاء الإسلام عن توجيه الحياة. إذ ظلوا ينقضون الإسلام عروة عروة حتى أن المعركة بعد ذلك أصبحت تدور ضد قانون الأحوال الشخصية وهو البقية الضئيلة من آثار الشريعة الإسلامية.

هذا وقد عاصر الشيخ محمد عبده رجل آخر من دعاة الإصلاح في الشام هو عبد الرحمن الكواكبي (ت سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) وهو أول من نادى بفكرة فصل الدين عن الحياة بمفهومها الأوربي الصريح فهو يقول في كتابه طبائع الاستبداد طبع سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م:

«ياقوم واعني بكم الناطقين بالضاد من غير المسلمين ادعوكم إلى تناسي الاساءات والأحقاد، وما جناه الآباء والأجداد، فقد كفى ما فعل ذلك على أيدي المثيرين، واجلكم من أن تهتدوا لوسائل الاتحاد وأنتم المتنورون السابقون. فبهذه أمم اوستريا وأميركا قد هداها العلم لطرائق الاتحاد الوطني دون الديني والوفاق الجنسي دون المذهبي والارتباط السياسي دون الإداري. دعونا ندبر حياتنا الدنيا ونجعل الأديان تحكم الأخرى فقط، دعونا نجتمع على كلمات سواء: ألا وهي فلتحيا الأمة، فليحيا الوطن، فلنحيا طلقاء اعزاء»[2] وكان قد أصدر كتابه أم القرى سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م وورد فيه آراء لم تخل من إشارات مريبة إلى موالاة الدول المستعمرة فقد قال: «وكفتح أبواب حسن الطاعة للحكومات العادلة والاستفادة من إرشاداتها وإن كانت غير مسلمة، وسد أبواب الانقياد المطلق ولو لمثل عمر بن الخطاب»[3].

واقتفى الأثر عدد من الكتاب والصحفيين وغيرهم يطالبون بضرورة فصل الدين عن السياسة وابعاده عن واقع الحياة باعتباره الحل الوحيد لمشاكل الشرق، وكان لجهود المستشرقين ودسائس المبشرين أعظم الأثر في تحقيق ذلك.

---

(١) الاتجاهات ـ ص ٣٤٣ ويضيف الدكتور محمد محمد حسين بعد أن أصدر الفتوى مثل هذه الآراء قد تبدو في ظاهرها ولا بأس بها ولا غبار عليها بينما هي في حقيقة الأمر تدعو إلى مذهب التحرر...»

(٢) طبائع الاستبداد ص ١١٢ ـ ١١٣.

(٣) انظر كتاب أزمة العصر للدكتور محمد محمد حسين ص ١٨ـ٢٠ حول هذا الموضوع.

فتمكن المستعمرون عملياً من اقصاء الشريعة بل اسدال الستار على هذا الموضوع، وزرعوا الأحزاب القومية والوطنية والاشتراكية المتباينة التي تتفق جميعها على شيء واحد هو عدم رفع شعار الإسلام أو الدعوة إلى تحكيمه .

وفي الوقت الذي أصبحت فيه مصر مؤهلة لقيادة العالم الإسلامي بعد سلخ تركيا عن الإسلام، وكان الاستعمار يلمّ شعثه لمغادرتها، ظهر كتاب علي عبد الرازق بوحي من المبشرين دعا فيه إلى فصل الدين عن الدولة بصراحة بأسلوب المستشرقين في تحوير الفكرة واقتطاع النصوص وتلفيق الواهيات وطريقة الباطنية في التأويل البعيد[1]، كل ذلك ليدلل على أن الإسلام كالنصرانية علاقة روحية بين العبد والرب لا صلة لها بواقع الحياة .

وكان لكتابه آثار بعيدة فقد ترجم إلى اللغات الأجنبية وأصبح مرجعاً معتمداً للدراسات الإسلامية في الغرب. وظهرت كتاباتهم متأثرة به، وهلّل له سماسرة الاستعمار من الكتاب والصحفيين باعتبار مؤلفه عالماً متحرراً متنوّراً، ووضعه البعض على رأس مرحلة فكرية عصرية. في حين ووجه بمعارضة شديدة من المسلمين المخلصين[2].

وقد وجدت الأحزاب السياسية في كتابه ضالتها المنشودة فلم تعد تتحرج من اعلان انتمائها للاتجاهات السياسية اللا دينية شرقيها وغربيها وبراءتها من الدين والمتدينين. وقد حاصرت الدوائر الاستعمارية الكتب التي ردّت عليه واهملتها وسائل الاعلام حتى لم يكد يظهر لها صدى عند غير القلة المخلصة .

ومن بين الكتاب الذين ساروا على هذا الطريق خالد محمد خالد في كتابه : «من هنا نبدأ» هدف فيه إلى ما قصده الشيخ علي من قبل ولكن بأسلوب أذكى وأحدث[3].

---

(١) العلمانية ـ سفر ـ ص ٥٨٢ .

(٢) انظر الاتجاهات الوطنية ج ٢ ص ٨٥ ـ ٩٥/ وقد حوكم على عبد الرازق أمام هيئة كبار العلماء فأصدرت حكمها في ٢٢ المحرم سنة ١٣٤٤هـ/ ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٥م بإخراج الشيخ أحد علماء الأزهر من زمرة العلماء) .

(٣) انظر ردّ الشيخ الغزالي عليه في كتابه : «من هنا نعلم» .

ثم ظهـرت أفكـار كثيرة تبر ر انتهاج الطرائق الغربية في الحكم واسهمت وسـائـل الاعـلام ـ لاسيـما الصحـافـة ـ في نشـر وتعميم تلك الأفكـار حتى استحكمت غربـة الشـريعـة وخفت صوت المكافحين عنها، بل أصبح ـ في نظر الغـالبيـة العظمى ـ رمـزاً للرجعيـة والتأخـر وسط ضجيج الدعوة إلى الإصلاح والتجـديـد وصخب الشعارات التي رفعتها الأحزاب القومية والوطنية والإقليمية والاشـتراكيـة المتصـارعة، فانسحب الإسلام من الحياة السياسية ليتخبط العالم الإسلامي وهيئاته السياسية في تجارب حكم جديدة، وترتب على ذلك انسحابه من ميـادين الحيـاة الإقتصـاديـة تمامـاً وسيـادة المبـاديء الـرأسمالية والاشتراكية المتصارعة، كما انسحب تدريجياً من الحياة الاجتماعية كما سبق، وانزوى في ركن واحـد من العـالم الإسـلامي هو منبعـه الأصلي في جزء من شبه الجزيرة العربية، وغدت الأمة ضائعة تبحث عن ذاتها شاردة لا تدري إلى أين تسير كما أصبحت حقـلاً للتجـارب الفكـرية الوضعية. وضاعت أصوات دعاة الإسلام وسط هذا الضجيـج وحـوربـوا وطـوردوا وضيّق عليهم بمختلف الأسـاليب، ولكن العـدّ العكسي بدأ فأخذ كثير من اقطار العالم الإسلامي يتلمس طريقه نحو الإسلام بعـد أن قطـع أشـواطـاً في الضـلال. ورحلة العـودة هذه مملوءة بالصعاب تحتاج لعـزائم الـرجال والدعاة لشدة التغيرات التي أصابت المسلمين في مختلف ميادين حياتهم وغربتهم عن الإسلام وعن شريعة الإسلام. مما جعل جب يقول:

«... وكـان طبيعيـاً أن يبقى الإسـلام... وقـد يكـون الدين الرسمي للدولـة ولكنـه سليب الحقـوق التشـريعية، ونزل إلى مكانة الديانة المسيحية في الدول الأوروبية، وقد اختلف تطبيق هذا المبدأ بطبيعة الحال وفق ظروف كل إقليم»[1].

ونـرى لزامـا علينا أن نلخص آثار الاستعمار السياسية في العالم الإسلامي لتتضح صورة الواقع السياسي لبلاد الإسلام:

---

(١) وجهـة الإسـلام ص ٥١/ وانظـر باشميـل ـ اكـذوبـة الاشتراكية العربية ص ١٩-٢٣ في العمل لإقصاء الشريعة الإسلامية.

فقد خطا المسلمون خطوات واسعة في سبيل التحرر من الاستعمار وأفسدوا حلمه في البقاء الطويل ، فاندلعت ثورات في الهند واندونيسيا ومصر والجزائر والمغرب وليبيا والسودان والتركستان والقوقاز واقطار افريقية الإسلامية فعمد الاستعمار إلى اساليبه المختلفة في إبقاء آثاره والحيلولة دون لقاء المسلمين ووحدتهم ، فيثبت أوضاع المسلمين بعد رحيل الاستعمار كما هي بل وأشد انحرافاً عن منهج الإسلام وشريعته . ومن هذه الآثار التي تركها :

١ ـ اقتسم المستعمرون العالم الإسلامي فمزقوا وصلاته بين بريطانيا وفرنسا وايطاليا وروسيا وهولندة واسبانيا والبرتغال ، وقد ترك كل منهم بصماته في الأقاليم التي تركها .

٢ ـ انتزع المستعمرون أقساماً من العالم الإسلامي وسلموها لغير المسلمين مثل فلسطين ، واريتريا وصومال انفدي والصومال الغربي وقبرص ولبنان وكثير من الاقطار الإسلامية الواسعة داخل الاتحاد السوفييتي وأوربا الشرقية .

٣ ـ جزأ الاستعمار العالم الإسلامي واقام الحدود المصطنعة وأبقى لكل قطر مشكلة مع جيرانه بعد رحيله ليحول بين المسلمين والتعاون فيما بينهم ولن تعوزنا الأمثلة لذلك : الصومال مع جيرانه ، العراق وإيران ، سوريا وتركيا ، مصر وليبيا ، السودان وجيرانها التسع ، المغرب والجزائر وتونس وموريتانيا ، تنزانيا ، نيجيريا ، اندونيسيا وماليزيا ، الهند وباكستان ثم بنغلادش والهند ، كشمير ، اليمن الشمالي والجنوبي وعمان ، ومشكلة كل قطر مع الآخر مستعصية ، لا يحلها إلا الإسلام الذي اقصي عن الساحة .

٤ ـ عمل الاستعمار على نشر لغته وتاريخه وعاداته في بلاد الإسلام وحارب اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، وشوه تاريخ الإسلام ليؤكد الطابع الإقليمي والوطني لكل قطر وليحول دون لقاء المسلمين .

٥ ـ عمل على نشر الحكم الفاسد في بلاد المسلمين ، فحصر الوظائف في أيدي أعوانه وممثليه ، وأشاع روح الفرقة بين أبناء البلد الواحد فعملوا على

الفصل بين العرب والمسلمين، وبين الترك والعرب وبين المسلمين والنصارى في بلاد الشام ومصر، وبين المسلمين والهندوس في الهند، وأثاروا الخلافات واستغلوها بين أهل السنة والشيعة. والعرب والبربر، وجمدّ الاستعمار المجتمعات البدوية، وجمدّ القبليات وحرص على عدم انصهارها في المجتمعات الكبرى، بل فرقّ بين الريف والمدن والبادية، وخلق المشكلة الطائفية وغذاها وفرضها لتكون أداة سياسية له كما في لبنان وغيرها. وفتح أبواب التبشير للارساليات الاجنبية وساندها وضمن لها حرية الحركة والتمويل - ففي افريقيا وحدها يوجد مئة ألف مبشر ومبشرة بالإضافة إلى ما لهؤلاء من مدارس ومؤسسات ومستوصفات وصحف وغير ذلك[1]. وسهل الاستعمار استيراد أقليات دينية غريبة من الأرمن والأشوريين والنساطرة في المشرق العربي، واستقدم أجناسا غربية من ملطيين ويونانيين ويهود في أقطار أخرى.

٦ - شجع الأحزاب القومية والوطنية والطائفية والإلحادية التي عملت على تمزيق البلاد بتناحرها وولائها للأجنبي، لتخدمه وتخدم مصالحه. واصطنع الزعماء في كل قطر إسلامي، وسرق الثورات وزرع الخوف في نفوس كثير من المسلمين. وجاءت أمريكا - الولايات المتحدة الامريكية - وروسيا لترث الاستعمار - فوضعت خطة سميت لعبة الأمم وتعني النشاط الذي بدأته وزارة الخارجية الامريكية في واشنطن بغية وضع المخططات المناسبة لبسط النفوذ الامريكي على بلاد العالم عن طريق السياسة والخداع بدل اللجوء إلى الحرب المسلحة، وبذلك يقترب المعنى من : التخطيط السياسي للصراع على مناطق النفوذ في العالم عن طريق الحرب الباردة[2].

يقول وزير المستعمرات البريطاني عام ١٩٣٨م :

«إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي أن نحذره ونحاربه، وليست انجلترا وحدها هي التي تلتزم بذلك، بل فرنسا أيضا...

---

(١) إحسان حقي - المسلمون أمام التحدي العالمي ص ١٣.

(٢) انظر - مايلز كويلاند - لعبة الأمم - تعريف المترجم للعبة الأمم (ص ٦).

إن سياستنا تهدف دائماً إلى منع الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامي، ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك .

إننا في السودان ونيجيريا ومصر ودول إسلامية أخرى ـ شجعنا وكنا على صواب ـ نمو القوميات المحلية، فهي اقل خطراً من الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامي[1].

وأسفرت هذه الآثار عن إقصاء الشريعة الإسلامية عن ميدان الحكم في العالم الإسلامي وأصبح عدد دوله التي ظهرت بعد سقوط الخلافة العثمانية كبيراً[2]، وجميعها تعد من دول العالم الثالث الموصوف بالضعف والتخلف، وتقع هذه الدول في قارتي آسيا وافريقية ودولة واحدة في أوربا هي البانيا، هذا عدا عن الأقاليم الواسعة التي لا تزال ترزح تحت الاحتلال الأجنبي في الاتحاد السوفييتي وفلسطين وغيرها، والدول التي لا يشكل المسلمون فيها اغلبية تزيد على ٥٠٪ وقد اثبتنا ذلك فيما سبق وبيّنا أسماء هذه الدول والبلدان عندما بحثنا العالم الإسلامي فارجع إليه .

هذا وتتصف معظم الدول الإسلامية الحالية بالتبعية السياسية في مجال الحكم والإقتصاد والفكر، وهذا ما يجعل أوضاعها غير مستقرة وعرضة لأطماع المعسكر الشرقي والغربي على حدّ سواء، كما اتصفت بالعجز في مواجهة التحديات العنيفة التي يواجهها من الصليبية والصهيونية في البلاد العربية وافريقيا، والهندوسية في شبه القارة الهندية والشيوعية في تركستان والصين وأفغانستان، وسنعطي تفاصيل ذلك عند تعرضنا للقضايا الإسلامية المعاصرة إن شاء الله .

---

(١) من كتاب هموم داعية للشيخ محمد الغزالي.

(٢) وقد انشرحت صدور اعداء الإسلام لهذه التقسيمات واعتبروا التقسيم السياسي الذي طرأ على الإسلام بأنه سيمهد السبل لأعمال المدنية الأوروبية (أي عملية التغريب) فقالوا: «إذ من المحقق ان الإسلام يضمحل من الوجهة السياسية وسوف لا يمضي غير زمن قصير حتى يكون الإسلام في حكم مدينة محاطة بالأسلاك الأوروبية» (انظر الغارة على العالم الإسلامي ص ٩-١٠).

الفصل الرابع
واقع العالم الإسلامي في الناحية الاقتصادية

قام الإسلام في حلّ جميع مسائل الحياة على الفطرة، فلم يهمل جانباً من جوانبها ولا تجاهل حقيقة من حقائقها، فاقر في المسائل الإقتصادية للحياة الإنسانية جميع الأصول الفطرية التي قام عليها صرح إقتصادي إنساني ثابت لا تحتاج إلى تعديل فضمن حماية حياة الإنسان كل إنسان بنظام من التآخي يمقت الطفيلية والنهب في إطار من الأفكار والثقافة المستوحاة من صميم العقيدة الإسلامية التي تعدّ العمل الإقتصادي حفظاً للحياة[1]، وللنوع الإنساني. فقام الاقتصاد الإسلامي على أصول منها :

ـ إن المال كله لله والبشر مستخلفون فيه .

ـ وجوب تأمين الضروريات لكل فرد من مأكل وملبس ومسكن .

ـ تحريم أكل أموال الناس بالباطل في أي صورة من الصور كالرشوة والسرقة والغبن .

ـ تحريم الربا وأحل الإسلام محله القرض الحسن. واعتبر المرابي عدواً محارباً لله ورسوله لأنه يستغل حاجة الآخرين فيتحكم فيهم ويزرع بذور الحقد بين الناس[2].

ـ تحريم الاحتكار والجشع والاستغلال والمكوس .

ـ النهي عن أن يكون المال دولة بين الاغنياء، فحارب الطبقية من أي نوع، ورمى إلى إقامة عدالة اجتماعية تخلو من الحقد والظلم. فهو لا يسعى لإفقار الغني بل يأخذ بيد الفقير ويرتفع به إلى مستوىً لائق من العيش ومن هنا يسود المجتمع الحب والتآلف بين الغني والفقير لا الصراع والحقد[3].

---

(١) انظر مالك بن نبي ـ مفكراً إصلاحياً ص ٢٣٥ .

(٢) انظر ـ أبو الأعلى المودودي ـ الربا ص ٤٠ ـ ٤٥ .

(٣) كما في الأفكار الاشتراكية ـ فكرة صراع الطبقات ـ التي تولد الحقد الدائم بين الناس.

ـ الحث على الإنفاق ووجوبه إذا اقتضت الضرورة.

كما قرر الإسلام الحجر على السفهاء الذين يبذرون أموالهم في الوجوه غير المشروعة. فعلى الإنسان أن يحسن الخلافة في المال.

ـ كما قرر الإرث والوصية لتفتيت الثروة وعدم تجميعها في أيدي أناس معدودين[1].

ـ ولم يفصل الإسلام الحياة الإقتصادية عن الحياة الدينية والخلقية التي شرعها للناس، فإن الإنسان خلق لعبادة الله، وان ما في الأرض من ثمرات خلق ليكون معونة له على تلك العبادة، فالمسلم ينظر إلى كل شيء حوله من خلال شغله برسالته، فالله مورد حياته، ومصدر خيره وعونه، والناس إخوته يعنيهم من أمر رسالتهم مثل ما يعنيه، ويتنافسون فيها فلا يزيدهم التنافس إلا فرحاً وتعاوناً وألفة ومحبة. والمال إلى جانب ذلك فضله ليس هدفاً ولا غاية. ولا مجال له في نفوسهم المشغولة بغرضها إلا مجال الضرورة... وفي هذا يقول الإمام ابن تيمية: «إن الأصل أن الله تعالى إنما خلق المال اعانة على عبادته لأنه إنما خلق الخلق لعبادته»[2]، ولذلك فحياة المسلم وحدة كاملة متوازنة، فحسم الإسلام الشر بحذافيره واجتث نوابت الفساد من أصولها في نفسية المسلم.

ـ وحث الإسلام على السعي في طلب الرزق وأباح الملكية الفردية وبيّن الحلال والحرام ـ والفردية أحد عناصر التقويم الروحي الذي أريد لنفس الإنسان ليكون لكل فرد إحساسه الذاتي بالتكليف الذي القي على عموم الناس بعمارة الأرض ولتكون مسئوليته الخاصة عن ذلك التكليف. وحظر على المسلم الخبائث فحرم الخمر وأنواع المسكرات والمخدرات وسائر المنكرات والفواحش ولم يقتصر على تحريمها فقط بل حرم كذلك صناعتها وإعدادها والاتجار بها بيعاً وشراء... ولم يعد الإسلام البغاء مهنة ولا الرقص حرفة ولا الغناء من وسائل الكسب والمال الذي يأتي من هذه السبل لا يعد مالاً حلالاً بل

---

(١) وهذا يخالف الإرث الرأسمالي (والوصية) الذي يركز الثروة في أيدي عدد محدود من الناس.

(٢) السياسة الشرعية ص ٤٠/ وانظر الثروة في ظل الإسلام ـ البهي الخولي ص ٧٢ فما بعد.

جميع المكاسب التي تدر الربح على بعض الناس وتضر بالآخرين أو بالمجتمع البشري كالرشوة والسرقة والميسر وصنوف المقامرة وجميع المعاملات التي يخالطها الغبن والغش ـ يراها الإسلام جرائم يعاقب عليها . وهو يحرم احتكار الحبوب والأغذية والأمتعة التي تعد من حاجيات الناس ويمنع حبسها طمعاً في ارتفاع الأسعار فيفضي ذلك إلى الأزمات والضنك في المعايش ، كما حرم طرق الكسب التي تفضي إلى النزاع والتخاصم أو التي يتعلق الربح والخسارة فيها بالحظوظ المجهولة ، وليس للسعي فيها نصيب أو لا تكون بين المتبايعين بها أو المتعاقدين عليها حدود معلومة أو حقوق واضحة مرسومة . وبذلك لم يدع الإسلام الملكية الفردية حرة طليقة[1] .

ولم يبيّن الإسلام بعد ذلك أسلوب الخطط الإقتصادية وضمان تحقيق هذه الأصول وكيفية التعامل المباح بين المؤسسات العامة والخاصة واشراف الدولة أو سيطرتها على الانتاج أو التجارة وما أشبه ذلك . فهي موكولة إلى اجتهاد ذوي الاختصاص من الأمة في حدود تلك الأصول التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان ، فقد ترك الإسلام كما هو شأنه في كل ما يعرض له من الأمور البشرية ـ للفكر الإنساني وللجهود البشرية أن تبتكر في كل عصر ما يلزمها لتحقيق مصالحها .

والمال الذي يمتلكه المسلم يتصرف فيه صاحبه بطرق ثلاث :

ـ فإما أن يستهلكه في مرافق الحلال لا في الشهوات والسرف في الترف ، فقد اشترط الإسلام الاعتدال والتوسط في المعيشة ولم يحل بين الإنسان وبين أن يعيش عيشة طيبة معتدلة . قال تعالى :

﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾[2] .

---

(١) انظر الثروة في ظل الإسلام ـ البهي الخولي ـ ص ٧٧ ـ ٧٩ .

(٢) سورة الاسراء الآية ٢٩ .

وقـال جلّ وعـلا في صفـات المؤ منـين : ﴿**والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً**﴾[1] .

ــ وإما أن يستعمله في تجارة أو صناعة تعود عليه بالربح الحلال .

ــ وإمـا أن يدخـره ـ والإسـلام يكره كنز الأموال وإدخار الغني مالا يحتاج إليـه في نفقـاتـه، ومن أراد أن يدخـر فعليـه الـزكـاة ٢,٥ ٪ سنـويـا ليوزع على الأصناف الثمانية الذين ذكرهم الله سبحانه وتعالى في الآية :

﴿**إنـما الصـدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الـرقـاب والغـارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله**﴾[2]. وهذا حق وليس منّة. قال تعالى :

﴿**والذين في أموالهم حق معلوم، للسائل والمحروم**﴾[3].

بمعنى آخـر نرى الإسـلام يبعـد كل البعـد عن النظام الرأسمالي الفردي الــذي يعطي حريـة العمـل والكسب بأي وسيلة كانت. والحـريـة المطلقـة في التصرف بالمال. وبعيد جداً من النظام الشيوعي والاشتراكي الذي يجعل الفرد سنـاً في دولاب لا أهميـة له ولا اعتبار، ويلغي ملكيته الفردية. إذ يضع الإسلام تصـوراً إقتصـادياً يقوم على أساس الكسب المشروع والانفاق المشروع، ويوجه طرق الكسب وطـرق الانفـاق لما فيـه صالح الجميع، ويكون دور القائمين على شئـون الإقتصـاد دور الجـامـع الموزع لا المحتكرين الذين يقتصرون في الإنفاق على شهواتهم الخاصة .

وفي عهـد جمود المسلمـين تخلف نظـامهم الإقتصـادي كتخلفهم في جميع المجـالات فكـان الفقـر والمـرض والأمية والجهل متفشياً، والتواكل باسم القناعة منتشـراً ولكن بقيت فكـرة التكافل الاجتماعي في المجتمع الإسلامي فكان الفقر والقنـاعـة والايثـار كل ذلـك يجتمـع في المجتمـع الإسـلامي المتخلف. ولم تنل

---

(١) سورة الفرقان الآية ٦٧ .

(٢) سورة التوبة الآية ٦٠ .

(٣) سورة المعارج الآية ٢٤ .

المصالح العامة شيئاً من الانفاق ومن ذلك أهمال العناية بالري والزراعة فكثرت الفيضانات، واهملت الطرق وشئون الأمن، فاستغل العيارون واللصوص الفرصة وشاركوا في نهب المحلات التجارية والبيوت وقام الأعراب بغارات على الريف ونهبوا المحاصيل، وتربصوا بقوافل الحجاج والتجارة، فعانى المسلمون فقدان الأمن والجوع وانتشرت الأوبئة، وخاصة بعد أن تغيرت طرق التجارة عن بلاد الإسلام .

وفي ظل هذه الأوضاع المتخلفة تمكن الاستعمار الغربي أن يبسط سلطانه على بلاد الإسلام ففرض نظامه الإقتصادي مع فلسفته ونظرياته الإقتصادية حتى لم تعد أبواب الرزق لتفتح إلا لمن يختار مباديء هذا النظام الإقتصادي، فأكل المسلمون السحت أولاً، ثم محا من أذهانهم ما كان فيها من تمييز بين الحلال والحرام، وبلغ الأمر أنه لم يعد كثير من المسلمين يسلمون بتعاليم الإسلام حتى حرم فيها كثيراً من الطرق المشروعة أحلها نظام الغرب الصليبي الاقتصادي أو النظام الاشتراكي الشيوعي .

ومن أهم الآثار الاقتصادية التي خلفها الاستعمار في العالم الإسلامي في النواحي الاقتصادية وتركت بصماتها على الواقع الإقتصادي المعاصر :

١ ـ وجه الاستعمار موارد البلاد الإسلامية إلى مصالحه الخاصة، فشجع رؤوس الأموال الأجنبية على غزو البلاد واستثمار خيراتها، وأصبحت معظم الشركات أجنبية تدار لمصالح استعمارية، فقد أقام المؤسسات الاقتصادية والبنوك لتوظيف ذهب أوربا الذي طفحت به خزائن بنوكها في أواخر القرن التاسع عشر، وفتح الأسواق لمصنوعاتها ومنتجاتها وخاصة الاستهلاكية والترفيهية والكمالية، فأصبح لأفراد العالم الإسلامي ولع خاص بالاستهلاك التفاخري، ولهم جرأة عجيبة على الانفاق الاستهلاكي والتطرف فيه، وهذه نقطة قاتلة لإقتصاد المسلمين. ثم عمد الاستعمار إلى إقراض الأمراء والحكومات للسيطرة عليها وتكبيلها بالنفوذ الغربي وإيقاع ذوي اليسار في الديون للاستيلاء على أملاكهم وتحويل مختلف الأراضي والتجارات والأموال إلى البنوك الأجنبية .

٢ ـ احتكر الاستعمار التجارة الخارجية للبلاد الإسلامية ومعظم التجارة الداخلية، وعمد إلى توطن الأوروبيين في البلاد الإسلامية عن طريق التجارة كما فعل في الجزائر والهند واندونيسيا وافريقيا وتركستان، واوفد إلى البلاد العربية خاصة مئات الألوف من الأوروبيين ومعظمهم من اليهود فاستوطنوا فيها وتحكموا في اقتصادها وخاصة في أقطار المغرب العربي .

٣ ـ اتجه الاستعمار إلى محاربة الصناعة الوطنية في العالم الإسلامي ليضمن استمرار تبعية البلاد الإسلامية له إقتصادياً كما تتبعه عسكرياً أو سياسياً، وليضمن تصريف منتجات مصانعه فيها، واكتفى بتوجيه المسلمين إلى الاشتغال بالزراعة، زاعماً أن الصناعة تتطلب قدرة فنية لم يصلوا إلى درجتها بعد. وفي الزراعة شجع حاصلات معينة واحتكر تجارتها مثل القطن في مصر والسودان، والتمر في العراق، وزيت الزيتون في تونس والمغرب، والمطاط في اندونيسيا وماليزيا وزيت النخيل في نيجيريا والعنب في الجزائر وعمل على إقراض الفلاح بالربا الفاحش وجند المرابين والصيارفة وأصحاب الخمارات في مختلف القرى لسلب الأهالي. وهذا أيضا أدى إلى اعتماد البلاد الإسلامية على نمط وسلع وخدمات السوق الأوروبي والأمريكي وعدم القدرة إلى التحول عنها إلى غيرها. وهذا يجعلها تشتري السلعة بأي سعر. الأمر الذي استنزف الفوائض المالية الإسلامية نتيجة اقدام الغرب اقداماً متعمداً على زيادة اسعار صادراته بأكثر من زيادة اسعار النفط .

٤ ـ احتكر ثروات العالم الإسلامي المعدنية وبخاصة البترول[1] من البلاد العربية ونيجيريا واندونيسيا واذربيجان وايران، والقصدير من ماليزيا واندونيسيا ونيجيريا، والحديد في الجزائر وموريتانيا، والنحاس في بلاد القازاق. وقد ذهب المستعمر ولكن بقي استخراج معظم المعادن بيد الشركات الاستعمارية وفائدة ذلك تعود للمستعمر، إذ تنقل الفلزات إلى بلاده وتقوم صناعتها على أرضه أما البلاد التي انتجته وهي بحاجة إليه والأيدي التي عملت على

---

(١) وتمتد هذه الشركات كالأخطبوط في جسد العالم الإسلامي. فقد أعلنت شركة ستاندارد اوبل رابع الشركات البترولية الامريكية أنها حققت أرباحاً صافية قياسية تقدر بـ ٢,١٨ مليار دولار عام ١٩٨٤م مقابل ١,٨٦ مليار عام ١٩٨٣م. (الشرق الأوسط ص٥ الأربعاء ٢٣/١/١٩٨٥م).

استخراجه تتلقف صناعته وتأخذها بأسعار مرتفعة أو تتوق إليه ولا تستطيع شراءه .

٥ ـ شجع الاستعمار نظام الإقطاع الزراعي والطبقية وحرم السواد الأعظم من المسلمين أن يعيش في مستوى لائق لذا شاع الفقر والبؤس والتخلف والمرض في عالم الخيرات الوفيرة والموارد الكثيرة فأفقر دول العالم مسلمة حاليا ـ وإليك بعض الأرقام المذهلة (من كتاب الحرمان والتخلف في ديار المسلمين للدكتور نبيل صبحى الطويل)(١)

البلد	نسبة الفقر من السكان	
نيجيريا		٥١٪
الصومال		٧٠٪
غانا	أكثر من	٥٠٪
سيراليون		٥٥٪
تنزانيا		٦٥٪
كينيا		٤٠٪
مصر		٢٨٪
اندونيسيا		٨٠٪
ماليزيا		٥٥٪
بنغلادش		٧٤٪(٢)
الهند		٥٦٪
الفلبين		٥٩٪
ايران		٣٨٪

(١) ص ٣٠ .

(٢) يقول : ان أكثر من نصف سكان بنغلادش البالغ عددهم ٩٢ مليونا من البشر يعيشون دون مستوى الكفاف ، وتنقل وكالة رويتر للأنباء ان عشرة بالمائة من سكان العاصمة داكا والبالغ عددهم ٢,٥ مليون نسمة هم من الشحاذين الذين يسهمون بنصيب في الجريمة والدعارة وتمثل النساء ٣٤٪ منهم وتتراوح أعمار ١٢٪ منهن بين ١٢-١٧ سنة (ص٢٧) .

هذا عدا البلاد المعدومة في منطقة حزام الجفاف الشديد من الرأس الأخضر غربا إلى الصومال شرقاً وهي جزر الرأس الأخضر، غمبية، مالى، النيجر، فولتا العليا، تشاد، موريتانيا، غينيا، غينيه بيساو، نيجيريا، الصومال، السودان، الحبشة، وكلها دول مسلمة معدمة(١)

وبالطبع فإن المرض يلازم الفقر ويزيد الفقير فقرا وجهلا وانحدارا في الأخلاق وتحللا من القيم ولقد أدرك المنصرون هذه الحقائق منذ زمن بعيد واتقنوا اللعبة وتفننوا في استغلال الضعف البشرى الظاهر في كثير من ديار الإسلام وحولوا عن طريقه اعدادا كبيرة عن دينهم .

«يذكر تقرير حديث من اندونيسيا انه خلال العقدين الأخيرين أي خلال عشرين عاما فقط ـ أنشأت الأقلية النصرانية هناك من المستشفيات ما فاق في عدده مؤسسات الأغلبية الساحقة من المسلمين، حتى ان جمعية الانجيل الثانية اعلنت عام ١٩٧٦م عن تنصير ٤٠٠,٠٠٠ شخص، وتلا ذلك نبأ وكالة اليونايتد برس أن ٣,٥ مليونا من المسلمين قد تنصروا خلال ثلاث سنوات .

وعمدت الجمعيات الاجنبية إلى استغلال هذا البؤس فتبنى الخواجا أندريه سابيه البلجيكي ٣٠٩٠٣ من أطفال المسلمين الصوماليين. ونشط جلب الصغار من افريقيا إلى الغرب وتعليمهم وتدريبهم ثم عودتهم بعد سنوات إلى مواطنهم الأصلية وهم يحملون في داخلهم علاقات ذات صبغة رسمية وتعاقدية مع الغرب ليكونوا دعاة مخلصين ينشرون معلوماتهم المغلوطة وغير الصحيحة عن الإسلام .

---

(١) تتلقى هذه الدول مساعدات من هيئة الأمم المتحدة وفي حين أنه في عام ١٩٧٩م صرف على القطط والكلاب الامريكية ٣,٢ مليار دولار، كانت ميزانية الامم المتحدة التي تساعد هذه الاقطار ٦٨٣ مليون دولار فقط.

ومن الجدير بالذكر أن امريكا تقدم ٠,٢٢٪ من ناتجها القومي كمساعدات وتكون مهينة وبها الكثير من الإذلال، بينما تقدم السعودية حوالي ٥٪ من ناتجها القومي [جعفر آدم حسين ـ عرض كتاب العالم الثالث ـ نظرة من الداخل ـ للكاتب البريطاني بول هاريسون]. (الشرق الأوسط الأربعاء ٢٨/٨/١٩٨٥م).

لقد خلف الاستعمار التفاوت العجيب بين فئات المسلمين وحافظ عليه المسلمون وشكلت ديارهم الجزء الأكبر من العالم الثالث في افريقيا وآسيا ـ الذي يسميه الغرب خداعاً الدول النامية[1]. كتب الدكتور الطويل قائلا :

«لقد زرت وعشت أياماً وأشهراً في كثير من الحواضر الكبرى في ديار المسلمين لاغوس في نيجيريا سكانها ٤,٦ مليون نسمه، والقاهرة في مصر وفيها حوالي ٨ ملايين نسمة، وكراتشي في باكستان وفيها ٥ مليون نسمة، وجاكارتا في أندونيسيا وفيها حوالي ٦ ملايين نسمة، وداكا في بنغلاديش وفيها حوالي ٢,٥ مليون نسمة، ورأيت فيها جميعا التناقض المخيف بين من يملكون الملايين ومن لا يملكون شروى نقير، بين البيوت الفخمة والشوارع العريضة وبين الأكواخ الخشبية والطرق الضيقه، بين الحدائق الغناء في الأحياء السكنية الراقية وبين أكوام القمامة والأوساخ وتجمعات المياه الراكدة والحفر والحشرات والفئران على حواشي الحواضر الكبرى هذه وفي أحيائها القديمة، بين نظافة الثياب الأنيقة للفتية في الأماكن الموسرة والأجسام الممتلئة بل وربما

---

(١) توجد ثلاثة معايير تحدد الدول الأكثر فقراً في العالم : الأول : الدخل السنوي للفرد يقل عن ١٠٠ دولار سنوياً، الثاني : انخفاض نسبة المتعلمين أقل من ٢٠٪ من السكان، الثالث : انخفاض دخل الانتاج الصناعي عن ١٠٪ من إجمالي الناتج القومي .

وقد بلغ عدد هذه الدول في العالم عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ستة وثلاثون دولة مجموع سكانها حوالي ٣٠٠ مليون نسمة. ٣٦ دولة في افريقية و٩ دول في آسيا ودولة واحدة في امريكا اللاتينية .

والدول الافريقية تضم : بنين، وبوتسواتا، وبوركينا فاسو، وبروندي، والرأس الأخضر، وجزر القمر، وجيبوتي، واثيوبيا، وجامبيا، وغينية بيساو، وغينية الاستوائية، وليسوتو، ومالاوي، ومالي، والنيجر، واوغندا وجمهورية افريقية الوسطى، وتنزانيا، ورواندا، وساوتومي، وبرنسيب، وسيراليون، والصومال، والسودان، وتشاد، وتوجو.

وأما الدول الآسيوية : افغانستان، وبنجلاديش، وبوتان، ومالاديف، ونيبال، ولاوس واليمن الشمالي واليمن الجنوبي وساموا .

وفي أمريكا اللاتينية : هايتي .

وكانت ٣١ دولة تندرج في قائمة الدول الأقل تقدماً أثناء انعقاد مؤتمر باريس عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م. وانضمت منذ ذلك الحين جيبوتي، وغينية الاستوائية وساوتومي وبرنسيب وسيراليون وتوجو إلى القائمة .

ومعظم هذه الدول كما هو واضح بلاد إسلامية للأسف. (الشرق الأوسط العدد ٢٤٨١ ص ٤ الجمعة ٢٨ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ١٣/٩/١٩٨٥م).

المترهلة شحماً ودهناً من التخمة . . . وبين الاسمال والخرق البالية على الأجساد الضعيفة الهزيلة المريضة الجائعة ـ بين الفنادق الفخمة ذات النجوم الخمسة، وكثير منها للأجانب وبين المقعدين المعوقين من الشحاذين الفقراء صغاراً وكباراً . . . على أبواب هذه الأبنية الرائعة. يحدث كل هذا في ديار المسلمين والله تعالى يقول لهم : ﴿**المؤمنون والمؤمنات بعضهم لبعض أولياء**﴾[1]، وكان النبي ﷺ لا يترك شيئاً في داره إلا وزعه على الناس المحتاجين، وكان خلفاؤ ه الراشدون يحملون على أكتافهم أكياس الدقيق إلى الأرامل والمساكين، وكان عمر بن عبد العزيز يكفى الناس جميعاً حتى انهم لم يجدوا في عهده من يحتاج لمال زكاة أو صدقة. وفي العهد العباسي تعرف أن الحكومات المتعاقبة تعهدت بتقديم الرعاية الصحية المجانية للرعية جميعاً دون تمييز في الأديان والمذاهب. . .[2]

وكل ذلك طبعاً نتيجة لغياب النظام الإسلامي الاقتصادي وغير الاقتصادي .

٦ ـ ربط الاستعمار عملات العالم الإسلامي بعملته ـ فالبلدان التي خضعت للنفوذ الانجليزي، ربطت عملتها بالجنيه الاسترليني، والبلاد التي خضعت للنفوذ الفرنسي اخضعت عملتها للفرنك الفرنسي، وارتبطت كثير من العملات الإسلامية بالدولار الأمريكي حالياً .

ولكي يحافظ الاستعمار على بقاء تخلف البلاد الإسلامية وارتباطها به أطلق على العالم الثالث في افريقيا وآسيا ـ والذي يشكل في أكثره ديار المسلمين ـ نفاقاً وخداعاً : «الدول النامية» والخبث في هذا التعبير أنه يوحي بالحركة القائمة مع أن واقع هذه الدول هو العكس تماماً، ففيه استنقاع إقتصادي إن لم نقل

---

(١) سورة التوبة الآية ٧١.

(٢) الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ص ٤٣.

تراجعاً وتأخراً[1] إذ كلما اشتد الارتباط وزاد الاستيراد زادت التبعية، وأثرت على العلاقات الاقتصادية بين بلاد المسلمين وعلى التكامل الاقتصادي وهذا يمنع من نمو الاقتصاد الإسلامي نمواً سوياً مستقلاً .

وترى الغرب يذيع دائماً ويملأ الأسماع عن المعونات الخارجية للدول النامية ومع ذلك فإنها لا تنمو بل تزداد فقراً على فقر، فهو يستهدف الابتزاز والكسب غير المشروع تحت ستار المساعدات التي تذهب معظمها إلى جيوب العملاء، ولقد عبّر رئيس إحدى الشركات الأمريكية في خطبة له عن سياسة الاحتكارات اليهودية الأمريكية والاستعمار الجديد بقوله :

«لقد حصلنا مقابل كل دولار انفقناه في السنوات الخمس الماضية على مختلف الأغراض خارج الولايات المتحدة على ٦٧ , ٤ دولاراً أي أن كل دولار ربح ٦٧ , ٣ دولاراً، أي أن نسبة الربح بلغت ٣٦٧٪» . وهي سرقة وابتزاز وليست عمليات اقتصادية سليمة[2] .

ويقول جورج وودز المدير السابق للبنك الدولي عن المعونات الإقتصادية : «إذا استمر الحال على هذا المنوال تكون كمية رؤوس الأموال الخارجة من الدول النامية أكثر من المبالغ التي دخلتها في فترة خمسة عشر عاماً، وذلك بسبب الفوائد المرتفعة»[3] .

ولعل أطرف الأمثلة عما تفعله المعونات الخارجية هو قصة صندوق النقد الدولي في مصر في اتفاق برامج التثبيت الإقتصادي الذي عقد مع البنك في جمهورية مصر العربية للفترة ما بين ١٩٧٨ ـ ١٩٨١م وكان الهدف المعلن لهذا البرنامج هو إخراج مصر من أزمتها الاقتصادية وتقليل نسبة عجز ميزانها التجاري . وفي الدراسة التي أجراها الدكتور رمزى زكي الخبير الأول في معهد

---

(١) انظر المقال القيم : العالم الثالث وقوانين التغير في التخلف المنهجي وتنمية التخلف بقلم عادل . م . ع . حسون أستاذ القانون الدولي والنظم السياسية ـ البلاغ العدد ٧٨١ ص ٥٦-٦٣ .

(٢) السعدني ـ مصطفى ـ الفكر الصهيوني ـ والسياسة اليهودية ـ مطابع الأهرام التجارية . القاهرة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م .

(٣) كتاب المعونات الامريكية والسوفيتية لروبرت ولتزر تعريب . د. صبحي الطويل ـ دار القلم ١٩٧٢م ص٨ .

التخطيط القومي المصري ظهر أن الصندوق دخل مصر عام ١٩٧٨م وهي مدينة بـ ٨٠٠٠ مليـون دولار . . . وخـرج الصندوق إياه منها عام ١٩٨١م وهي مدينة بأكثر من ١٨,٠٠٠ مليون دولار أي أن كل مواطن مصري كان مديوناً بـ ٤٢٢ دولاراً للعالم[1] والغريب أن دخل الفرد الواحد كان لا يتعدى ٤٦٠ دولاراً في السنة .

وتـذكـر دراسـة أخـرى ملخصـاً لواقـع الحيـاة الاقتصـادية في مصر تحت عنـوان : تضـاعف أعبـاء الـديـون ٧ مرات في أقل من ٦ سنوات وزيادة العجز التجاري ٤٠ مرة»[2]. وهو ما يصلح مثلاً لمعظم أقطار العالم الإسلامي .

وبمنـاسبـة الـديـون الخارجية وتراكمها في كثير من الدول المسلمة عرض الـدكتـور صبحى الطـويـل بعض الأرقـام المذهلة التي تزايدت بصورة هائلة في الـعــقــد (١٣٩٠/ ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٠-١٩٨٠م) بحــيــث شكـلت في عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م أكثر من ٥٠٪ من إجمالي الناتج القومي . والديون في الغالب للدول الكبيـرة أو للمؤسسـات الـدوليـة الخاضعة لها . فيؤثر ذلك في سياسات الدول الفقيرة المدينة الداخلية والخارجية .

---

(١) الشرق الأوسط عدد ٢١ نوفمبر تشرين الثاني ١٩٨٢م ص٧ .

(٢) جريدة الشرق الأوسط ـ السابقة ـ رسالة مكتب القاهرة بقلم عصام رفعت عام ١٩٨٢م .

تراكم الديون الخارجية لبعض دول العالم الإسلامي

الدولة	المبلغ بالدولار عام ١٩٧٠	النسبة المئوية من إجمالي الناتج القومي	المبلغ عام ١٩٨٠	النسبة المئوية
افغانستان	٤٥٤ مليون دولار	-	١٠٩٤ مليون دولار	-
باكستان	٣٠٥٩ مليون دولار	٣٠,٥٪	٨٨٧٥ مليون دولار	٣٤,٧٪
السودان	٣٠٨ مليون دولار	١٥,٣٪	٣٠٩٧ مليون دولار[١]	٣٧,٢٪
اليمن الجنوبي	١٠٠ مليون دولار	-	٤٩٩ مليون دولار	-
اندونيسيا	٢٤٤٣ مليون دولار	٢٧,١٪	١٤٩٤٠ مليون دولار[٢]	٢٢,٥٪
موريتانيا	٢٧ مليون دولار	١٦,٨٪	٧١٤ مليون دولار	٣٩,٧

(١) بلغت ديون السودان عام ١٩٨٢م ٧٨٠٠ مليون دولار (النيوزويك الأمريكية عدد ١٦ أيار (مايو) ١٩٨٣م ص ٣٧ . في حين بلغت ٩ مليارات دولار عام ١٩٨٥م . (الشرق الأوسط السبت ١٦/١١/١٩٨٥م ص٥) . وهناك ٧٤٠ مليون دولار أقساط ديون مستحقة حتى عام ١٩٨٤م فقط لدول اسبانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والدانيمارك والسويد وكندا وبريطانيا والنمسا وايطاليا وسويسرا والمانيا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية .

والديون كلها كانت نتاجاً لقروض من الخارج لم تستغل استغلالاً جيداً في أشياء منتجة فمثلاً : مصنع بورتسودان للغزل الرفيع وهو مصنع حكومي اكتمل انشاؤه عام ١٩٨٠م، ولكنه ظل معطلاً حتى عام ١٩٨٥م حتى حلت مشكلة إمداده بالكهرباء والماء، رغم ان هذا المصنع قرر إنشاؤه منذ السبعينات لتصدير غزل القطن السوداني، والآن السوق محتاج لهذه الغزول في السودان على حد قول السيد محمد عبد الله وزير المالية والتخطيط الإقتصادي السوداني في خطاب الميزانية لعام ١٤٠٦هـ. (الشرق الأوسط ـ السبت ١٦/١١/١٩٨٥م/ ربيع الأول ١٤٠٦هـ ص٥.

(٢) في حين كانت ديون اندونيسيا عام ١٩٦٦م ٤,١٧١٩ مليون دولار (اندونيسيا العدد ١٩/٧٤١/ ص٤) ولكنها بلغت عام ١٩٨٢م ٢٥,٠٠٠ مليون دولار (الأخبار القاهرية عدد كانون الثاني «يناير» ١٩٨٣م) .

مصـــــر	١٦٤٤ مليون دولار	٢٣,٨٪	١٣٠٥٤ مليون دولار[١]	٥١,٧٪
المغـــرب	٧١١ مليون دولار	١٨٪	٧٠٩٨ مليون دولار	٣٨,٦٪
نيجير يـــا	٤٧٨ مليون دولار	٦,٤٪	٤٩٩٧ مليون دولار[٢]	٥,٥٪
تـــونس	٥٤١ مليون دولار	٣٨,٢٪	٢٩٥٥ مليون دولار	٣٣,٩٪
ســــوريا	٢٣٢ مليون دولار	١٢,٨٪	٢٤٩٣ مليون دولار[٣]	٢٠,١٪
تركيــــا	١٨٥٤ مليون دولار	١٤,٤٪	١٣٢١٦ مليون دولار	٢٢,٤٪
الجـزائر	٩٣٧ مليون دولار	١٩,٣٪	١٥٠٧٣ مليون دولار	٣٨,٧٪
السنغال	٩٨ مليون دولار	١١,٦٪	٩٠٦ مليون دولار	٣٤,٩٪

(١) وأصبحت ديون مصر عام ١٩٨٢م ١٩٢٠٠ مليون دولار حسب معلومات البنك الدولي للإنشاء والتعمير.

(٢) وبلغت ديـون نيجـيريـا في نهايـة عام ١٩٨٤م ١٧,٥ مليـار دولار وعـام ١٩٨٥م ٢٠ مليار دولار. وهذه الـديـون الخـارجيـة. امـا الـداخليـة فبلغت ٨ مليـارات ويمتص الـدين الخـارجي حوالي ٤٥٪ من مصـادر الدولة النيجيرية. (الشرق الأوسط الأربعاء ١٢ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ٢٨/٨/١٩٨٥م ص٥).

(٣) وبلغت ديون سورية عام ١٩٨١م ٣٩٠٠ مليون دولار. (جريدة الرأي ١٩ فبراير «شباط» نقلاً عن وكالة الصحافة الفرنسية.

وقد بدأت أزمة الديون العالمية تطفو على الساحة الدولية منذ عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م حيث بدأت تترك آثارها الواضحة على الدول النامية المدينة نتيجة للتمويل المستمر لجزء كبير من خيراتها إلى العالم الصناعي لتسديد الديون المتراكمة عليها والفوائد المستحقة، وهي طريقة لاستنزاف خيرات هذه الدول بشكل يجعلها مصدراً للمواد الأولية الرخيصة، وسوقاً لمنتجاتها الصناعية. ووصل حجم هذه الديون إلى ٩٠٠ بليون دولار[١].

وبلغ إجمالي الديون الخارجية المتراكمة على دول جنوب الصحراء في افريقيا عام ١٩٨٥م حوالى مئة بليون دولار منها ٦٠,٢ بليون دولار للبنوك التجارية و١,٥ بليون لصندوق النقد الدولي، و٨ بليون للبنك الدولي. وتواجه معظم هذه الدول صعوبة شديدة في تسديد هذه الديون أو دفع الفوائد المستحقة عليها، كما تواجه صعوبات مماثلة في إعادة جدولة هذه الديون أو في الحصول على قروض جديدة[٢].

كما قدر إجمالي ديون الدول النامية مع نهاية عام ١٩٨٥م ٩٧٠ بليون دولار كما ذكرته مصادر إقتصادية في العاصمة الأمريكية[٣].

وقد طرحت أمريكا في كلمة وزيرها بيكر - وزير الخزانة - (كما قالت جريدة التايم) برنامجاً لحل مشاكل ديون العالم الثالث وذلك في المؤتمر المشترك الذي عقده البنك الدولي وصندوق النقد الدولي في مدينة سيئول عاصمة كوريا الجنوبية - وذلك بزيادة الأموال المتاحة للدول المدينة بمبلغ ٢٩ ألف مليون دولار على مدى الثلاثة أعوام المقبلة من البنوك التجارية والبنك الدولي. وأن يتولى البنك الدولي دوراً أكثر فعالية في معالجة مشكلة الديون، وأن يؤمن قروضاً طويلة الأجل، أي تريد أمريكا زيادة قروض البنك وتوسيعها، وتريد منه

---

(١) الشرق الأوسط - أزمة الديون العالمية - بقلم د. محمد سالم الصيان/ ٣٠ محرم ١٤٠٦هـ/ ١٤/١٠/١٩٨٥م. ص٤.

(٢) الشرق الأوسط العدد ٢٥٤٥/ السبت ٤ ربيع الأول ١٤٠٦هـ/ ١٦/١١/١٩٨٥م. ص٥.

(٣) أخبار العالم الإسلامي العدد ٩٢١/ ٢٥ رجب ١٤٠٥هـ/ ١٥/٤/١٩٨٥م.

التعاون مع البنوك التجارية الأخرى العالمية لتأمين الأموال اللازمة. ويعتقد بيكر أن البنك الدولي وبنك التنمية الأمريكية يستطيعان فيما بينهما أن يؤمنا ٥٠٪ من الاحتياجات للدول النامية[١]. ولا يخفى ما في هذا المشروع من خطة امريكية لزيادة تبعية دول العالم الثالث لأمريكا، وسيطرتها عليها.

ولو تتبعنا حلقة الديون المفرغة للدول النامية نجد أنها تتلخص في زيادة أعباء المديونية ـ يؤدي إلى ـ الاهتمام بزيادة صادراتها من المواد الخام الأولية ـ يؤدي إلى ـ زيادة العرض العالمي من هذه المواد (إضافة لحالة الركود الإقتصادي العالمي) ـ يؤدي إلى ـ انخفاض أسعارها العالمية ـ يؤدي إلى ـ نقص في حصيلة الصادرات من العملات الصعبة ـ يؤدي إلى ـ عدم القدرة على سداد المديونية السنوية ـ يؤدي إلى ـ إعادة جدولة هذه الديون مع تزايد الأعباء نتيجة لعقوبات الفوائد الإضافية الناتجة من التأخر في السداد ـ يؤدي إلى ـ الاتجاه إلى مزيد من الاقتراض ـ يؤدي إلى ـ زيادة أعباء المديونية.

وتشترك حكومات بعض الدول النامية في توسيع هذه الحلقة من جراء الاندفاع غير المخطط إلى سلاح المديونية وتقرّبه بقصد أو بدون قصد إلى حبل وريدها لتجهز بالتالي على آمال التنمية الاقتصادية التي تنشدها ولتزداد فقراً على فقر وتتسع تبعاً لذلك الفجوة بينها وبين الدول المتقدمة.

وقد لخص الدكتور محمد سالم سرور الصبان أستاذ الاقتصاد المساعد بجامعة الملك عبد العزيز بجدة أسباب ذلك[٢] في العوامل التالية:

١ ـ ارتفاع أسعار الفائدة العالمية.

٢ ـ أمد الكساد الاقتصادي العالمي.

٣ ـ تزايد الحماية الجمركية في الدول الصناعية.

٤ ـ تراخي أسواق المواد الأولية.

---

(١) الشرق الأوسط ـ الأحد ٢٠/١٠/١٩٨٥ ص١٠.

(٢) الشرق الأوسط ٣٠ محرم ١٤٠٦هـ/ ١٤/١٠/١٩٨٥م.

٥ ـ شغل دول العالم الثالث في نزاعات جانبية .

٦ ـ هروب رؤوس الأموال الوطنية .

٧ ـ إهمال تنمية مختلف القطاعات .

وغاب عن بال الدكتور السبب الرئيسي وهو غياب النظام الاقتصادي الإسلامي واهتزاز الشخصية المسلمة .

وقد قدر المصرف الألماني الغربي دوينستر بنك حاجة البلدان النامية (وهي إسلامية في معظمها) إلى القروض في السنوات الخمس (١٩٨٥ـ١٩٩٠م) بما يتراوح بين ١٨٠ إلى ٢٤٠ بليون دولار. وارتفعت فوائد القروض بين عام ١٩٧٨ و١٩٨٤م من ١٩ بليون إلى ٧٠ بليون دولار[١].

٧ ـ حرم الاستعمار العالم الإسلامي من إقامة شبكة مواصلات تربطها ربطاً وثيقاً رغم تجاورها وسهولة ربطها ليكرس تمزيقها وتفريقها وحاجتها إليه . وكل ما اهتم به من مواصلات كانت لخدمة أغراضه الاستعمارية من مواطن الانتاج إلى الموانيء أو أماكن التصدير كما هو الحال في أقطار المغرب العربي ـ تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا ، ونيجيريا ، والسودان ، ومصر والعراق ، وايران والهند .

فعجزت دول البلدان الإسلامية في عهد استقلالها عن استيعاب معنى التخطيط والإحاطة بمفهومه الواسع وما يمكن أن يؤدي إليه من نتائج وتشابه انتاجها ، فأدى ذلك إلى تنافسها رغم ما تتمتع به هذه البلدان من تكامل إقتصادي .

هذا الواقع الاقتصادي المحزن للعالم الإسلامي وبقاء أثر الاستعمار في بلاد الإسلام أمر طبيعي في ظل غيبة النظام الاقتصادي الإسلامي ، وهذا التخلف الذي يعاني منه عالم الإسلام لا يتحمل الإسلام وزره بل هو في الحقيقة عقوبة مستحقة من الله على المسلمين لتخليهم عن نظام الإسلام لا لتمسكهم به كما يزعم الزاعمون .

---

(١) الشرق الأوسط ـ السبت ١٩٨٤/١٢/٢٩م . ص٥ .

قال تعالى : ﴿**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى، قال رب لما حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى**﴾(١).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿**وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا**﴾(٢).

وهكذا فقد العالم الإسلامي مكانته وتلاشت قوته وانهارت دعائمه، وسقطت مكانته الأولى ومشت سكة الأجنبي في حقله(٣). باستمرار الاستعمار الفكري والثقافي الأجنبي بعد الاستقلال السياسي إلى اليوم بمختلف التيارات والعقائد والنظريات الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، فكانت تأثيراً متصلاً بالتأثير السابق أيام الاستعمار في القادة والساسة وأصحاب الرأي والمشرّعين وفي الفرد المسلم بأسلوب التربية، في هذه البلاد الإسلامية، فظلوا على ولائهم للعلمانية، وتلمسوا في تشريعاتهم القضائية والإدارية مراجع القانون الفرنسي والانجليزي والشيوعي والاشتراكي . . . الخ، فأصيبت الأمة بالهوان ولعل ذلك تصديق للنذير النبوي الذي رواه ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال :

«يامعشر المهاجرين خمس خصال إن ابتليتم بهن ونزلن عليكم ـ أعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشت فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله ورسوله إلا سلط عليهم عدو من

---

(١) سورة طه الآيات ١٢٤ ـ ١٢٦.

(٢) سورة الجن الآية ١٦.

(٣) من أقوال المبشر زويمر سنة ١٩١١م في مؤتمر لكنو. وكان رئيسا للمؤتمر. ـ المبشر زويمر ومفترياته ـ حاضر العالم الإسلامي ـ للأمير شكيب ص ١٨١-١٨٢.

غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم، وما لم يحكموا بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم»[1].

وهـذا الحـديث يلخص بالفعل واقع العالم الإسلامي من جميع النواحي. فالأمـراض الاجتـماعيـة التي انتشرت في المجتمع الإسلامي والتي استقدمها من الغـرب وانحـرافـاته، والجفاف الذي يغزو أراضي المسلمين وامتداد التصحر في أقطـاره، والخـوف من الحكـام وفقـدان الثقـة بين الحـاكم والمحكوم والتحديات الخـارجيـة العـاتيـة ـ الصليبيـة والشيـوعيـة والصهيـونية والهندوسية والخلافات المستفحلة المستحكمة بين الأقطار الإسلامية، والحروب التي تنشب بينها والتي لا تجد من القوى الكبرى عملاً يوقفها أو يحدّ منها، بل تجد تشجيعاً وتأييداً لتستمر تستنزف طاقة الأمة البشرية والمادية وتعمق الاقليمية والقومية والعداء بين أطراف النزاع. هذا هو واقع الأمة الإسلامية باختصار بيّنه هذا الحديث الشريف.

(١) أخرجه ابن ماجة والطبراني في الكبير.

البـــاب الثالث

القضايــا الإسلاميـــة المعـــاصرة

الفصل الأول : قضيـــة فلسطين .

الفصل الثاني : الفلبـــين .

الفصل الثالث : فطــــاني .

الفصل الرابع : المسلمون في الهند ومأساة كشمير .

الفصل الخامس : المسلمون في أفريقيا وقضية أريتريا .

الفصل السادس : المسلمون في الاتحـــاد السوفييتي .

الفصل السابع : المسلمون في الصـــين .

الفصل الثامن : المسلمون في قبرص .

الفصل التاسع : أفغانستــــان .

الفصل العاشر : أنـدونيسيــــا .

الفصل الحادي عشر : المسلمون في أوربا الشرقية .

الفصـــل الأول
قضيـــة فلسطـــين

تقـع فلسطـين في غرب قارة آسيـا وهي تطل على البحر الأبيض المتوسط ويحدها شمالا لبنان وجنوبا خليج العقبة، وفي جنوبها الغربي تقع مصر كما يحدها شرقـا سوريـا والأردن وغـربـا البحـر المتوسط، فهي تحتل موقع القلب من العالم الإسلامي، وهي صلة الوصل بين شقّي العالم الإسلامي في آسيا وأفريقيا، وهي الطـريق الطبيعي الـذي يصل البحر المتوسط بالسهول الداخلية وصحاري شبه الجزيرة العربية إذ تكون الجزء الجنوبي الغربي من بلاد الشام.

مسـاحتهـا حوالى ٢٧٫٠٠٠ كم² بما فيهـا الضفـة الغـربيـة وقطاع غزة. وتنقسم فلسطين إلى المناطق الطبيعية التالية:

١ ــ **السهـول السـاحليـة**: ولفلسطـين ساحـل طويـل يمتـد من رأس النـاقـورة في الشمال إلى رفح في الجنوب، ويلي الشاطىء سهل يسمى: السهل السـاحلي الفلسطيني يتراوح عرضـه بين ١٨ و١٦ كم، تزرع فيـه الفـواكـه والحمضيات والخضر، ومن مدن الساحل: عكا وحيفا ويافا وغزه وكلها موانىء مهمـة، وقـد بنى اليهـود مدينة تل أبيب التى جعلوها عاصمة مؤقتة لهم شمالى مدينة يافا. وفي داخل السهل مدن: طولكرم والرملة واللد وخان يونس والمجدل.

٢ ــ **الجبال والهضاب**: ويلي السهل الساحلي إلى جهة الشرق الجبال التالية:

أ ــ **جبـال الجليـل**: وفيهـا مدينـة صفـد أعلى مدن فلسطـين. ومـدينة الناصرة التي نشأ فيها المسيح عليه السلام وقضى معظم حياته فيها.

ب ــ **جبال نابلس**: وفيها مدينة نابلس بين جبلي جرزيم وعيبال.

جـ ــ **جبل الكرمل**: ويتجه إلى الشمال الغربي من جبال نابلس وينتهي على شاطىء البحر عند حيفا.

د ـ جبال القدس : وأعلاها جبل الطور وفيها مدينة بيت المقدس - القدس أهم مدن فلسطين والتي فيها المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وقد بنى اليهود بجوارها مدينة القدس الجديدة ونقلوا إليها عاصمتهم من تل أبيب بعد احتلال القدس القديمة عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

هـ ـ جبال الخليل : وفيها مدينة خليل الرحمن ويقال أن فيها قبره عليه السلام.

و ـ هضبة النقب : وهى القسم الجنوبى من فلسطين، تشكل مثلثا يقع رأسه على خليج العقبة ويحتل جميع الأراضى الواقعة بين غزة والخليل وشبه جزيرة سيناء والأردن وجنوب البحر الميت، وتقدر مساحة النقب بنصف مساحة فلسطين تقريبا، ومن أهم مدنه بئر السبع.

٣ ـ منطقة الأغوار : وهى المنطقة الشرقية من فلسطين، يخترقها نهر الأردن مع بحيراته الحولة وطبرية، وبحيرة لوط (البحر الميت) وهى جزء من حفرة الانهدام الآسيوي الأفريقي الذي يمتد من جبال طوروس شمال سوريا إلى خليج العقبة والبحر الأحمر وأفريقيا الشرقية حتى هضبة البحيرات الكبرى.

ينبع نهر الأردن من جبل الشيخ وتتحد فروعه فيمر فى بحيرة الحولة ثم في بحيرة طبرية ثم ينتهي في البحر الميت بطول **٢٢٥**كم.

وأشهر الأغوار: غور طبرية وبيسان في الشمال، وغور أريحا في الجنوب وتمثل مدينة أريحا والبحر الميت أخفض بقعة على سطح الأرض، إذ يبلغ الانخفاض **٤٩٢** مترا عن سطح البحر. ومدينة أريحا شمال البحر الميت يقال إنها أقدم مدن العالم وفيها قصر هشام بن عبد الملك وهى مشتى جميل.

أما الجزء الممتد من البحر الميت إلى خليج العقبة فيسمى وادى عربه بطول ١٨٠ كم.

فلسطين في التـاريخ[1] :

كانت شبـه الجـزيرة العربية الشريان الذي يمد البلاد المجاورة لها العراق والشـام ومصـر بدمـاء جديـدة، فقـد خرجت منهـا موجـات بشرية: الاشورية والأكـاديـة إلى العـراق، والأمـوريـة والآرامية والكنعانية إلى الشام، وتوجهت قبائل أمورية إلى بلاد ما بين النهرين (العراق) وأسست مدينة بابل وهى الأسرة البـابليـة، كما خرجت قبيلة آراميـة من بلاد الشـام إلى جنـوب العـراق والخليج العربي وهى قبيلة كلدى التى أقامت الدولة الكلدانية وجددت بابل.

وقـد سكن الكنعـانيـون ساحل بلاد الشام في الألف الثالث قبل الميلاد، وأطلق عليهم في الساحل الشمالى اسم: الفينيقيين. في حين أطلق على القسم الجنوبي أرض كنعان.

واهتم الكنعانيون بالزراعة فدعيت بلادهم الأرض التي تدر لبنا وعسلا. وبنـوا المـدن ومنهـا: أريحـا، وأسـدود، وبـير السبـع وعسقلان وبيسان ونابلس (شكيم) والخليـل (أربـع) والقـدس (يبـوس) وكـان اليبـوسيـون أهم بطـون الكنعانيين فبنوا مدينة القدس وأطلقوا عليها أورسالم أى مدينة سالم، كما أطلقوا عليها اسم يبوس.

وكانت اللغة كنعانية ـ عربية قديمة ـ وهى لا ريب تختلف عن لغة القرآن الكريم التي نتحدث ونكتب بها اليوم ـ لقدمها ورغم ذلك فإن هنالك شبها بينها وبين اللغة العربية الحديثة.

---

(١) انظر: مصطفى مراد الدباغ ـ بلادنا فلسطين.
ول ديورانت ـ قصة الحضارة ـ طربين أحمد وزميله ـ تاريخ الحضارات القديمة.

الغزوات العابرة لأرض كنعان :

أولا : العبرانيـون :

في حوالى الألف الثـاني ق . م انتقـل إبراهيم عليه السلام من أور بالعراق فعـبر نهر الفـرات إلى حلب ومنهـا إلى أرض كنعـان ، ثم هاجـر إلى مصر ومعه زوجتـه (سـاره) التى أهـدى إليهـا فرعـون مصر جارية تسمى (هاجر) فتزوجها إبراهيم عليه السلام لأن سارة كانت لا تنجب فأنجب من هاجر إسماعيل عليه السلام الجد الأعلى لنبينا محمد ﷺ . وقد أنجبت سارة بعد ذلك اسحق الذي أنجب بدوره يعقـوب المسمى بإسـرائيـل . وأنجب يعقوب الأسباط الذين تركوا أرض كنعـان لما أصـابهـا القحـط وأقاموا في مصر حينما صار يوسف عليه السلام على خزائن أرضها ، وتكاثر بنو إسرائيل في مصر، وتعرضوا لأذى فرعون فنجاهم الله منـه ، وخـرجـوا مع موسى عليـه السـلام قاصـدين الأرض المقدسة ولكنهم نقضـوا العهـد وفسقـوا فضـرب عليهم الله سبحـانـه التيه أربعين سنة في سيناء خرجـوا بعـدهـا إلى أرض كنعـان فدخلوها من جهة الشرق حوالى عام ١١٨٩ ق . م بقيادة يوشع بن نون بعد وفاة موسى عليه السلام واستطاعوا احتلال بعض الأماكن من أرض كنعان وعاشوا فيها أسباطا متفرقين .

تولى القضـــاة أمـــور العـبرانيـين بعـد وفـاة يوشـع وفى عهـدهـم اختلط العبرانيون بالكنعانيين فتعلموا لغتهم وتعلموا الزراعة وسكنى المدن وعبدوا آلهتهم .

ثم اتحـد العـبرانيـون وكـونـوا دولة حوالى عام ١٠٢٥ ق . م ، وكان أول ملوكهم شاوؤ ل أو طالوت . واشتهر من ملوكهم :

أ ــ داود عليـه السلام (١٠٠٠ـ٩٦٠ق . م) الذي ملك يبوس (القدس) من اليبـوسيـين وجعلهـا عاصمـة له ، وانتصـر على الفلسطينيـين وقتـل ملكهم جالوت وأنهى أمرهم .

سليـمان عليـه السـلام (٩٦٠ـ٩٣٠ق . م) الـذي وردت قصتـه في سورة النمل وتعدت دعوته إلى الإسلام حدود الشام فامتدت إلى اليمن .

وبعد وفاة سليمان عليه السلام انقسمت مملكة العبرانيين إلى قسمين :-
أ ــ مملكة الشمال - إسرائيل - وعاصمتها السامرة .
ب ــ مملكة الجنوب - يهوذا - وعاصمتها القدس .

وكانت علاقتهما عدائية وتقلصت كل منهما إلى أن قضى على الدولة الشمالية الأشوريون بقيادة سرجون الثاني عام ٧٢٢ق . م ، وقضى على المملكة الجنوبية نبوخذ نصر الكلداني عام ٥٨٦ق . م وأحرق القدس وهدم هيكل سليمان وسبى العبرانيين إلى بابل وبذلك زالت دولة العبرانيين من الوجود وعادت أرض كنعان عربية وفي بابل وضع أحبار العبرانيين المشنا والجمارا لشرح التوراة ، فكانت أصول الديانة اليهودية التلمودية المحرفة المتعصبة البعيدة كل البعد عن شريعة موسى عليه السلام .

ثانيا : الفلسطينيون :

تعرضت بلاد اليونان وجزر بحر ايجه لغارات البرابرة اليونان ، فهربت قبيلة (بلست) من جزيرة كريت وغزت أرض كنعان واستقرت في السهل الساحلي الجنوبي الغربي من يافا إلى غزة . وسمى هذا الجزء باسمهم : فلسطين . وقامت بينهم وبين العبرانيين معارك طويلة انتهت بانتصار العبرانيين بعد أن قتل داود جالوت كما ورد في القرآن الكريم وانتهى بذلك دور الفلسطينيين من التاريخ نهائيا ، ولكن بقى الاسم على جزء من أرض كنعان إلى أن شملها كلها في العصور الحديثة .

ثالثا : الفرس :

استطاع كورش الفارسي (٥٥٨-٥٢٨ق . م) احتلال بلاد الشام وضمها إلى دولته - فارس - عام ٥٣٨ق . م وكانت زوجته استير اليهودية ، فقدم له اليهود مساعدات في فتحه بابل والشام ومصر ، فسمح لمن يريد العودة من اليهود إلى أرض كنعان . . وانتهى الاحتلال الفارسي عام ٣٣٢ق . م .

رابعـــا : اليونـــان :

قام الاسكندر المقدوني الكبير بالاستيلاء على بلاد الشام عام ٣٣٢ق.م وطـرد الفـرس. ولما قام النـزاع بين قادته بعد وفاته : انتيغونس الكبير وسلوقس وبطليمـوس - أصبحت أرض كنعـان مسرحا لنزاع البطالسة في مصر والسلوقيين في الشام. وقد حاول اليونانيون نشر الحضارة اليونانية (الهيلينيه) في أرض الشام فأنشأوا المـدن والمـدارس والمسـارح والمعـابـد، لكن التأثـير اليوناني ظل سطحيا ومحصـورا في المـدن الكبـيرة وخصـوصـا الساحلية منها، أما غالبية السكان فقد احتفظـوا بتراثهم وعـاداتهم ولغتهم، وبينـما كانت اللغـة اليـونانية هى الرسمية ظلت السريانية هى لغة عامة الناس.

خامسا: الرومـــان :

استطـاع القـائـد الروماني بومبى أن ينهي احتلال اليونان لبلاد الشام عام ٦٣ق.م وبقى الرومان يحكمونها إلى أن أنقذها الإسلام عام ٦٣٦ب.م ويهمنا من زمن الرومان أمور منها :

١ ـ ظهور المسيح عليه السلام في أرض كنعان زمن الامبراطور اغسطس قيصـر ـ مهـد المسيحيـة وقلبهـا، حيث تحولت فيـما بعـد إلى النصرانية بعد أن اعتنق قسطنطـين النصـرانية واتخذها الدين الرسمى للرومان حيث انحرفت من الوحدانية إلى التثليث.

٢ ـ وقـوف اليهـود ضد المسيحيـة مع الوثنية الرومانية. ثم حاولوا الثورة على الرومان عام ٧٠م فقاد القائد الروماني تيطس حملة دخلت القدس وأعمل فيها النهب والحرق والقتل، وشرد اليهود في أجزاء الأرض.

وحاول اليهود الانتفاضة مرة أخرى عام ١٣٥م زمن الامبراطور هادريان فقـاد حملة بنفسـه وقضى على وجـود اليهود نهائيا في فلسطين ومنعهم من دخول القدس ودعاها ايلياء كابيتولينا. وتعتبر هذه السنة نهاية للوجود اليهودى في أرض كنعـان ففيهـا انتهت علاقة اليهود بفلسطين سياسيا وسكانيا أى أنه كان الخروج الأخير وبقيت محرمة على اليهود حتى الفتح الاسلامي أي خمسة قرون.

الفتح الإسلامي لفلسطين :

ظهرت أهمية القدس في الإسلام عندما أسرى بالرسول ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم عرج به إلى السماء جسداً وروحاً فارتبطت هذه الأرض ارتباطا كاملا بالكعبة وبالمسجد النبوى في المدينة ، والإسلام هو خاتمة الرسالات السماوية فهو الوريث لأرض الأنبياء والمرسلين ، كما كانت القدس قبلة الإسلام الأولى ، والمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله تشد إليه الرحال ، كما تشد إلى الحرمين الشريفين مكة والمدينة فقد ورد في الصحيحين :

«أن رسول الله ﷺ قال : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى» .

وقد بدأت غزوات وسرايا الرسول ﷺ إلى أرض الشام فكانت غزوة دومة الجندل عام ٥هـ وسرية مؤتة عام ٧هـ وغزوة تبوك عام ٩هـ ، ثم أخيرا بعث أسامة الذي أنفذه أبو بكر رضى الله عنه .

وبعد القضاء على حركة الردة جهز أبو بكر الجيوش وأنفذها لفتح الشام وكان قائد جبهة فلسطين عمرو بن العاص وشهدت هذه الأرض المعارك الحاسمة أجنادين وفحل واليرموك ، ثم تم فتح بيت المقدس وتسلمها الخليفة عمر بن الخطاب بنفسه من صفرونيوس بطريرك القدس عام ١٦هـ . وصدرت العهدة العمرية ونص فيها على أن لا يسكن ايلياء أحد من اليهود . فأصبحت بلاد الشام بما فيها أرض كنعان أرضا عربية إسلامية واستمرت على هذا الحال دون انقطاع إلا فترة الحروب الصليبية حيث استطاع الصليبيون أن يقيموا مملكة نصرانية في بيت المقدس في القرن السادس الهجري بعد أن قتلوا سبعين ألفا من المسلمين داخلها . ولكن المجاهد صلاح الدين الأيوبي أجلاهم عنها في ٢٧ رجب عام ٥٨٣هـ بعد أن انتصر عليهم في موقعة حطين الشهيرة قرب بحيرة طبرية في ٢٥ ربيع الثاني عام ٥٨٣هـ وانتهى دور الصليبيين كما بينا ذلك فكانوا من الغزوات العابرة ، ولن يكون حظ الصهيونية الحديثة بمساعدة الغرب الصليبى والشيوعي أفضل من مصير الصليبيين باذن الله .

فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار[1]:

تعـود الجـذور التـاريخيـة للحـركة الصهيونية إلى القرن التاسع عشر حين اقـتر ن النشـاط الاستعـماري الـواسـع بضغـط هائل على الطبقات الوسطى في البلدان الاستعـماريـة مما دفـع الطبقـات اليهـوديـة إلى البحث عن حل لازمتها خارج حدود مجتمعاتها وسرعان ما وجدت الحل في الفكرة الصهيونية التي تطابق فيهـا الحـل مع المصـالـح الاستعـمارية، كما لقيت الصهيونية تأييدا وتشجيعاً من الرأسماليين اليهود الكبار.

كانت الـدول الأوربيـة قد فرضت على الدولة العثمانية الضعيفة ما عرف باسم: الامتيـازات الأجنبيـة التي كانت منحـة أيـام قوة الدولة ثم أصبحت غلاّ يطـوّقهـا في ضعفهـا، بحيث بات المقيمـون الأجانب دولة داخل دولة لا تسري عليهم القـوانـين والضـرائب العثـمانيـة. واستتبـع ذلك إقدام هذه الدول على الالتزام بسياسة ثابتة هدفها الحفاظ على المصالح التجارية في المنطقة تحت ستار حمايـة الأقليـات الـدينيـة، ففـرضت فرنسـا حمايتها على النصارى الكاثوليك، وروسيـا على النصـارى الارثـوذكس، وأعلنت بريطـانيـا حمايتهـا للدروز والبر وتسنت واليهود في سوريا وجبل لبنان وفلسطين.

وكان من جرّاء ذلك أن أقامت بريطانيا أول قنصلية غربية في القدس عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م وجهت معظم جهـودهـا ونشـاطها لحماية الجالية اليهودية في فلسطين. فكانت مسألة حماية اليهود الشغل الشاغل للقنصلية البر يطانية في القدس[2]. والواقع أن القضية تخطت مسألة حماية اليهود في فلسطين إلى تحقيق أهدافها في الشرق التي يمكن تلخيصها في[3]:

١ ـ تأمين المواصلات البر يطانية إلى الهند والشرق الأقصى.

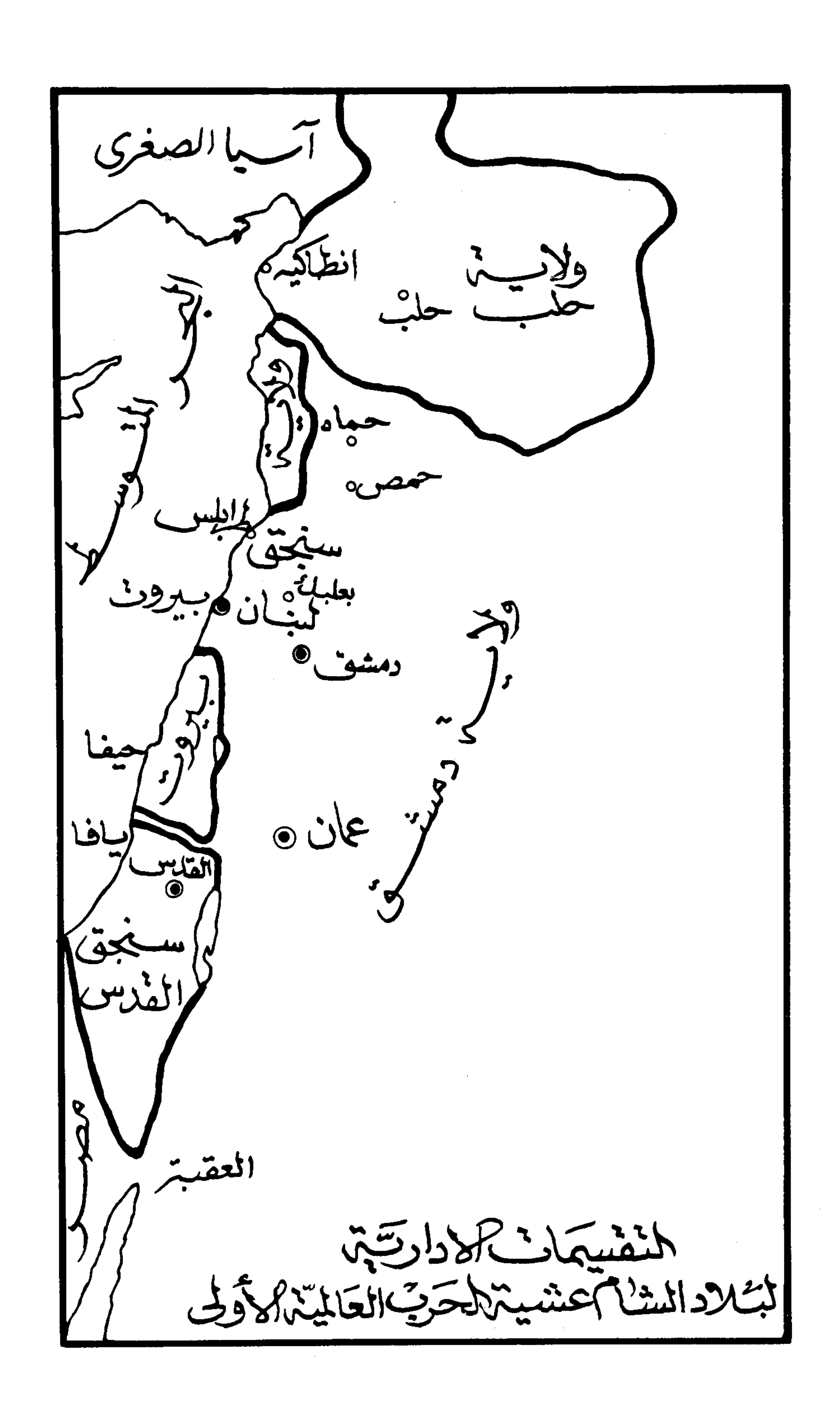
٢ ـ ابعاد أية قوة كبر ى عن هذه المنطقة وجعلها مجالاً بريطانيا بحتا.

---

(١) انظر د. أحمد طربين ـ فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار.

(٢) البرت هامسيـون ـ القنصليـة البر يطـانية في القدس وعلاقتها بيهود فلسطين (١٨٣٨-١٩١٤م) الجزء الأول ـ ص٣٤ من المقدمة طبع ١٩٣٩م.

(٣) النشاط الصهيوني ـ د. عبد الرحيم أحمد حسين ـ ص١٩.


آسيا الصغرى
انطاكية
ولاية حلب
حلب
حماه
حمص
طرابلس
سنجق لبنان
بعلبك
بيروت
دمشق
ولاية دمشق
حيفا
يافا
عمان
القدس
سنجق القدس
العقبة
مصر
التقسيمات الادارية
لبلاد الشام عشية الحرب العالمية الأولى

٣ ــ منع ظهور أي قوة كبيرة محلية وضربها إذا ما ظهرت.

٤ ــ الحرص البريطاني على استمرار الملاحة في قناة السويس بعد فتحها في عام ١٨٦٩م انطلاقا من حرصها على تأمين المواصلات إلى الهند والشرق الأقصى.

٥ ــ تأمين الامداد النفطي والحصول على أكبر قدر من الأرباح منذ اكتشافه في أوائل القرن العشرين من المنطقة.

وقد رافق تأمين هذه الأهداف رغبة بريطانيا في استقرار المنطقة إما بالتعاون مع أهلها إن أمكن ذلك أو إخضاعهم وجعلهم عاجزين عن مقاومة وجودها بالقوة أحيانا وبوسائل غيرها أحياناً وذلك حسب الظروف التي تواجهها في المنطقة.

فالجالية اليهودية كانت صغيرة جداً لا تتجاوز تسعة آلاف وسبعمائة نسمة موزعين بين القدس والجليل وصفد وطبريا حسب تقرير نائب القنصل البريطاني نفسه[1]. وكان الهدف استقدام جاليات يهودية لأسباب ودوافع استعمارية بيّنها بوضوح الفايكونت بالمرستون رئيس وزراء بريطانيا في رسالة بعث بها إلى سفيره في استنبول يوم ١١ أغسطس ١٨٤٠م يشرح فيها المنافع السياسية والمادية التي تعود على السلطان العثماني من جراء تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين يقول:

«إن دعوة الشعب اليهودي إلى فلسطين بدعوة من السلطان تحت حمايته تشكل سداً في وجه مخططات شريرة يعدها محمد على أو من يخلفه». [2] بل حاول بالمرستون اغراء السلطان العثماني عبد المجيد قبول الفكرة[3].

ولم تكن أفكار بالمرستون في هذا الصدد خاصة إذ تبناها بعده أبرز رجال السياسة الاستعمارية البريطانية من أمثال شافتربري وديزرائيلي وجوزيف تشمبرلن وتشرشل وبلفور وغيرهم. ولاشك بأن شق قناة السويس واحتلال

---

(١) د. عبد الوهاب الكيالي ـ تاريخ فلسطين الحديث ص ٥.

(٢) نفسه ص ٢٧.

(٣) ملف وثائق فلسطين/ وزارة الإرشاد القومي/ القاهرة/ ١٩٦٩م ج١ وثيقة رقم ١٣ ص٤٧.

بريطانيا لمصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان له أعمق الأثر في تفكير الساسة الانجليز الاستراتيجي بالنسبة لأهمية فلسطين وضرورة السيطرة عليها وبالتالي إلى تزايد الحماس لفكرة إقامة مستعمرة يهودية تحت الحماية البريطانية في فلسطين.

ولقد سبقت مبادرة بالمرستون في تشجيع فكرة الاستيطان اليهودي ظهور الحركة الصهيونية، بل سبقت ظهور كتابات رواد الفكر الصهيوني أنفسهم ومن المحتمل أنه تأثر بمحاولة نابليون استغلال عطف اليهود في العالم عند حصاره لعكا ١٢١٤هـ/١٧٩٩م حثهم فيه على الانضواء تحت رايته لإعادة بناء مجد اسرائيل الضائع في القدس. ووصفهم بأنهم الورثة الشرعيون لفلسطين[١].

وقد مرت الهجرة الصهيونية في مراحل هي:

أولا : مرحلة التسلل اليهودي إلى فلسطين: ١٢٨٧-١٣١٥هـ / ١٨٧٠-١٨٩٧م:

ظهرت في هذه الفترة محاولات فردية ممثلة شخصيات سياسية بارزة أو منظمات متناثرة في مناطق شتّى من العالم تنادي بعودة اليهود إلى فلسطين خلاصاً من الظلم الذي تعرض له اليهود في العالم وخاصة في أوربا بعد سيطرة الروح القومية فيها. ومن أشهر هذه الدعوات دعوة ليون بينسكر (١٨٢١-١٨٩١م) في كتابه التحرير الذاتي: فقد قال: «إن اليهود ليسوا أمة حية بل هم غرباء في كل مكان وأن التحرير المدني والسياسي لليهود غير كافيين لرفعتهم في نظر الشعوب، والعلاج الوحيد للمشكلة اليهودية يكمن في تدويلها وخلق قومية يهودية لشعب يعيش على أرض خاصة به».

ولم يشترط أن تكون فلسطين مركزاً لتجمع اليهود.

وقد روجت لآرائه جمعيات أحبّاء صهيون التي انتشرت في روسيا في أعقاب عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م وشارك بينسكر في جهودها[٢].

---

(١) خيري حماد ـ الصهيونية ص ١١ .

(٢) فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار .

وكان للبارون ادموند دى روتشيلد جهود كبيرة في سبيل مساندة الصهيونية فأنشأت عام ١٣٠١هـ/١٨٨٣م الجمعية اليهودية للاستعمار بفلسطين أو ـ بيكا ـ[١] بغرض تنظيم عملية تملك اليهود للأراضي في فلسطين أو استيطانهم لها. وكانت بيكا تبيع الأراضى لليهود شريطة ألّا تباع مرة ثانية للمسلمين. وتحت ستار التابعية العثمانية بدأ هذا التسلل اليهودي إلى فلسطين ومع هجرات كثير من المسلمين من اضطهاد روسيا القيصرية.

وفي عام ١٨٩٥م/١٣١٣هـ أصدر اليهودي النمساوى هيرتسل كتاباً بعنوان: الدولة اليهودية قرر فيه:

«إن المسألة اليهودية ليست مسألة اجتماعية أو دينية بل هي مسألة قومية لايمكن حلها إلا عن طريق تحويلها إلى قضية سياسية عالمية تتم تسويتها على يد الدول الكبرى مجتمعة. ويعنى هذا بالتحديد أن يمنح اليهود السيادة فوق رقعة من الأرض كافية لتلبية متطلبات إقامة دولة قومية على أن يترك الباقي لليهود أنفسهم.

ولكي يحقق اليهود هدفهم اقترح هيرتسل إنشاء جمعية يهودية تقوم بتنظيم اليهود وتعبئتهم وشركة يهودية على غرار الشركات الاستعمارية الكبرى في المستعمرات الأوربية في آسيا وأفريقية تقوم بتوطين المستعمرين واستغلال موارد البلاد والسيطرة عليها[٢].

وكان صدور هذا الكتاب بمثابة نقطة تحّول في الحركة الصهيونية فقد اعتبرت المشكلة اليهودية مشكلة قومية، وحلّها يكمن في تحويلها إلى قضية عالمية تفرض على مجالس الأمم المتحضرة حيث ينادى زعماء اليهود بتكوين دولة يهودية. ولم يعلن هيرتسل في كتابه عن اختياره النهائي للدولة المقترحة.

وتمكنت الصهيونية في هذه الأثناء من استمالة الأوربيين لأفكارها:

---

(١) نفسه.

(٢) الكيالي ص ٣٤.

فالمتـدين النصـراني الأوربي دخلت إلى نفسـه فكـرة شعب الله المختـار وأرض الميعـاد وهـو يؤ من كنصراني بالعهد القديم ، وأما غير المتدين فرغب أن يتخلص من استغلال اليهود وجشعهم ومكرهم عن طريق تأييد الصهيونية في البحث عن أرض يتجمعون فيها ، فتستريح أوربا منهم . انظر إلى قول وزير خارجية قيصر روسيا وهيرتسل يحدثه ويطلب منه تشجيع الهجرة «إننا نعطي مثل هذا التشجيع على الهجرة بأن نركلهم بأقدامنا»(١) .

وأمـا الحكـومـات الاستعـمارية فقد أيدت الصهيونية عن طريق استعداد الأخـيرة لتكـون خادمـة للاستعـمار وعن طريق المسـاعـدات والقـروض المـالية للحكومات الاستعمارية التى قامت بها البيوتات المالية اليهودية الكبيرة .

ثانيـا : مرحلة وضوح الهدف الصهيوني **١٣١٥-١٣٣٣هـ / ١٨٩٧-١٩١٤م** :

بدأت هذه المـرحـلة بمؤتمـر بازل (بـال) بسـويسـرة عام **١٣١٥هـ/١٨٩٧م** ، وهـو المؤتمـر الصهيـوني الأول الـذي نجـح هيرتسـل في عقده ، وضم **٢٠٤** مندوبين يمثلون جمعيات صهيونية متناثرة في أرجاء مختلفة من العالم . وقد حدد المؤتمر أهداف الصهيونية بما يلي :

«إن غايـة الصهيـونيـة هو خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام»(٢) وقد ووفق على برنامج هذا المؤتمر .

ومن الممكن تلخيص قراراته في :

١ ــ وضـع هذا المؤتمـر برنـامج الحركة الصهيونية التى تتمثل في استعادة أرض مملكة إسرائيل بحدودها التاريخية وإعادة تكوين الشعب اليهودي في وطنه القديم .

٢ ــ وضـع المؤتمـر أسس المنظمـة الصهيـونيـة العـالميـة وربطها بواسطة منظمات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين المتبعة في كل بلد .

٣ ــ وأوصى المؤتمر بالتدابير التالية لتحقيق الأهداف الصهيونية :

---

(١) جارودي ـ اسرائيل ـ ص ٧٢ عن كتاب ا . شورافي ـ تيودور هرتزل ـ باريس ١٩٦٠م ص٣٠٢ .
(٢) الكيالي ص ٣٥ .

أ ــ العمل على استعمار فلسطين بواسطة العمال الزراعيين والصناعيين اليهود ووفق أسس مناسبة.

ب ــ تقوية الشعور والوعي القومي اليهودي وتغذيته.

جـ ــ القيام بالسعي لدى الحكومات المختلفة لتأييد كفاح اليهود لتحقيق أهداف الحركة الصهيونية.

د ــ تنظيم العناصر اليهودية وتوثيق الروابط بينها بإنشاء المؤسسات المحلية والدولية وفقاً للقوانين المتبعة في كل بلد[1].

ووضع هذا المؤتمر شعار العلم اليهودي والنشيد القومي اليهودي وتأسست الهيئات الصهيونية التنفيذية وصندوق الائتمان اليهودي لشراء الأراضي.. وبناء عليه أصبح لفظ صهيوني يعبر عن كل من يعتنق المبادىء التي وضعت في هذا المؤتمر ويكتتب سنويا بمقدار شيكل واحد ـ نصف دولار.

وهكذا صاغ هيرتسل الأفكار الصهيونية في حركة سياسية ذات طابع عالمي وأصبح المنظم الذي لا يلحق به كلل أو اعياء للحركة الصهيونية وداعيتها ومندوبها السياسي[2]، مشيعاً أن اليهود أمة يمثلون قومية وأسطورة الجنس الواحد[3]، ومردداً الحقوق التاريخية[4] والأسطورة التوراتية[5]. وكان هيرتسل قد قال في أعقاب هذا المؤتمر: «لو أردت أن أختصر مؤتمر بازل في كلمة واحدة ـ وهذا ما لن أفعله صراحة ـ لقلت في بازل أسست الدولة اليهودية. ولو أعلنت ذلك اليوم لقابلني العالم بالسخرية والتهكم، ولكن بعد خمس سنوات على وجه الاحتمال، وبعد خمسين سنة على وجه التأكيد سيرى هذه الدولة جميع الناس»[6].

---

(١) الكيالي ص ٣٥.

(٢) خيري حماد ـ الصهيونية ص ٣١.

(٣) انظر هذه الاسطورة ـ جارودي ـ اسرائيل الصهيونية السياسية ص١٠٥.

(٤) انظر نفسه ص ٣٣ ـ ٨١.

(٥) انظر نفسه ص ٨٢ ـ ١٠٢، وص ١٠٥.

(٦) مذكرات تيودور هرتزل الكاملة ج ٢ ص ٢٤/ نيويورك ١٩٦٠م.

وفي المؤتمر الصهيوني الثاني سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م أقر المؤتمرون:

تشكيل لجنة استعمار فلسطين وإنشاء المصرف الاستعماري اليهودي ليكون الأداة المالية للحركة الصهيونية وللشركة اليهودية المنشودة، وقد جعل هرتزل مقر المصرف والمؤسسات الصهيونية الأخرى في انكلترا لأنه رأى أن ظروفها العامة ومخططاتها الاستعمارية ومواقف ساستها تحتم تبنيها الكامل للحركة الصهيونية(١).

وأخيراً فهناك بعض الملاحظات على مؤتمر بال الصهيوني لابد من ايرادها:

١ ــ اختار المؤتمر تعبير «وطن قومي» وهو تعبير غامض قد يعني أكثر من معنى، وذلك عن عمد، واستمرت الصهيونية في استعمال الألفاظ الغامضة تعمية للأبصار عن الأهداف الحقيقية حتى تقطع فيها خطوات وتتمكن منها. وقد أثر عن هرتزل أنه قال:

«يجب ألّا يعار كبير التفات إلى الألفاظ فإن الشعب اليهودي سيقرأها [الدولة اليهودية]»(٢).

٢ ــ أصبحت الحركة الصهيونية كدولة يهودية موزعة بين حكومات العالم، فاللجنة التنفيذية كانت السلطة التنفيذية، والمؤتمر الصهيوني كان المجلس النيابي، وكانت المنظمة الصهيونية العالمية المفوض الذي يتحدث باسم يهود العالم، فأصبح كل يهودي صهيوني شاء أم أبى.

٣ ــ وضع المؤتمر قرارات سرية أظهرتها فيما بعد بروتوكولات حكماء صهيون في ضمنها اشعال حرب عالمية، والسيطرة على العالم اقتصادياً وفكرياً تمهيداً للسيطرة اليهودية على العالم. وقد تغلغل النفوذ الصهيوني في أوربا بالفعل ولم يصبح في المجتمع الأوربي صوت حقيقي يرتفع في وجه الصهيونية كي يحدّ من أحلامها، وسيطرت على محتر في السياسة في أوربا وأمريكا حتى أنها تمكنت في آخر الأمر أن تنتزع موافقتهم على إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين. فأصبحت الصهيونية تركز عداءها ضد العالم الإسلامي وحده، وكانت الدولة

(١) الكيالي ص ٣٧.

(٢) مذكرات هرتزل.

العثمانية هي زعيمة المسلمين، وفلسطين من أملاكها، فاتبعت الصهيونية معها الأساليب التالية:

أ ـ **أسلوب الاغراء**: فقد قابل هرتزل السلطان عبد الحميد مستعملاً أسلوب الرشاوي مع الوسطاء والمسئولين الأتراك[١]، ووساطة الدول الأوروبية وخاصة المانيا، وقدم له التماساً لتحقيق المطامع اليهودية وعرض عليه تسديد ديون الدولة العثمانية جميعها وخمسة ملايين جنيه ذهب لجيبه الخاص مقابل السماح لليهود باستيطان فلسطين كرعايا للدولة العثمانية. فرفض السلطان طلبه، وكان قد عرف ألاعيب الصهيونية[٢]، واتبع خطوات ايجابية ليحول دون تسلل اليهود إلى فلسطين بأن فصل سنجق القدس عن ولاية دمشق، واتبعه للباب العالي رأساً، ومنع بقاء الزوار اليهود أكثر من ثلاثة شهور في القدس. وبذلك حدّ من تسللهم.

ب ـ **أسلوب التهديد**: فقد عمدت الصهيونية إلى تهديد الدولة العثمانية عن طرق الدول الاستعمارية الأوروبية ـ وخاصة النمسا ثم بريطانيا والمانيا، وحاولوا الحصول على العريش وشبه جزيرة سيناء وجزيرة قبرص كما عرض عليهم اوغندة وليبيا والعراق وموزمبيق والكونغو ومدغشقر[٣]. وقد وافق كرومر المعتمد البريطاني في مصر على منح الصهيونية العريش وشبه جزيرة سيناء وقابل هرتزل المستشار القانوني للحكومة المصرية بهدف الإعداد للتعاقد على استعمار سيناء والعريش لمدة ٩٩ سنة، ولكن المشروع فشل بجهود الدولة العثمانية.

---

(١) خيري حماد ـ الصهيونية ـ ص ٤٠.

(٢) راجع ص ١٠٤ ـ ١٢٠ من هذا الكتاب.

وفي احدى المرات قال السلطان: «أنصح الدكتور هرتزل ألا يتخذ خطوات أخرى في هذه الطريق، فإني لا استطيع أن أتنازل عن قدم مربعة واحدة من هذه الأرض (أرض فلسطين) لأنها ليست أرضي وإنما هي أرض شعبي، شعبي الذي حارب في سبيل هذه الأرض وسواها بدمه، دع اليهود يحتفظون بملايينهم، فإذا انفكت دولتي فإن اليهود قد يحصلون على فلسطين بدون مقابل، ولكنهم لن يصلوا إليها إلا على اشلاء أجسامنا بعد تمزيق أوصالها، إنني لا استطيع أن أوافق على إجراء التجارب الجراحية على أجسام أبناء شعبي الأحياء». (النص عن يوميات هرتزل ـ خيري حماد ـ الصهيونية ص٤١، أنور الجندي ـ الإسلام والعالم المعاصر ص٤٢١).

(٣) انظر خيري حماد ص ٤٤ ـ ٤٥.

جـ ــ أسلوب التآمر ضد الدولة العثمانية ـ وذلك :

(١) بتشويه سمعة السلطان عبد الحميد واتهامه بالرجعية والاستبداد حتى أصبح ممقوتاً حتى عند شعبه لما تملكه الصهيونية من شبكات وسائل الاعلام .

(٢) بمحاولة إثارة النعرات القومية داخل الدولة العثمانية عن طريق الجمعيات الماسونية التي انضوى إليها بعض الشباب العرب والاتراك في باريس وبقية أوربا . فظهرت فكرة القومية التركية (الطورانية) وفكرة القومية العربية، وتمكنت جمعية الإتحاد والترقي من إزالة السلطان عبد الحميد، وكانت فيها عناصر الدونمة (يهود سالونيك) عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م كما سبق[١] .

وقد سمحت جمعية الاتحاد والترقي بعد نجاحها بهجرة اليهود إلى فلسطين إلى أن ضج العرب المسلمون في مجلس المبعوثان، وبعض الصحف في فلسطين، فاغلقوا الصحف، وتظاهروا بالعودة إلى أسلوب السلطان عبد الحميد بشأن الهجرة اليهودية، فعاد أسلوب التسلل ولكن بحماية المسئولين هذه المرة وتسهيلاتهم من جمعية الاتحاد والترقي التركية . فارتفع عدد اليهود من خمسين ألفاً عام ١٣١٥هـ/١٨٩٧م إلى ٨٥ ألفاً عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م من أهل فلسطين الذين بلغ عددهم ٦٨٩ ألفاً حسب تقديرات السلطات العثمانية .

وأخيراً فلنا أن نتساءل لماذا اختارت الصهيونية فلسطين بالذات مادام عرض عليها أوغندة، مدغشقر، موزمبيق، الكونغو وغيرها ؟

يجيبنا على هذا ناحوم غولدمان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي في خطاب ألقاه في مدينة مونتريال في كندا عقد عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م :

«كان في امكان اليهود أن يحصلوا على اوغندة أو مدغشقر أو غيرهما، ليقيموا في أي منها وطناً يهودياً ، ولكن اليهود لا يريدون سوى فلسطين، لا لاعتبارات دينية، أو لأن التوراة قد أشارت إليها، أو لأن مياه البحر الميت تستطيع أن تعطي عن طريق التبخر ما قيمته خمسة آلاف مليون من الدولارات

---

(١) انظر ص ١٠٤ ـ ١٢٠ من هذا الكتاب .

من المعادن والأملاح، أو لأن تربة فلسطين الجوفية تحتوي على كميات من البترول تبلغ عشرين ضعف احتياطي البترول في الامريكتين - بل لأن فلسطين هي ملتقى الطرق بين أوربا وآسيا وافريقيا، ولأنها المركز الحقيقي للقوة السياسية العالمية، ولأنها المركز العسكري الاستراتيجي للسيطرة على العالم»[1].

وهكذا تطابقت المصالح الاستعمارية مع أهداف الحركة الصهيونية في هذا الاختيار الاستراتيجي الهام. ولأن القائمين على أمر الحركة الصهيونية يدركون ان اقتران اسم فلسطين بالدين اليهودي يساعد في جذب اليهود للحركة الصهيونية وللهجرة إلى فلسطين في آن واحد.

ثالثا : مرحلة المناورات الخفية الماكرة - العمل المراوغ - ١٣٣٣-١٣٣٧هـ/ ١٩١٤-١٩١٨م:

وهذه هي فترة الحرب العالمية الأولى، وكانت الدول المتحاربة :

أ - الحلفاء : بريطانيا وفرنسا وروسيا، وانضمت إليهم ايطاليا ثم الولايات المتحدة، في حين انسحبت روسيا من الحرب بعد ثورة اكتوبر الشيوعية عام ١٣٣٦هـ/١٩١٧م :

ب - دول الوسط : وهي المانيا والنمسا وانضمت إليها جمعية الاتحاد والترقي التركية.

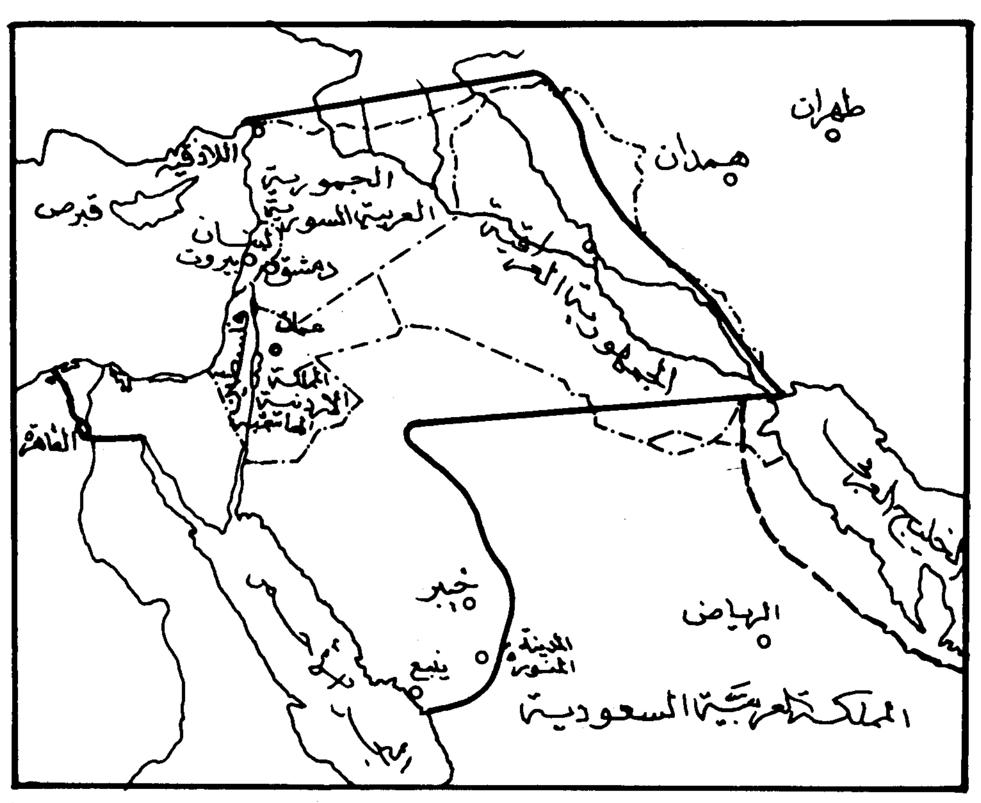
وقد استطاعت الصهيونية أن تمدّ نفسها كالأخطبوط بين مختلف هذه الدول المتحاربة عن طريق الجاسوسية والأموال والدعاية فأخذت من كل منها وعوداً، في حين كانت تتظاهر بالحياد ونقلت مقرها الرئيسي من برلين إلى كوبنهاجن عاصمة الدنمرك المحايدة[2]. ونجحت في روسيا نجاحاً كبيراً جداً إذ أزالت الحكم القيصري وقام الحكم الشيوعي عام ١٩١٧م وكان معظم من تزعم الحركة الشيوعية من اليهود الصهاينة[3]، كما نجحت في إسقاط الخلافة

---

(١) خيري حماد - الصهيونية - ص ٧١ .

(٢) المالكي ص ٩٣ .

(٣) انظر الشيوعية وليدة الصهيونية - ص ٩٥.



البلاد الإسلامية التي يطمع اليهود في الاستيلاء عليها
« إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل »

العثمانية كما سبق[1] وشجع القوميون الأتراك الهجرة اليهودية إلى فلسطين في هذه الفترة فكانت الصهيونية لا تتردد في التحدث إلى أي فرد باللغة التي تناسبه حتى ولو كان من أشد المناهضين للسّامية أسوة بسياسة هرتزل مؤسسها الذي كتب في يومياته قائلاً : سأقول للقيصر الألماني ـ دعونا نرحل ـ فنحن مختلفون عنكم . ولا يسمح لنا بأن نندمج في أهل بلادكم ثم إننا غير قادرين على ذلك[2] . وكان نجاحها كبيراً في نيل عطف بريطانيا ثم تسخيرها لنيل أغراضها ، فعند بداية الحرب قدم هربرت صموئيل أحد أقطاب الصهيونية الانجليز مذكرة إلى الحكومة البريطانية عرض فيها مشروعاً لتأسيس دولة يهودية في فلسطين تحت اشراف بريطانيا يأوي إليها ثلاثة أو أربعة ملايين من اليهود المشردين في أوربا قائلا : «وبذلك نكون قد أقمنا بجوار مصر وقناة السويس دولة جديدة موالية لبريطانيا»[3] . فتمكنت من الحصول على وعد بلفور من بريطانيا وهو بمشابة شهادة زواج غير شرعي بين الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية على حساب مستقبل الإسلام والمسلمين في فلسطين . وهذا نصه :

«عزيزي اللورد روتشيلد : يسرني جداً أن أنقل إليكم باسم حكومة جلالة الملك هذا التصريح المشوب بالعطف على الأماني اليهودية الصهيونية الذي رفع إلى الحكومة ووافقت عليه :

إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي ، وسوف تبذل أقصى جهدها لتحقيق هذه الغاية ، هذا مع العلم أن حكومة جلالة الملك لن تفعل شيئاً ينطوي على أي مساس بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين ، ولا بحقوق اليهود أو بمركزهم السياسي الذي يتمتعون به في غيرها من البلاد»[4] .

ولقد اتسم هذا التصريح كما ترى بأفكار سياسية استعمارية ماكرة قصد بها الغموض والتضليل ، من كلمات العطف ، وإقامة وطن قومي للشعب اليهودي ،

---

(١) انظر ص ١١٣ من هذا الكتاب .

(٢) جارودي ـ اسرائيل ـ ص ٧٠ ـ ٧١ عن يوميات هرتزل ـ الجزء الثاني ص٢٧ / الترجمة الفرنسية .

(٣) البرت هامسيون ج٢ .

(٤) انظر د. محمود منسي . وعد بلفور .

واعتبار غير اليهود طوائف في فلسطين، ويعتبر هذا من أغرب الوثائق الدولية في التاريخ إذ منحت بموجبه دولة استعمارية أرضاً لا تملكها إلى جماعة لا تستحقها على حساب من يملكها ويستحقها، وقد أقدمت على هذه الجريمة قبل أن تتقدم جيوشها بمساعدة حلفائها من العرب الذين قادهم فيصل ولورنس إلى فلسطين. ويكفي أن نذكر أن المستر بيفن وزير خارجية بريطانيا بعد ذلك بثلاثين عاما عبر عن مدى التناقض الذي يشتمل عليه هذا التصريح بقوله: «إنه كان في الواقع يتضمن شيئين متناقضين: تشجيع الهجرة إلى فلسطين ثم حماية السكان الأصليين ضد المهاجرين. إنها مغالطة تاريخية وفكرة استعمارية ماكرة»[1].

وأحضر وايزمن لحظة إصدار تصريح بلفور لوزارة الحرب البريطانية مذكرة جاء فيها: «عندما نقدم اقتراحنا فإننا نعهد بمصيرنا القومي والصهيوني لوزارة الخارجية البريطانية ولحكومة الحرب الامبراطورية آملين أن يُنظر إلى المشكلة على ضوء المصالح الإمبراطورية والمباديء التي يدافع عنها تحالف الوفاق»[2].

بل وأعلن وايزمن حقيقة تصريح بلفور بقوله: «اننا اتفقنا مع الحكومة البريطانية على تسليم فلسطين لليهود خالية من سكانها العرب»[3].

ودخل الجنرال اللنبي القائد الإنجليزي القدس في الحادي عشر من كانون الأول عام ١٣٣٦هـ/١٩١٧م بعد أقل من ستة أسابيع من اعلان وعد بلفور وصرح قائلاً: «اليوم انتهت الحروب الصليبية»[4] معبراً عن حقده الصليبي، ومؤكداً الرابطة بين وعد بلفور وبين الحروب الصليبية أو الارتباط بين الصهيونية والاستعمار. قالت بربارة توخمان الكاتبة اليهودية في كتابها التوراة والسيف:

---

(١) نفسه.

(٢) جارودي ـ اسرائيل ص ٧٣ من كتاب حاييم وايزمن المحاكمة والخطأ لندن ١٩٥٠م ص ٢٥٢.

(٣) شفيق الرشيدات ـ فلسطين تاريخاً وعبرة ومصيراً ص ٥١.

(٤) أنور الجندي. العالم الإسلامي ص ٤٣٩.

«وهكذا دخل الجنرال اللنبي إلى القدس عام ١٩١٨م فنجح حيث كان ريتشارد (ريكاردوس قلب الأسد) قد أخفق ولولا ذلك الانتصار لما كانت إعادة اسرائيل إلى أرض الميعاد قد أصبحت حقيقة واقعة، وكذلك لم يكن بإمكان اللنبي أن ينجح لولا محاولة ريتشارد، أي لو لم تكن النصرانية قد أقامت في الأصل الأساس الذي يحمل النصارى على التعلق بالأرض المقدسة. إن من غريب التهكم أن يكون اليهود قد استعادوا موطنهم إلى حدّ ما بفعل الدين الذي أعطوه للأميين»[1].

وهكذا تتكشف أوجه الصراع بين النصرانية واليهودية في محاولة السيطرة على الإسلام، وتبدو براعة الصهيونية في نقل الكرة من قدم إلى قدم حتى تصبح في حوزتها.

الدوافع التي دفعت بريطانيا للسير في المخططات الصهيونية:

١ ـ مصالح بريطانيا السياسية والاستراتيجية في البلاد الإسلامية:

فقد هدفت بريطانيا إلى كسب هدف استراتيجي يخدمها في الشرق الإسلامي بإيجاد تجمع يهودي في فلسطين تحت السلطة البريطانية يؤمن الطريق المؤدي إلى الهند ـ درة التاج البريطاني ـ والسيطرة على قناة السويس ويمنع قيام وحدة بين المسلمين في آسيا وافريقيا، ويشغل العالم العربي والعالم الإسلامي، ففي عام ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م أخذت بريطانيا تدرس عن طريق رؤوس الاستعمار ومفكريه الوسائل الكفيلة لتفادي انهيار الامبراطورية فكان مشروع كامبل باترمان رئيس وزارة حزب الأحرار الحاكم في بريطانيا آنذاك الذي اعتبر الجسر البري الضيق الذي يصل آسيا بافريقيا ويمر فيه قناة السويس هو مكمن الخطر، فلابد من العمل على تجزئة المنطقة وتخلفها ومحاربة اتحاد سكانها وضرورة فصل الجزء الإفريقي من الآسيوي بإقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري كقوة حليفة للاستعمار[2].

---

(١) أنور الجندي ـ العالم الإسلامي المعاصر.

(٢) انظر شفيق الرشيدات ـ فلسطين تاريخاً وعبرة ومصيراً ص ٤٥.

كما كتب ل. سي أري من وزارة الحربية والذي أصبح فيما بعد وزيراً للمستعمرات مذكرة أكد فيها: «ان فلسطين ومصر تشيران من الوجهة الاستراتيجية معاً. ففلسطين ليست حاجزاً ضرورياً أمام قناة السويس وحسب بل ان أي دفاع عن قضية فلسطين تكون قاعدته الرئيسية من الناحية الأخرى في القنطرة... وفلسطين جغرافياً وعملياً تقع في قلب الأمبراطورية البريطانية»[1].

وكانت الصهيونية تدرك ذلك فركزت عليه، فوصفت الموسوعة البريطانية نفسها وعد بلفور بأنه محاولة من جانب بريطانيا لإسكان اليهود الذين تشدهم إلى بريطانيا أقوى الروابط والمصالح في فلسطين ليتولوا حماية مداخل قناة السويس والطريق إلى الهند[2] ويقول آخر بناة الاستعمار البريطاني - تشرشل - في مذكراته[3] والتي كتبها منذ عشرات السنين:

«إذا اتيح لنا في حياتنا وهو ما سيقع حتماً أن نشهد مولد دولة يهودية لا في فلسطين وحدها بل على ضفتي نهر الأردن معاً تقوم تحت حماية التاج البريطاني وتضم نحواً من ثلاثة ملايين أو أربعة ملايين من اليهود، فإننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الاتفاق مع المصالح الحقيقية للإمبراطورية البريطانية»[4].

ويقول سايد بوتام الخبير العسكري لصحيفة المانشستر جارديان في كتابه انجلترا وفلسطين موضحاً العلاقة بين الفكرة اليهودية في سلب فلسطين من المسلمين ومصالح بريطانيا في الشرق الأوسط:

«اليهود هم الفئة الوحيدة المهيأة لاستعمار فلسطين - فهم دون غيرهم - باستطاعتهم أن يقيموا شرقي البحر الأبيض المتوسط نفوذاً جديداً مرتبطاً بهذا البلد (بريطانيا) وسيشكلون درعاً لحماية مصالحنا في الشرق ووسيطاً بيننا وبينه

---

(١) المالكي ص ١١٨.

(٢) خيري حماد - الصهيونية - ص ٧٥.

(٣) عرّبها خيري حماد.

(٤) خيري حماد - الصهيونية - ص ٧٨.

وسيكونون حضارة متميزة عن حضارتنا ولكنها ستكون مشبعة بأفكارنا ومبادئنا السياسية[1].

وتجد الصهيونية تحاول جاهدة أن تؤكد هذا الوهم لدى بريطانيا ـ فوايزمن يقول في حديث للورد روبرت سيسيل : «إذا كانت فلسطين يهودية فسيكون في هذا ضمان لإنجلترا من ناحية قناة السويس»[2].

وقد التقت سياسة وايزمن الذي طالب بامتيازات للصهاينة وبمنح اليهود أراضي الدولة لكي يوطن فيها ما بين أربعين ألفاً وخمسين ألفاً من المهاجرين سنوياً بتأييد اورسبي غور على الفور. وكان هذا الاستعماري البريطاني يميل إلى تشجيع العناصر غير الإسلامية من أوروبية ويهودية على استعمار المنطقة في ضوء الافتراض بأن الإسلام هو الخطر الرئيسي . كما كان يميل إلى تشجيع فكرة إنشاء دويلات طائفية لتفتيت وحدة المسلمين وبعثرة قواهم أمام أوربا النصرانية والصهيونية .

ولما كانت المنظمة الصهيونية قد أمنت العنصر البشري المطلوب للمراكز الأمامية في فلسطين وذلك في حرب أوربا ضد الإسلام ـ «فإن من مصلحة بريطانيا أن تساعد المنظمة الصهيونية وأية منظمة أخرى قد تتعاون معها في التطوير العملي للاستعمار اليهودي في فلسطين» . ولهذا نرى لماذا كانت الصهيونية وسياسة تصريح بلفور القائمة على أساس اعطاء اليهود وطناً قومياً في فلسطين أمراً مفروغاً منه في نظر اورجسبي غور وغيره من الشخصيات السياسية البريطانية الرئيسية[3].

٢) تدهور الموقف الحربي للحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى[4]، فبدا للحكومة الانجليزية ان تستميل الرأي العام الأمريكي لعلها تقنع الولايات المتحدة بالاشتراك في الحرب إلى جانب الحلفاء، وللصهيونية تأثير كبير على

---

(١) الشرق الأوسط/ رسالة اليوم من ابراهيم مهدي اسماعيل قراءة ثالثة في وعد بلفور/ ص١٨ الأربعاء ١٣/١١/١٩٨٥م.

(٢) جارودي ـ اسرائيل ص ٧٣ عن كتاب وايزمن ـ ميلاد اسرائيل ـ ط٣ باريس ١٩٥٧م.

(٣) المالكي ص ١٣٣ .

(٤) انظر الوضع الحربي للدول المتحاربة/ بيير رونوفن ـ تاريخ القرن العشرين ص ٥١-٦٠.

هذا الرأي العام في الولايات المتحدة، فعملت على السير في المخططات الصهيونية فضمنت بذلك جماعات اليهود القوية العالمية التي تبسط سيطرتها على أسواق المال لا في نيويورك فقط بل في نواحي كثيرة من انحاء العالم وحملها على مناصرة قضية الحلفاء[1]، وبالفعل فقد تحولت الحرب لصالح الحلفاء بدخول الولايات المتحدة الحرب عام ١٩١٧م .

٣) مشكلة استخراج الأسيتون : والأسيتون مادة تستخدم كمذيب للبارود فلا تطلق دخاناً، وقد تمكن الدكتور وايزمن من استخراج هذه المادة بعد أن كانت عمليات الاستخراج قد عجزت عن الوفاء باحتياجات معامل وزارة الحربية بعد أن نجحت الغواصات الألمانية في فرض حصار بحري محكم على الجزر البريطانية، ولم يترك وايزمن عملية الإشراف على انتاج الاسيتون لغيره، فقد أرسل أحد تلاميذه الصهاينة وهو هربرت سبيكمان للإشراف على العمل في كندا، وبذلك ضمن أن يظل هو صاحب الفضل الأول والأخير في انتاج هذه المادة الاستراتيجية وقد رفض وسام الشرف الذي قدم له وطلب أن تفعل الحكومة البريطانية شيئاً لشعبه. وطالب بمنح اليهود أراضي الدولة في فلسطين بعد ذلك وتشجيع الهجرة اليهودية بمعدل اربعين ألفاً إلى خمسين ألفاً فأيده اورجسبي السياسي الاستعماري البريطاني على الفور .

رابعاً : مرحلة العمل الصهيوني الانجليزي لتهويد فلسطين ١٣٣٧-١٣٥٨هـ/ ١٩١٨-١٩٣٩م :

في هذه المرحلة تمكنت الصهيونية والاستعمار من اسقاط الخلافة العثمانية والغائها. ووقعت البلاد العربية في الشام والعراق بعد أن جزئت في قبضة الاستعمار الانجليزي والفرنسي، وتبنت دول الحلفاء كلها وعد بلفور، وضربوا بوعودهم للعرب عرض الحائط، وأصبح وعد بلفور الموجه الذي تسترشد به السياسة البريطانية .

---

(١) فشر - تاريخ أوربا ص ٥٣٢ .

وانشغل في هذه الفترة كل قطر عربي وإسلامي بمشاكله الخاصة، ومعاناته، فانفردت الصهيونية والانجليز في فلسطين، فقد تم التوقيع عام ١٣٣٨هـ/١٩١٩م في مؤتمر فرساى (مؤتمر الصلح) على ميثاق عصبة الأمم. وفي المادة (٢٢) من هذا الميثاق نص يعرف بصك الانتداب(١). وفي معاهدة سيفر سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م انحلت الدولة العثمانية ولم يبق للأتراك إلا مدينة القسطنطينية مع ضاحيتها والقسم الأعظم من شبه جزيرة الأناضول أي آسيا الصغرى، ووضعت سورية الشمالية تحت الانتداب الفرنسي أي تحت النفوذ الفرنسي، وأصبحت سورية الجنوبية والعراق وشرق الأردن منطقة نفوذ انكليزي(٢). وبدلت معاهدة سيفر بمعاهدة لوزان عام ١٩٢٣م على أثر انتصارات مصطفى كمال ولم تبدل هذه المعاهدة شيئا فيما يتعلق بالبلاد العربية(٣)

وفي مؤتمر سان ريمو سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م تم اقتسام بلاد الشام والعراق بين بريطانيا وفرنسا وتبنت دول الحلفاء وعد بلفور علناً. وأصبحت فلسطين تحت الانتداب البريطاني مع الالتزام بتنفيذ وعد بلفور. وأقر مجلس عصبة الأمم هذا الانتداب عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م بموجب صك الانتداب الذي نص في ديباجته إقرار وعد بلفور، كما نصت بنوده على تشجيع الهجرة اليهودية. فقامت بريطانيا بدورها في تهويد فلسطين بحماس شديد. ومن أهم ما عملته في هذا السبيل:

١) تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين:

فوصل عدد اليهود من ٥٥ ألفاً عام ١٣٣٩هـ/١٩١٩م إلى ١٠٨ آلاف عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م و٣٠٠ ألفاً عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م و٦٥٠ ألفاً عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م(٤)، فرأى أهل فلسطين سيول الغرباء تغمر بلادهم دون أن يستطيعوا وقف هذه السيول(٥).

---

(١) انظر شفيق الرشيدات ص ٧٧ - ٧٨.

(٢) رونوقن ج ١ ص ١٠٨.

(٣) نفسه ص ١٤٢.

(٤) خيري حماد - الصهيونية ص ٧٦/ بينما كان عددهم عند إعلان تصريح بلفور سنة ١٩١٧م خمسين ألفاً أي حوالي ٥٪ من السكان (انظر جارودي - اسرائيل ص١٣٨).

(٥) انظر المالكي ص ٦٧، ٧٩.

٢) تشجيع انتقال حيازة الأرض إلى اليهود :

فقد منحت السلطات البريطانية أجزاء كبيرة من أراضي الدولة الصالحة للزراعة مثل منطقتي بيسان والبيرة وقيصرية[١]، بطلب من وايزمن وتأييد من السياسي البريطاني اورجسبي غور[٢]. كما وجهت المنظمة اليهودية الضغط للحصول على قرض بمليوني جنيه استرليني يجمع تحت رعاية عصبة الأمم المتحدة وتضمنه الحكومة البريطانية وذلك لشراء المزيد من أراضي الدولة التي ستخصص للاستعمار اليهودي والهيئات الزراعية[٣]. ووضعت بريطانيا الفلاحين المسلمين في فلسطين في ظروف غاية في القسوة تجبرهم على ترك أراضيهم أو بيعها، كما ساعدت الحدود المصطنعة والاغراءات المالية الصهيونية على أن يبيع الملاكون خارج فلسطين أراضيهم داخل فلسطين كسهل مرج ابن عامر (الذي كان يملكه اغنياء بيروت وتجارها أمثال : عائلات بترس وسرسق وتويني ومتّى فرح وسليم الخوري)[٤]ووادي الحوارث والحولة وغيرها، وقد استخدمت بريطانيا القوة في طرد المزارعين المسلمين من هذه المناطق وإحلال المستوطنات اليهودية مكانهم. فحصل الصهاينة في الفترة (١٣٤٠-١٣٤٤هـ/ ١٩٢١-١٩٢٥م) على ٢٦٠ ألف دونم من ملاكين مقيمين خارج فلسطين[٥]. واما من أهالي فلسطين فحصلوا على نسبة ضئيلة معظمها من العائلات النصرانية : كسار، روك، خوري وحناوغيرهم. واما الأراضي التي باعها الفلاحون المسلمون فكانت تكوّن نسبة ضئيلة جداً من الأراضي التي بيعت[٦]، ورغم ذلك فإن اليهود استطاعوا أن يملكوا حتى عام ١٩٤٨م ٦٪ فقط من مساحة فلسطين ولكن هذه النسبة تساوى ٢٠٪ من مجموع مساحة الأراضي الزراعية .

---

(١) المالكي ص ١٩٩ .
(٢) نفسه ص ١٣٣ .
(٣) نفسه ص ٢٣٠ .
(٤) نفسه ص ٤٥ .
(٥) نفسه ص ٢٥٤ .
(٦) الكيالي ص ٥٨ .

٣ ـ اعترفت بريطانيا بالوكالة اليهودية شريكة في تنفيذ المخططات فأصبحت دولة داخل دولة، كما عملت السلطات البريطانية على تهويد الإدارات الحكومية بجعلها في يد اليهود أو الانجليز المعروفين بتعصبهم للصهيونية .

٤ ـ عيّنت بريطانيا هربرت صموئيل السياسي البريطاني الصهيوني المتعصب أول مندوب سامي في فلسطين عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م ليشرف بنفسه على تنفيذ الجريمة وكان يشغل عام ١٣٣٥هـ/١٩١٦م منصب وزير الداخلية واتخذ معاونيه من اليهود وعلى رأسهم اليهودي بنتوليش الذي تولى وضع القوانين والإشراف على السلطة التنفيذية لحقوق الانتداب البريطاني[١] وفتح مع زملائه اليهود باب الهجرة على مصراعيه حتى يمكن اليهود من السيطرة عليها، فكان تعيينه ضربة قوية لمسلمي فلسطين ففي أعقاب القيام برحلة شاملة كتب الجنرال بولز يقول : «انهم مقتنعون بأنه سيكون متحيزاً للصهيونية وأنه يمثل حكومة يهودية لا بريطانية»[٢] .

٥ ـ اعترفت بريطانيا باللغة العبرية لغة رسمية إلى جانب العربية والانجليزية، ومنحت اليهود حق الإشراف على شئون تعليم اليهود، بينما ظلت شئون المسلمين في أيدي الموظفين الانجليز واليهود، وافتتح بلفور نفسه الجامعة العبرية سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م في القدس .

٦ ـ منحت بريطانيا الصهاينة امتيازات المشاريع الهامة في فلسطين : كمشروع روتنبرغ للكهرباء، وتجفيف بحيرة الحولة، ومشروع البوتاس .

موقف المسلمين :

لم يوافق العرب والمسلمون على وعد بلفور، ولكن مواقفهم اتسمت بالتهاون والتخاذل، وذلك لانشغالهم بقضاياهم ومعاناتهم الهجمة الاستعمارية الشرسة، ولغموض وعد بلفور وعدم ادراكهم أبعاده، أما أهل فلسطين فقد

(١) الشيوعية وليدة الصهيونية ص ٩٩ .

(٢) المالكي ص ١٥٨ .

كانـوا أكثـر المسلمـين ادراكـاً لأبعـاد التصريح واكتووا بنار التهويد، فقاموا بعدة انتفاضات تعبر عن شعورهم بالخطر الصهيوني وكانت مطالبهم تنصب على[1]:

١ ـ العدول عن تجربة الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

٢ ـ إيقاف الهجرة اليهودية إيقافاً تاماً .

٣ ـ منع انتقال الأراضي العربية إلى اليهود .

٤ ـ منح فلسطين الاستقلال أسوة بالبلدان الأخرى وعلى نفس الشروط .

وكـان التيـار الإسـلامي قوياً في حركات أهل فلسطين، وكثيراً ما ناشدوا مسلمي الهند للتنبه إلى الاخطار اليهودية على فلسطين[2]. ومن أهم هذه الحركات :

١ ـ حركـة عام **١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م** : على إثـر تصـريحات تشرشل وزير المستعمـرات الـبر يطانية آنذاك الموالية للصهيونية، وقد بدأت انتفاضة المسلمين في مدينـة يافـا ثم امتـدت إلى سائـر المـدن الفلسطينيـة، فلجأت بريطـانيا إلى سيـاسـة التهـدئـة واتبـاع أسلوب تشكيـل اللجان للتحقيق، التي كانت تتقدم بتوصيات تتضمن حرصها على مصالح أهل فلسطين، ثم لا تلبث بريطانيا أن تعود إلى سياستها القائمة على التهويد .

٢ ـ حركة البراق عام **١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م** : إثر اعتداء اليهود على حائط الـبراق، بأن تظـاهـر اليهـود قربـه، ورفعـوا العلم الصهيـوني وأنشـدوا النشيد الصهيـوني ـ الهـاتكفـا ـ وشتمـوا المسلمـين[3] فهب المسلمـون يدافعـون عن مقـدسـاتهم، وسقـط **١٣٣** قتيلاً و**٣٤٠** جريحاً من اليهود، و**١١٦** شهيداً و**٢٣٢** جريحـاً من المسلمـين. وكـانت إصـابـات المسلمـين بأيـدي القـوات العسكرية

---

(١) انظر نفسه ص ١٦٥ .

(٢) انظر مذكرات هربرت صموئيل ـ لندن سنة ١٩٤٥م ص١٦٨ .

(٣) المالكي ص ٢٣٦، تقرير لجنة شو ص ٥٣ .

البريطانية، كما قدمت بريطانيا ألف نسمة ٩٠٪ منهم مسلمون إلى المحكمة، وحكمت بإعدام ٢٦ شخصاً بينهم يهودي واحد[١]. وتم إعدام عطا الزير ومحمد جمجوم وفؤاد حجازي يوم الثلاثاء ١٧ حزيران ١٣٤٦هـ/ ١٩٣٠م في سجن عكا، حيث خلدهم الشاعر إبراهيم طوقان في قصيدته الرائعة ـ الثلاثاء الحمراء[٢].

وفي عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣١م استغلت الصهيونية الاضطهادات النازية لليهود في المانيا فأخذت تضغط على الحكومة البريطانية لإيواء يهود وسط أوربا في فلسطين وتدفقت الهجرات فقام المسلمون والعرب بعقد عدة مؤتمرات أهمها المؤتمر الإسلامي بمناسبة الاسراء والمعراج في القدس، اشترك فيه جماعة من الحركة العربية والإسلامية ومثلت فيه ٢٢ بلداً وكان الحاج أمين الحسيني ومولانا شوكت على الزعيم الهندي لولب هذا المؤتمر، وقد حضره وفد من مسلمي البوشناق ضم وزيراً والمفتي الأكبر، وممثلون لمسلمي جاوه وتركستان وغير ذلك من البلاد، ورغم العقبات التي اعترضت هذا المؤتمر فقد خرج بمقررات ناجحة تشجب الاستعمار والصهيونية وهي[٣]:

١ ـ وضع دستور للمؤتمر يجعل المؤتمر منظمة دائمة، تجتمع دورياً، وتوجد لها مؤسسات تابعة في جميع انحاء العالم الإسلامي، ويحدد لها اهدافاً سامية، نابعة من عظمة الإسلام وتاريخه.

٢ ـ إنشاء جامعة إسلامية كبرى في القدس تسمى: جامعة المسجد الأقصى. وتأليف دائرة معارف إسلامية.

٣ ـ الدفاع عن فلسطين لأهميتها بالنسبة للعالم الإسلامي، وشجب السياسة البريطانية.

٤ ـ تشكيل شركة إسلامية لإنقاذ أراضي فلسطين.

---

(١) المالكي ص ٢٤٠، تقرير لجنة شوص ٦٥.

(٢) المالكي ص ٢٤١، ديوان إبراهيم طوقان.

(٣) ناجي علوش ـ المقاومة العربية في فلسطين ص ٧٢ ـ ٧٣.

٥ ـ تسليم سكة حديد الحجاز إلى هيئة إسلامية، لانها ملك للمسلمين .

٦ ـ استنكار السياسة الاستعمارية الروسية في بلاد تركستان والتتر، والطليانية في ليبية والإفرنسية في سورية ولبنان والمغرب العربي، والانجليزية في مصر والسودان وجزيرة العرب .

كما أظهر مسلمو الهند وسيلان وبورما تضامنهم مع جهاد أهل فلسطين واعلنوا يوم ١٦ أيار من كل عام يوماً للتضامن مع شعب فلسطين(١). وتلقت السلطات البريطانية معلومات سرية عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م تتعلق بمخطط إسلامي يرمي إلى انقاذ الأقطار العربية ولاسيما فلسطين وسوريا من الحكم الأجنبي، ودلت التقارير الدولية أن الأمير شكيب أرسلان كان قائد هذه الحركة، وكان على اتصال بجميع كبار الزعماء العرب والأقطار الإسلامية . ودلت هذه المعلومات أيضاً على أن الحاج أمين الحسيني ومولانا شوكت على مشتركان في هذا المخطط الذي يقوم على تنظيم عصابات مسلحة في كل من شرقي الأردن ووادي سرحان وصحراء سيناء للعمل في كل من سوريا وفلسطين في وقت واحد(٢). وهكذا كانت قضية فلسطين تكتسب الطابع الإسلامي .

٣ ـ حركة الشيخ عز الدين القسام سنة ١٣٣٤هـ/١٩٣٥م

الشيخ عز الدين سوري المولد هاجر إلى حيفا عام ١٣٤٠هـ/١٩٢١م بعد انهيار الثورة السورية ضد الفرنسيين، وكان قائداً بارزاً، انضم إلى جهاز التعليم في المدرسة الإسلامية بحيفا، وأخذ يثير روح الجهاد في جميع الحركات، وانضم إلى جمعية الشبان المسلمين وتولى قيادتها عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م. تجوّل في قرى شمال فلسطين واستثار روح الجهاد ضد الانجليز واليهود على السواء، وفي عام ١٩٣٥م أرسل إلى المفتي أمين الحسيني طالباً إعلان الثورة في الجنوب في نفس الوقت الذي يعلنها هو في الشمال، وقيل ان الحاج أمين أجابه بأنه يؤثر

---

(١) المالكي ص ٢٦٣ ـ انظر وثائق المقاومة الفلسطينية ص ١٧١ .

(٢) المالكي ص ٢٦١، ٢٦٧، عن تقرير البوليس الفلسطيني ـ الحركة الإسلامية العربية الثورية ١٩٣١/٥/٢١م.

التوصل إلى حلّ سياسي على اللجؤ إلى ثورة مسلحة[1]. فقاد الشيخ القسام الحركة بنفسه عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م واستشهد في احراج يعبد قرب مدينة جنين. وكان معظم مجاهدي فلسطين من تلامذته واعضاء في تنظيماته[2].

٤ ـ الثورة الفلسطينية الكبرى : ١٣٥٥-١٣٥٨هـ/ ١٩٣٦-١٩٣٩م :

تدفق سيل الهجرة اليهودية من شرعية وغير شرعية (حسب مفهوم السلطات البريطانية الحاكمة) بعد قرارات مؤتمر براغ الصهيوني الذي دعا إلى فتح أبواب فلسطين أمام هجرة غير محدودة بالنظر إلى ما يعانيه يهود المانيا من اضطهاد النازية، فزاد ذلك الطين بلة وصبّ الزيت على النار المشتعلة فقام المسلمون بمظاهرات عامة عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م وانتفاضات قوية في مختلف مدن فلسطين تصدت لها القوات البريطانية بشدة[3]. ثم كانت حركة الشيخ عز الدين القسام التي أثارت المشاعر الإسلامية وحركتها، فبدأ الناس باضراب استمر ستة شهور وهو أطول اضراب عرفه التاريخ، ثم تحول إلى حركة مسلحة شملت كل انحاء فلسطين واشترك فيها مجاهدون من مختلف البلدان العربية والإسلامية .

ومن أبرز قادة هذه الحركة المسلحة فوزي القاوقجي الذي كان قد بدأ حياته كضابط في الجيش العثماني أثناء الحرب ثم عمل مع الفرنسيين بعد الحرب فحصل على وسام من أعلى الأوسمة الفرنسية لخدماته في المخابرات ولكنه انضم إلى الثورة السورية عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م وحكم عليه بالاعدام إلا أنه هرب إلى الحجاز حيث عمل مستشاراً للملك عبد العزيز آل سعود ثم ما لبث أن التحق بالجيش العراقي واستقال عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م ليتسلم قيادة الثورة الفلسطينية[4].

---

(١) صبحي ياسين ـ الثورة العربية الكبرى في فلسطين ص ٢١ .

(٢) المالكي ص ٢٩٣ .

(٣) المالكي ص ٢٨١ ـ ٢٨٣ .

(٤) نفسه ص ٣١٧ .

وسعيد العاص والشيخ محمد الأشمر وكانا قد وصلا خلال الأسبوع الأول من أيلول عام ١٩٣٦م نتيجة مساعي المفتي، واستشهد العاص في تشرين الأول سنة ١٩٣٦م[١].

وقد عجزت بريطانيا بوسائلها القمعية وقواتها العسكرية بقيادة الليفتنانت جنرال ديل من القضاء على هذه الحركة، فلجأت إلى مناشدة الزعماء العرب بالتدخل، وبالفعل تدخل الملوك والأمراء العرب واوقف أهل فلسطين الثورة وانهوا الاضراب بعد أن ناشدهم الزعماء في ذلك «والاعتماد على النيات الطيبة لصديقتنا بريطانيا العظمى التي اعلنت أنها ستحقق العدالة»[٢] وكانت الفوائد التي جناها الصهاينة والانجليز من هذه المناشدة:

أ ـ وفرت بريطانيا على نفسها جندها ومعداتها.

ب ـ حولت اتجاه القضية من الاتجاه الإسلامي إلى اتجاه عربي.

جـ ـ أتاحت الفرصة لاعادة التخطيط والتقاط الأنفاس للتوثب إلى مرحلة قادمة. فأرسلت لجنة ملكية برئاسة اللورد بيل انتهت إلى تقريرها سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م إلى أن أفضل حل هو تقسيم فلسطين إلى دولتين: عربية: وتنضم إلى شرق الأردن، وأخرى يهودية. إلى جانب منطقة ثالثة تشمل القدس وبيت لحم مع ممر إلى البحر عند يافا يتضمن اللد والرملة تظل تحت الانتداب البريطاني.

رفض أهل فلسطين التقسيم وناشدت اللجنة العربية العليا الحكام العرب والعالمين العربي والإسلامي بالتضامن مع أهل فلسطين وأبلغت الرفض لعصبة الأمم.

واحتج الصهاينة على الحدود التي رسمها المشروع واعتبروها غير مرضية، ولكن وايزمن وافق عليها، وفي مقابلة مع اورجسبي غور وعد: «بأن يبذل كل ما في وسعه لحمل المؤتمر الصهيوني على الموافقة على التقسيم،

---

(١) نفسه ص ٣١٨.

(٢) الكيالي ص ٣٢١ عن تقرير لجنة بيل ص ١٠١.

ومساعدة البريطانيين على إجلاء العرب عن منطقة الجليل ونقلهم إلى شرق الأردن» وقال وايزمن : ان الفرنسيين أيضا يعطفون على فكرة التقسيم وإقامة دولة يهودية باعتبارها قلعة للديمقراطية الغربية تبنى في الطرف الشرقي من البحر الأبيض المتوسط[1].

عقدت بريطانيا مؤتمراً شهده العرب واليهود والحكومات العربية : مصر والمملكة العربية السعودية واليمن والعراق وشرق الأردن ـ وقد وضع العرب شروطهم للتسوية على الأسس التالية :

أ ـ وقف الهجرة اليهودية .

ب ـ منع انتقال الأراضي إلى أيدي اليهود .

جـ ـ قيام دولة مستقلة بأكثرية عربية ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة تضمن الحقوق السياسية والمدنية لليهود .

د ـ أن تكون اللغة العربية الرسمية والعبرية هي لغة ثانية في مناطق الكثرة اليهودية فقط .

لم توافق بريطانيا والصهيونية على ذلك، وكانت الحرب العالمية الثانية على الأبواب، وبدأت بريطانيا نفسها تحس بالخطر الصهيوني وأرادت التخلص من المشكلة فأصدرت الكتاب الأبيض عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م عدلت فيه عن مشروع التقسيم ووضحت سياسة الحكومة ـ ومن بنوده[2] :

أ ـ تحديد الهجرة اليهودية بـ ٧٥ ألفاً من اليهود كل عام تنتهي عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م .

ب ـ تحديد انتقال الأراضي إلى اليهود، وترك ذلك للمندوب السامي .

جـ ـ تمنح البلاد الاستقلال بعد ١٠ سنوات .

كانت معظم البنود الواردة في الكتاب الأبيض يكتنفها الغموض والإبهام شأن التصاريح البريطانية والصهيونية عادة، وقد أعلنت بريطانيا عزمها على

---

(١) الكيالي ص ٣٣٢ .

(٢) انظر د. صلاح العقاد ـ المشرق العربي المعاصر ص ٢٢٨، ود. عبد الرحيم أحمد حسين ـ النشاط الصهيوني ص ٣٢.

تنفيذ هذه البنود رضي العرب واليهود أم سخطوا .

وكـان من نتـائـج هذا التصـريح على أهل فلسطين أن أوجد خلافات في الـرأي بين القيـادات الفلسطينية بالنسبة لسياسة بريطانيا، كما أوجد اختلافاً في الرأي بين القيادات العربية الأخرى، وهو أمر يتفق مع رغبات بريطانيا ورغبات الصهيونية[1] لتتمكنا من التخطيط لخطوة أخرى .

خامســاً : مرحلة العمــل لإقــامــة الــدول الصهيــونيــة الفعليــة ١٣٥٨ـ١٣٦٨هـ/ ١٩٣٩ـ١٩٤٨م :

نددت الصهيونية بالكتاب الأبيض[2]، ولجأ اليهود إلى العنف والإرهاب في مقـاومتـه داخـل فلسطـين، فقـامـوا بثـورة أخـذت فيها العصابات اليهودية الإرهـابيـة مثـل شتـير ن والأرغـون تغير على الثكنات العسكرية والمستودعات والمطـارات الـبر يطـانية، كما أخذت تنسف دور الحكومة ودوائر البوليس والمرافق العـامـة، وقتلت عدداً من الضبـاط والجنود البر يطانيين، واغتالت اللورد موين وزيـر الـدولـة الـبر يطانية في القاهرة[3]. وكانت بريطانيا تعامل اليهود في الوقت نفسه كالطفل المدلل دون أن تلجأ إلى العنف في قمع حركاتهم كما كانت تعمل مع المسلمين من أهل فلسطين !

وقـامت الصهيـونية من ناحية أخرى بحملة دعائية وسياسية ضد الكتاب الأبيض في بريطانيا ذاتها وفي الولايات المتحدة الأمريكية والدوائر الاستعمارية، واستغلت في ذلـك الـدعـاية اللاّ سامية واضطهاد اليهود على يد الحزب النازي بزعـامـة هتلر في المانيا، والحزب الفاشي في ايطاليا، وطالبت بفتح أبواب الهجرة اليهـوديـة إلى فلسطين أمام النازحين اليهود المشردين ! ولم تتورّع الصهيونية عن اتخاذ أي أسلوب مهما كان نوعه من أجل تحقيق أغراضها، كإغراق السفينة باتريا عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م وادعـاء الانـتـحـار الجـمـاعـي والـسفينـة ستر ومـا ١٣٦١هـ/١٩٤٢م وتصوير حكومة بريطانيا بأنها تقف في وجه اليهود المنكودين وضد العودة إلى وطنهم الموعود !! لاكتساب الرأي العام الانجليزي والأمريكي :

(١) النشاط الصهيوني ص ٥٠ .

(٢) النشاط الصهيوني ـ (ردود الفعل الصهيوني) ـ ص ٣٢ ـ ٤٣ .

(٣) انظر ـ أحمد طربين ـ فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار .

واهتمت الصهيونية أثناء ذلك بالتجنيد والتدريب العسكري فأقامت قوة عسكرية تابعة للوكالة اليهودية باسم الهاجاناه، وحملوا بريطانيا على تأليف فيلق يهودي ليحارب إلى جانب الحلفاء، فزودتهم بريطانيا بالأسلحة الحديثة والدبابات والعتاد الحربي، ودربتهم أثناء الحرب أحسن تدريب، حتى قدرت القوات الصهيونية المحاربة في فلسطين عام ١٩٤٧م بسبعين ألفاً مسلحين بأحدث الأسلحة. هذا بالإضافة إلى قوة البوليس اليهودي المركزية التي كانت تخضع للإدارة البريطانية، وقد بلغ عدد هذه القوة ألفين. وفي مقابل هذه الصورة لم يكن في فلسطين في ذلك الوقت أية منظمات عسكرية مسلحة أو جماعات مسلحة مسلمة كما أثبتت ذلك صراحة لجنة التحقيق الانجلو أمريكية في تقريرها عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م في معرض المقارنة بين قوة العرب وقوة اليهود في فلسطين.

واتجهت الصهيونية في جهودها إلى الولايات المتحدة، فركزت عليها سياسياً وإعلامياً، وكما التقت الأهداف الصهيونية والبريطانية سابقاً، التقت أهداف الصهيونية مع أهداف الولايات المتحدة زعيمة الاستعمار الجديد التي تخلت عن سياسة العزلة التي انتهجتها بين الحربين، وأخذت تحاول أن تحلّ محل بريطانيا وفرنسا وايطاليا في استعمار البلاد الإسلامية، فعقدت الصهيونية مؤتمر بلتيمور الصهيوني في امريكا عام ١٣٦١هـ/١٩٤٢م الذي اتخذ قرارات تعادل قرارات بال في اهميتها ومنها:

١ ـ ضرورة قيام سريع للدولة اليهودية في فلسطين كجزء من العالم الديمقراطي الجديد.

٢ ـ رفض الكتاب الأبيض لعام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م والضغط على بريطانيا لإلغائه.

٣ ـ اطلاق الهجرة اليهودية واستيطان فلسطين تحت اشراف الوكالة اليهودية.

٤ ـ إنشاء جيش يهودي خالص يحارب إلى جانب الحلفاء.

ولأهميـة قرارات هذا المؤتمـر صرح ابن غوريـون في خطـاب ألقـاه في تل أبيب سنة ١٣٦١هـ/١٩٤٢م بقوله :

«إن الصهيـونيـة انتهت من وضـع خططهـا النهائية لإعلان فلسطين دولة يهوديـة ، وان اليهـود لا يستغنـون عن أي قسم منهـا ، حتى ولـو كان قمم الجبال وأعماق البحار»[١] .

فقد أتمت الصهيونية وبنجاح كبير ربط اليهودية الأمريكية أيضا بالقضية الصهيونية ، واستطاعت الوصول إلى أهدافها في أمريكا بفضل حملات التجهيل والتحـايـل والتـزييف ، نفـذتهـا الصهيـونيـة على أعلى المستـويـات الامريكية وأدناها ، ويعود سكوت المسئولين الامريكيين عن الدعاية الصهيونية إلى أسباب سيـاسيـة بالـدرجـة الأولى والتي تكمن في طبيعـة الانتخـابـات الامريكية ودور الصهيونية الخطير فيها ، وتأثير الصهيونية في الانتخابات كان ولا يزال يُعزى إلى :

١ ـ المال الصهيوني وهو عصب الانتخابات وعمودها الفقري .
٢ ـ وسائل الدعاية والاعلام ومعظمها تملكه الصهيونية أو تشرف عليه .
٣ ـ تنافس الحزبين الأمريكيين على اكتساب أصوات الأقليات .

فكسبت الصهيـونيـة (كـما هي عادتهـا) معظم معـاركها بواسطة الإعلام التضليـلي وأسـاليبـه المخططـة المـدروسـة . فتمكنت من كسب الـرأي العـام الأمريكي الشعبي والكونغرس والحكومة[٢] .

ويجب أن نلفت الانتباه في هذا المجال أنه ليس بصحيح وصف الجماعات الصهيونية بالمتطرف والمعتدل والوسط ، لأنهم جميعاً :

أ ـ يتفقون في نهاية الأمر على إنشاء الدولة اليهودية وطرد المسلمين .

ب ـ يبـدّلـون مواقفهم حسب مقتضى الحال ، فخلافهم ليس من حيث المبـدأ وإنـما تبـاين وجهـات نظرهم على الوسائل الأكثر جدوى ، وهذا يتيح لهم

---

(١) شفيق الرشيدات ـ فلسطين ـ ص ١٥٣ .
(٢) انظر ـ أحمد طربين ـ فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار.

التوزع والانتشار على مختلف الفئات والجهات والتأثير فيها وتوجيهها لمصالحها الخاصة .

لذلك ألقت الولايات المتحدة بثقلها إلى جانب الصهيونية ، فألغيت بنود الكتاب الأبيض عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م بعد أن تجمدت طيلة فترة الحرب العالمية الثانية ، وخاصة فيما يختص بالهجرة وتحديدها . ويمكن أن توضح السياسة الصهيونية نحو الهجرة على النحو التالي[1] :

١ ـ انتقاء الشباب اليهود القادر على حمل السلاح وإقناعهم بالهدف الصهيوني .

٢ ـ التركيز على هجرة الأطفال بدعوى الإنسانية ، والهدف هو تربية هؤلاء الأطفال تربية صهيونية محضة حتى يشبوا صالحين عسكرياً ومعنوياً ومستعدين للدفاع عن الهدف الصهيوني .

٣ ـ اتجهت إلى يهود البلاد العربية وحققت نجاحاً عام ١٣٦١هـ/١٩٤٢م .

٤ ـ استخدمت الضغوط وتزييف الحقائق من أجل اجبار الشباب اليهودي الذين التحقوا بجيوش الحلفاء على دخول فلسطين .

وحاولت أمريكا بزعامة روزفلت أن تحقق الدولة اليهودية على أيدي بعض الزعماء العرب فاجتمع بالملك عبد العزيز آل سعود يوم ١٤/٢/١٩٤٥م في مؤتمر يالطا ، وحاول اقناعه بذلك ، فرفض الملك عبد العزيز رفضاً قاطعاً وقال له : «أعطهم أرض الألمان الذين اضطهدوهم»[2] . وكذلك حاول تشرشل معه نفس المحاولة فأجابه الملك عبد العزيز : «إن ما طلبه تشرشل لا يتعلق بمساعدتنا لبريطانيا ، إنه خيانة للرسول وللمسلمين ولا أستطيع الإذعان أو أخذ أي خطوة في هذا الاتجاه» .

---

(١) النشاط الصهيوني ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .

(٢) النشاط الصهيوني ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩ .

وطالب ابن سعود وقف الهجرة اليهودية واختيار بريطانيا بين صداقة العرب ونضالهم ضد الهجرة اليهودية حتى الموت. فكان موقفه يمثل الموقف الإسلامي الذي لا يقبل بتأسيس الكيان الصهيوني(1).

واندفع ترومان الرئيس الامريكي الذي خلف روزفلت في تأييد الصهيوينة وممارسة الضغط على الحكومة البريطانية من أجل الإذعان للمذكرة اليهودية التي قدمت سنة ١٩٤٥م وتتضمن :

١ - إعلان الدولة اليهودية .

٢ - الترخيص للوكالة اليهودية بالاشراف التام على الهجرة ليتحقق الانقلاب العنصري الذي يعتبر الأساس في تحقيق الخلاص القومي اليهودي (على حدّ تعبيرهم) وذلك :

أ - بتهجير جميع يهود العالم إلى أرض التجمع اليهودي - فلسطين .

ب - نزوح غير اليهود عن - فلسطين(2).

وكان أول مظهر لتدخل أمريكا الفعلي تأليف لجنة تحقيق بريطانية - امريكية عام ١٩٤٦م أوصت في تقريرها بالسماح لمائة ألف يهودي بالدخول إلى فلسطين في الحال، وإصدار بيان صريح بأنه لن تتكون في فلسطين دولة عربية أو يهودية وتبقى حكومة الانتداب إلى أن يتسنى عقد اتفاق توضع بموجبه فلسطين تحت وصاية الأمم المتحدة(3).

ثار العرب على هذه التوصيات وعقدت الجامعة العربية مؤتمر بلودان عام ١٩٤٦م فعقدت بريطانيا مؤتمر لندن في نفس العام لتجمع بين العرب واليهود باشرافها فقرر وزراء الخارجية العرب عدم الجلوس مع اليهود على مائدة واحدة أو الاعتراف بحق الولايات المتحدة للتدخل في موضوع فلسطين أو قبول أي مشروع يهدف إلى التقسيم، ورغم ذلك فقد قدمت بريطانيا مشروع موريسون للتقسيم إلى أربع مناطق إدارية هي :

---

(١) نفسه ص ٣١٢.

(٢) انظر طربين - فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار.

(٣) النشاط الصهيوني ص ١٠٨.

(١) المنطقة اليهودية : وتشمل معظم الأراضي التي حل فيها اليهود حتى ذلك الحين .
(٢) القدس : وتشمل القدس وبيت لحم والأراضي القريبة منهما .
(٣) النقب .
(٤) المنطقة العربية .

ولم يوافق العرب واليهود على هذا التقسيم وانتهت مهمة بريطانيا في التمكين لليهود فنقلت القضية إلى الأمم المتحدة وأعلنت أنها تتخلى عن مهمة الانتداب على فلسطين وأنها ستنسحب بقواتها من فلسطين يوم ٢٥ مايو ١٩٤٨م/ ١٣٦٧هـ.

وعرضت القضية على هيئة الأمم المتحدة عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م فاقترحت التقسيم على النحو التالي :

١) الدولة العربية : تتألف من الجليل الغربي ومنطقة نابلس الجبلية والسهل الساحلي الممتد من اسدود في الجنوب إلى الحدود المصرية .

٢) الدولة اليهودية : وتتألف من الجليل الشرقي ومرج ابن عامر والقسم الأكبر من السهل الساحلي ومنطقة بئر السبع التي تضم النقب .

٣) توضع منطقة القدس وضواحيها تحت نظام الوصاية الدولية .

٤) تنال الدولتان استقلالها بعد مرحلة انتقال مدتها عامان تستمر بريطانيا خلالها في حكم فلسطين تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة .

٥) قبول ١٥٠ ألف مهاجر في الدولة اليهودية المقترحة بمعدل خمسة آلاف مهاجر في كل شهر .

في سبيل تحقيق المطامع الصهيونية قضى مشروع التقسيم هذا بأن تكون مساحة القسم المخصص لأهل فلسطين ١٢ ألف كم٢ يقطنها ٦٦١ ألفاً منهم ١١ ألفاً من اليهود فقط، ويملك فيها اليهود ١٠٠كم٢ فقط، أما مساحة القسم المخصص لليهود فقد قدرها المشروع بنحو ١٤ ألف كم٢ يقطنها ٩٩٠ ألفاً منهم

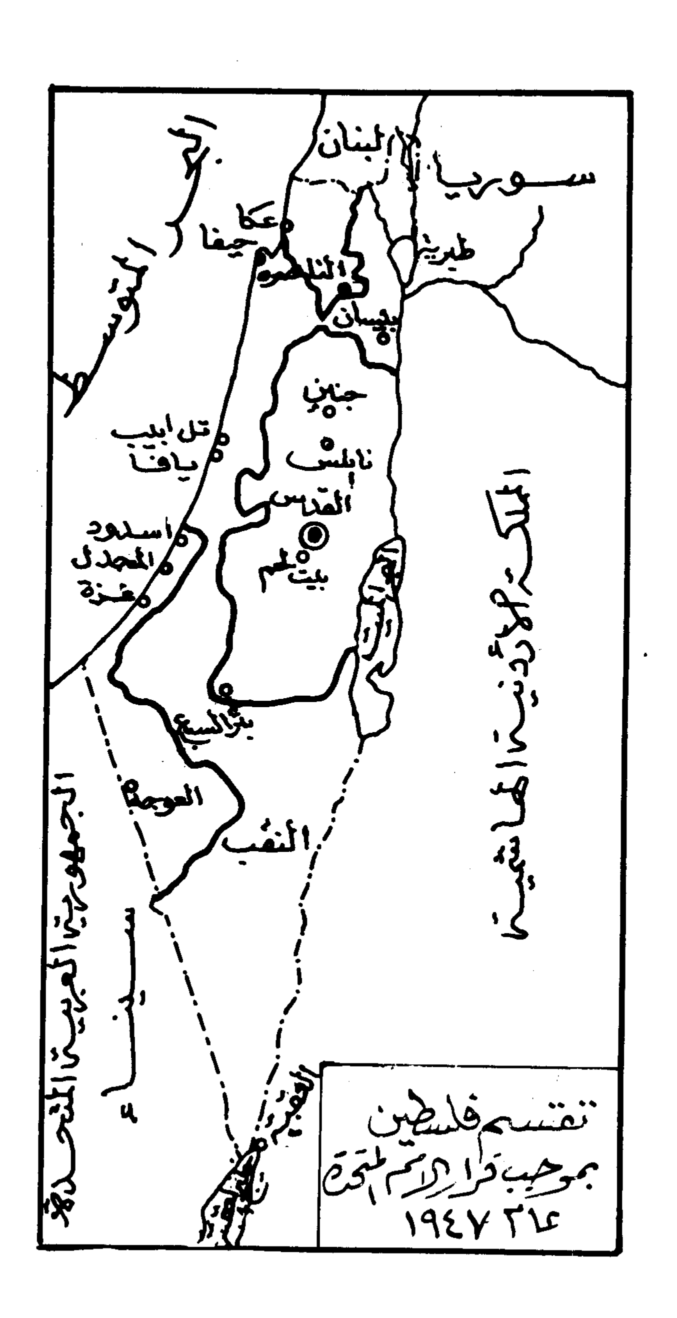
٤٩٠ ألفاً من اليهود و٤٨٩ ألفاً من العرب والباقي من جنسيات مختلفة ولا يملك اليهود منها إلا ثلث أراضيها فقط .

كان لقرار التقسيم وقع سيء على البلاد العربية والإسلامية وعلى مسلمي فلسطين بصفة خاصة ، أقبل بعدها الشباب المسلم على التطوع وتدفقوا على فلسطين واعتمدت الأموال اللازمة للانفاق ، وقامت مصادمات عنيفة بين العرب واليهود في شتى أنحاء فلسطين أسفرت عن مئات القتلى والجرحى فسارعت الوكالة اليهودية إلى مجلس الأمن تعرض شكواها ضد الحكومات العربية متهمة إياها بالتآمر ضد التقسيم وذلك بتدعيمها القتال الجاري في فلسطين طالبة أن ينفذ التقسيم بالقوة .

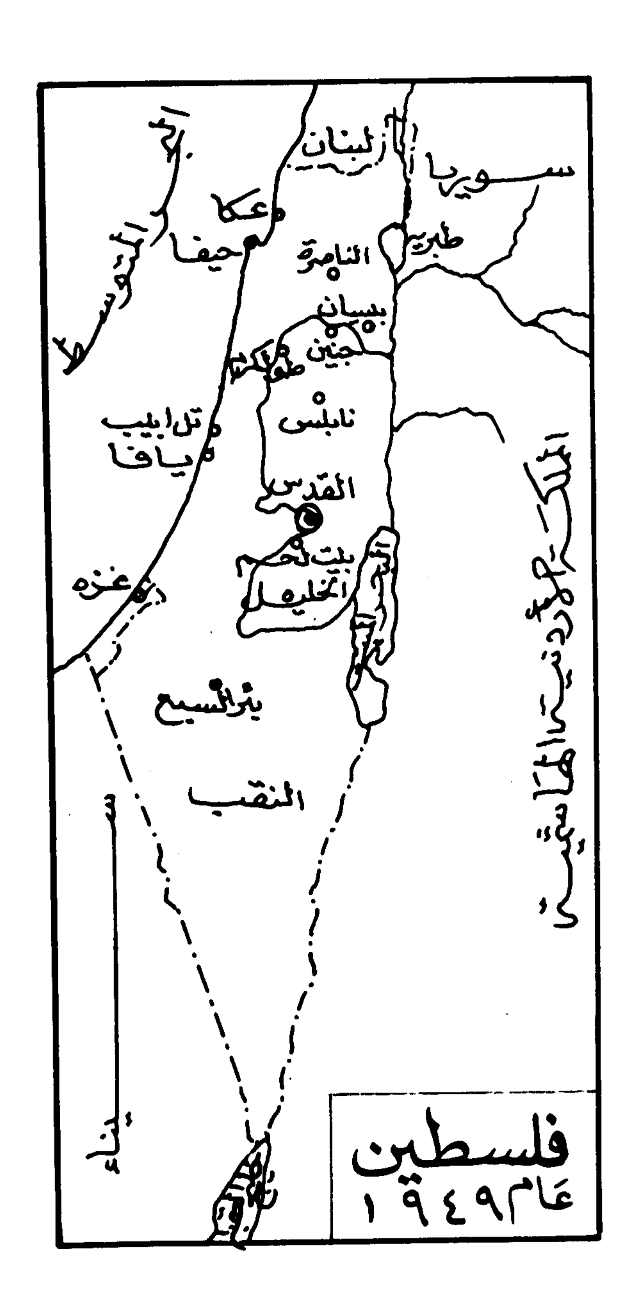
وفجأة أعلنت بريطانيا من جانبها إنهاء الإنتداب على فلسطين في ١٤ مايو ١٩٤٨م وأخذت تجلو بطريقة تساعد اليهود على تثبيت أقدامهم في المدن الكبرى وفي القبض على زمام الأمر فيها بالإستيلاء على المطارات والمرافق العسكرية والمنشآت الهامة ، فقد كانت تجلو أولا من الأحياء المسلمة في تلك المدن لتمكن اليهود من احتلالها ، وتمنع في الوقت نفسه دخول أية امدادات إليها فحدثت مجازر كمجزرة دير ياسين على مرأى ومسمع من السلطات البريطانية التي لم تحرك ساكنا لانقاذ أهلها العزل من السلاح ، وقد أدت هذه المجازر إلى نزوح أفواج المسلمين إلى شرق الأردن وسوريا ولبنان مخلّفة وراءها كل ما تملك من مال وعقار .

وفي منتصف ليلة ١٥ / ٥ / ١٩٤٨ / ١٣٦٧هـ غادر المندوب السامي فلسطين ، وأعلن بن جوريون قيام دولة اسرائيل واعترفت بها الولايات المتحدة بعد لحظات من قيامها ، كما اعترف بها الاتحاد السوفييتي وأعقب ذلك اعتراف كافة دول أوربا الغربية وأرسلت الجمعية الوطنية بفرنسا تحية الاخاء إلى اسرائيل .

وهكذا نجحت الصهيونية باستخدام بريطانيا والولايات المتحدة في خطوتها الأولى ، وقامت دولة اسرائيل المسخ على أقدس بقعة من أرض الإسلام .



لبنان
سوريا
البحر المتوسط
عكا
حيفا
الناصرة
طبرية
بيسان
جنين
تل ابيب
يافا
نابلس
القدس
اسدود
المجدل
غزة
بيت لحم
بئر السبع
العوجة
النقب
سيناء
المملكة الأردنية الهاشمية
الجمهورية العربية المتحدة
العقبة
تقسيم فلسطين
بموجب قرار الأمم المتحدة
١٩٤٧


لبنان
سوريا
عكا
حيفا
الناصرة
طبرية
بيسان
جنين
طولكرم
نابلس
تل ابيب
يافا
القدس
بيت لحم
الخليل
غزه
بئر السبع
النقب
فلسطين
عام ١٩٤٩

سادساً : مرحلة تثبيت الدولة اليهودية ١٣٦٨-١٣٨٧هـ/ ١٩٤٨-١٩٦٧م :

رفضت البلاد العربية الاعتداء الصهيوني فدخلت الجيوش العربية أرض فلسطين من الأردن وسوريا ولبنان والعراق ومصر والمملكة العربية السعودية وكانت قوات الجهاد المقدس بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني طليعة العمل النضالي قد أجبرت ١١٥ ألف يهودي على الاستسلام في مدينة القدس نتيجة حصارهم باحتلال مضيق باب الواد واقفاله ، وقام أفرادها بعدة معارك ونصبوا الكمائن للقوافل اليهودية والانجليزية ، كما قامت فرق التدمير بنسف العديد من المنشآت والمباني اليهودية ، وقد ساند الجهاد المقدس جيش الانقاذ الذي كلف بإنشائه الفريق طه الهاشمي واللواء اسماعيل صفوت والقائد فوزى القاوقجي من الضباط والجنود المتطوعين من البلدان الإسلامية المختلفة .

ولما دخلت القوات العربية إلى فلسطين لم يتجاوز عددها العشرين ألفا تقدمت في مناطق عربية في الغالب ولكنها جوبهت بمقاومة عنيفة عندما تحركت إلى المناطق اليهودية . وعلى الرغم من سوء التخطيط والفساد والضغط الأجنبي على الحكومات العربية التي كانت مصائرها في يد الاستعمار فقد حققت هذه الجيوش بعض النجاح فتعرضت الدول العربية للضغط الهائل من الدول الكبرى وخاصة أمريكا وبريطانيا وحملها على قبول الهدنة في ١١/٦/١٩٤٨م فتمكن اليهود من تحسين موقفهم العسكري بالحصول على الاسلحة الثقيلة والطائرات والمتطوعين في حين طبق الحظر الكامل على الدول العربية[1] . فلما استؤنف القتال في ٩/٧/١٩٤٨م أصيبت الجيوش العربية التي التزمت جانب الدفاع بالإنتكاسات المتوالية رغم البطولة التي أبداها أهل فلسطين والمتطوعون المسلمون ، فقبلت الدول العربية الهدنة الثانية في ١٨/٧/١٩٤٨م التي

(١) ومثل ذلك كان كلوب باشا الانجليزي هو الذي يقود القوات الأردنية - ويقول الميجر جنرال جيمزلنت الذي تقوم دار كوليتر بنشر كتابه الجديد الذي يؤرخ فيه لسير حياة جنرال سيرجون غلوب «ان كلوب لم يكن يرغب للفيلق العربي أن يجابه الاسرائيليين في ميدان المعركة ، وبالتالي يظهر العرب في الجانب الخطأ ! ! فقد كان هدفه أن يستولي اليهود بصورة ملائمة على المساحات المخصصة لهم بموجب قرار التقسيم . . » . (الشرق الأوسط ص ٨ الخميس ٨/٣/١٩٨٤م)

استفادت منها اسرائيل فائدة كبيرة، فقد دخل اليهود بعدها مصر ولبنان فكانت عدة تطورات في المواقف منها :

١) اتفاقات هدنة رودس مع كل من مصر ولبنان والأردن وسوريا عام ١٩٤٩م وقد سيطرت اسرائيل بموجبها على ٧٧٪ من أراضي فلسطين عوضا عن ٥٦٪ من الأراضي التي خصصت لليهود بموجب مشروع التقسيم، كما أعطت اسرائيل فرصة البناء والتنظيم بأن نصت على وجود مناطق مجردة من السلاح بين سوريا واسرائيل، والأردن واسرائيل، ومصر واسرائيل، ولقد اتصف العرب بتقيدهم الكامل بتلك الاتفاقات والاحترام لها، أما اسرائيل فقد خرقتها في مناسبات عديدة .

٢) أصدرت الدول الاستعمارية الثلاث : الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا في ٢٥/٣/١٩٥٠م التصريح الثلاثي بضمان حدود اسرائيل والمحافظة على كيانها الصهيوني ضد أي خطر محتمل يتهددها كما قامت تلك الدول بدعم اسرائيل اقتصاديا وعسكريا من أجل خدمة المصالح الاستعمارية في المنطقة العربية أما روسيا فأمدتها بأهم من ذلك بالعنصر البشرى المدرب على القتال .

٣) العدوان الثلاثي على مصر عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م : ففي هذا العام اعلن الرئيس المصري تأميم قناة السويس، فقامت بريطانيا وفرنسا واسرائيل بغزو الأراضي المصرية، ويهمنا في هذا العدوان نتائجه التي منها :

أ ـ حاولت أمريكا أن تحل محل بريطانيا وفرنسا مدعية الحق في ملء الفراغ الذي حدث في المنطقة بعد تقلص النفوذ البريطاني والفرنسي، ومستندة إلى أنها ساعدت مصر في الضغط على اسرائيل وبريطانيا وفرنسا بوجوب الانسحاب .

ب ـ وضعت قوات الطواريء الدولية على الجانب المصري من الحدود بين اسرائيل ومصر لتحول دون وقوع الحرب بين الطرفين، وقد أدى هذا إلى توقف النشاط الفدائي في قطاع غزة وإلى فتح خليج العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية والاتصال بإفريقيا وكلها مكاسب ثمينة لاسرائيل فقد صرح موشي

ديـان قائـد العـدوان الاسرائيلي على سيناء بعد انسحاب قواته قائلاً : «إن فتح خليج العقبة يعدل في أهميته قيام اسرائيل عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م»(١).

جـ ـ أتاحت الفرصة للشعارات الثورية والتقدمية والقومية أن تملأ أسماع المنطقـة بوسـائـل الاعـلام المختلفـة فتقلصت الاتجـاهـات الإسـلامية واتهمت بالرجعية وهوجمت بعنف وملأ الضجيج كل مكان .

٤) معـركـة الميـاه : رغبت الـدولـة اليهـوديـة بتحـويـل مياه نهر الأردن وتوصيلها إلى النقب لتوفير مصدر للمياه يساعد على استيعاب مهاجرين جدد، فعقد مؤتمر قمة عربي في كانون الثاني عام ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م وقرر المؤتمر إنشاء القيـادة العـربيـة المـوحـدة ومنظمـة التحرير الفلسطينية وهيئة فنية تعد دراسات تهدف إلى تحويل روافد نهر الأردن منعاً لليهود من إتمام مشروعهم .

وبدأ اليهود بمشروعهم فعقد مؤتمر قمة ثان في الاسكندرية في ايلول من نفس العـام وكـانت قراراتـه بالإضـافـة إلى الـترحيب بقيـام منظمـة التحـريـر الفلسطينية ممثّلة للشعب الفلسطيني إقرار إنشاء جيش التحرير الفلسطيني .

وكـانت النتيجـة أن نجحت الـدولـة اليهـودية في تحويل مياه نهر الأردن، وبدأت تتجه القضية إلى الاقليمية الضيقة .

وفي هذه المـرحلة نجحت القـوى اليهـوديـة عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م في الحصـول على وثيقـة من الفـاتيكـان تبرئهم من مسئولية دم المسيح عليه السلام (على زعم النصـارى) فاكتسبوا التأييد الديني النصراني الكاثوليكي للاحتلال، وانضمت الكنيسـة الكـاثوليكية إلى البر وتسنت في تأييد حق اليهود المزعوم . كما تمكـن الـيـهـود من الاسـتـحصـال على وثيقـة ثانيـة من الفـاتيكـان عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م تتضمن الإرشـادات لتنفيذ النصوص التي وردت في الوثيقة الأولـى وهي الإرشـادات التي تدعـو النصـارى للتعمق في استيعـاب وتفهم الطقـوس اليهـوديـة، واعتبـار اليهود اخوة، والتأكيد على المبادىء المشتركة بين الديانتين وليس على المتناقضات بينهما . وتمثّل ذلك الاعتراف الواقعي للفاتيكان بالكيـان اليهـودي وتمثـل في صور متعـددة من أخصهـا استقبـال البـابا للرؤساء

(١) القومية في ميزان الإسلام ص ٢٩٠ .

والـوزراء اليهـود. وتعهـد البـابـا بالتـوقف عن النشاط التبشيري بين اليهود في فلسطـين المحتلة. ومن أثـر الإرشـادات أن الكنيسة تؤيد اعتبار اليهود: شعب الله المختار.

وفي عام ١٩٨٥م كانت وثيقـة ثالثـة تؤكـد على أن يتفهم الكـاثـوليـك ويتعلمـوا الأوامـر الفـريـدة التي تجمـع بين الكنيسـة الكـاثوليكية واليهود الذين اختارهم الله للتمهيد لعودة السيد المسيح (على زعمهم) ولم يتبقّ إلا الاعتراف الدبلومسي[1].

سابعـا: مرحلة التوسع اليهودي: ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ـ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م:

تعمدّ اليهود إثارة التوتر على الحدود السورية، وكانت الشعارات القومية والاشتراكية والثورية على أشدها في مصر وسوريا، وتعرضت مصر للانتقادات لوجـود قوات الطـواري الـدولية، فطلبت من الأمم المتحدة سحبها، ثم اغلقت خليـج العقبـة في وجه الملاحة اليهودية في ٢٢ آيار ١٩٦٧م ففاجأ اليهود الطيران العـربي في مصـر وسـوريـا والأردن بضربة قاضية في الساعات الأولى من يوم ٥ حزيـران عام ١٩٦٧م، واحتلوا سينـاء وقطـاع غزة من مصر والجولان من سوريا والضفـة الغـربيـة من الأردن، وسميت هذه الحـرب المذلة بحرب الأيام الستة. ومن أهم نتائجها:

أ ـ أثبتت فشل الشعارات التي ملأت الدنيا ضجيجاً من قومية واشتراكية وثـوريـة وغـيرهـا. وأكدت أن نجاح الأمة يتمثل في عودتها إلى أصالتها، وإلى دينها. فهي تمثل في الحقيقة منعطفاً نحو إدراك الأمة لذاتها.

ب ـ زادت من غرور العسكـريـة اليهـوديـة ومن ثقـة الصهيونية بخطتها الرامية إلى تكوين دولة اليهود الكبرى من الفرات إلى النيل بما فيه شمال الحجاز والخليج العربي.

وفي ٢٢ تشرين الثاني عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م اتخذ مجلس الأمن الدولي القرار رقم (٢٤٢) والذي ينص على انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضي التي احتلتهـا في حرب عام ١٩٦٧م، وعلى إنهـاء حالـة الحـرب بين العـرب

---

(١) الدعوة ـ العدد ١٧ ـ دلهي الهند ـ ١٥ محرم ١٤٠٦هـ/ ١/١٠/١٩٨٥م ص ٣-٤.

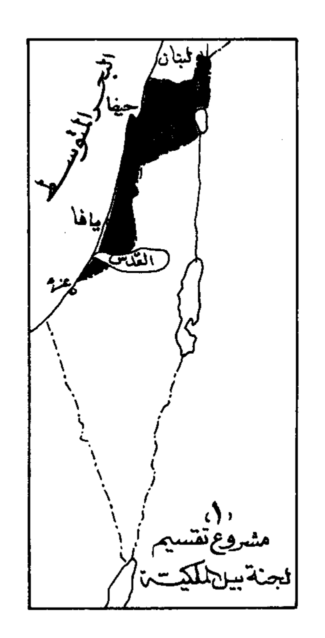
واسرائيل، واحترام سيادة ووحدة أراضي كل دولة وحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها، وعلى ضمان حرية الملاحة في الممرات الدولية، وعلى تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

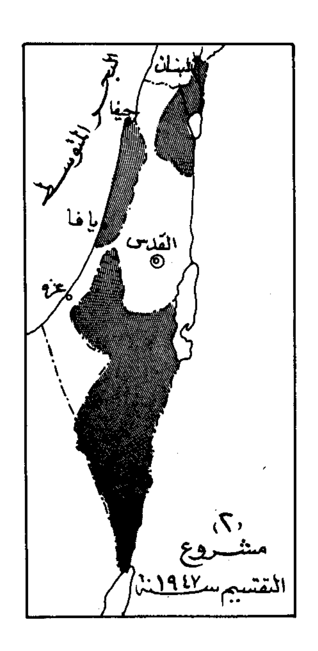
ورغم أن القرار كله في صالح اليهود فقد رفضوه واعتبروا أن ما وصلوا إليه من حدود هو الحدود الآمنة الطبيعية، وأقاموا على الضفة الشرقية لقناة السويس ما عرف بخط بارليف، كما أقاموا على الجبهة السورية تحصينات وخنادق مماثلة .

وحاولت اسرائيل إزالة المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين لإقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه، فقد هرع الحاخام شلوموغورين حاخام الجيش الصهيوني إلى ساحة المسجد الأقصى سنة ١٩٦٧م مصطحباً مجموعة من مساحي سلاح الهندسة في الجيش، وأخذ المقاييس ليحدد وفق توراته المزعومة مكان قدس الأقداس الذي سيبنى عليه الهيكل اليهودي، فحدد المكان الذي يقع تحت قبة الصخرة المشرفة، ودعا اليهود منذ ذلك الوقت إلى التحول إلى الصخرة عن حائط البراق للصلاة فيها لا للبكاء على الحائط، كما دعا إلى إقامة كنيس يهودي في ساحة المسجد الأقصى .

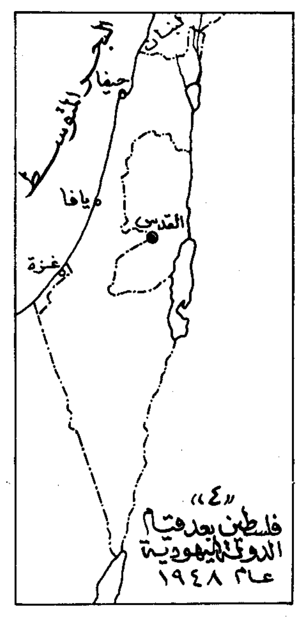
وحرق المنبر يوم ٢١ أغسطس (آب) ١٩٦٩م. كما حاول بوئيل ليرنر عضو حركة جوش امونيم المنبثقة من حركة كاخ التي يتزعمها مائير كاهانا تدمير مسجد الصخرة المشرفة بوضع قنابل موقوتة بجانب حوائطه. وبعدها قام ثمانية من الشبان اليهود الذين ينتسبون إلى الليكود الأرهابي باقتحام الحرم الشريف والاعتداء على المصلين بمساعدة قوات الاحتلال المعسكرة على باب الحرم. كما قام الأرهابي ألن جولدمان بإطلاق مدفعه الرشاش صوب المصلين الساجدين في الحرم الشريف. وقامت مجموعة ارهابية أخرى تطلق على نفسها اسم مجموعة أبناء يهوذا بمحاولة نسف الصخرة بالديناميت. وتم تخطيط اعضاء التنظيم الارهابي اليهودي بمشاركة ضباط مسئولين في الجيش والحكومة بمحاولة قصف الحرم القدسي بطائرات سلاح الجو الصهيوني[1]. هذا عدا عن

(١) الشرق الأوسط / ص ٢ (الأربعاء ٥ ذو الحجة سنة ١٤٠٥هـ/ ٢١/٨/١٩٨٥م).









مشاريع تقسيم فلسطين
«مقارنة»

الحفريات المستمرة تحت الحرم. وتقوم حملة مكثفة يهودية تقوم بها المنظمات اليهودية في امريكا لجمع التبرعات بدعوى إعادة بناء المعبد اليهودي مكان قبة الصخرة ووصلت التبرعات إلى أكثر من عشرة ملايين دولار، وانضم إليهم بعض النصارى المتعصبين لتأييد المشروع[1].

وكان لابد من صنع الزعيم الذي يتولى تركيع الأمة واستسلامها وهي تهلل وتكبر بنشوة النصر، فكانت حرب رمضان عام ١٣٩٣هـ/ ٦ تشرين الأول «اكتوبر» عام ١٩٧٣م فقامت القوات المصرية باقتحام خط بارليف وعبور القناة، وقامت القوات السورية باجتياز خط وقف اطلاق النار.

ولقد دارت على الجبهتين معارك ضارية استخدمت فيها كل أسلحة الحرب الحديثة، وأمدت الولايات المتحدة اسرائيل على عجل بجسر جوي متصل من الأسلحة الحديثة المتطورة، وحدث تسلل من ثغرة الدفرسوار على الجبهة المصرية، وتسلل آخر وصل إلى قرية سعسع السورية.

وأعلن وقف اطلاق النار في ٢٢ تشرين الأول عام ١٩٧٣م فاستفادت اسرائيل كعادتها من توسيع الثغرة، ففصلت الأمم المتحدة بين القوات يوم ٢٨ تشرين الأول عام ١٩٧٣م.

ولنا عدة ملاحظات على هذه الحرب:

١) كانت حرب رمضان أول حرب مارس فيها العرب الهجوم وانتزعوا فيها المبادأة من اسرائيل واستخدموا عنصر المفاجأة والمباغتة ضد العدو.

٢) أعادت هذه الحرب إلى القوات العربية ثقتها بنفسها بعد أن اهتزت أثناء وبعد حزيران وقضت على اسطورة جيش اسرائيل الذي لا يقهر.

٣) دخلت هذه الحرب فكرة الإسلام والتجمع - فقد حارب على الجبهة السورية قوات من المغرب والعراق والأردن والسعودية، وعلى الجبهة المصرية قوات من السودان والجزائر وفلسطين.

---

(١) المسلمون العدد ٣٧ ص ٤ ٥ صفر ١٤٠٦هـ/ ١٩ اكتوبر ١٩٨٥م.

٤) استخدم ولأول مرة البترول كسلاح فعال في المعركة، فقد قطعت الدول العربية البترول عن الولايات المتحدة ودول أخرى أيدت المجهود الحربى الاسرائيلي وكان المحرك الفعال للنقطتين الثالثة والرابعة هو المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية .

وكانت هذه النتائج ايجابية لولا ما كان يبيت في الظلام من صنع البطل - السادات - والذي أسفر عن تطورات عجيبة في القضية نوجزها فيمايلي :

أ - في كانون الثاني عام ١٩٧٤م تم توقيع اسرائيلي مصرى لفصل القوات وقد انشئت منطقة عازلة تمتد عشرة كيلومترات عرضا شرقي قناة السويس وتفصل بين الجيشين، وكذلك وقع اتفاق مماثل على الجبهة السورية ووضعت قوات الطواريء الدولية في المناطق العازلة بين الجبهتين .

ب - في ايلول عام ١٩٧٥م وقع اتفاق مصرى اسرائيلي جديد انسحبت بموجبه اسرائيل من أجزاء أخرى من سيناء واستردت مصر آبار أبورديس، كما تعهدت اسرائيل ومصر بعدم الالتجاء إلى التهديد وعدم استخدام القوة لمدة ثلاث سنوات كما سمح للبواخر غير الحربية المتجهة إلى اسرائيل والقادمة منها بالمرور في قناة السويس .

جـ - أعلن الرئيس المصري أنور السادات أنه يزمع القيام بزيارة اسرائيل لتحقيق السلام العادل الشامل وتمت الزيارة للقدس في ١٩ تشرين الثاني ١٩٧٧م، ٩ ذي الحجة ١٣٩٧هـ وكانت من أكثر أحداث التاريخ إثارة لاستغراب الرأي العام الإسلامي والعالمي .

د - التقى مناحيم بيغين رئيس وزراء اسرائيل بالرئيس المصرى في الاسماعيلية في ١٩٧٧/١٢/٢٥ وتم الاتفاق بينهما على تشكيل لجنتين احداهما عسكرية والأخرى سياسية لحل المشكلات بينهما وتوالت الاجتماعات بين الطرفين .

وفي غمرة هذه اللقاءات كانت اسرائيل تقوم :

(١) بمهاجمة الأراضي العربية في لبنان واجتاحت مناطق واسعة منه

مستخدمة ٣٠ ألف جندي تدعمهم أحدث الآليات وسلاح الجو المتطور لتصفية المسلمين والفلسطينيين في لبنان .

(٢) ببناء المستعمرات في المناطق المحتلة .

(٣) بممارسة الضغط والإرهاب لأهل الضفة الغربية والقطاع وعمليات الإبعاد .

هـ ـ اتفاقيات كامب ديفيد :

ومع شيوع روح الاستسلام في الأمة الإسلامية والقبول بالأمر الواقع وتجرع الهزيمة وتفسخ المجتمعات الإسلامية والانحراف العقيدي الخطير والفراغ الذي تعيشه الجماهير وانقسام الدول الإسلامية بسبب من انتماءاتها السياسية الدولية تحقق الإنجاز الأكبر الذي لم تكن لتحلم به إسرائيل ألا وهو توقيع إتفاقات كامب ديفيد وإنهاء حالة الحرب مع العدو الصهيوني والقضاء على عقدة العداء له وما تبع ذلك من تطبيع العلاقات وتبادل التمثيل الدبلوماسي وفتح الحدود بين البلدين لكافة المبادلات السياحية والتجارية والإعلامية .

والصهيونية بما تملك من وسائل مادية وتقنية وبما لديها من مراكز قوى سياسية دولية ومن خلال خبراتها التاريخية في فن الغزو الحضاري والتخريب الفكري والنفسي للأمم والشعوب التي تشهد بها بروتوكولات حكماء صهيون سيكون خطرها على الإسلام والعالم الإسلامي أشد بكثير من الخطر العسكري .

والحقيقة أن الردّ الاسلامي والعربي لم يكن بحجم المأساة، بل ان إسرائيل وجهت صفعة جديدة إلى المسلمين بعد ذلك حين أعلن بيغن أن القدس عاصمة إسرائيل إلى الأبد.

بدأ مؤتمر كامب ديفيد أعماله بحضور كارتر رئيس الولايات المتحدة

والسادات وبيغين من ٥ إلى ١٧ أيلول ١٩٧٨م، واتفق الأطراف الثلاثة في نهاية المفاوضات على وثيقتي كامب ديفيد[1] :

الوثيقة الأولى : إطار السلام في الشرق الأوسط :

أ ـ الضفة الغربية وغزة :

ينبغي أن تشترك مصر واسرائيل والأردن وممثلو الشعب الفلسطيني في المفاوضات الخاصة بحل المشكلة الفلسطينية بكل جوانبها ولتحقيق هذا الهدف فإن المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية وغزة ينبغي أن تتم على مراحل ثلاث :

(١) تتفق مصر واسرائيل على إقامة حكم ذاتى لسكان الضفة الغربية وغزة .

(٢) تتفق مصر واسرائيل والأردن على وسائل إقامة سلطة الحكم الذاتي المنتخبة في الضفة وغزة، وقد يضم وفدا مصر والأردن فلسطينيين من الضفة الغربية والقطاع أو فلسطينيين آخرين، وسيتم انسحاب قوات اسرائيلية وستكون هناك اعادة توزيع للقوات الاسرائيلية التي ستبقى فى مواقع أمن معينة .

(٣) ستبدأ الفترة الانتقالية ذات الخمس سنوات عندما تقوم سلطة حكم ذاتي في الضفة الغربية وغزة، كما ستجرى المفاوضات لتحديد الوضع النهائي للضفة وغزة ولإبرام معاهدة سلام بين اسرائيل والأردن في نهاية الفترة الإنتقالية .

(ب) مصر واسرائيل :

(١) تتعهد مصر واسرائيل بعدم اللجوء للتهديد بالقوة أو استخدامها لتسوية النزاعات، وان أي نزاعات تتم تسويتها بالطرق السلمية لما نصت عليه المادة ٣٣ من ميثاق الأمم المتحدة .

---

(١) الحركات القومية في ميزان الإسلام ـ منير محمد نجيب ص ٢٧٦-٢٩٣ .
اتفاق كامب ديفيد واخطاره ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية .
العالم الإسلامي والمكائد الدولية ص ١٢٩-١٣٩ .

(٢) توافق الأطراف من أجل تحقيق السلام فيما بينهم على التفاوض بإخلاص بهدف توقيع معاهدة سلام بينهم خلال ثلاثة شهور من توقيع هذا الإطار بينما تتم دعوة الاطراف الأخرى في النزاع للتقدم في نفس الوقت للتفاوض وإبرام معاهدة سلام مماثلة، وان إطار إبرام معاهدة السلام بين مصر واسرائيل سيحكم مفاوضات السلام بينهما وستتفق الأطراف على التشكيلات والجدول الزمني أو تنفيذ التزاماتهم في ظل المعاهدة .

(٣) على الموقعين أن يقيموا فيما بينهم علاقات طبيعية كتلك القائمة بين الدول التي هي في حالة سلام ويجب أن تشتمل الخطوات التي تتخذ في هذا الشأن على :

أ ـ اعتراف كامل .

ب ـ إلغاء المقاطعات الإقتصادية .

(٤) تنسحب القوات الإسرائيلية من سيناء على مراحل خلال ثلاث سنوات على أن تبقى مجردة من السلاح .

(٥) وضع قوات دولية بين الطرفين على الجانب المصرى .

الوثيقة الثانيـــــة :

في ١٩٧٩/٣/٢٦م وقع الرئيس المصري ومناحيم بيغين وجيمى كارتر معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية في البيت الأبيض، وقد ألقى كل منهم كلمة بهذه المناسبة وأسقط السادات الفقرات التي تتعلق بحقوق الشعب الفلسطيني من خطابه المعد مسبقا بهذه المناسبة وأهمّ ما شملته المعاهدة :

(١) تنتهي حالة الحرب بين الطرفين ويقام السلام بينهما عند تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة .

(٢) تسحب اسرائيل قواتها المسلحة إلى ما وراء حدود مصر الدولية ـ على مراحل ـ.

(٣) تتمركز قوات دولية في المناطق المحددة ولا تنسحب إلا بقرار من

مجلس الأمن أو موافقة الطرفين .

(٤) إقامة العلاقات الطبيعية بينهما ويتضمن ذلك : الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية وإنهاء المقاطعة الاقتصادية والحواجز المفروضة على الأفراد والسلع .

(٥) تتمتع السفن الاسرائيلية والشحنات المتجهة منها وإليها بحق المرور الحرّ في قناة السويس ومداخلها .

(٦) يعتبر الطرفان أن مضيق تيران وخليج العقبة من الممرات المائية الدولية المفتوحة لكل الدول .

(٧) يتعهد الطرفان بعدم الدخول في أي التزام يتعارض مع هذه الاتفاقية .

(٨) يقر الطرفان بأنه في حالة وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة وأي من التزامها فإن الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة تكون ملزمة ونافذة .

هذا وقد شملت المعاهدة عدداً من الملاحق التوضيحية .

ومهما اختلفت وجهات النظر في هذه الاتفاقيات فإنها تجمع على أمور منها :

١) لم تتحقق السيادة الكاملة لمصر على سيناء ، فتمركز القوات العسكرية كمايلي :

أ ـ ألّا تتمركز أكثر من فرقة واحدة (ميكانيكية أو مشاة) من القوات المسلحة المصرية داخل منطقة تبعد قرابة خمسين كم شرق خليج السويس وقناة السويس .

ب ـ تتمركز فقط قوات الأمم المتحدة والشرطة المدنية المسلحة بالأسلحة الخفيفة لأداء المهام العادية للشرطة داخل المنطقة التي تقع غرب الحدود الدولية وخليج العقبة في مساحة يتراوح عرضها بين ٢٠ و ٤٠ كم .

جـ ـ أن تتواجد في المنطقة في حدود ٣ كم شرق الحدود الدولية قوات

إسـرائيليـة عسكـريـة محدودة لا تتعـدى أربـع كتـائب مشاة ومراقبون من الأمم المتحـدة تلحق وحـدات دوريـات حدود لا تتعدى ثلاث كتائب بالبوليس المدني للمحافظة على النظام في المنطقة التي لم تذكر آنفا .

ويجوز أن تقام محطات للإنذار المبكر لضمان بنود الاتفاق[1] وتتمركز قوات الأمم المتحدة في المناطق التالية :

أ ـ في جزء من المنطقة التي تقع في سيناء إلى الداخل لمسافة ٢٠ كم تقريباً من البحر المتوسط وتتاخم الحدود الدولية .

ب ـ في منطقـة شرم الشيـخ لضـمان حركة المرور بمضائق تيران ، ولا يتم إبعـاد هذه القـوات ما لم يوافق مجلس الأمن التـابع للأمم المتحدة على مثل هذا الإبعاد بإجماع أصوات الأعضاء الخمسة الدائمين[2] .

٢) لم يحصـل الشعب الفلسطيني المسلم على أي من حقـوقـه وتحـوّل موضـوع الضفـة الغـربيـة وغـزة من فكرة الدولة إلى فكرة الحكم الذاتي ضمن وحـدة الـتراب الإسـرائيلي وهذا ما أعلنه بيغن في اليوم الثاني لتوقيع المعاهدة أن الحكم الـذاتي يشمـل الأشخـاص لا الأرض خاصة وأن نصوص المعاهدة كان أقصى ما قالته في هذا الصدد هو البحث في مصيرها بعد مرور خمس سنوات بين الأردن وفلسطـين ومصـر (وستجـري المفاوضات لتحديد الوضع النهائي للضفة الغـربيـة وغزة وعلاقاتها مع جيرانها ولإبرام معاهدة سلام بين اسرائيل والأردن بحلول نهاية الفترة الانتقالية) .

وأما القدس بلد المعراج وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين فلم يرد لها ذكـر إطـلاقـاً في المعـاهدة . في الوقت الذي يعلن فيه المسئولون اليهود في كل منـاسبـة أن القـدس عاصمـة اسـرائيـل إلى الأبـد ، بل واتخـذوا بذلك قرارهم الرسمي من الكنيست الاسرائيلى باعتبار القدس العاصمة الأبدية لإسرائيل[3] .

---

(١) القومية في ميزان الإسلام ص ٢٨٤ .

(٢) نفسه . وانظر الكتاب : تقييم سياسي لقرارات كامب ديفيد الصادر عن المركز الإسلامي في آخره وحلقة الدراسات الإسلامية والعالمية .

(٣) القومية في ميزان الإسلام ص ٢٩٣ .

٣) حققت المعاهدة كثيراً من أهداف إسرائيل التوسعية : بضمها القدس، والجولان، واستمرار احتلالها الضفة الغربية وغزة، واطلقت يدها في لبنان وقامت بغزوه وظهرت الأزمة اللبنانية المستفحلة حيث تتقاتل فيه أطراف عديدة عجيبة أكثر ضحاياها من أهل السنة اللبنانيين والفلسطينيين[1].

ومن المكاسب الإسرائيلية الأخرى :

إنهاء حالة الحرب بين مصر واسرائيل. وقيام علاقات طبيعية وودية بين الدولتين. والاعتراف الكامل وإقامة العلاقات الدبلوماسية والإقتصادية والثقافية، وإنهاء المقاطعة الإقتصادية وتأمين حرية الملاحة الكاملة للسفن الاسرائيلية في القناة. وتعهد الطرفين بعدم الدخول في أي التزام يتعارض مع نصوص هذه المعاهدة وتموين اسرائيل الكامل بحاجتها من البترول، بعد أن فقدت البترول الإيراني[2].

وقد أدىّ ذلك إلى انعزال حكومة مصر عن العالم العربي والعالم الإسلامي وموالاتها لليهود. والغريب أن يذاع باسم علماء الأزهر بيان بتأييد معاهدة الصلح جاء فيه تشبيه هذا الصلح المشئوم بصلح الحديبية. مخالفاً بذلك فتوى لعلماء الأزهر قبل ٢٤ سنة في ١٨ جمادى الأولى عام ١٣٧٥هـ هذه الفتوى كانت حاسمة في أن الصلح مع اسرائيل لا يجوز شرعاً قالوا فيها : «إن الصلح مع إسرائيل لا يجوز شرعاً لما فيه من إقرار الغاصب على الاستمرار في غصبه والاعتراف بحقية يده على ما اغتصبه، وتمكين المعتدي من البقاء على عدوانه، فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا أرض المسلمين. . . بل يجب عليهم أن يتعاونوا جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم لردّ هذه البلاد إلى أهلها وصيانة المسجد الأقصى مهبط الوحي ومصلى الأنبياء الذي بارك الله حوله، وأن يعينوا المجاهدين بالسلاح وسائر القوى على الجهاد في هذا السبيل، وأن يبذلوا فيه كل ما يستطيعون حتى تطهر البلاد من آثار هؤلاء الطغاة المعتدين، ومن قصر في هذا أو فرط فيه أو خذل

---

(١) انظر: الشرق الأوسط ص ١ و٢ الأربعاء ٥ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥/٨/٢١م. وص١، ص٢ الأحد ٢ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥/٨/١٨م.

(٢) الحركات القومية في ميزان الإسلام ص ٢٩٢.

المسلمين أودعا إلى ما من شأنه تفريق كلمة الأمة وتشتيت الشمل والتمكين لدول الاستعمار والصهيونية، فهو في حكم الإسلام مفارق جماعة المسلمين، وقد أشار القرآن أن موالاة الأعداء انما تنشأ عن مرضى القلوب يدفع أصحابها إلى هذه الذلة التي تظهر بموالاة الأعداء قال تعالى : **﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين﴾**[1].

وكان من نتائج ما يسمى بعملية التطبيع بين مصر واسرائيل : أن أطلقت يد اسرائيل كعنصر يهدد المنطقة طويل الذراع، فقد ضربت المفاعل النووي العراقي سنة ١٩٨١م لخطره على الدولة اليهودية على حدّ تعبير بيغن. وضربت مقر منظمة التحرير الفلسطينية في حمام الشط بتونس وقتلت عدداً من الفلسطينيين والتونسيين ودمّرت عدداً من المساكن، بتأييد من أمريكا الضالعة معها في ٢٥ محرم سنة ١٤٠٦هـ ومحاولة تصفية الإسلام في لبنان وخاصة بين الفلسطينيين[2].

كما نشطت الصهيونية في بناء المستوطنات بالضفة الغربية فكشفت خطة لإقامة ٤٤٠ مستعمرة حتى عام ١٩٩٠م وان غالبية هذه المستوطنات عسكرية وقواعد للمجندين، في حين بلغت هذه المستوطنات حتى أول عام ١٩٨٥م (٢٥٣ مستوطنة) فوق أراضي تسمح بتوسيع البناء فيها في المستقبل. وبلغت نسبة الأراضي المصادرة حتى عام ١٩٨٥م ٤٤٪ من أراضي الضفة الغربية[3].

وحصلت اسرائيل على مساعدات كبيرة من امريكا بحجة السلام هذا فقد قدمت امريكا ١٥٠٠ مليون دولار في مساعدات إقتصادية إضافية عاجلة وملحة لاسرائيل، في حين قدمت لمصر ٥٠٠ مليون دولار، و٢٥٠ مليون دولار للأردن. وصرح ريغان أنه يتعين على اسرائيل ومصر والأردن أن تقوم بدور

---

(١) راجع نص الفتوى في مجلة الأزهر ج ٦ مجلد ٢٧/ عدد جمادي الآخرة سنة ١٣٧٥هـ من ص ٦٨٢-٦٨٦.

(٢) الشرق الأوسط ١٨ محرم ١٤٠٦هـ/ ، ٢٠ محرم ١٤٠٦هـ.

(٣) الشرق الأوسط ص ٣ الاثنين ٢٣ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ/ ١٤/ ١/ ١٩٨٥م العدد ٢٢٣٩.

حيوي من أجل السلام في الشرق الأوسط مقابل حصولها على مساعدات مالية من الولايات المتحدة(١).

كذلـك ازداد غرور اليهـود فازدادت في الأعـوام الأخيرة ظاهرة الكاهانية (أي حزب كاخ ـ هكـذا) التي يتـزعمهـا الحـاخام الارهابي مائير كاهانا والذي ينـادي بطـرد جميـع العـرب من الأراضي المحتلة . وقـد دأب منـذ أن هاجر إلى الأراضي المحتلة سنـــة ١٩٧٢م على وصف العـرب بالكـلاب المنفـرين وهـدد باستخـدام العنف ضدهم لإخـراجهم من إسـرائيـل ، وتجـد دعـوتـه صدى في الكنيست الاسرائيلي(٢).

ونشطت عمليات التجسس الإسرائيلية في مصر في ظل التطبيع بمساعدة المؤسسـات الثقـافيـة الامـريكيـة ، وبـالأخص المـركـز الثقافي الامريكي ومركز البحـوث الاجتـماعيـة بالجامعة الامريكية ومركز البحوث الامريكي . واكتشفت شبكة تجسس في نهاية عام ١٩٨٤م كانت تعمل في مصر منذ عام ١٩٨٢م ، وقد طلبت امـــريكـــا التكتم من مصـــر على قضيـة التجسس هذه(٣) . كما نشطت اسـرائيـل بتهـريب المخدرات إلى مصر في محاولة لامتصاص اقتصادها ، وتدمير شبابها تحت اسم السياحة والزيارات الودية(٤).

وبـالمقـابل كانت هناك ردود فعل مصرية كبيرة ظهرت واضحة في معرض الكتـاب الـدولي في القـاهـرة ، حيث أعلنت الجـماهير المصرية رفضها لاشتراك إسرائيل وحرقوا علمها ، ورفعوا اللافتات : «فلسطين إسلامية ، جند محمد قادمون»(٥).

وارتفعت الأصوات وطالبت بالكف عن هذه السياسة ورافق ذلك بعض حركات العنف من اغتيال السادات إلى حرق العلم الإسرائيلي في ذكرى تبادل البعثـات الـدبلومـاسيـة بين مصـر وإسـرائيـل إلى مقاطعة الجناح الإسرائيلي في

---

(١) نفسه ص ٢ الأحد ٢ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ١٨/٨/١٩٨٥م .
(٢) نفسه ص ١ العدد ٢٤٦٥/ ١٢ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ٢٨/٨/١٩٨٥م .
(٣) نفسه ص ٣ الأربعاء ٢١/٨/١٩٨٥م عن صحيفة الشعب المصرية .
(٤) راجع الواقع الاجتماعي في العالم الإسلامي .
(٥) الشرق الأوسط ص ١ الأحد ٣ جمادي الأولى ١٤٠٥هـ/ ٣/٢/١٩٨٥م العدد ٢٢٥٩ .

معرض الكتاب عام ١٩٨٤م، إلى إصابة الدبلوماسي الإسرائيلي زئيف كيدا في القـاهـرة بجـروح يوم ٥ يونيـوسنـة ١٩٨٤م واغتيـال الـبرت اتـراتشي الملحق الإداري في سفـارة إسـرائيـل بالقـاهرة وإصابة زوجته وسكرتيرته في المعادي يوم الثلاثاء ٤ ذو الحجة سنة ١٤٠٥هـ/ ٢٠/٨/١٩٨٥م[1]. إلى حصد عدد من السياح اليهود برشاش أحد الجنود المصريين بعد حادثة حمام الشط في تونس .

وبـالمقـابل ازدادت حركات أهل الضفة والقطاع، كدليل على أن الوجود اليهـودي لا يمكن أن يكـون مقبـولاً لدى المسلمـين، مهـما بلغ من قوتـه ونفيره وجـبر وتـه، فهـو كيـان مصطنـع يستمـد عنـاصـر بقائه من الخارج فروسيا تمده بالرجال والقوى البشرية، وامريكا تمدّه بالمال والسلاح وأوربا الصليبية كذلك .

فإذا كانت بريطانيا قد وضعت أسس دولة اليهود ويسرت السبيل لقيامها وتشـريـد المسلمـين من أهـل فلسطين، فإن الولايات المتحدة الأمريكية قدمت لإسـرائيـل وسـائل حياتها وأسس دعمها وقوتها لتظل أداة العدوان والقهر لخدمة المخططات الاستعمارية. فقد قدمت خلال السنوات العشر الأولى من قيامها ما يقـرب من مليـار دولار، وأنشئت جمعيـات أمـريكيـة خاصـة لتقـديم الهبـات لاسـرائيـل، وسهلت طرح سنـدات القرض الإسرائيلي داخل الولايات المتحدة وبعض دول أوربـا وأمـريكـا الـلاتينية وكان دخل اسرائيل من هذا المورد حوالي ٥٦٢ مليـون دولار. كما ضغطت الـولايـات المتحـدة على ألمانيا الاتحادية لدفع تعـويضـات قيمتهـا نحـو ٨٢١ مليـون دولار تعـويضـا عن الأضرار التي الحقها النـازي باليهود. وامدت الولايات المتحدة إسرائيل بكل أنواع الأسلحة الحديثة حتى التي تستخدم لأول مرة في أمريكا ذاتها في الوقت الذي فرضت حظراً على توريـد الاسلحـة إلى الـدول العـربية. وقفزت المساعدات من ٢٢١,٥ مليون دولار زمـن ترومـان إلـى ١١٧٦ مليـون دولار في فترة نيـكسـون الأولـى (١٩٦٩-١٩٧٢م). ثم إلى البـلايـين في عهـد ريغان. في حين لم ينقطع تزويد روسيـا الشيوعية للكيان الصهيوني بالعنصر البشري. وأما تأييد فرنسا لإسرائيل

---

(١) الشرق الأوسط ص ١ الأربعاء ٥ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ٢١/٨/١٩٨٥م. العدد ٢٤٥٨.

فمعـروف وهنـاك نوع من التعـاون النـووي بينهـما[1]، عندما زار فرنسوا متيران سوريـا كان أغـرب ما في كلامـه في مؤتمره الصحفي أنه لم يطلب جلاء اسرائيل عن الأراضي السـوريـة المحتلة في الجـولان، ولـو من حيث المبـدأ على الأقل أو المجـاملة للبلد المضيف، بل تلفـظ بالكـلام الـذي فحـواه أن على الطـرفين : «ايجاد الحل لهذه المشكلة»[2].

ويظهر أن امريكا جادة كل الجدّ في المحافظة على الكيان الصهيوني فمن خطـاب هارولـد سونـدرز مسـاعد وزير الخارجية الامريكية أمام اللجنة الفرعية للشـرق الأوسـط التـابعـة للجنـة العلاقات الدولية في مجلس النواب الامريكي واشنطن ٢٨ / ٩ / ١٩٧٨ : « . . . لقـد كان توفـير الـدعم لاسـرائيـل آمنة حرة ديمقـراطيـة في الشـرق الأوسـط وسيظـل سمـة دائمـة في السيـاسـة الخـارجية الامريكية، بل انه التزام أدبي من جانب دولتنا كما انه اهتمام استراتيجي، وأنا واثق بأن علاقات الصداقة التي تربط دولتنا ستزداد قوة باتفاقيتي كامب ديفيد .

فلإسرائيل كما لأية دولة الحق أن تعترف الدول المجاورة لها مباشرة وجميع الـدول الأخـرى بها وتقبلهـا وعـلاوة على ذلـك لاسرائيل كما لأية دولة الحق في العيش بأمـان ـ أمـان ينبـع من قوتها الذاتية وبأسها . ومن التعاون والنية الحسنة لدى جاراتها، ومن الاجراءات الأمنية الحازمة المتفق عليها بينها .

إن اتفـاقيتي كامب ديفيـد تعمـلان من أجـل تحقيق هذه الاهتـمامـات الجـوهـريـة لإسرائيل أكثر من أي اجراء آخر منذ قيام دولة اسرائيل الحديثة . . . فهما تحققان آمالاً للشعب اليهودي تمنى تحقيقها منذ قرون طويلة، وهي العيش بسلام في دولة خاصة به في أرض آبائه واجداده، ضمن حدود آمنة ومعترف بها وليأخذ مكانه الحق في المجتمع الدولي»[3]، وكما قال الرئيس كارتر : لقد صادق الرئيس السادات زعيم احدى اعظم الأمم في العالم دون إكراه وبأعلى درجة من الحماسة على هذا الطموح العظيم لإسرائيل»[4].

---

(١) انظر الشرق الأوسط ص ٣ السبت ٢٣ ربيع الأول ١٤٠٥هـ ١٥/ ١٢/ ١٩٨٤م. العدد ٢٢٠٩ . عن صحيفة لوكونيد بان دي باريس الفرنسية .

(٢) الشرق الأوسط ـ رأي الشرق الأوسط ـ ص ٩ الأحد ٢/ ١٢/ ١٩٨٤م .

(٣) وأين أرض آبائه وأجداده هو؟ فهو يعيش في الأرض التي اغتصبها من الهنود الحمر! .

(٤) اتفاق كامب ديفيد ص ٣٧ ـ ٣٨ .

الفصل الثاني

المسلمون في الفلبين ـ عذراء ماليزيا

عذراء ماليزيا مجموعة من الجزر يزيد عددها على ٧١٠٠ جزيرة تنتشر في مياه المحيط الهادي في شرقي آسيا بين الجزر الاندونيسية والجزر اليابانية. بعضها كبير معروف مثل جزيرة لوزون في الشمال، وجزيرة مندناو في الجنوب، وبعضها صغير مجهول لا يكاد يعرفه إلا ساكنوه، ومنها ما اتخذ له اسم حيث قطنه البشر، ومنها ما لم يسمّ بعد لأنه لا يقيم عليه الإنسان وعبارة عن رؤوس جبلية بارزة في وسط اليمّ، ويمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات من الجزر هي :

١ ـ جزيرة لوزون وما حولها، وهي المنطقة الشمالية :.

٢ ـ جزيرة سيبو وما حولها وهي المنطقة الوسطى ويتمركز فيها المسلمون .

٣ ـ جزيرة مندناو، وما حولها وهي المنطقة الجنوبية ويتركز فيها المسلمون بالإضافة إلى جزر بالاون وصولو(١).

وتصل مساحة هذه الجزر إلى ٣٠٠ ألف كم٢. تكوّن مورو الاسلامية ٣٨٪ من هذه المساحة.وتعتبر امتداداً لجزر اندونيسيا، ويجاورها من الشرق خانق محيطي عظيم يمتد بطولها عبر المحيط الهادي، لذا فهي واقعة ضمن نطاق القوس المعروف بالحزام الناري في المحيط الهادي، الذي يتعرض لهزات أرضية من آن لآخر أو ثوران بركاني(٢).

تقع هذه الجزر ضمن إقليم المناخ الموسمي، ويمارس أهلها الزراعة، فهي حرفتهم الرئيسية، وتليها تربية الدواجن والحيوانات ثم صيد السمك، وأهم المحاصيل : الأرز وجوز الهند والقنب وقصب السكر ونخيل الزيت والمطاط والمانجو والموز والأناناس، وفيها ثروة غابية تمتد في الجزر كلها، وتنتج الذهب والفضة والحديد والنحاس وغيرها من الخامات المعدنية، كما يعتبر البحر مصدراً مهماً من مصادر الرزق لأهل الفلبين .

---

(١) انظر البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة. انظر حاضر العالم الإسلامي ج١ ص٣٥٩.

(٢) حسن أبو العينين ـ آسيا الموسمية ص ٤٠.

أطلق الاسبـان على هذه البـلاد ـ اسم الفلبـين ـ باسم ملكهم فيليب الثـاني الـذي ارسـل القـائـد سجـاستا وحملته على تلك الجزر[١]. في حين كان العرب المسلمون يطلقون عليها عذراء ماليزيا لأن أغلب سكانها من أصل ماليزي .

ســـــكان الفلبين

ينتمي السكـان إلى جماعـات متعـددة، ومن ثم تعـدّدت اللهجات ومن الممكن أن نجمعهم في عنصرين :

(أ) **عنصـر قديم : وهم من : (١) النجريتو** ـ الأقزام الآسيويين ـ ذوي اللون الأسود، والقامة القصيرة، والجسم الصغير، وهم جماعات بدائية تعيش في الغابات وفي المناطق المنعزلة ولا دين لهم .

(٢) والأندونيسيين : ذوي اللون الأبيض، وقامتهم أطول قليلاً من سابقيهم.

(٣) والملايو القدماء : ووصلها هؤلاء تباعاً قبل ميلاد المسيح عليه السلام .

(ب) **العنصـر الثـاني عرف باسم المـورو** : الـذين قدموا من الملايو على شكل موجتين حملت الثانية منهما الإسلام، وتوزعوا في البلاد وسكنوها .

وقـد أطلق عليهم الاسبـانيـون هذا اللفظ (المورو) إذ شبهوهم بمسلمي المغـرب والأنـدلس لانتـمائهم إلى دين الإسـلام[٢]. وينتشـرون حالياً في ثلاث عشـرة ولايـة في الجنـوب والغـرب، وهم ينتمـون إلى جماعـات : ماجـوندناو، وتـاوسج، ومارنواوا، وسامالا، وسالوان، وساو، وياكان، وبارجاو، وجامابونا، وسيبوجوى، وبلاواني[٣].

---

(١) حسين مؤنس ـ الإسلام الفاتح ص ٥٩ .

(٢) كان لفظ الموروس شائع الاستعمال في الكلام على المسلمين وأهل المغرب منهم خاصة وكان هذا هو اسم قبيلة مغربية بربرية عرفها الرومان وحاربوها في المغرب، ومن ذلك اللفظ أتت تسمية العرب والمسلمين بهذا الاسم عند الاسبان. ثم الانجليز والفرنسيين (حسين مؤنس ـ الإسلام الفاتح ـ ص٥٩).

(٣) نشرة معهد شئون الاقليات المسلمة ص ٤/ محرم ١٣٩٨هـ.

وبلغ عدد سكان الفلبين عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ٤٨,٤٠٠,٠٠٠ نسمة فيهم ٥,٥ مليون مسلم على الأرجح يشكلون ثُمن السكان[١]. في حين أن ماركوس رئيس الفلبين أعلن عام ١٩٧٥م أن عدد السكان المسلمين ثمانية ملايين يشكلون ٢٢٪ من السكان[٢] وهذا يدل على تناقص عدد المسلمين بسبب الإبادة والتهجير التي يتعرض لها المسلمون في تلك البلاد .

ويتكلم أهل الفلبين أكثر من ٧٨ لغة أهمها التالوج التي تنتشر في مانيلا وما حولها[٣]، وتتجه النية لأن تكون اللغة الرسمية، وفي كل لغة موجودة ألفاظ عربية واسبانية وهندية وصينية وانجليزية . واما المسلمون فيتكلمون لغتين خاصتين بهم تعرفان باسم : لغة موروو وهما لغة ايرانون وتاوسوغ وتكتبان بالحروف العربية، وتعدّ اللغة العربية الثانية عندهم بعد الانجليزية التي لا تزال لغة البلاد الرسمية[٤].

دخول الإسلام :

سيطر المسلمون في القرن الثالث الهجري على التجارة البحرية بين مصر والهند وماليزيا والصين، وأقاموا مناطق استيطان متعددة على شواطيء الهند وغرب شبه جزيرة الملايو، وسيطروا على تجارة نانهي (في بحر الصين الجنوبي) واستوطنوا كانتون في الصين، واختلط المسلمون من عرب وهنود كجرات مع أهالي تلك البلاد بالزواج والتجارة، فأخذ الإسلام يشق طريقه ببطء في تلك الأقطار عن طريق الاقناع، ولما أسلم بعض السكان المحليين أحسوا أنهم جزء من أمة سامية حملتهم إلى مستوى رفيع بين أمم العالم، وان من واجبهم حمل هذه الدعوة، إلى أقوامهم، كما استمر سيل الدعاة من بلاد العرب ومن الهند .

وجاء سقوط بغداد عاصمة دار الإسلام سنة ٦٥٦هـ على يد المغول، فهاجر عدد كبير من المسلمين إلى جنوب شرق آسيا فازدهرت الدعوة الإسلامية

---

(١) جريدة الاهرام القاهرية ٤/٤/١٩٧٥م. وقد يبلغ أكثر من ٧ ملايين كما ذكر عبد الباقي أبوبكر، وأراضيهم تشكل ٣٨٪ من مساحة الفلبين. المجتمع الكويتية العدد ٦٠٠ ص٣١.

(٢) محمد عبد القادر أحمد ـ المسلمون في الفلبين ص ٤٢ .

(٣) نفسه ص ٤٥ .

(٤) محمد عبد القادر عوده ـ المسلمون في الفلبين ص ٤٥ .

ونشطت في الملايو وسومطرة وجاوة وجزر مولوكي وبورنيو وعذراء ماليزيا . ومع نهاية القرن السابع الهجري كانت المقاطعات الساحلية لشمال سومطرة قد أصبحت إسلامية كلها، وقام حكام هذه المقاطعات وخاصة مقاطعة باساي بنشر الدعوة بقوة وحماسة، فعمّ الإسلام ملقا نتيجة لذلك، وأصبحت مع باساي المركز الإسلامي الرئيسي في جنوب شرق آسيا يفد إليها طلاب العلم المسلمون من جاوة ثم يعودون للقيام بالدعوة الإسلامية في مختلف جزر الشرق الأقصى، وكان يحيطها - أي ملقا - هالة من الإعجاب تبديها السلطنات الإسلامية المحيطة بها نظراً لاستقامتها على الإسلام وتقوى وصلاح أهلها وحكامها معاً، فقد كتب عنها نينغ شنغ لان الصيني سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م يقول : «إن الحاكم والشعب مسلمون، متمسكون بحرص ودقة بتعاليم الإسلام»[١] فقامت ملقا بنشر الإسلام في الشرق الأقصى بما فيها الفلبين التي وصلها أيضا عن طريق سومطرة وجزر المولوكاس وبورنيو حيث كان يعيش سكانها الأصليون شبه عراة في حياة جاهلية يعبدون الأصنام، فوصلها التجار المسلمون والدعاة، وهاجر إليها عدد من بلاد الإسلام واستوطنها، فعبر الإسلام بذلك إلى جزيرة صولو وانتشر في ماجيندناو ولانا في الجنوب وتقدم إلى لوزون في الشمال في الوقت نفسه[٢] وازداد انتشاره عن طريق مصاهرة الأسر الحاكمة وإسلام الأمراء المحليين .

وهناك ضريح في بودداتو بجزيرة صولو جنوب الفلبين يحمل تاريخ ٧١٠هـ هـ مما يوحي بأن التجار والدعاة وصلوا إلى هذه البلاد قبل هذا التاريخ بكثير، وأول داعية معروف وصل صولو هو شريف الأولياء كريم (المخدوم) وهو عربي جاء عن طريق الصين حوالي عام ١٣٥٠م[٣] الذي تمكن من كسب السلطان محمد شاه وشعبه في ملقا إلى الإسلام ثم أبحر إلى جزر صولو واستقر في قاعدتها القديمة «يوانا» وبحسن دعوته دخل كثير من أهلها الإسلام ولقي منهم تقديراً عظيماً، وقد توفي ودفن في جزيرة سبوتو .

(١) قيصر أديب مخول - الإسلام في الشرق الأقصى ص ٢٨ .
(٢) نشرة معهد شئون الاقليات ص ٤/ محرم ١٣٩٨هـ/ حسين مؤنس - الإسلام الفاتح - ص٥٨ .
(٣) قيصر أديب مخول ص ٦٧ .

وخلفه الداعية أبوبكر وهو عربي أيضاً، بدأ عمله كسلفه في ملقا ثم سافر إلى بالمبانغ في بورنيو، كما انتقل إلى بروناي، ووصل صولو حوالى عام ٨٥٤هـ/١٤٥٠م. فبنى عدداً من المساجد ونجح في الدعوة نجاحاً كبيراً، وزوجه سلطان ماجنداناو المسلم من ابنته وجعله ولياً لعهده، فلما ورث العرش نظم القوة العسكرية لأهل جزر صولو أشد رجال عذراء ماليزيا[١]. فتكونت إمارات وسلطنات إسلامية هناك أهمها :

١ ـ إمارة صولو الإسلامية وقد شملت ارخبيل صولو وجزيرة باسيلان وبالوان وبعض الجزر المجاورة، وقد أسسها الأمير ريباجندار الذي جاء من سومطرة إلى مندناو وباسيلان ثم استوطن صولو.

٢ ـ إمارة ماجيندناو ـ وجمعت جزيرة مندناو التي فيها أكبر تجمع إسلامي، وما حولها.

٣ ـ إمارة مانيلا ـ عاصمة الفلبين الحالية ـ في لوزون وما جاورها من مناطق.

٤ ـ إمارات إسلامية صغيرة تابعة للإمارات السابقة أو منفصلة عنها.

التحدي الصليبي؛ الاسباني والبرتغالي :

وبينما كانت تلك الجزر تعيش في هدوء إذ بجموع الصليبيين من البرتغاليين والأسبان تداهمهم من الشرق والغرب. وكان البرتغال والأسبان قد نقلوا ميدان الحروب الصليبية من البحر الأبيض المتوسط في الغرب إلى المحيط الهندي والمحيط الهادي في الشرق.

وأول قوة برتغالية وصلت المنطقة كانت بقيادة البوكرك البرتغالي الذي احتل ملقا سنة ٩١٧هـ/١٥١١م وصاحب ذلك حقد صليبي ونشاط تبشيري مركّز، فأثار ذلك ردة الفعل عند المسلمين وأصبح الأرخبيل كله ميداناً للصراع الإسلامي الصليبي، فهاجر عدد كبير من العلماء إلى سومطرة وجاوة وأدت هذه الهجرة بدورها إلى ازدياد الحماس الديني ونشاط الدعوة للإسلام، وهكذا يمكن

---

(١) حسين مؤنس ـ الإسلام الفاتح ـ ص ٦١.

تشبيه سقوط ملقا بسقوط بغداد إلى حد ما، فكلا الحادثين أحيا النشاط الإسلامي وبعثه فكراً وعملاً .

وكانت سيطرة المسلمين على البحار قد زالت بعد هزيمة الأسطول الإسلامي في معركة ديو البحرية سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م أمام البرتغال، ولكن الهزيمة لم تؤثر على قوة انتشار الإسلام وتوسعه في ماليزيا والمشرق، فقد اختار التجار المسلمون آتشيه شمال سومطرة مركزاً لهم فأصبحت شمال سومطرة مرة أخرى دعامة الإسلام هناك وازدهرت آتشيه وقويت لدرجة استطاعت معها أن تتحدى ملقا التي أصبحت برتغالية .

وفي سنة ٩٢٨هـ قويت الدعوة الإسلامية في بورنيو وتشكلت الإمارة الإسلامية القوية في برونى وحملت على عاتقها مع آتشيه حركة الصراع الإسلامي ضد البرتغاليين والأسبان .

ووصلت آتشيه في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين أوجها وكانت أهم قناة نقلت الدعوة الإسلامية إلى جاوا والشرق الأقصى من مراكز الإسلام في الهند وشبه جزيرة العرب ومصر، ووصلها المتطوعة من مصر يجيدون استعمال الأسلحة النارية، فقوى الإسلام هناك وأصبحت لأهمية موقعها الجغرافي على مفترق طرق التجارة الإسلامية مركزا هاماً للدراسات الإسلامية وامتازت بسمعتها العطرة حيث التقوى والالتزام المخلص بحدود الإسلام ومحاربة البدع . وكانت بالإضافة إلى ذلك محطة لكل الحجاج الماليزيين (بما فيهم أهل الفلبين) الذاهبين إلى بيت الله الحرام، فتفاخر أهل آتشيه بمركزهم هذا

وسموا بلادهم : «عتبة الديار المقدسـة»[1] :

وتولى بروني[2] السلطان هارون الذي أخذ على عاتقه مقاومة الغزو البرتغالي واستطاع ابنه باب الله سلطان ترنيت أن يدمر كل ما أنجزه المبشرون البرتغاليون عام ٩٨٣هـ .

أما الأسبان الذين توجهوا غربا في كشوفهم الجغرافية بعد معرفتهم كروية الأرض فقد اعتقدوا أن سيرهم هذا يقودهم إلى شرق بلاد المسلمين فيحدقون بالمسلمين في المشرق مثلما أحدقوا بهم في المغرب، فعرفوا أمريكا، وفي عام ٩٢٣هـ/ ١٥٢١م وصل ماجلان عذراء ماليزيا واصطدم بالمسلمين عندما أراد فرض سيطرته ونشر عقيدته فقتل في جزيرة ماكيتان من جزر سيبو فتابع من نجا من اتباعه طريقهم حتى عادوا إلى اسبانيا .

ثم سيرت اسبانيا بعد ذلك أربع حملات قتل أفرادها جميعاً لأن الريح كانت تدفعهم نحو الجزر الجنوبية حيث يكثر المسلمون هناك[3] .

ثم جردت اسبانيا حملة كبيرة رافقتها القساوسة في محاولة لتنصير المسلمين استقرت في جزيرة سيبو وقاوم حاكم مانيلا (عاصمة لوزون) الاسبان بشجاعة وضراوة وكان ابن أخ لأحد سلاطين بروني وابن عم السلطان سيف الرجال

---

(١) قيصر أديب مخول ص ١٧ .

(٢) وبروني اليوم سلطنة إسلامية تقع في جنوب شرق آسيا، وهي جزء من جزيرة بورنيو التي تقع على بحر الصين، ومساحتها ٢٢٢٦ ميلاً مربعاً وعدد سكانها ٢٣٠,٠٠٠ نسمة، تعتمد في دخلها على البترول (حوالي ٥ مليارات دولار سنوياً) بالإضافة إلى الصيد وقطع الأخشاب باعتبارها منطقة استوائية غنية بالغابات الكثيفة. ولغتها الأساسية الانجليزية، في حين أن اللغة القومية هي الملاوية .

وسكان بروني مسلمون يولون مكانة خاصة للقرآن الكريم والدارسين في الأزهر، فمن أبنائها عام ١٩٨٥م ستين أزهريا يتولون المناصب العليا فيها، وسلطانها حسن البلقيع منذ سنة ١٩٦٧م . وقد زارتها بعثة مصرية للآثار في أطار التعاون الإسلامي الثقافي بين مصر وبروني، وتوصلت البعثة إلى أن دخول الإسلام كان في القرن الرابع عشر الميلادي لوجود آيات قرآنية على بعض القطع الأثرية التي عثر عليها، وبعض الآيات مكتوبة على شواهد بعض القبور في السلطنة. (الشرق الأوسط - ص١٣ الاثنين ١٤ جمدي الأولى سنة ١٤٠٥هـ/ ٤/٢/١٩٨٥م العدد ٢٢٦٠).

(٣) البلدان الإسلامية والاقليات المسلمة ص ٦٠٧ - ٦٠٨ .

سلطان بروني الذي صد الاسبان عن بروني عام (٩٨٥ و٩٨٨هـ/ ١٥٧٧ و١٥٨٠م).

وباحتلال الاسبان لمانيلا وتهديدهم لأماكن استيطان المسلمين وبناء مستعمرات جديدة مكانها على يد ليكاسبي سنة ٩٧٩هـ/١٥٧١م توقف توسع الإسلام في القسم الشمالي من أرخبيل الفلبين، واعتبر الاسبان معركتهم مع مسلمي الفلبين في مانيلا امتداداً لمعاركهم مع المسلمين في الأندلس، فقد كتب أحد الاسبان سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م: «عندما نزل جنود ليكاسبي في مانيلا في مكان هو الآن موقع حصن سانتياغو وهو مفتاح مانيلا وجدوا مقاطعة مسلمة يحكمها الراجا ماتندا بمساعدة ابن أخيه الراجا سليمان، وكان هذا الأخير يحبذ سياسة الحرب والمواجهة...»

وحتى تكون الصورة مماثلة تماماً لما كان في غرناطة، سمّي ليكاسبي مسلمي الفلبين «المورو س»[1].

وفي عام ٩٧٣هـ/١٥٦٥م حصل ليكاسبي إذناً من فيليب الثاني باسترقاق المسلمين لأنهم يدعون لعقيدة محمد... كما أعطيت الأوامر عام ٩٨٦هـ/١٥٧٨م للكابتن استبان رودريكودي نيكروا بتهديم المساجد ومنع إعادة بنائها في صولو ومندناو.

وأدرك المسلمون الأهداف الصليبية فتعاونوا في الوقوف في وجه الهجمة الصليبية فقاومت سلطنة صولو وسلطنة ماجندناو الغزو الأسباني ووصلتها الامدادات من بورنيو وجزر مولوكي، كما استعانت آتشيه بمصر وحصلت على المتطوعة، فكتب فرانسيسكو دي سندى حاكم الفلبين الاسباني سنة ٩٨٦هـ/١٥٧٨م للسلطان سيف الرجال في بورنيو يطلب منه التوقف عن إرسال الدعاة إلى الفلبين وأواسط بورنيو، وأن يقبل في بورنيو مبشرين كاثوليك. وعندما قرىء الكتاب على السلطان غضب غضباً شديداً ولم يزد على قول كلمة واحدة: كافر»[2].

(١) قيصر أديب مخول ص ١٤٧.

(٢) نفسه ص ١٤٢.

وظـل الحـرب سجالاً بين الاسبان ومسلمي الفلبين ثلاثمائة عام، وكانت سفن المسلمـين المسلحـة تقـوم بمهـاجمـة السفن الأسبـانيـة وتأسـر الآلاف من الاسبـان وتبيعهم في سوق الـرقيق كرّد فعـل لما فعله الأسبان والبرتغال لاستعباد المسلمين وتنصيرهم[١].

وكـانت سيـاسـة الاسبـان التي اعلنهـا «دى سنـدي» تقـوم على سحق الإسـلام وتنصـير المسلمـين، ولكنهم أدركـوا بعـد هذه القرون استحالة ذلك، فاعـترفـوا عام ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م باستقـلال سلطانهم في صولو، ولكنهم عادوا واستولوا على حاضرة البلاد عام ١٨٧٤م، فلجأ المسلمون إلى القيام بالغارات فكان حكم الأسبان اسمياً فقط[٢]، فكتب بلتزار جير ودييه (وهو ممن اشتركوا في غزو الـفـلبـين سنـة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م إلى الحـاكم الاسبـاني العـام عام ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م إقـترح إتباع سياسة قبول الواقع الإسلامي، وهي الطريقة الوحيدة لوقاية النفوذ الاستعماري من الانهيار[٣].

كان المسلمـون يمـدّون جنوب الفلبين بدماء جديدة وينشرون الإسلام، فقـد كتب دي سنـدي إلى ملك اسبانيا في حزيران عام ٩٨٤هـ/١٥٧٦م يثبت له أن مسلمي بورنيو هم الذين كانوا ينشرون الإسلام في الفلبين وقال في رسالته ان اخضاع سلطان آتشيه وبروني في بورنيو قد يوقف إرسال الدعاة إلى الفلبين.

ولكن هذا الأمـر اختلف بعـد السيطـرة الهولندية على جزر الهند الشرقية والسيطـرة الانجليـزيـة على ماليـزيـا، فقد تمكن الأوروبيون من عزل مسلمي الفلبـين - تقـريبـاً - عن بقيـة العـالم الإسلامي بالقرصنة البحرية وبيع الأسرى المسلمين في أسواق النخاسة. وهذا تسبب في ضعف المسلمين وتأخرهم. ورغم ذلـك فقـد بقيت إمـارتـان إسلاميتان في جنوب الفلبين هما: إمارة صولو وإمارة ماجنـدنـاو تجاهـدان الغـزوات الصليبيـة المتـواليـة، ولم يستطـع الاسبان سوى السيطرة على بعض المناطق الساحلية وقليل من المدن. ولكنهم نجحوا في عرقلة

(١) حاضر العالم الإسلامي - الامير شكيب - ج١ ص ٣٦٢.
(٢) نفسه ج ١ ص ٣٦٢.
(٣) مخوّل ص ١٤٤ - ١٤٥.

انتشار الإسلام في الشمال ودحره، وبقي المسلمون في الجنوب يحافظون على عقيدتهم وملامح الحضارة الإسلامية خلال الفترة الطويلة من الاستعمار والحروب .

الحكم الأمريكي للفلبين :

هزمت امريكا اسبانيا هزيمة ساحقة في المياه الفلبينية، فاضطرت اسبانيا إلى بيع الفلبين لأمريكا عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م بمائتي مليون دولار. فخلفت الولايات المتحدة اسبانيا في استعمار تلك الجزر، وأصدرت قانوناً يقضي بأن جميع رخص امتلاك الأرض غير المصدق عليها من اسبانيا تعتبر ملكية عامة، وهذا معناه أن أراضي المسلمين تصبح ملكاً للحكومة الامريكية لأن اسبانيا لم تحكم المسلمين. فتدفقت الهجرات الصليبية إلى الجنوب بسبب هذا القانون[١] وخاصة بعد أن صدر قانون آخر يبيح لكل مهاجر امتلاك ٤٤ هكتاراً من الأرض، بينما المواطن الأصلي في الجنوب يحق له أن يمتلك ٤ هكتارات من الأرض فقط. وأعطي الحق لكل شركة في امتلاك (١٦٠) هكتاراً، فجاء النصارى بأسماء شركات وهميّة لامتلاك أراضي المسلمين[٢].

وحاول الأمريكيون تنصير المسلمين واستخدموا الإكراه، فلم يتغير موقف المسلمين، وقاوموا بالقوة، واستمر القتال (٣٨) عاماً قتل فيها عدة آلاف من المجاهدين وتمادى الغزاة فشنوا على المسلمين حرب الجراثيم فاجتاحت أوبئة الكوليرا والجدري والطاعون جزيرة مندناو وأرخبيل صولو في وقت واحد سنة ١٣٢١هـ، وتساقط الناس بالمئات والألوف، وانتقل الوباء إلى جزر مجاورة، وبلغ عدد ضحايا الأوبئة أكثر من ٢٠٠ ألف على حسب التقارير الغربية نفسها، وأهمها تقرير لجنة تافت، وأدركت أمريكا عبث المحاولات فلانت وعقدت معاهدة مع المسلمين احترمت دينهم وأسلوب حياتهم، وتكونت لهم

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية ـ محاورة مع عبد الباقي أبوبكر ـ العدد ٦٠٠ ص٣٠.
(٢) نفسه ص ٣١ .

دولة تحت الإدارة الامريكية وازدهرت المدارس[1]. وبذلك استطاعت الولايات المتحدة دخول المناطق الإسلامية، ولكن الحاكم العام الأمريكي «فرانك موروفي» جعل المسلمين تابعين لوزارة الداخلية الفلبينية سنة ١٣٥٤هـ في الفترة الانتقالية التي سبقت الاستقلال.

وفي عام ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م احتل اليابانيون المناطق الإسلامية من الفلبين، وقاوم المسلمون الغزاة الجدد، فتعرض المسلمون إلى حملات إبادة على يد اليابانيين.

وبعد الحرب العالمية الثانية اعلنت الحكومة الامريكية استقلال الفلبين عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م وسلمت زمام الأمور لحكومة نصرانية على رأسها رئيس من الكاثوليك، فاهتم القساوسة بإثارة الحكومة على المسلمين[2]. فكتب على المسلمين بالفلبين الجهاد مرة أخرى. وصدر قرار ضم جنوب الفلبين الإسلامي إلى هذه الحكومة من جانب أمريكا.

وكان مجلس النواب الفلبيني قد ضم نائبين مسلمين، كما ضم مجلس الوزراء وزيراً مسلماً واحداً، وشمل مجلس الشيوخ عضواً واحداً مسلماً، وأخذت الحكومة الكاثوليكية تضغط على المسلمين فتراجع الإسلام في مندناو ولم يبق له من مناطقه القديمة إلا جنوبها وأرخبيل صولو وجزيرة بالوان. وتوزع عدد من المسلمين في مناطق متناثرة وخاصة حول مانيلا العاصمة. وتناقصت نسبة المسلمين في البلاد، فقد كانت ٥٥٪ تناقصت على أيدي الاسبان إلى ٤٠,٥٪، وعلى أيدي الامريكيين إلى ٣٢٪ وعلى أيدي اليابانيين إلى ١٧,٥٪ وعلى يد الحكومة الصليبية الجديدة في عهد الاستقلال إلى ١٢٪، فعددهم عام ١٤٠٠هـ حوالي ٥,٥ مليوناً من أكثر من ٤٦ مليوناً[3].

وكان المسلمون يسيطرون على ٩٢٪ من مجموع مساحة مندناو فتضاءلت هذه الملكية إلى ٣٥٪، وتعمل الحكومة الآن على تجريد المسلمين من أراضيهم

---

(١) الأمير شكيب ـ حاضر العالم الإسلامي ـ ج١ ص ٣٦٣.

(٢) حسين مؤنس ـ الإسلام الفاتح ـ ص ٦٠.

(٣) انظر عذراء ماليزيا ـ د. مصطفى مؤمن. ونشرة لجبهة تحرير مورو سنة ١٤٠٠هـ عن وضع المسلمين في الفلبين.

كليةً وتوطين المزارعين النصارى وزيادة عدد اللاجئين والمشردين بدعم من امريكا واليابان لحكومة الفلبين بمختلف الوسائل والاساليب . ولا عجب في ذلك فلأمريكا ٥٠ قاعدة ومطاراً معظمها في المناطق الإسلامية .

وقد تأخر المسلمون نتيجة الظروف التي مرت عليهم علمياً واجتماعياً وفكرياً ولكن مع مطلع القرن العشرين بدأ اتصالهم بالعالم الإسلامي وخاصة بالدولة العثمانية وبمصر، عندما دعا السلطان عبد الحميد لفكرة الجامعة الإسلامية فزارها مبعوث منه عام ١٣٣١هـ ثم تتابع عليها الزوار المسلمون من سوريا والأزهر بمصر .

وأسس المسلمون الجمعيات التي عملت على تدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية وإصدار المجلات . فانتعشت أحوالهم اثر الحرب العالمية الأولى (١٣٣٣-١٣٣٧هـ/ ١٩١٤-١٩١٨م) . وأمام هذا التطور الملموس استمرت حركة صليبية قامت بها أمريكا للعمل ضد المسلمين بالتنصير والتهجير .

واقع المسلمين في الفلبين في عهد الاستقلال عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م إلى عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م:

اشتد التحدي الصليبي الكاثوليكي بعد الاستقلال بشن هجمات إبادة جماعية على المسلمين، كما جاء في عريضة منظمة تحرير شعب المورو المرفوعة إلى لجنة حقوق الإنسان اتهمت فيها حكومة الفلبين بقتل وجرح ما لا يقل عن مائة ألف مسلم، وشردت نصف مليون واغتصبت مليون هكتار من أرض المسلمين، وحرقت البيوت والمساجد والمدارس(١)، وجاء في الكتاب الأبيض الذي قدمه المسلمون إلى حكومة الفلبين عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م : «ان عدد المذابح والحوادث الدامية التي ارتكبت ضد المسلمين في جنوبي الفلبين بلغ ٤١٧ حادثة في ثلاث سنوات(٢) .

وبالمقابل اشتد وعي المسلمين في الفلبين وشعورهم بالانتماء إلى الأمة الإسلامية الكبيرة وظهر هذا التجاوب أثناء العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م، فقد ألفوا لجاناً للتطوع لمساعدة العرب المسلمين . وعندما

---

(١) نشرة معهد شئون الاقليات المسلمة . محرم ١٣٩٨هـ/ ص ٥ .

(٢) تقرير مقدم من جبهة تحرير مورو لمنظمة المؤتمر الإسلامي .

زارت جولدا مائير الفلبين سنة ١٩٦٤م احتج المسلمون على هذه الزيارة وقال النائب المسلم في البرلمان : «إذا لم تطرد الحكومة هذه السيدة فسنتولى طردها» . وقامت المظاهرات العدائية في انحاء الفلبين، مما جعلها تختصر زيارتها وتخرج بعد أقل من ٢٤ ساعة .

وفي عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م أعدوا كتائب خاصة للجهاد ضد اليهود وعقب مأساة عام ١٩٦٧م كان أبا ايبان يطوف بالعالم يبر ر ما حدث منهم ، فلما وصل الفلبين كانت المظاهرات تحاصر المطار حتى حالت دون خروجه فاضطر لاستخدام الطائرة الهليوكبتر لتنقله إلى القصر الجمهوري ، ولم يستطع الوصول إلى الجامعة ليلقي المحاضرة التي كانت مقررة له ضمن برنامج زيارته(١) .

فاشتدت الهجمة الصهيونية عنفاً، وعمل الكاثوليك بمساعدة البابا على تنصيرهم وتهجيرهم وبموافقة الدول الأجنبية وخاصة امريكا . وزحف نصارى الشمال نحو أراضي المسلمين في جزر مندناو وبالاوان وصولو بغية طردهم واحتلال أراضيهم .

وبالإضافة إلى الأحزاب السياسية النصرانية الكاثوليكية في الفلبين نشأت منظمات كاثوليكية محظورة قانونياً ولكنها تلقى التعاطف من قبل السلطات الحكومية ورجال الأمن والشرطة مثل ـ **منظمة ايلاجاس** ـ (أي الفئران) الإرهابية . وقد وجدت هذه المنظمة تأييداً من اسرائيل فزودتها بالخبراء والأسلحة ، وتدرب أفرادها على العمليات الإرهابية . وأخذت هذه المنظمة الخطيرة منذ ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م تقتل المسلمين وتحرق بيوتهم ومساجدهم ومدارسهم وتهدد زعماءهم ليقبلوا تنصير المسلمين . وقد فضح النواب المسلمون تواطؤ حكومة ماركوس (الذي تولى رئاسة الفلبين منذ سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٦٥م) وأولئك الفئران المسلحين ، واعترف أحد قادتهم أمام لجنة التحقيق التابعة لمجلس الشيوخ الفلبيني سنة ١٣٩١هـ/ بأنهم يتلقون تدريبات عسكرية ومعونات ومؤ ن من الحكومة ، كما اعترف قائد الشرطة إن هناك ٣٥ ألف رجل من عصابات إيلاجاس المسلحة في مناطق المسلمين بجزيرة مندناو.

---

(١) المسلمون العدد ٣٠ ص ٢٢ (المورو ٨ ملايين مسلم يواجهون المحن في جزر الفلبين) .

وهنــاك منظمــة **جيفــا الإرهــابيــة** : وهي الجنـاح العسكـري السـري للجمعيات الكاثوليكية العلنية، وتتلقى معونات من الكنيسة الكاثوليكية ولديها امكـانيـات كبـيرة ومخـازن للسـلاح وصيـادين للتـدريب على القتـال النظامي والشعبي . وقــد أطلع سيرجيـوعثـمانيـة (المنـافس لماركـوس) الصحـافـة سنـة **١٣٨٨هـ** على صلات ماركوس بهذه المنظمة الإرهابية .

كوّن المسلمـون الجمعيـات نتيجـة تعـرضهم للقهـر والاعتـداء والتنصير فأنشأوا **جمعيـة المسلمـين الفلبينيـة** في مدينـة مانيلا سنة **١٣١٥هـ**، وجمعية إقامة الإسـلام في مدينـة ماداوي سنـة **١٣٥٥هـ**، وجمعيـة أنصـار الإسـلام، وتقـدم الإسـلام، وهـدايـة الإسـلام، ومؤتمر الإسلام، والنهضة الإسلامية، والتربية الإسلامية، والمؤتمر الإسلامي، وجمعية مسلمي صولو[1] .

وفي عام **١٣٨٩هـ/١٩٧٢م** أخـذت حكـومـة ماركـوس تستخدم طريق تهجير المسلمين بالقوة وإحلال النصارى بدل المسلمين، وتقيم الحكم النصراني في محافظـات المسلمـين، فخـرجت إلى حيـز الوجود «**جبهة تحرير بنجاسا مورو الـوطنيـة**» برئاسة نور ميسواري الأستاذ الجامعي للعمل على إقامة دولة إسلامية مستقلة عن باقي الجـزر الفلبينيـة الكـاثـوليكيـة، فأعلن الأحكـام العـرفيـة في الجنـوب، وتـدفقت الجيـوش إلى أقاليم المسلين، فبلغ تعداد جيش الحكومة في الجنـوب ربـع مليـون جنـدي، وارتكب النصارى أفظع الجرائم من قتل جماعي وإحـراق الأحيـاء، وانتهاك الأعراض والحرمات . وصمد المسلمون بقوة في وجه الفظـائـع وتحصنـوا في الغـابـات والجبـال، ونال بعضهم قسطاً من التدريب في معسكرات خارج البلاد، ويقدر عدد جيشهم بثلاثين ألفاً . وقد أرسل ميسواري رسـائـل إلى الأمم المتحدة وإلى رئيس الفلبين، وعرضت القضية الفلبينية على مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الأول عام **١٣٩٢هـ/١٩٧٢م** في جدة، وكشف الملك فيصل رحمه الله النقاب عن أحداث الفلبين ونبه العالم إلى خطورة الوضع وما يتعرض له المسلمون في جنوب الفلبين، من إرهاب وقمع واضطهاد فانتـدب المؤتمـر لجنـة وزاريـة ربـاعية من وزراء خارجية كل من المملكة العربية

---

(١) البلدان الإسلامية والاقليات ص ٦٠٨ .

السعودية وليبيا والصومال والسنغال لتقصي الحقائق، وبعد مساعي عدة جلست جبهة مورو على مائدة المفاوضات مع كارميلو بربير و وزير الدفاع في الحكومة الفلبينية حيث مثّل ماركوس في طرابلس الغرب سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، وأعلن وقف إطلاق النار وإعطاء المسلمين الحكم الذاتي في ١٣ ولاية حيث يكون لهم حكومة ومجلس نيابي ومدارس ومحاكم شرعية، ويجري استفتاء عام وما إلى ذلك من بنود الاتفاق. وجرى التصديق على هذه الاتفاقية من قبل اللجنة الرباعية التي شكلها المؤتمر الإسلامي[١]. وكان عبد الباقي أبو بكر الأمين العام للعلاقات الخارجية لجبهة مورو الإسلامية ممثلاً للجبهة في جميع المفاوضات والمؤتمرات الإسلامية منذ إنضمام الجبهة إلى منظمة المؤتمر الإسلامي كعضو مراقب دائم سنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م[٢].

ولم يكن الاتفاق في واقعه سوى مناورة استهدفت كسب الوقت من أجل القضاء على حركة الجهاد الإسلامية في جنوب الفلبين، فقد أراد ماركوس أن يتم وقف إطلاق النار ثم ينظم استفتاء لإقرار وضع معين في جنوب الفلبين. ولكن جبهة مورو قاطعت هذه الانتخابات التي قرر لها عام ١٩٧٧م على اعتبار أنها لا تعطي للمسلمين نفوذاً حقيقيا ثم عاد الصراع العسكري من جديد، ومن ثم لجأ ماركوس إلى المناورات فقد أعطى المسلمين استقلالاً داخلياً بسيطا لا يذكر مع تمسك السلطات العسكرية بزمام الأمور سنة ١٩٧٩م وزار الحبيب الشطي أمين المؤتمر الإسلامي مدينة مانيلا سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م في محاولة لاقناع الحكومة بتنفيذ اتفاقية طرابلس[٣]، وأعلن رفع الأحكام العرفية عن البلاد عام ١٩٨١م ولكن الحقيقة والواقع هو رفع الأحكام العرفية عن المناطق غير الإسلامية، أما المناطق الإسلامية فقد ظلت تحت الأحكام العرفية. وبلغ عدد المعارك التي خاضتها جبهة تحرير مورو عام ١٤٠٠هـ (٧٩) معركة .

ومن أكبر المناورات التي لجأ إليها ماركوس عام ١٩٨١م بهدف ابعاد القضية عن الصعيدين الإسلامي والدولي واعتبارها نزاعا داخليا محليا وليس

---

(١) نشرة معهد الأقليات المسلمة. ربيع الأول سنة ١٣٩٨هـ.

(٢) مجلة المجتمع الكويتية العدد ٦٠٠، ١ ربيع الأول ١٤٠٣هـ. ص٢٨.

(٣) نشرة معهد شئون الأقليات المسلمة. ربيع الأخر سنة ١٤٠٠هـ.

إسلاميا حتى تفقد حساسيتها وخطورتها هي لجوؤه إلى انشاء لجنة وساطة للاتصال بالمجاهدين وقادتهم تحت ستار إيجاد حل سلمي للنزاع القائم وذلك ليتحقق له إيجاد صلح منفرد دون إشراك منظمة المؤتمر الإسلامي . . . وكذلك تضليل الرأي العام العالمي وإيهامه بأن المسلمين لا يريدون بديلا عن الحكومة الحالية، فاستخدم في تنفيذ هذا المخطط الأسلوب الاستعماري : فرق تسد، مستغلا أوضاع المسلمين السيئة في الفلبين لعزل المجاهدين وإظهارهم بمظهر المتآمرين على الوطن. فرفض المجاهدون المفاوضات التي اخترعها ماركوس وألفتها بطانته ومثّلتها الفئات المنافقة من المسلمين، واشترطوا أن تكون المفاوضات مباشرة بين المجاهدين والحكومة الفلبينية دون تدخل لجنة الوساطة التي ألفها ماركوس، وأن يكون ذلك تحت إشراف منظمة المؤتمر الإسلامي وعلى أساس اتفاقية طرابلس وان تعقد المفاوضات في احدي العواصم الإسلامية وذلك حفاظاً على معالم القضية الإسلامية. وأمام اتضاح سوء نية ماركوس تجاه القضية ومناوراته المفضوحة أعلن الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي (الحبيب الشطي) إيقاف مثل هذه المفاوضات مع الرئيس الفلبيني .

وكثيراً ما خدع الرئيس الفلبيني الرأي العام الإسلامي والعالمي بإقامة بعض المساجد أو المدارس والمؤسسات الإسلامية التي توجهها الحكومة وتشرف عليها ليغطي ما تقوم به حكومته من حرب إبادة المسلمين وتصفيتهم، حيث يفتخر بأن الفلبين هي الدولة الوحيدة ذات الأغلبية النصرانية في آسيا، وقد زاره بابا الفاتيكان عام ١٩٨١م كدليل على اهتمام الصليبيين بهذه الدولة التي يريدها البابا منطلقا للكاثوليكية وللتبشير في آسيا. فحكومته تتعاون مع القساوسة بتدريس المسلمين في مدارس نوثر يديم وهي مدارس تنصيرية لتنصير أبناء المسلمين مع حرمانهم من انشاء مدارس خاصة بهم. كما يقوم الجنود الفلبينيون بالزواج من المسلمات بالقوة لتكوين جيل نصراني أو نصف نصراني على الأقل[١].

---

(١) مجلة المجتمع العدد ٦٠٠ ص ٣١ .

وعملت حكومة ماركوس على تفريق كلمة زعماء جبهة تحرير مورو فظهر انشقـاق بين رجـالهـا، حيث أعلن مسئول العلاقات الخارجية للجبهة سلامات هاشم استقـلالـه من الجبهـة مع بعض مؤيـديـه فسارعت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي في محاولة مخلصة لتصفية الخلافات وتقريب وجهات النظر. هذا فضلا عن ظهور طائفة شيوعية يسارية تظهر بمظهر الحريص على الحرية وعلى الإسـلام وهي في الـواقـع تتجـه بكل كيانها إلى موسكو وتعمل من أجل احتواء حركـة الجهـاد والاتجـاه بها وجهة شيوعية الحادية من أجل القضاء على الإسلام والمسلمـين. وبـاسم الخطر الشيوعي حصلت حكومة ماركوس على مساعدات امـريكيـة هائلة لاستخـدامهـا ضد المسلمين، وأخذت الصحف الفلبينية تنشر أخبار الاشتباكات مع المجاهدين على انها معارك بين الحكومة والشيوعيين[1].

وقـد تعـاونت العنـاصـر الصليبيـة المتعصبـة مع الخـبراء اليهـود والقوى الاستعـماريـة الصليبيـة ضد مسلمي الفلبـين فقـام زعـماء الصهـاينـة بزيـارات الفلبين، فقد قامت غولدا مائير أيام كانت وزيرة خارجية اسرائيل بزيارة الفلبين وتعهـدت في تلك الـزيـارة بأن تقـدم اسـرائيـل للفلبـين معونات مادية ومعنوية وخبراء في مجال الشرطة والجيش. وكانت شروط هذه المعونات تنص على اجبار المسلمـين على ترك دينهم واستخـدام كافة الأساليب من أجل تحقيق هذا الأمل الغـالي لدي أعـداء الإسـلام. وبـذلـك فإن عمليات الإبادة وحملات التنكيل الجماعي تتطور ووصلت مرحلة أكثر تعقيداً وأكثر سفوراً.

وفي مؤتمـر وزراء الخـارجية للدول الإسلامية الخامس عشر الذي عقد في صنعـاء لعـام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م شارك وفـد من الجبهـة الـوطنيـة لتحرير مورو برئـاسـة نور ميسوارى بصيغة مراقب، ووجهت الجبهة نداء إلى المؤتمر تناشدهم فيه العمل على انهاء الاستعمار الفلبيني لوطنهم، كما طالبت بعرض مشكلة مورو على حركـة عدم الانحيـاز وعلى الأمم المتحدة إضافة إلى مطالبتها بمساعدات مالية وفنية وإنسانية.

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية العدد ٧٠٨ السنة ١٥ الثلاثاء ٢٠ جمادي الآخرة ١٤٠٥هـ/ ١٢ مارس ١٩٨٥م ص ٣٨-٣٩.

كما قال ميسواري أن عدد أفراد شعب بانجاسامورو الذين يعيشون حالياً في ارخبيل الفلبين يتراوح بين **١٣** و**١٤** مليون نسمة وهو يتجاوز تقديرات حكومة مانيلا بكثير(١).

ومما يؤسف له أن أجهزة الاعلام من إذاعات وصحف في بعض البلدان الإسلامية تتجاهل المجازر التي تقوم بها الحكومة الفلبينية بل انها تشيد بهذه الحكومة وتتحدث عن إصلاحات ماركوس وانجازاته. رغم ما تقوم به الدوريات السعودية من مجلات شهرية وأسبوعية وجرائد يومية بمعالجة هذه القضية وابعادها كقضية إسلامية. وما تقوم به رابطة العالم الإسلامي من دور كبير في تنبيهها لهذه القضية ودعمها.

وخير ما يمثل حال المسلمين في الفلبين تصريح السيد سلامات هاشم رئيس جبهة تحرير مورو الإسلامية ومنه :

«ان وضع المسلمين في الفلبين اليوم خطير جدا حيث يتعرضون لأبشع أنواع الظلم والاضطهاد من قبل السلطات الفلبينية والتي تقوم بمحاولات القضاء على مسلمي الفلبين بشتى الوسائل ومنها الحملات العسكرية المكثفة التي تستخدم فيها القوات المسلحة الفلبينية أجهزتها الحديثة من طائرات ودبابات وبحرية، ومنها الحرب الثقافية لمحاولة تضليل أبناء المسلمين وتشكيكهم في عقيدتهم ومنها الحرب الاجتماعية بهدف نشر الفساد والإفساد في وسط المجتمع الإسلامي في المنطقة الجنوبية التي يتركز فيها المسلمون ومنها الحرب السياسية التي تهدف إلى عزل المسلمين الواعين عن ممارسة حقوقهم السياسية واسناد جميع المناصب إلى النصارى وإلى المسلمين السياسيين الذين لا يهتمون بأمر إخوانهم المسلمين وحصارهم إقتصادياً...

ومنه العمليات الإرهابية التي تقوم بها العناصر النصرانية بالتواطؤ مع القوات المسلحة الحكومية...

---

(١) جريدة الشرق الأوسط الأحد ١ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ/ ٢٣/١٢/١٩٨٤م العدد ٢٢١٧.

وقد قدمت الفلبين بين عامي (١٣٩٢-١٤٠٤هـ/ ١٩٧٢-١٩٨٤م) :

ـ ٣٠ ألف شهيد معظمهم من النساء والأطفال وكبار السن .

ـ استرقاق ستة آلاف مسلمة على أيدي الجنود الفلبينيين .

ـ تشريد أكثر من مليوني مسلم .

ـ فرار حوالي ٣٠٠ ألف نسمة واضطرارهم إلى الهجرة إلى البلاد المجاورة ـ ولاية صباح التابعة لماليزيا .

ـ إحراق ٣٠٠ ألف منزل من بيوت المسلمين .

ـ احراق ٦٠٠ مسجد و ٣٠٠ مدرسة .

ـ تدمير مئة قرية ومدينة إسلامية .

ـ اغتصاب معظم أراضي المسلمين الخصبة .

ـ تدمير أكثر من ٥٠٠ مسجد للمسلمين.

وقد أدت تلك العمليات الإرهابية والمحاولات المستمرة للقضاء على المسلمين بشن الحملات العسكرية إلى انتشار الفقر والجهل والأمراض بين المسلمين، مما جعلهم فريسة لحملات التبشير والشيوعية ـ وللمؤثرات الثقافية والاجتماعية والإقتصادية[1] .

ورغم ذلك بقيت شعلة الإيمان متوهجة فالمجاهدون يسيطرون على جميع المناطق الإسلامية ماعدا بعض المدن . وسارعت بعض الدول العربية بتقديم المساعدات التعليمية للمسلمين في الفلبين فهناك حوالي ٣٠ مدرساً من الأزهر، وعدد كبير من المدرسين من المملكة العربية السعودية وتساهم رابطة العالم الإسلامي في ذلك .

---

(١) البلاغ ـ الأحد ٢٣ ربيع الأول ١٤٠٥هـ/ ١٦ ديسمبر ١٩٨٤م العدد ٧٧١ ص ٢٦ . وقد ذكر عبد الباقي أبوبكر أن الشهداء بلغوا ١٣٥ ألف مسلم من المدنيين وان ماركوس اعترف بأنه قتل سنة ١٩٨٠م ٦٠ ألفا من المسلمين بينما قال رئيس القوات العسكرية بأن عدد القتلى من المسلمين بلغ ٧٥ ألفا . (المجتمع العدد ٦٠٠ ص ٣١) .

وبقيت في المناطق الإسلامية مئات المدارس الابتدائية والمتوسطة وعشر مدارس ثانوية وست كليات إسلامية ضمن جامعة إسلامية، وتحاول الحكومة جاهدة أن تضم هذه المؤسسات التعليمية إليها، وهي تدار بجهود ذاتية. ومن المؤسسات التعليمية: معهد مندناو العربي الإسلامي وتتبعه ٣١٦ مدرسة ومعهد ماداواي الإسلامي وتتبعه ٥٢ مدرسة وكلية فكاسم في مدينة مداراوي ويتبعها العديد من المعاهد وتقدم تعليماً باللغة العربية، ويضاف إليها جامعة الفلبين الإسلامية وكانت تسمى معهد كامل الإسلام، ولها فروع في عدة مدن.

وبالفلبين مركز الملك فيصل للدراسات العربية والإسلامية، ويوجد ضمن جامعة مندناو، وهناك المدرسة التجريبية لتعليم اللغة العربية التي تتبع مركز الملك فيصل[١].

وعندما زار الدكتور عبد الله نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي جنوب الفلبين وزار معهد أمين الشريف استقبله عدد من المسئولين بينهم السلطان اسماعيل لاود مؤسس المعهد الذي يضم ٧٠ طالبا وطالبة من المسلمين واستقبله المسلمون استقبالاً حافلاً، وزار معهد مندناو العربي وحضر مجلس القرآن الكريم والحديث النبوي بقاعة المحاضرات بالجامعة، وأعاد افتتاح مسجد باب الرحمن الذي بني في الفلبين قبل اربعمائة سنة، ووجد في مدينة دراكا أربعة عشر مدرسة إسلامية و٢٥ مسجداً وعددها ٣٠ ألف نسمة كلهم مسلمون[٢].

ويقدر عدد المساجد بالفلبين بحوالي ٢٥٠٠ مسجد[٣]. وهذا دليل على استمرار شعلة الإيمان متوهجة في تلك البلدان المجاهدة.

---

(١) انظر ـ نشرة معهد الاقليات المسلمة. ربيع الأول سنة ١٤٠٠هـ. ومحمد عبد القادر أحمد ـ المسلمون في الفلبين ـ ص١٩٧.

(٢) أخبار العالم الإسلامي الاثنين ٢٥ رجب ١٤٠٥هـ/ ١٥/٤/١٩٨٥م العدد ٩٢١.

(٣) محمد عبد القادر عودة ـ المسلمون في الفلبين ـ ص١٩٧.

وقد أعلن الدكتور يوسف علاء الدين لقمان رئيس منظمة تحرير جزر (مين سوفالا) الإسلامية في جنوب الفلبين بأن جزر (مندناو وصولو وباسيلان وتا ويتاوى وبالاوان) جزر إسلامية دينها الإسلام وحزبها حزب الله، ومذهبها هو مذهب أهل السنة والجماعة وليس للحكومة الفلبينية حق التدخل في شئونها. وأضاف إن هذه الجزر التي تتبع المنظمة جزء لا يتجزأ من الوطن الإسلامي الكبير، كما أن شعبها المسلم جزء من الأمة الإسلامية. كما أعلنت المنظمة عن استعدادها للتعاون مع رابطة العالم الإسلامي والجامع الأزهر ومنظمة المؤتمر الإسلامي. وانها تؤيد الجهاد الذي دعا إليه الملك فهد بن عبد العزيز[١].

هذا وقد سقط ماركوس وغادر البلاد إلى أمريكا، ووصلت كورازون أكينو المعارضة لسياسة ماركوس إلى الحكم، ولم يتغير وضع المسلمين رغم الوعود التي أطلقتها لهم، بل استمرت في اسلوب ماركوس المراوغ، وسياسة فرق تسد بإيجاد الصدع بين جبهة تحرير مورو الإسلامية بزعامة سلامات هاشم، وجبهة تحرير مورو الوطنية بزعامة نورميسواري. ولا تزال منظمة المؤتمر الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي تبذلان جهدهما للإبقاء على وحدة الصف والتنسيق بين الجبهتين في اجتماعات مستمرة في جدة بالمملكة العربية السعودية، حيث بدأت بوادر الشرخ بين الجبهتين تظهر بحدة[٢].

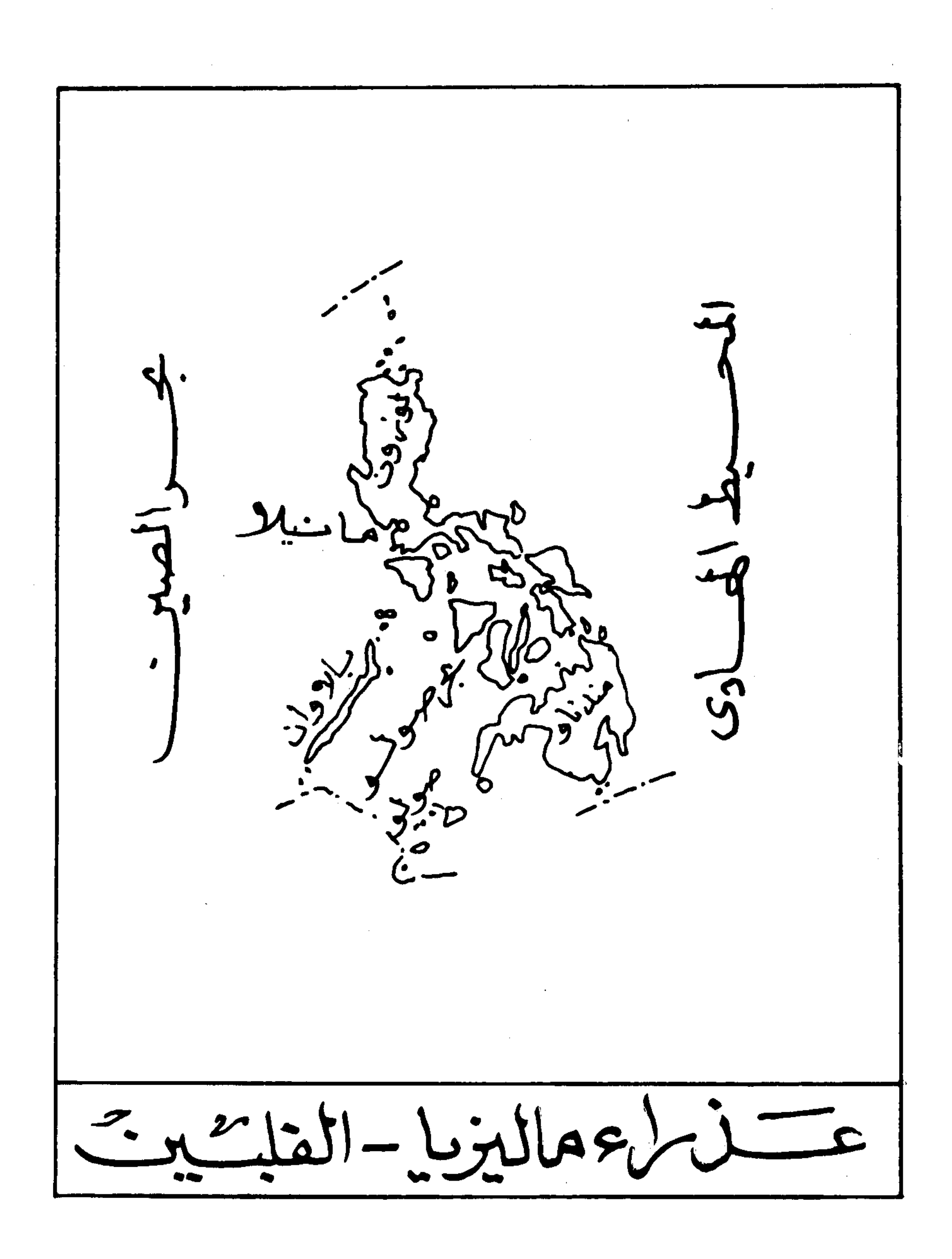
وتمت مباحثات بإشراف أمين عام رابطة العالم الإسلامي بين وفد جبهة تحرير مورو الإسلامية ووفد حكومة الفلبين في ٢٠/٩/١٩٨٦م في مقر الرابطة بجدة. واتفق على بدء الحوار مع اكينو في الفلبين(٣). تحت إشراف الرابطة والله غالب على أمره.

---

(١) المسلمون – العدد ٤٦ ص ٤ /٩ ربيع الآخر ١٤٠٦هـ/ ٢١ ديسمبر ١٩٨٥م.

(٢) نشرة جبهة تحرير مورو الإسلامية ٢٥ ذي الحجة ١٤٠٦هـ/ ٣٠/٨/١٩٨٦م.

(٣) Saudi Gazette Monday September 22. 1986.



جـزر ماليزيا - الفلبين

الفصـــل الثالث

المسلمون في شبه جزيرة الهند الصينية
وقضيـــة فطـــاني

الهنـد الصينيـة شبـه جزيـرة كبـيرة تقـع بين الصين والهند وتضم الأقطار التالية في جنوب شرق آسيا(١):

١ ــ بورمـــا ومساحتها ٦٧٨،٠٣٣ كم٢.
٢ ــ تايـــلانـــد ومساحتها ٥١٤،٠٠٠ كم٢.
٣ ــ كمبوتشيـا ومساحتها ١٨١،٠٣٥ كم٢.
٤ ــ فيتنام الشمالية ومساحتها ١٥٨،٧٥٠ كم٢.
٥ ــ فيتنام الجنوبية ومساحتها ١٧٠،٩٠٦ كم٢.
٦ ــ الملايـــو ومساحتها ٣٣٢،٦٣٣ كم٢ (٢).
٧ ــ لاوس ومساحتها ٢٣٦،٨٠٠ كم٢.

فتكون مساحة شبه الجزيرة جميعها: أكثر من مليونين كم٢.

وهي موسميـة المـلامح في مناخها وتتساقط أمطارها في معظم شهور السنة وخـاصـة في فصـل الصيف(٣) ويعمـل أهلهـا بالـزراعـة وخاصة: الأرز الغذاء الـرئيسى للسكـان، والـذرة والمطاط والقطن والتوابل، وبالصيد البحري وتربية الحيوانات وقطع الأخشاب لانتشار الغابات(٤).

والهنـد الصينيـة أصعب البلاد مواصلات، لارتفاع جبالها وقحولة بعض أراضيها، ووجود الغابات الكثيفة(٥).

---

(١) عن الأطلس العربي العام ص ٢.
(٢) هذه المساحة تشمل الملايو وبقية أجزاء اتحاد ماليزيا.
(٣) حسن أبو العينين ـ آسيا الموسمية ص ٣١٨.
(٤) نفسه ص ٣١٩.
(٥) حسين مؤنس ـ الإسلام الفاتح ـ ص ٣٢.

وسكـان هذه الأقـاليم صينيـون وسيـاميون عدا شبه جزيرة الملايو بما فيها ملقـا التي يسكنهـا شعب يختلف كل الاختـلاف عن الصينيـين والسيـاميين وهو شعب المـلايـو[1]. والمـلايـو من الأقطـار الإسلامية تمثل القاعدة الرئيسية لمملكة ماليزيا الغنية بانتاج المطاط والتوابل والأخشاب الغالية، وفيها اليوم أكبر مناجم القصـديـر في الـدنيـا، والبـترول. ولغتهم المـالاويـة تكتب بالحروف العربية، وتتمسـك بدينهـا الحنيف، ويـرأس حكـومتها ملك منتخب هو رمز وحدة البلاد وإسـلامهـا، وضمت إليهـا عند إنشاء ماليزيا: سلطنتا صباح وبروناي في شمال شبـه جزيـرة بورنيـو، وكلهـا سلطنـات إسلامية، وسنغافورة التي انفصلت عنها وكوّنت لنفسها جمهورية قائمة بنفسها[2].

دخول الإسـلام إلى الهنـد الصينيـة :

بالنسبـة للمـلايو: فقد عرف المسلمون ملقا من زمن بعيد وأطلقوا عليها اسم بلاد كله، أو كله بار، ولفـظ بار الـذي يكثـر استعماله في المحيط الهندي هو لفـظ «بـر» العـربي محرفـا[3]، وكانت الملايو تحوى ممالك وإمارات كثيرة أشهرها ملقـا وتقـع في الشـمال وتمتـد من السـاحـل إلى الساحل، وقد هاجر إليها الهنود التـاميـل الـذين أسلمـوا من زمن بعيـد فكانوا أول من حمل الإسلام إليها[4] مع التجار والدعاة من الهند وشبه جزيرة العرب الذين سكنوا ملقا نفسها واستجاب لهم الناس بالإسلام، ومن الدعاة سيدي عبد العزيز التاجر والداعية العربى من أهـل جدة الـذي وفـد إلى ملقا في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي وأقنع ملكها بالـدخـول في الإسـلام، وأقبـل الملك على العـربيـة يتعلمها ويشاركه في ذلك زوجتـه وأولاده الثـلاثـة الـذين سماهم: راجا معظم شاه وراجا محمد شاه وراجا سليـمان شاه[5]. فكـانت تلك الخطـوة هي الحـاسمة التي جعلت من الملايو دار

(١) نفسه ص ٣١ .
(٢) حسين مؤنس ص ٥٧ .
(٣) نفسه ص ٥٤ .
(٤) نفسه ص ٥٥ .
(٥) نفسه ص ٥٥ .

إسلام لأن معظم إمارات شبه الجزيرة تبعت ملقا في دخول الدين الحنيف حتى عم بلاد الملايو كلها.

وهناك داعية آخر يسمى عبد الله وهو عربى قدم إلى إمارة قويدة وتقع في شمال شبه الجزيرة اقنع ملكها حوالى ٩٠٧هـ ١٥٠١م - الراجا - بالدخول في الإسلام فأسلم، وبنى المساجد، وجعل في كل مسجد أربعين من أحسن القومة والدعاة، وحثهم على العمل على توسيع رقعة الإسلام في البلاد حتى عمّها، وطلب من سلطان آتشيه في شمال سومطرة الكتب عن الإسلام فأجيب إلى طلبه. ولم يزد احتلال البرتغاليين لملقا إلّا تمسكا بالإسلام(١).

أما برمانيا (بورما): فهي البلاد المجاورة للبنغال، فبعد أن انتشر الإسلام في البنغال انتقل بالتجارة والدعاة إلى ما يليها شرقاً وخاصة زمن الدولة الخلجيّة، وأصبح إقليم أراكان اسلاميا، ومن أرض الإسلام، ومنه امتد الإسلام إلى برمانيا وكان مملكة قائمة بذاتها.

وبرمانيا هذه بلاد أنهار كبيرة أهمها الايراوادي والميكونج، وهي بلاد أحراش وغابات كثيفة، أنشأ فيها التجار ومعهم الدعاة مراكز العمران والمساجد وسط الأحراش على ضفاف النهرين. وقد كسب الإسلام كثيراً من السكان رغم التحدي البوذي العنيف، ونشأت جماعات قوية من المسلمين في المدن والقرى ولكنها لم تصل درجة ملقا، ومن أشهر الدعاة في برمانيا الداعية المشهور «سيد يوسف الدين» الذي غادر وطنه بغداد إلى بلاد السند لنشر الإسلام، ثم انتقل إلى البنغال، وواصل الدعوة والنجاح، ثم دخل مع قوافل التجار إلى برمانيا وسيام، وأنشأ عددا من المساجد، ويعتبر إلى هذا اليوم أشهر شخصية إسلامية في الهند الصينية(٢).

كان القرن التاسع عشر الهجري أزهى عصور انتشار الإسلام في أراكان ففي سنة ٨٣٥هـ اعتلى عرش أراكان زايواك شاه واهتم بالإسلام، فازدهرت

---

(١) نفسه ص ٥٦.

(٢) حسين مؤنس - الإسلام الفاتح - ص ٣٧.

الـدعـوة الإسـلامية في بورمـا، وتعـاقب على عرش أراكـان العديد من الملوك المسلمـين وتأسست مدينـة استانا بدر الدين وتسمى بدار بدر على ساحل خليج البنغـال، واستمـر ازدهـار الإسـلام إلى أن جاء الغـزو الـبر يطـاني لبـورما سنة ١٣٠٣هـ وضمهـا للهنـد ثم فصلهـا سنـة ١٣٠٦هـ. ثم استقلت بعـد الحرب العـالميـة الثـانية وأصبحت منطقة أراكان بأغلبيتها المسلمة ضمن بورما، يخضع المسلمـون فيهـا للسلطـة الـوثنية التي تحكم البلاد، وهنا بدأت مرحلة شاقة من اضهاد المسلمين ببورما[1] وخاصة بعد قيام الحكم الشيوعي عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

فقد عمد الشيوعيون إلى إحراق المساجد ومنع الآذان للصلاة، وبطشوا بالمسلمين وعذبوهم أينما وجدوا، وادّعوا أن المسلمين الذين يبلغون حوالى (٥) ملايـين نسمـة من جماعـات الـرهنجين أنهم ليسوا من مواطنى بورما، للتخلص منهم، فطبقت بورمـا عليهم قوانـين الهجرة وتم تسجيلهم كأجانب حتى تضفي السلطات على إبادتهم صفة قانونية، فكثرت حوادث الطرد والقتل الجماعي، في عمليـة أسمتهـا السلطـات البـورمية ـ عملية التنين ـ، فزاد عدد المهاجرين إلى بنجـلاديش على نصف مليـون لاجىء[2]. وقـد أشـارت الصحف العالمية إلى الحـالات السيئـة التي وصـل إليهـا الـلاجئـون المسلمـون من بورمـا وتـوجهت بنغـلاديش بنـداء إلى هيئـة الأمم المتحـدة للتـدخـل للمساعدة في حل مشكلة الـلاجئـين من مسلمي بورمـا، فتـدخلت رابطـة العـالم الإسـلامي وعـدد من الحكومات العربية، فخففت بورما من حملتها على المسلمين مؤقتاً، ووقّعت مع بنجلاديش اتفاقية دكا سنة ١٣٩٨هـ من أجل عودة اللاجئين من مسلمي بورما إلى أوطانهم فى أراكان[3].

---

(١) نشرة معهد الأقليات المسلمة جمادى الآخر سنة ١٣٩٨هـ.

(٢) البـلاغ العـدد ٧٧٢، ١ ربيـع الآخـر سنة ١٤٠٥هـ/ ٢٣ ديسمبر ١٩٨٤م، المسلمون العدد ٤٤/ ٢٥ ربيع الأول ١٤٠٦هـ/ ٧ ديسمبر ١٩٨٥م. وأنظر حول مآسي المسلمين في بورما الاشتراكية مؤلفه ولاية حسين بن الشيخ عبد الخالق البرماوي طبع كراتشي ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٣) نشرة شئون الأقليات المسلمة جمادى الأولى سنة ١٤٠٠هـ/ وربيع الآخر سنة ١٣٩٩هـ، وجريدة الندوة ٢٢ ربيع الأول سنة ١٤٠١هـ.

إلا أنهـا عادت من جديـد لممارسة الارهاب والتعذيب، فأغلقت المدارس الاسـلاميـة وصادرت المجلات والصحف الخاصة بالمسلمين، وتمّ تأميم أوقاف المسلمـين، وحجـزت جوازات سفر أبناء المسلمين ولم يسمح لهم بالسفر إلاّ بإذن من السلطـات البـورمية وبعد توضيح أسباب السفر، ورفض تعيين المسلمين في الوظائف القيادية، وهدمت وأغلقت المساجد في قرى كوين وساندونيه[1].

ولقد طالبت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي في مذكرتها لمؤتمر القمة الإسـلامي الثـالث بالبحث عن حل سلمي لمشكلة الـرهنجيين، وظهرت جبهة تحريـر مسلمـة هي جبهـة روهنجـة التي تطـالـب بالحكم الذاتي في شمال أراكان ضمن دولة بورما»[2].

وفي فيـات نام بقسميهـا: وصـل الإسلام عن طريق الزحف البطىء من تايلنـد، وعن طريق التجـار والدعاة من نواحى الهند وإيران وشبه جزيرة العرب الـذين قدمـوا واستقـروا في مدن السـاحـل، فنشـروا الإسلام خاصة بين جنس التجـام أو التشـام، وهم أنـاميون في الأصل، سكنوا السواحل والطرف القصي الجنوبي من شبه جزيرة الهند الصينية الذي يسمى يُتنكن ثم الأراضى المتصلة بملقـا[3] وقـد انتشـرت المسـاجد في بلادهم وأنشأوا دولة التجام الكبيرة وعرفت باسم دولـة الشـامبـا على الشـاطىء الشـرقي للهند الصينية أي في إقليم انام، ولكنها كانت قصيرة العمر[4] لأن البوذيين ناصبوهم العداء.

ويعـاني المسلمـون حاليـاً في فيات نام بقسميها ما يعانيه المسلمون في بقية أقطـار شبـه جزيـرة الهنـد الصينيـة. ولازالت بقـايا المسلمين الأناميين تعيش في أعـداد صغـيرة ويعيشـون في مجموعات متماسكة قوية ناجحة ومرهوبة الجانب، وهم على الجملة أنجـح أهـل الهنـد الصينيـة في التجارة وشئون المال، ومهرة في

---

(١) المسلمون العدد ٤٤/ ٢٥ ربيع الأول سنة ١٤٠٦هـ/ البلاغ العدد ٧٧٢ ١ ربيع الآخر ١٤٠٥هـ.
(٢) المسلمون العدد ٤٤، البلاغ العدد ٧٧٢.
(٣) حسين مؤنس ص ٣٢.
(٤) نفسه ص ٣٣.

شئون الزراعة وصيد السمك ومعظمهم من أهل السنة والقليل من الشيعة، وكثير منهم يحملون لقب الحاج ومساجدهم كثيرة وصغيرة، وهي تبنى في الغالب من الخشب على نشز من الأرض وتفرش بالحصر، وتستعمل لتعليم الصغار وتحفيظهم القرآن الكريم[1].

أما كمبوتشيا (كمبوديا) :

فهي الأراضي التي تحدها فيتنام من الشمال الشرقي والشرق والجنوب الشرقي، ولاوس من الشمال، وتايلاند من الشمال الغربي والغرب وتطل على خليج سيام من الجنوب الغربي، وسكانها يتكوّنون من جماعات تشام والخمير، وغالبية التشام يعتنقون الإسلام، غير أن الخمير فرضت لغتها وحضارتها على المنطقة. وقد زحف إليها الاسلام من تايلاند، كما وصلها من السواحل عن طريق التجار والدعاة فتكونت مملكة التشام الاسلامية (السابقة الذكر) القصيرة العمر. وقد عاش المسلمون في أمن وسكينة في كمبوتشيا قبل الاستعمار الفرنسي وعند رحيله عام **١٣٧٣**هـ، وبعد ذلك، إلى أن تعرضت البلاد لمصير مؤلم تحت ضغط النظام الشيوعي (الهومير) الخمير الحمر الذين توصلوا إلى الحكم عام **١٣٩٥**هـ، فبدأوا عملية استئصال الأقلية المسلمة، فأخذ المسلمون يفرّون بدينهم إلى ماليزيا وتايلاند، وتناقص عددهم من (٧٠٠) ألف سنة **١٣٩٥**هـ إلى (٢٠٠) ألفا فقط عام **١٣٩٨**هـ[2].

فقد قامت الحكومة الشيوعية سنة **١٣٩٦**هـ بشن الهجمات على الجماعات المسلمة وقتلت قادتهم كشيخ الإسلام في كمبوتشيا ـ عبد الله إدريس ـ وطردوا المسلمين من قراهم، فاضطرهم ذلك إلى الهجرة أو اللجوء إلى مناطق العزلة، وهدموا المساجد، ومنعوا المسلمين من استخدام لغتهم، وحرقوا كتب التراث الإسلامي، ومنعت السلطات الشباب المسلم ممن تزيد أعمارهم عن خمسة عشر عاما من الإقامة مع والديهم وأجبروا على الإقامة في معسكرات الشباب الوثنية حتى يضعفوا إيمانهم بالدين[3].

---

(١) نفسه ص ٣٦ .

(٢) نشرة الأقليات المسلمة جمادى الآخرة سنة ١٣٩٨هـ.

(٣) نشرة الاقليات المسلمة ربيع الأول ١٣٩٨هـ، وجمادى الآخرة سنة ١٣٩٩هـ.

هذا ويعيش المسلمون في بورما وتايلاند وكمبوديا ولاوس وفيتنام بقسميها في محنة ومعاناة واضهاد ومطاردة. وتلك مشكلة كبيرة من مشاكل المسلمين المعاصرة. وسنتحدث بنوع من التفصيل عن:

مشكلة فطاني ـ القطر الإسلامي ـ في ظل الحكومة البوذية ـ تايلاند:ـ

فتايلاند «سيام» هي إحدى دول جنوب شرق آسيا في شبه جزيرة الهند الصينية تبلغ مساحتها ٥١٤,٠٠٠كم٢. واشتق اسمها من اسم الجماعات البشرية التي تسكنها، ويسمون بالثاي أو التاي وهم يطلقون على أرضهم اسم: «موانج تاي» أي أرض الأحرار، وكانت تعرف باسم سيام، وتغير الاسم سنة ١٣٠٠هـ إلى تاى، وأصبحت تعرف بمملكة تايلاند[١]. سنة ١٩٠٢م وعاصمتها بانكوك. وعدد سكانها سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ٤٧,١٧٣,٠٠٠ نسمة[٢]، يدين معظمهم بالبوذية ويكوّن المسلمون ربع السكان في حين تقدرهم بعض المصادر الغربية بأقل من مليونين وهذا الرقم يخالف الاحصاءات الرسمية على الرغم من أنها تقلل من عددهم هي الأخرى، ويتجمعون في منطقتين رئيسيتين: فطاني وحول بانكوك. ويعود معظمهم في كلا المنطقتين في أصولهم إلى فطاني فقد نقلوا إلى بانكوك وما حولها قسراً من فطاني أو أسروا خلال الحروب الطويلة التي نشبت بين فطاني وحكومة تايلاند. وكان نقلهم محاولة من أجل تفتيت قوة المسلمين وإذابة المنقولين منهم في المجتمع البوذي.

ومناخ تايلاند موسمي مداري غني بأمطاره التي تتساقط في معظم شهور السنة وتزداد غزارتها في الصيف غير أن القسم الأوسط منها شحيح الأمطار[٣]. وهي ثالثة دول العالم في انتاج المطاط بعد أندونيسيا وماليزيا.

وكان الإسلام قد أثر تأثيراً كبيراً بين أهالي سيام من البوذيين ودخله بعضهم وأطلق عليهم اسم: السمسم، وقد حمله الدعاة والتجار من العرب والفرس والتامول الهنود. ولكن يعزى أهم توسع للإسلام في تايلاند إلى

---

(١) حسن أبو العينين ـ آسيا الموسمية ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

(٢) The Europa year book Vol.2 P. 1544

(٣) آسيا الموسمية ص ٣١٠.

هجرات أهل الملايو التي بدأت في نهاية القرن الرابع عشر الميلادى[1] فوصلها الإسلام عن طريق فطاني، وعن طريق منطقة يونان في الصين لاسيما في عهد الامبراطور المغولي قبلاي خان.

وللمسلمين بتايلاند مجلس إسلامي وشيدوا العديد من المساجد فيوجد فيها ما بين ١٨٠٠ إلى ٢٠٠٠ مسجد ومصلى، منها ١٣٤ مسجداً في بانكوك وحدها ولقد بنت الحكومة مسجدا مركزيا في فطاني سنة ١٣٨٤هـ، وآخر في بانكوك وهناك مخطط لبناء مثل هذا المسجد في الولايات الأخرى ترضية للمسلمين، وقد عطّل هذا المخطط. وتنخفض نسبة التعليم الإسلامي لأبناء المسلمين في تايلاند فتصل في الشمال إلى ٥٠٪ للبنات و٦٠٪ للذكور، وشيدت كلية إسلامية في وسط البلاد[2]. واجمالاً يعاني المسلمون النقص في التعليم والإقليم الإسلامي الذي يتعرض للضغط البوذي هناك هو:

فطاني:

وهي المنطقة الواقعة في جنوب تايلند مجاورة ماليزيا، وهي جزء من شبه جزيرة الملايو، اقتطعته تايلند وضمته إليها، وهي منطقة موسمية زراعية وتستفيد من ثروتها الغابية والبحرية. يبلغ عدد سكانها أكثر من ثلاثة ملايين نسمة، وتزيد نسبة المسلمين على ٨٠٪ يتحدثون اللغة المالاوية ويكتبونها بحروف عربية.

بدأ الإسلام بدخوله إليها في القرن الثالث الهجري على يد التجار المسلمين عندما كان المسلمون سادة البحار، وأخذ الدعاة يصلونها مع التجار من ماليزيا وسومطرة وشبه جزيرة العرب لاسيما الحضارمة، وأسس المسلمون الموانىء على سواحل فطاني ففشا الاسلام بين سكانها حوالى القرن الخامس الهجري، وازداد انتشاراً عن طريق ملقا في القرن التاسع الهجري حيث أصبحت جزءاً من ديار الاسلام، تكونت فيها الإمارات والسلطنات الاسلامية بعد أن أسلم ملكها اندراسراي. وتقدمت في جميع نواحي الحياة. وبلغت أوجها

(١) أرنولد ـ الدعوة إلى الإسلام ـ ص ٤١٥.

(٢) نشرة معهد شئون الاقليات المسلمة ربيع الأول سنة ١٤٠٠هـ.

في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين حيث ظهر فيها كثير من العلماء، وأصبحت مركزاً ثقافياً إسلامياً هاماً في جنوب شرق آسيا، وضمت المناطق الواقعة في جنوب تايلاند وهي : ناكهن، ثامرات، وبكتالانج، وسونكلا وكرابي، وكان لها علاقات تجارية مع كثير من الدول الأوربية - (البرتغال - هولنده وانجلترا) واليابان، وقد سمح لهؤلاء جميعاً بإقامة مراكز تجارية في العاصمة فطاني.

التحدي البوذي لفطاني :

أصاب فطاني ما أصاب العالم الإسلامى من ضعف وتمزق، فطمعت فيها تايلند البوذية، فحاولت احتلالها عام ٩١٧هـ، واضطرتها فطاني على الانسحاب، ثم حاولت عام ١١١٢هـ/ ١٧٠٠م مرة أخرى فاحتلت المناطق الملاوية شمال الولايات الفطانية الحالية وحتى ممركرا وهي ناكهين، ثامرات، وبكتالانج، وسونكلا، واستمر الزحف التايلندي بطيئا، فاحتلت فطاني نفسها عام ١٢٠١هـ[١].

وسرعان ما اشتعلت ثورات المسلمين قوية عام ١٢٠٢هـ بقيادة الأمير تنكوعلم الدين الذي أعلن استقلال فطاني وتواصلت المعارك، فقام ملك تايلند بتعيين داتو فنكلان وزير بحرية فطاني سابقا حاكما على الاقليم ولكنه أعلن استقلال فطاني أيضاً عام ١٢٢٣هـ[٢]. واستمر النزاع ففي عام ١٢٤٧هـ قامت ثورة قوية وعنيفة في فطاني ولكنها فشلت أمام هجمات القوات التايلندية، ونكلت هذه القوات بالفطانيين، فهدمت ديارهم وضربت البلاد، وقتلت العديد من المسلمين ونقلت ١٤٠ ألف من الأسرى إلى العاصمة بانكوك، وزجوا بهم في السجون ووزعوا على الأراضى الحكومية ليعملوا فيها بالسخرة[٣]، وبقصد إذابتهم في المجتمع البوذي مع الزمن وقسموا فطاني إلى ولايات صغيرة ووضعوا بجانب كل أمير فطاني مستشاراً تايلندياً ليكون رقيباً عليه[٤] وهذا ما يدعى بسياسة فرق تسد.

---

(١) محمود شاكر - فطاني - ص ٣٨.
(٢) المسلمون - العدد ٣٧ السبت ٥ صفر ١٤٠٦هـ/ ١٩ أكتوبر ١٩٨٥م.
(٣) نفسه ص ٢.
(٤) نفسه.

وفي عام ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م طمعت تايلند أكثر مستغلة الهجمة الصليبية الشرسة على بلاد الأسلام فقضت نهائياً على سلطنة فطاني وأبعدت آخر سلاطينها المسلمين تنكو عبد القادر قمر الدين، وعيّنت حاكماً بوذياً عليها[١] وأصبحت تمارس سياسة الدمج وتدّعى أنها من بلادها، وتمركزت قوات تايلندية في المناطق الإسلامية[٢] وعمّت الفوضى الإقليم، وتعاون الانجليز الذين كانوا في الملايو مع السلطات التايلندية على اخماد ثورات المسلمين وسدّ الطرق في وجوههم في الوقت الذي كانت بريطانيا تعدهم فيه بالتخلص من الحكم التايلندي. وسمحت علناً ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م بابتلاع فطاني في سياسة منها لتفتيت المسلمين وإحلال النكبات بمسلمي فطاني بأيد غير نصرانية[٢]. وأعلنت تايلند عن دمج فطاني بتايلند.

وفي عام ١٣٥١هـ تغير نظام الحكم التايلندي إلى ملكي دستوري، وتقدم الفطانيون بمطالبهم للسلطات الجديدة ومنها تعيين حاكم واحد على المقاطعات الأربع في فطاني[٣] يكون من أهل البلاد، وأن يعين ٨٠٪ من موظفي الحكومة من المسلمين، وأن تكون اللغة المالاوية، ويتم الاعتراف بالشريعة الإسلامية، ويتكون مجلس إسلامي له صلاحيات واسعة.

ورفضت حكومة تايلند هذه المطالب فقامت ثورة ١٣٥٢هـ. وعندما اشتعلت الحرب العالمية الثانية احتلت اليابان البلاد، فاستعانت بريطانيا بالأمير محمود محيي الدين زعيم فطاني لطرد اليابانيين، ووعدتهم كعادتها بالاستقلال بعد أن تنتهى الحرب[٤]. ومرة أخرى نكث البر يطانيون بوعودهم ووضعوا موارد فطاني تحت تصرفهم، في حين أعادوها هي إلى البوذيين.

ورفع الحاج محمد سولونج رئيس الهيئة التنفيذية للقضاء الإسلامي بفطاني مطالب الفطانيين إلى هيئة الأمم المتحدة، ولكن قبضت عليه تايلند، وحكمت

---

(١) محمود شاكر ـ فطاني ص ٣٩ .

(٢) محمود شاكر ـ المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ١٣٥ .

(٣) وهي مقاطعة فطاني، سونكلا، جالا، بنفنارا .

(٤) محمود شاكر ـ فطاني ص ٤٥ / المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ١٣٥ .

عليـه السلطـة وعلى زمـلائه بالسجن لمدة ٣ سنوات ثم أفرج عنهم واغتيلوا سرّا ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م، وأغـرقت جثتـه مع أحـد أبنـائـه في بحر الصين الجنوبي ـ لإخفاء الجريمة[١] ـ على شاطىء منطقة سونكلا.

وأخـذت تايلنـد بتنفيـذ ما يسّمى بسيـاسـة الاستيعاب أو الاندماج وهي تهدف إلى تدمير ومحو الشخصية الفطانية المسلمة. فارتفعت نسبة غير المسلمين بفطاني، في حين أبعد كثير من المسلمين في أجزاء تايلند.

أمـام هذه السيـاسـة التـايلنـديـة تكـونت عدة منظمات وأحزاب سياسية لمواصلة الكفـاح عام ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م فألقي القبض على الـزعـماء، وقامت بتهجـير أعـداد كبـيرة أخـرى من البـوذيين إلى فطاني لإذابة الشخصية المسلمة والعمـل كجـواسيس على المسلمـين[٢]، واغتصبت أخصب أراضي المسلمـين وأعطتها لهؤلاء البوذيين، وسيطرت على التعليم ونشرت اللغة السيامية بدلاً من لغـة المـلايـو لغـة أهل فطاني بل وأغلقت الكتاتيب التي يتعلم بها أبناء المسلمين الإسـلام، واشـترطت اللغـة التـايلنـديـة للحصـول على الوظائف الحكومية، وعزلت فطاني من العالم الخارجي ونشرت المعابد البوذية بين أقاليم المسلمين.

ولجأت إلى تحريف آيـات القـرآن الكـريم والحـديث الشريف في الترجمة التـايلندية، وعمدت إلى حرق القرى ونشر الرعب والخوف، واتهمت المسلمين بالشيوعية لتبر ر القبض على من تريد.

وأمـام هذه الظـروف وحّـد المسلمـون جهـودهم فتكـونت منظمـة حركة التحرير الوطني وتضم جناحين: جناح مدني يشمل التنظيم والإعلام حيث قام بإرسـال مذكـرات وتقـاريـر إلى المؤتمرات والمنظمات المؤيدة لحركات الجهاد من أجل تقرير المصير كما قام بتنظيم الشعب الفطاني وتوعيته وجناح عسكرى: على شكـل قوات فدائيـة منظمة ومسلحة وبدأ أعماله منذ سنة ١٣٨٩هـ وحرّر بعض قرى فطاني وأخذ في مهاجمة القوات التايلندية وقامت بعمليات واسعة في أنحاء البلاد.

---

(١) نفسه ص ١٣٥.

(٢) المسلمون العدد ٣٧ ص ٢.

وحضـرت وفـود منظمة حركة التحرير مؤتمرات خارجية الدول الإسلامية وقابلت زعماء الدول الإسلامية وشرحت القضية، وأصبحت هذه القضية إحدى القضـايـا الإسـلاميـة عنـدمـا وافق المؤتمـر السـادس لوزراء الخـارجيـة للدول الإسـلاميـة المنعقـدة بجـدة سنـة ١٣٩٥هـ على ادخـال القضيـة ضمن قضايا الأقليات الإسلامية في برامج المؤتمر وقدم مذكرة شرح فيها القضية.

هذا وقـد تمركـز جيش التحـريـر الفطـاني في جبـال بودرو الشـاهقة وبين الغابات والأدغال المتشابكة. وتتلخص مطالب الفطانيين في:

١ ــ المطالبة بالاحتفاظ بشخصيتهم بإعلان إسلامهم والدعوة له.

٢ ــ النطق والكتابة بلغتهم الملاوية وبالأبجدية العربية.

٣ ــ البقاء على زيهم الإسلامي والمحافظة على ثقافتهم.

٤ ــ حكم بلادهم بأنفسهم.

كما يمكن إجمال السياسة التايلاندية في فطاني فيما يلي[1].

١ ــ عملت الحكـومـة البوذية على تهجير المسلمين وتذويبهم في المجتمع البوذي الوثني.

٢ ــ عملت على محو الطـابـع الإسلامي من البلاد بإرغام المسلمين على اتخاذ الأسماء والألبسة والتقاليد البوذية واستعمال اللغة التاهية (لغة تايلاند).

٣ ــ عملت على توطين البوذيين في المناطق الاسلامية وبنت لهم أكثر من سبعين مستوطنة يسكنها حوالي ١٨٥ ألف بوذي.

٤ ــ بنت القـواعـد العسكـرية في فطاني ولاسيما القرى القريبة من جبال بودرو مركز عمليات المجاهدين المسلمين.

٥ ــ قامت بتصفيـة العلماء والـدعـاة جسـديـاً، كما فعلت بالحـاج محمد سولنـج وابنـه ورفـاقـه عام ١٩٥٤م، واغتالت الداعية الإسلامي الكبير الشيخ عبـد الـرحمن داود ثابت مديـر مدرسـة العلوم الإسـلاميـة بجـالا سنـة ١٩٧٧م واغتـالت عام ١٩٨١م عبـد الكريم جاد فكريان على باب المسجد بفطاني، كما

---

(١) انظر ـ محيي الدين القضماني ـ صفحات من حاضر العالم الإسلامي ـ ص ١٢٦-١٢٧.

اغتالت بعده بأسبوعين الداعية الإسلامي الشيخ محمد لطيف حسن المبعوث من قبل دار الافتاء السعودية[1]، واغتالت الأستاذ انجي حسين سكرتير مجلس الشئون الإسلامية بولاية فطاني وغيرهم، وأصبحت مسألة شبه عادية أن تقوم السلطات التايلندية بإحراق الأحياء الإسلامية والقتل الجماعي، ففي حادث بشع قامت القوات التايلندية بحرق (١٠٠) شاب مسلم في إقليم فطاني بالبنزين، وقتلت العديد من علماء الدين[2]. حتى صرح رئيس البوليس في جنوب تايلاند ذات مرة: «أن حياة المسلم لا تساوى سوى **٢٦** سنتاً فقط»[3]. (أي قيمة الرصاصة).

٦ ـ حاولت ادخال الضلالات والشبهات على تعاليم الإسلام السمحة بنشر التأويلات والتفسيرات الخاطئة في الكتب المقررة في المدارس الحكومية، وفي الترجمة التايلاندية للقرآن الكريم. وقامت بتوزيع تسجيلات دعائية أعدها عملاؤهم من قاديانيين وبهائيين على المساجد والقرى. ومن هذه الضلالات استخدام الآيات القرآنية:

﴿**وأطيعوا الله، وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم**﴾. ففسروا «أولى الأمر منكم» بالحكومة البوذية، فيجب على المسلمين الفطانيين طاعة المسئولين في الحكومة التايلاندية، ومن لم يطع الحكومة يعتبر من العصاة المتمردين الذين يجب حربهم، وهم من المبغوضين عند الله سبحانه وتعالى.

كما تقول النشرات والتسجيلات البوذية: «إن الدين البوذي والدين الإسلامي سواء بسواء لوجود مبادىء وتعاليم مشتركة، وان كلمة الكفار الموجودة في القرآن الكريم لا تنطبق على البوذيين التايلنديين الآن، وإنما الكفار في عهد الرسول ﷺ فقط». ووزعت الحكومة الكتب من تأليفات القاديانيين مثل إبراهيم القرشي القادياني في بانكوك[4].

---

(١) مجلة البلاغ العدد ٦٨٩ ص ٥٤.

(٢) المسلمون العدد ٣٧ ص ٢. جريدة الندوة ٢٢ ربيع الأول سنة ١٤٠١هـ.

(٣) مجلة البلاغ ص ٥٦ العدد ٦٨٩.

(٤) مجلة المجتمع ص ٢٦.

٧ ــ حرمت المسلمين من ثروات بلادهم، كما حرمتهم من المراكز الهامة والوظائف الحكومية وكافة الحقوق التي يتمتع بها المواطنون عادة، وعرّضتهم لألوان الذل والقهر والاستعباد.

٨ ــ حرصت حكومة تايلاند على توثيق صلاتها باليهود، للاستفادة منهم في محاربة المسلمين، فقد زار موشى دايان وزير الدفاع الإسرائيلى السابق تايلاند عام ١٩٧٥م ونظم اتفاقات مع قادة القوات المسلحة هناك لتدريب الجنود البوذيين على حرب العصابات ومواجهة مجاهدي فطاني المسلمين[١].

٩ ــ حاولت إضعاف موقف حركة التحرير الفطانية وعزلها عن المسلمين تمهيداً لضربها.

فقد تم انتخاب ٦ أعضاء من المسلمين للبرلمان، وعيّن ثلاثة أعضاء مسلمين سنة ١٣٩٥هـ، كما شغل مسلم وظيفة نائب وزير. وفي انتخابات سنة ١٣٩٦هـ تم انتخاب (١٤) عضوا من المسلمين منهم (١١) عضوا من جنوب تايلاند (فطاني)، وعين مسلمان في وظيفتي نائب وزير والهدف إيهام المسلمين باستجابة مطالبهم[٢]، فلا داعى لتأييد المجاهدين أو الانضمام إليهم.

هذا وقد امتنع أكثر المسلمين من ارسال أولادهم إلى المدارس الحكومية لفقرهم ثم لأن هذه المدارس يعلم فيها مدرسون وثنيون يدرسون الديانة البوذية مادة إجبارية في المرحلتين الابتدائية والثانوية، كما أن الحكومة تفرض اللغة التاهية التايلاندية مما قلل عدد المسلمين الذين يتابعون دراستهم الجامعية، فأدّى ذلك إلى انتشار الجهل والفقر والمرض بين المسلمين وهي البيئة التي تبيض فيها الشيوعية وتفرّخ، فانخرط بعض أبناء المسلمين في الحزب الاشتراكى الذي يقوده زعماء الشيوعية في تايلاند وماليزيا، أو في الأحزاب العلمانية والقومية، خاصة بعد أن سقطت دول الهند الصينية (فيتنام ولاوس وكمبوديا) في قبضة الشيوعية. ورغم هذه التحديات فقد بقيت شعلة الجهاد متوهجة وأدركت

---

(١) المسلمون العدد ٣٧ ص ٢.

(٢) جريدة الندوة ٢٢ ربيع الأول ١٤٠١هـ.

تايلاند أن جهودها العسكرية لقهر المسلمين قد باءت بالفشل فعينت الجنرال مسابوت كوردفول قائدا عاما للقوات المسلحة التايلاندية عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م وهو واحد من أكثر خبراء مكافحة حرب العصابات في العالم كفاءة وخبرة، ورسمت خطة سميت: خطة تحت المظلة الباردة وهي خطة متكاملة تشتمل على نواحي عسكرية وسياسية وإدارية وثقافية تهدف إلى هزيمة المنظمة المتحدة وجناحها العسكرى نفرا وتصفية القضية الفطانية، وأسند تنفيذ هذه الخطة عام ١٩٨٢م للجنرال هارون لينانوند القائد العسكرى للمنطقة العسكرية الرابعة التي تشمل فطاني. وتستند الخطة إلى أربع نقاط أساسية هي:

١ ـ ضمان الأمن والسلام في منطقة الحدود التايلندية ـ الماليزية.

٢ ـ تكثيف الجهود من أجل نشر اللغة (التاهية) الرسمية بين سكان فطانى المسلمين بتدريس الدين الإسلامي في المدارس الدينية الاسلامية وفي المدارس الابتدائية والاعدادية بالتاهية.

٣ ـ تصفية القوى المقاومة للوجود التايلاندي في فطاني.

٤ ـ الإصلاح الإداري في فطاني وتحسين العلاقة بين الموظفين الحكوميين والمسلمين، وتصفية استغلال المسئولين لوظائفهم.

وفي الوقت نفسه وجهت ما لا يقل عن عشرين ألفاً من الجنود، وآلاف أخرى من القوات المساعدة للقضاء على المجاهدين، متبعة الاسلوب الاستعماري التقليدي المتمثل في أسلوب: «فرق تسد»، فحشدت القوى المرتبطة بها كحركة الكشافة القروية، وأئمة المساجد الذين يتلقون الرواتب من الحكومة، والشخصيات التقليدية الذين يرتبط وجودهم ونفوذهم بوجود الاحتلال.

ولتنفيذ الخطة فقد قدّمت بعض التنازلات الثقافية والإدارية في الوقت الذى تعمل على تشديد قبضتها على البلاد ـ فقد تعهدت بتدريس الدين الإسلامي في المدارس التايلاندية، وهذا يعنى أن قرار تدريس الدين الإسلامي

في المدارس الرسمية سوف يكون حبراً على ورق وذلك لعدم وجود هيئة تدريسية لأن التعليم الدينى في فطاني كان يتم باللغة الملاوية المتداولة في فطاني، والقرار يتطلب التدريس باللغة التاهية التايلاندية.

كما أعلنت تايلاند مشروعاً لتطبيق القوانين الإسلامية في فطاني عام **١٩٨٢**م ويتضمن هذا المشروع:

١ ــ على إدارة الشئون الإسلامية في وزارة العدل التايلاندي المتعاون مع الأئمة المسلمين حول مسائل النكاح والطلاق والتوريث العمل بنصوص القوانين الإسلامية وتطبيقها على المسلمين.

٢ ــ يشترط على الذين يعيّنون لمنصب القضاء الحصول على الشهادة المتوسطة التايلاندية.

٣ ــ تسوية منصب القاضي مع نظيره التايلاندي.

٤ ــ تسري هذه القوانين في منطقة فطاني.

ويعتبر هذا المشروع تطوراً إيجابياً حققه المسلمون بدماء الآلاف من أبنائهم، إلّا أنه يحمل بذور الفشل باشتراطه على القاضى المسلم الحصول على الشهادة التايلاندية المتوسطة، ومن المعلوم أن الدين الإسلامي يتم تعلمه وتعليمه باللغة الملاوية والعربية، ويندر وجود الحاصلين على هذه الشهادة من بين علماء فطاني، ومعنى هذا أن الحكومة ستجد الموالين لها في منصب القاضي المسلم[1].

واستمرت تايلاند في سياستها الرامية إلى إضعاف حركة الجهاد، فأصدرت الحكومة قراراً ببدء حملة لتغيير أسماء المسلمين بأسماء بوذية. فقد قال تاكينج ساج المشرف على تغيير الأسماء: «إن المسئولين الحكوميين في المناطق الاسلامية ملزمون بالقيام بزيارات للمدارس لإقناع كل مسلم بتغيير اسمه، وحث المدرسين في المدارس على إقناع طلابهم من المسلمين بتغيير أسمائهم والتركيز في ذلك على التلاميذ في سن الرابعة إلى الرابعة عشرة».

---

(١) الرائد ـ العدد ٦٥ جمادى الآخرة ١٤٠٣هـ/ نيسان ـ ابريل ـ ١٩٨٢م ص ٣٠-٣٢.

وقد جاءت هذه الحركة بعد موجة من التشويه والتضليل قامت بها السلطات وأعوانها مثل:

ـ تحريف آيات القرآن الكريم والحديث الشريف في الترجمة إلى اللغة التايلاندية.

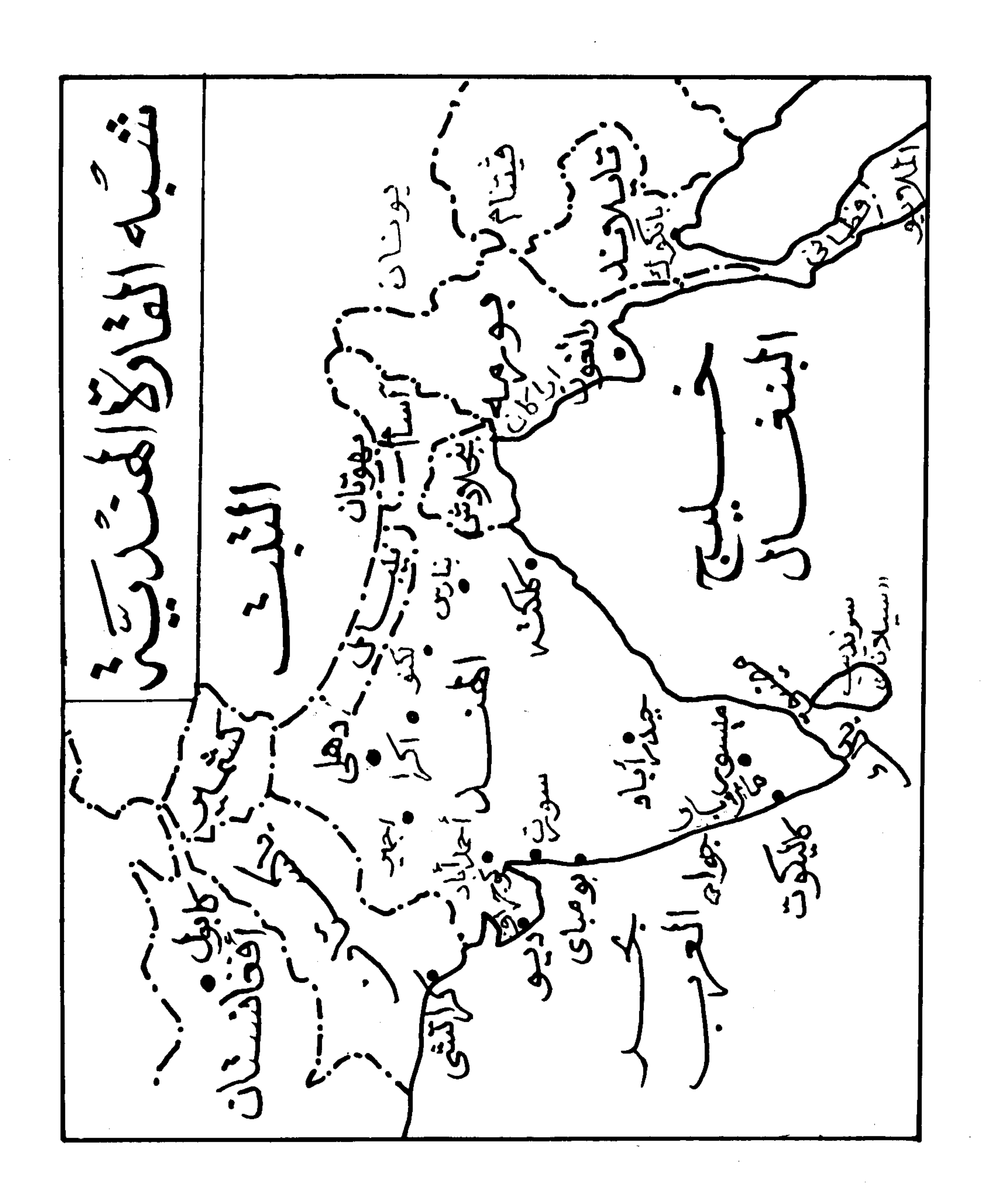
ـ ترويج الاشاعات والاتهامات المضللة التي تدّعي أن الحركات الإسلامية هي حركات شيوعية هدامة. وأن العناصر الثائرة ماهم إلّا قراصنة لا يبغون سوى إشاعة الفوضى في البلاد.

ـ قامت الحكومة بالاستيلاء على الأراضي الخصبة من المسلمين وسلمتها للبوذيين[1].

هذا ولا زال جهاد الفطانيين المسلمين يواجه القوى الباغية..



(١) المسلمون العدد ٣٧ السبت ٥ صفر ١٤٠٦هـ.



شبه القارة الهندية
التبت
أفغانستان
كابول
كشمير
نيبال
بوتان
آسام
بورما
الهند
دلهي
أجرا
لكنو
أحمد أباد
سورت
ديو
بومباي
كراتشي
كلكتا
حيدر أباد
كاليكوت
سيلان
رانجون
أراكان
سيام
الملايو
خليج البنغال
بحر العرب

الفصل الرابع
المسلمون في شبه القارة الهندية
« ومأساة كشمير »

الهند شبه قارة مترامية الأطراف تقترب مساحتها من خمسة ملايين كم٢ موزعة كالتالي[1]:

١ - جمهورية الهند ومساحتها ٣,٢٨٠,٠٠٠ كم٢.

٢ - جمهورية باكستان ومساحتها ٨٠٣,٠٠٠ كم٢.

٣ - جمهورية بنغلادش ومساحتها ١٤٢,٧٧٦ كم٢.

٤ - كشمير وجامو ومساحتها ٢١٧,٩٣٥ كم٢.

٥ - مملكة بهوتان ومساحتها ٤٧,٠٠٠ كم٢.

٦ - مملكة نيبال ومساحتها ١٤٠,٧٩٧ كم٢ [2].

---

(١) سعيد الصباغ - الأطلس العربي العام.

(٢) مملكة نيبال قلما يسمع بها بسبب موقعها المنعزل ووعورة تضاريس أرضها، فهي توجد بين ثنايا جبال الهمالايا الوعرة، تجاورها التبت من الشمال، وتحدها الهند من الشرق والجنوب والغرب، وفيها أعلى قمة جبلية في العالم هي قمة افرست (٨٨٤٨م)، وعاصمتها مدينة كتمندور، وتتميز بالبرودة الشديدة. سكانها أكثر من ١٥ مليون نسمة، ٤٪ مسلمون، ويحتمل أن عدد المسلمين وصل إلى ٧٠٠ ألف.

وصلها الإسلام عن طريق كشمير من الغرب وعن طريق الهند والبنغال من الجنوب بالدعوة والتجارة، وكان أول غزو إسلامي لها في القرن الرابع عشر الميلادي، فقد هاجم السلطان شمس الدين حاكم البنغال وادي كتمندور في وسط نيبال، فزاد ذلك من صلة المسلمين بهذه البلاد وخاصة في عهد الملك المغولي أكبر حيث ارسلت في عهده البعثات الإسلامية، واسهم التجار في نشر الدعوة واستوطنوا مناطق عديدة من البلاد، وأغلب المسلمين في غرب البلاد قرب الهند وبنغلادش، وهناك جالية عربية قديمة. وفي عام ١٤٠٢هـ زار وفد من مسلمي نيبال المملكة العربية السعودية. وردّ الزيارة وفد من الجامعة الإسلامية.

Journal Institute of Muslim, M.affairs Vol 3, 1981. وانظر جريدة الجزيرة ٢٧/٦/١٤٠٢هـ.

٧ ـ جزيرة سيلان ومساحتها ٦١٠, ٦٥ كم٢ [(١)].

وتعيش في الهند أجناس متعددة من البشر، وفيها مختلف ماعرفه الإنسان من فنون وآداب، وما اعتنقه من مختلف العقائد منذ أن انحرف عن التوحيد حتى هداه الله إليه، وفيها الأجواء المتباينة من الصقيع القطبي وثلوجه بالهيمالايا إلى قيظ المناطق الاستوائية، ولكن يهيمن عليها المناخ الموسمي إذ يسقط ٨٠٪ من أمطارها على الأقل في فصل الصيف، كما أنها تحتوي على صنوف الطير والحيوان والنبات والمعدن ما يصلح لأن يكون إجمالاً لما بالعالم كله منها[(٢)].

وأشهر ما تزرعه الهند الأرز والذرة البيضاء والقمح والقطن والجوت وقصب السكر وفستق العبيد والكتان والشاي[(٣)]. وتغطي الغابات حوالي ١٢٪ من مساحة البلاد منها ـ الهيفيا ـ المطاط ـ وجوز الهند (النارجيل)[(٤)]، كما تمتلك أكبر قطيع من الأبقار في العالم، ولكنها أقل قطعان العالم انتاجاً بسبب معتقدات الهنادكة، فهي تعاني الضعف والهزال وسوء الاستغلال[(٥)].

---

(١) جزيرة يفصلها عن الهند مضيق بالك وعرضه نحو ٤٠ كم، وعاصمتها كوالالامبور وعدد سكانها حوالي ١٥ مليون نسمة منهم ١٠٪ مسلمون. وكان العرب قد عرفوها باسم جزيرة سرنديب، ثم عرفت باسم سيلان، ومنذ عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م عرفت باسم سريلانكا نسبة للحزب الحاكم وتعني البلد الجميل. وكانت مركزا تجاريا هاما قصده الباحثون عن الثراء من التجار والمغامرين والرحالة لوجود الحجارة الكريمة كالياقوت والعقيق والزمرد واللؤلؤ، بالإضافة لوجود التوابل.

دخلها الإسلام في القرن الأول الهجري مع التجار والدعاة وأخذ ينتشر فيها سلماً. إلى أن تعرضت للغزو البرتغالي الصليبي سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م الذي أباد قرى إسلامية بأكملها، وخلف الهولنديون البرتغاليين سنة ١٠٦٩هـ/١٦٥٥م فقاموا أيضا بمطاردة المسلمين الأمر الذي دفعهم للجوء إلى المناطق الداخلية في الجزيرة، ولما احتل الانجليز الجزيرة سنة ١٢١١هـ/١٧٩٦م شجعوا البوذيين وبعثات التبشير فزادت التحديات على المسلمين فانعزلوا وانقرض كثير منهم وقل عددهم وأصابهم الفقر والجهل. واستمر الانجليز حتى سنة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م حين استقلت الجزيرة، فانتعش المسلمون وعادت صلاتهم بالمسلمين ولكنهم تعرضوا حاليا لضغط التاميل والتبشير.

والتاميل هم الأقلية التي تلي في عددها المجموعة السنهالية الأغلبية الرئيسية في البلاد، وبدأت ثورتهم للاستقلال بشمال الجزيرة سنة ١٩٨٣م، وتبلغ نسبتهم حوالي ١٩٪ من أهل البلاد، ووقع المسلمون بين شقي الرحا.

البلدان الإسلامية ص ٥٠٢، مجلة العربي العدد ٣٢١، المسلمون العدد ٣٥ ص٢.

(٢) الساداتي ـ تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندو باكستانية وحضارتهم ص ٣.

(٣) د. عبد المنعم الشرقاوي ـ ملامح الهند وباكستان ص ٢٠، حسن أبو العينين ـ آسيا الموسمية.

(٤) وصفه ابن بطوطة بأنه «أغرب الأشجار...» تحفة النظار في غرائب الأمصار ج١ ص١٦٧.

(٥) حسن أبو العينين ـ آسيا الموسمية.

وأقـــدم من سكن الهنـد قوم سود لهم سمات الأجنـاس الحـاميّـة ، قطنـوا الغـابـات ، ثم غزاهـا الـدراوديـون والثمول من الطورانيين أو من العراق ، وهم أقدم من سكن الهند في التاريخ ومنهم أغلب سكان شبه القارة اليوم ، ثم توالت موجات الآريين البيض ، فأخضعوا الدراوديين والثمول في الألف الثانية ق . م[1] .

وقـد خشي الـبراهمة من الآريـين اختلاط قومهم بعناصر الهند الأخرى ، فوضعـوا نظـامـاً طبقيـاً صارماً ، وتطورت فكرة الهندوكية مع الوقت لتصبح فكرة فلسفيـة من أهم مظـاهـرها وجود روح عالمية واحدة تشمل الكون والمخلوقات ، والاعتقـاد في تنـاسـخ الأرواح ونظـام الطبقـات ، وطبقـاً للفكـرة الهنـدوكية فإن المجتمع ينقسم إلى الطبقات التالية[2] :

١ ـ طبقـة رجـال الـدين : الـبراهمة أو الـبرهمن أو الكهـان ـ وهم أعلى الناس درجة .

٢ ـ طبقـة الحكـام والمحاربين : الكشتر يين ـ الذين يشرفون على الأمور الإدارية والعسكرية من النبلاء وعليهم أن يتعلموا ويقدموا القرابين ويحملوا السلاح .

٣ ـ طبقة التجار : (الويش أو الفيشية) وتشمل التجار وعليهم أن يتّجروا ويجمعوا المال وينفقوا منه .

٤ ـ طبقة الزراع والصناع والعمال ـ الشودرا ـ وعليهم خدمة الطوائف السابقة .

وأخـيراً فهنـاك طبقة الباريا وهم المنبوذون وقوامهم بعض القبائل الوطنية وأسرى الحرب ، أو أصحاب المهن الحقيرة فتضم الكناسين والجزارين والجلادين والحدادين ومن إليهم .

---

(١) الساداتي ص ٧، البلدان الإسلامية، عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند.

(٢) انظر إحسان حقي ـ مأساة كشمير المسلمة ص٣١ـ٣٥، عبد المنعم النمر ص٢٨، أحمد شلبي ـ مقارنة الأديان ج٤ ص٥٧ الساداتي ص٨.

وقـد جاء في الفقـرة (٣١) من البـاب الأول من منـوسمـرتي (أهم كتب الهنـادكـة المقـدسـة) قولـة : «ولسعـادة العـالم خلق براهما الـبراهمة من وجهه، والكشتر يين من ذراعيه، والويش من فخذيه، والشودرا من قدميه»[١]. فرسمت الهندوكية لكل طائفة من الطوائف حدوداً لا تتعداها، وأطلقت في الوقت نفسه أيدي البراهمة من كل قيد، وجعلت لهم زعامة الناس جميعاً، وهذا يذكرنا بفكرة اليهود في قولهم : «نحن أبناء الله واحباؤه» .

وقـد ناوأ البـوذيـون البراهمة، فعمل البراهمة على تقويض صرح البوذية وأفلحوا في دحرها فانتقلت إلى بورما والصين والتبت واليابان[٢].

كما ظهـرت الـديـانـة الجينيّة كثـورة على النظـام الطبقي داعية إلى قهر النفس، فالحيـاة لعنـة على زعمهم وعلى المـرء أن يتخلص منهـا بنعمة الانتحار البطيء جوعـاً[٣]. وأخـيراً جاء الإسـلام لينقـذ ملايـين الهنود من الظلمات إلى النور، ويخفف من غلواء الهندوكية !

وفي الهند حوالي ٢٥٥ لغة مشتقة من أربع مجموعات كبرى، ويتفرع عنها أكثـر من ثلاثـمائـة لهجـة، وأشهرها السنسكريتية والأوردية التي تكتب بالحروف العـربيـة وألفـاظهـا مزيج من العربية والسنسكريتية والفارسية والتركية، واللغة التاميليّه، والبنغالية[٤].

طرق وصول الإسلام إلى الهند :

وصل الإسلام إلى شبه القارة الهندية بالطرق التالية :

أولاً : طريق الفتح والجهـاد :

ففي عهـد عمـر بن الخطـاب رضي الله عنـه وصل المسلمون إلى ساحل الهنـد الغـربي تانـه (بـومبي) وبهـروج عام ١٥هـ[٥]. وبـدأ فتح السند في عهد

---

(١) د. عادل حسن غنيم وزميله ـ تاريخ الهند الحديث ص١١٦.

(٢) إحسان حقي ـ مأساة كشمير ص٣٥، حقي ـ باكستان بين ماضيها وحاضرها ص١١٦.

(٣) تاريخ الإسلام في الهند ص٤٩ وص٥٠.

(٤) حسن أبو العينين ـ آسيا الموسمية ص١٧٤.

(٥) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٦٠٧، مسعود الندوي ـ الدعوة الإسلامية في الهند ص٣.

عثمان بن عفان رضي الله عنه[1]، وتم في عهد الوليد بن عبد الملك (٨٥-٩٦هـ) بأن عهد الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق إلى الشاب محمد بن القاسم الثقفي فتح السند، فقام بفتحها سنة ٩٣هـ. وعمر المساجد في مدنها للعمل على نشر الإسلام، فبنى في الديبل (كراتشي) مسجداً جامعاً كان أول مسجد بني في هذه المنطقة، ومصّرها وأنزلها أربعة آلاف من الجند المسلمين، وأقام في الملتان مسجداً جامعاً ومصّرها أيضاً وأسلم خلق كثير، وقد أحبّ أهل السند محمد بن القاسم لرفعه راية العدل الإسلامي[2]، ففتح قلوبهم للإسلام وهيأهم له. ففي خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) كتب إلى ملوك السند دعاهم إلى الإسلام وقد بلغتهم سيرته وعدله فدخلوا دين الله أفواجاً[3] وأصبحت السند معقل الإسلام في شبه القارة الهندية وقاعدته ونقطة انطلاقه. وقد مصّر عمرو بن مسلم الباهلي مدينة المحفوظة ومدينة المنصورة في السند (بين سنتي ١١٢-١٢١هـ)[4] في عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ). وبقيت المنصورة أعظم مدينة عربية إسلامية في السند لمدة ثلاثة قرون. وامتد منها الإسلام في جميع أجزاء شبه القارة الهندية كما سيأتي.

ثانياً: عن طريق التجـــــارة:

كانت العلاقات التجارية قائمة بين العرب وسكان سواحل جنوب الهند وسيلان منذ آلاف السنين قبل الإسلام، وكانت الجاليات العربية تقيم في هذه السواحل تمارس التجارة بين شبه جزيرة العرب وشبه جزيرة الهند وغيرها، فلما سمع هؤلاء بإسلام شبه الجزيرة العربية أسلم بعضهم زمن النبي ﷺ، وأخذت هذه الجاليات تلعب دوراً كمراكز تبليغ الدعوة الإسلامية بطريقة غير مباشرة، فوصل الإسلام بذلك سواحل مالابار وسواحل اقليم السند مبكراً[5].

---

(١) عندما توجه حكم عمرو بن التغلبي إلى مكران، البلاذري - فتوح البلدان ص٦٠٧.

(٢) انظر البلاذري - فتوح البلدان ص٤٢٤، اليعقوبي ج٢ ص٢٧٧، الطرزي ج١ ص٢٢١.

(٣) فتوح البلدان ص ٤٢٥ - ٤٢٧.

(٤) فتوح البلدان - ج٣ ص٥٤٣، الشيال: تاريخ أباطرة المغول ص١٣.

(٥) «أهدى ملك الهند إلى رسول الله ﷺ جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه قطعة قطعة. انظر الحاكم - المستدرك ج٤ ص١٣٥. وانظر عبد المنعم النمر ص٦١، الطرزي ج١ ص٣٣٩.

وكـان لهؤلاء التجـار نفـوذ كبـير في سواحل الهند فكان الحكام يعاملونهم معـاملة طيبـة وبـاحـترام بالـغ ، ورفـدت هذه الجاليات جاليات مسلمة أخرى جديـدة قدمت إلى المـدن السـاحلية إبتداء من القرن الأول الهجري إلى القرن الـرابـع الهجري حيث نشطت التجارة بسيطرة المسلمين على البحار، فزاد نفوذ العرب المسلمين في تلك السواحل الهندية ، فزاد بذلك انتشار الإسلام بها ، وقد ارتفعت نسبـة العـرب في بعض منـاطق الهند الساحلية إلى ٢٠٪ ، وكانت هذه الـزيـادة تعـود أيضـاً إلى زواج العـرب المسلمـين من نسـاء تلك البـلاد ، وكثرة الإنجاب ، وكان أولادهم منهن ، يعاملون كمعاملة العرب المسلمين فيزداد عدد المسلمين ويزداد بذلك انتشار الإسلام بين أهل البلاد[١] ، ولا يزال كثير من أهل مالابار إلى اليوم يعتزون بانتسابهم إلى العرب المسلمين ! .

ثالثـــا : عن طريق الدعاة والأمراء المحليين :

ازداد علماء الإسـلام ولاسيـما في القـرن الخـامس الهجـري في الهند زيادة كبيرة فأخذ هؤلاء على عاتقهم عبء الدعوة إلى الإسلام في جميع أرجاء الهند فأدخلوا الكثير من أبناء البلاد في دائرة الإسلام . وقد سار الدعاة جنباً إلى جنب مع المجـاهـدين ومـع التجـار، ولم يتركـوا بقعة من الهند إلّا ودخلوها ، وكثيراً ما أقنعـوا الأمـراء المحليـين بالإسـلام فكان ذلك يعني دخول عدد كبير من الناس الإسـلام ، وكـان الـدعـاة قد بدأوا بالسـاحـل ثم انتقلوا إلى الداخل في هضبة الدكن ، واستقرت جماعات عديدة من العرب في الدكن[٢] .

الدول المسلمة في الهنـــــد :

في بدايـة القـرن الـرابع الهجري بدأت روح التشيع تسري في السند من الهند ، فقدم إليها القرامطة من البحرين وفارس وكونوا دولة إسماعيلية في الملتان حوالي سنـة **٣٧٥هـ** ، إلى أن قضى عليهـا الغـزنـويـون سنـة **٤٠٢هـ**[٣] ، وبدأ

---

(١) الطرزي ج ١ ص ٣٤١ .
(٢) انتشار الإسلام ص ٣٠٠ ـ ٣٠٣ .
(٣) الطرزي ج ١ ص ٣١٠ .

ظهور الدول الإسلامية في الهند. التي أسهمت كثيراً في نشر الإسلام في شبه القارة جميعها. وعلى ذلك فإن الهند لم تعرف الوحدة إلاّ في ظل المسلمين. ومن هذه الدول:

أولاً: الدولة الغزنويـــــة:

ومن أشهر سلاطينها السلطان محمود بن سبكتكين (٣٨٧-٤٢١هـ) ٩٩٦-١٠٣٠م الذي نذر نفسه للجهاد فقاد سبع عشرة حملة إلى الهند فقضى فيها على الفرق الضالة والمضللة من رافضة وقرامطة وغيرهم، ووطد حكم الإسلام في البنجاب ودهلي ولاهور، وعمل على نشر الإسلام هناك، كما ضم كشمير إلى ملكه سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م[١]. فكانت فتوحاته بداية حقبة جديدة في تاريخ شبه القارة الهندية أصحابها من المجاهدين المسلمين ولكن ليسوا من العرب. وقد وفق محمود في جميع غزواته وكان يرسل بأخبار انتصاراته إلى الخليفة في بغداد فتعمها الأفراح ومن وراءها من البلدان الإسلامية. وأنعم عليه الخليفة العباسي بلقب يمين الدولة وأمين الملة[٢]. وبعد عودته إلى غزنة أمر ببناء جامع في غزنة قال عنه ابن الأثير لم يسمع بمثله، وأنفق عليه ما غنمه في هذه الغزاة في بنائه.

وقد اهتم الغزنويون إجمالاً بنشر الإسلام في الهند فأقاموا المساجد في المناطق المفتتحة وتركوا الدعاة ليعلموا أهلها أمور الدين. ومن أمثلة ذلك أن محمود الغزنوي عندما فتح بهاطية سنة ٣٩٥هـ، استخلف بها من يعلم من أسلم من أهلها ما يجب عليهم تعلمه [٣].

وفي نهاية العصر الغزنوي اضطر الغزنويون أمام الغوريين إلى التخلّي عن عاصمتهم غزنة ونقلوا دولتهم إلى الهند واتخذوا من لاهور عاصمة لهم، وبذلك يمكننا اعتبار الدولة الغزنوية أول الدول الإسلامية التي قامت في الهند.

---

(١) الشيال ص ١٤.
(٢) البداية والنهاية ج١٢ ص٢٩، الكامل لابن الأثير ج٧ ص ٢٨٢-٢٨٣.
(٣) ابن الاثير - الكامل. ج٧ ص ٢٨٤.

ثانياً : الدولة الغـــــورية :

استطاع محمد الغوري الإستيلاء على السند ودهلي والبنغال وبهار بين سنة (٥٨٨-٥٩٧هـ) واتخذ دهلي قاعدة لحكومته الإسلامية في الهند، فبدأ على يديه الحكم الإسلامي في شمال الهند بأكمله على أساس راسخ وطيد، وصار للمسلمين دولة مرهوبة الجانب وسيعة الرقعة عظيمة السلطان[١] وذلك بعد أن قضى على القرامطة والاسماعيلية الذين أثاروا الفتن والاضطرابات في البلاد، وأضعف الراجبوتيين الهنود[٢]. قال المؤرخ الفرنسي رينه غورسه : «إن شهاب الدين الغوري أسس ملكاً عظيماً ثابتاً وطيداً تعاقبت عليه الدول الإسلامية التي جاءت بعده من ترك وأفغان وطفلوقيين وسادات وتيموريين، وكان دستور هذا الملك وحدة الدولة»[٣].

ثالثاً : دولة المـــماليك :

اغتال الباطنية السلطان محمد الغوري سنة ٦٠٢هـ. فنصب غلامه قطب الدين آيبك نفسه سلطاناً على الهند، وكان أميراً لدهلي من قبل الغوري. فأقرّ الأمن من البنغال شرقاً إلى آخر حدود البنجاب غرباً، وحرص على إقامة العدل بين الناس مع حسن معاملته للهنادكة، وعمل على نشر الإسلام، فبنى مسجدين كبيرين أحدهما بدهلي والآخر بآجمير[٤].

وفي عهد خلفه ألتمش (٦٠٧-٦٣٣هـ) توثقت صلة الهند بالعالم الإسلامي فقصدها علماء العراق والحجاز وإيران وتجّارها، وكانت هذه الزيارات تبعث في صدور مسلمي الهند مسرّات لا حدّ لها، لأن أكثرية هؤلاء المسلمين كانت من الهنادكة أو البوذيين الذين هداهم الله للإسلام فوجدوا إخواناً يحبونهم[٥].

---

(١) الساداتي ص ٩٣.

(٢) نفسه ص ٨٧ .

(٣) نقله عبد المنعم النمر ص١٠٣ .

(٤) الساداتي ص ٩٤.

(٥) نفسه ص ٩٨ - ٩٩، حقي - تاريخ شبه القارة الهندو باكستانية ص١١٠ .

وقد خلف التمش وزيره بلبن الذي لقّب بألغ خان أي السيد الأعظم (٦٦٤-٦٨٦هـ/ ١٢٦٦-١٢٨٧م) الذي اشتهر بأنه أقام العدل وأنصف الضعيف واستعان على ضبط الأمور في مملكته الهندية الواسعة بشبكة محكمة من العيون توافيه بكل ما كان يجري في البلاد وأحوال عماله، وألزم نفسه ورجاله بالتمسك الشديد بآداب الإسلام وفضائله، وأنشأ أولاده عليها، ودفع رعيته إلى التحلّي بها، ورعى العلماء والأدباء، مع برّه الشديد بالناس جميعاً من مسلمين وهنادكة[1]. فقد حاول التشبّه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعمر بن عبد العزيز[2] وتدفّق العلماء على الهند في عصره لانتهاء الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦هـ، وقد أبقى هو اسم الخليفة ـ على العملة ـ وسمّى نفسه ناصر أمير المؤمنين.

رابعاً: الدولة الخلجية (٦٨٩-٧٢٠هـ/ ١٢٩٠-١٣٢١م):

وهي الدولة الإسلامية الثانية التي تركّز سلطانها في الهند وحدها، وكان لجلال الدين فيروز ملكهم (الذي تولى عرش دهلي عام ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م) وهو في السبعين من عمره) أثر كبير في إسلام عدد كبير من المغول بعد أن هزمهم[3].

أما علاء الدين الخلجي (٦٩٥-٧١٥هـ/ ١٢٩٥-١٣١٦م) فقد كادت فتوحاته تشمل شبه القارة الهندية بأكملها، فكان ذلك أول حدث من نوعه في تاريخ الهند، إذ كان الجنوب في منأى عن كل ما يجري في شمال البلاد، وقد طبق علاء الدين تحريم الخمر والربا في جميع أجزاء الدولة، وأدت رقابته على الأسواق والأسعار مع تشدده في معاقبة مدلّسي التجار إلى أن عمّ اليسر والرخاء البلاد[4].

وقد شجع الخلجيون الناس على اعتناق الإسلام[5] بأن سنّوا عادة تقديم الشخص الذي أسلم حديثاً إلى السلطان حيث كان يكسوه كسوة حسنة

(١) الساداتي ص ١١٠.

(٢) ضياء الدين برني ـ تاريخ فيروز شاهي ص ٣٩ (بالفارسية).

(٣) الساداتي ص ١١٤.

(٤) تاريخ فيروز شاهي ص ٢٦٣ بالفارسية.

(٥) انظر ابن بطوطة ج ٣ ص ١٩٧، أرنولد ـ الدعوة إلى الإسلام ص٢٩٠.

ويعطيه قلادة وأساور من ذهب على قدره. وجاهدوا جهاداً دائباً لرفع لواء الإسلام عالياً في شبه القارة الهندية.

خامساً: الدولة التغلقية (٧٢٠-٨١٧هـ/ ١٣٢١-١٤١٤م):

ومن أشهر سلاطينها: محمد تغلق (٧٢٥-٧٥٢هـ) الذي تمكن من حكم الهند كاملة[١]. وجدد الأواصر بالخلافة العباسية بالقاهرة، وكان على صلة بتلامذة الشيخ ابن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ) ومنهم الشيخ عبد العزيز الأردبيلي[٢]، ووفد إلى بلاطه جموع من علماء العراق وخراسان وفارس وبلاد ما وراء النهر، وأنشأ الكثير من دور الشفاء وملاجيء العجزة ووالى الإشراف عليها بنفسه. وقد وفد إلى بلاطه الرحالة ابن بطوطة[٣].

وأما خلفه فيروز تغلق (٧٥٢-٧٩٠هـ) فقد وثّق صلاته بدار الإسلام وأعلن أنه يتولى السلطنة بتفويض من الخليفة العباسي أمير المؤمنين، الذي لقبه سيد السلاطين[٤]. واهتم بالزراعة فجدّ في حفر الآبار والقنوات فعمّ الرخاء حتى ليقال بأن ضفتي الغنج (Ganga) كانتا عامرتين بسلسلة من القرى المتصلة بعضها ببعض وبينها مزارع نضرة، وبنى خمسين سداً وشقّ نهراً للريّ في جنوب غرب البنجاب طوله ١٥٠ كم، وأكثر في بناء المساجد والمدارس والمشافي والحمامات وأوقف عليها أوقافاً كثيرة بحيث أنها كانت مجانية لمن يريد العلم أو التداوي أو الاستجمام، وتمسك بقواعد الشرع وتوفير العدالة لرعاياه، وقضى على فتنة وحدة الوجود، وما ينشأ عنها من الضلالات التي استولت على قلوب المتصوفة[٥].

اضطرب الأمر بعد وفاة فيروز تغلق فتمكّن تيمورلنك من غزو دهلي سنة ٨٠١هـ ودخلها[٦]، فأدّى ذلك إلى تفكّك الدولة الإسلامية في الهند وانفصلت

---

(١) مسعود الندوي الدعوة الإسلامية في الهند ص ٢٨، حقي - تاريخ شبه القارة الهندوباكستانية ص١٠٣.
(٢) مسعود الندوي - الدعوة الإسلامية في الهند ص٢٨.
(٣) انظر الرحلة ج٢ ص٤٤.
(٤) مسعود الندوي - الدعوة في الهند - ص٤٢.
(٥) نفسه ص ٢٩ - ٣٦.
(٦) الساداتي ص ١٥٣.

أغلب ولاياتها عن دهلي[1] مثل مالوه والكجرات وجونبور والبنغال والدكن وكلها إمارات إسلامية تنافست في العمران والعلم فظهرت نهضة علمية واسعة باللغات العربية والفارسية والسنسكريتية، وأدى ذلك إلى زيادة انتشار الإسلام بين الهنادكة انتشاراً واسعاً .

سادساً: الأسرة اللودهية في سلطنة دهلي (٨٤٩-٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م):

أفغانية الأصل ومن أشهر من حكم دهلي منها : اسكندر شاه (٨٩٣-٩٢٣هـ/ ١٤٨٨-١٥١٧م) وكان عالماً فاضلاً محباً للعلم والعلماء تقلّصت في ظلّه العادات الجاهلية، أنشأ مدينة آجرا الحالية، اشتهر بالعدل وتوفير الأقوات وضبط أسعارها وكان يأمر بين الحين والحين بإحصاء الفقراء والمعوزين ويمنح كل واحد منهم ما يكفيه من المؤن ستة شهور، كما عمل على نشر الإسلام في ربوع البلاد فهدم بعض المعابد الهندوكية[2].

سابعاً : الدولة المغولية :

تأسست على يد بابر المغولي بعد أن دخل دهلي عام **٩٣٢هـ/١٥٢٥م** بعد موقعة باني بت الحاسمة[3] حيث قضى على اللودهيين وجلس على عرشهم في آكرا وانتصر على الراجبوتيين ومن أعماله :

(١) أمر بمسح كثير من الأراضي وشقّ كثيراً من الطرق ليربط بين مختلف أجزاء بلاده وكان أهمها تعبيد الطريق الطويل الذي يربط بين كابل وآكرا وإقامة منارات به ليهتدي بها السابلة ومنازل للمسافرين والدواب كما أقام البساتين والحدائق[4].

٢ ـ حضّ عمّاله على إجراء العدل بين السكان جميعا من مسلمين وهنادكة .

---

(١) نفسه ص ١٦١ ـ ١٦٨ .

(٢) نفسه ص ١٨٥ .

(٣) نفسه ص ٢٤٧، الشيال ص ٢٨ .

(٤) الساداتي ص ٢٧٢ ـ ٢٧٥ .

٣ ـ اقتنى مكتبة قيّمة خاصة به كان عليها قيّم يدعى عبد الله كتابدار .

وفي عهد خلفه همايون بن بابر (٩٣٧ـ٩٦٤هـ) تمكن شير خان سورى أحد الزعماء الأفغان واسمه الأصلي فريد أن يحكم الهند وان يطرد همايون من الهند سنة (٩٤٧ـ٩٥٢هـ)[١] ويعتبر **شير شاه** هذا من بين أمراء المسلمين العظام الذين عرفتهم الهند، فنظم الخراج والإدارة. واهتمّ بأمر الجيش فجعل تحت إمرته جيشا قوامه ٢٠٠ ألفا التزم بدفع نفقاتهم من بيت المال. ونشرهم في كافة أنحاء البلاد وعهد إليهم بحراسة الحقول والمحافظة على أرواح الناس ومتاعهم. ونهض بالبريد ونظمه وحسّن الطرق حتى أنشأ ما يزيد طوله على الألفين من الأميال المعبّدة، وأقام على جانبيها الاشجار ذات الظّلال وأنشأ بها الكثير من محطات المسافرين ومنازل الدوابّ وأباحها للمسلمين والهنادكة على السواء. واعتنى بالعلم والعلماء وطلاب العلم وأنشأ كثيراً من المدارس والمساجد ورتّب الأجور والمكافآت للمعلمين والطلبة على السواء وفتح كثيراً من المطاعم في أنحاء متفرقة بالهند وأباحها بالمجّان للفقراء والمعدمين من أهل البلاد جميعاً مسلمين وهنادكة[٢].

وبقي همايون في المنفى إلى أن عاد عام ٩٦٢هـ إلى دهلي بمساعدة شاه فارس الشيعي طهماسب وتخلص من خلفاء شير شاه ليقضي نحبه سنة ٩٦٣هـ[٣]. فبدأ التأثير الشيعي في البلاد[٤].

وتولى أكبر / جلال الدين أكبر بن همايون ٩٦٣ـ١٠١٣هـ/ ١٥٥٦ـ١٦٠٥م فظهرت في زمنه البدع وانساق فيها وأصيب بالغرور والعتوّ وجرّأه على سياسته المعادية للإسلام وبدعه بعض علماء عصره[٥] فادّعى الألوهية وأجبر الناس على أن يكون سلامهم بينهم «الله اكبر» ويعني نفسه وأوجب السجود لنفسه بدل السلام، وألغى التاريخ الهجرى وأحلّ محلّه تاريخ

---

(١) الشيال ص ٦١.

(٢) الساداتي ص ٢٩٤.

(٣) الساداتي ص ٢٩٩، الشيال ص ٥٤ تاريخ الهند الحديث ص٨٦.

(٤) مسعود الندوي ص ٥٦.

(٥) الندوي ص ٦١ ـ ٨٦، الشيال ص ١٠٩ ـ ١١٠ وانظر الساداتي ص٣١١ وص ٣٢٥ـ٣٣٧ عن تقريب الهنادكة والمذهب الإلهي.

جلوسه على العرش وسماه التاريخ الإلهي ومنع ذبح البقر وحلّل الخمر وأباح بيعها على مرأى ومسمع من الناس، وأباح التعامل بالربا والمقامرة وشجّع السفور والخلاعة وأفتى بجواز نكاح المتعة كما تقول الشيعة ومنع الصلاة والأذان في دار الشورى الملكية (ديوان خانة) وحظر على الناس أن يصوموا شهر رمضان ومنعهم من أداء فريضة الحج. وأباح للناس أن يأكلوا لحوم النمر والخنازير والضّوارى.

وقد قامت علاقات بين دولة أكبر والبرتغاليين الذين سيطروا على جوا بساحل الهند وسمح لهم ببعث إرساليات نصرانية إلى البلاد.

ورغم ذلك فإن عصره من أزهى عصور الإسلام في الهند، فقد كانت الهند تعجّ بالعلماء والفقهاء والمرشدين والمعلمين وكانت دعائم الإسلام قوية وثابتة الأركان ويدخل الهنادكة الإسلام أفواجاً، ووقف في وجه بدعته الشيخ عبد الحق الدهلوي (٩٥٨-١٠٥٢هـ) الذي أحيا علم الحديث في شمال الهند وقدم السنّة[١]. ونزل ميدان الجهاد الشيخ أحمد السرهندي[٢] الذي ظهرت آثار دعوته زمن جهانكير بن أكبر (١٠١٤-١٠٣٧هـ/ ١٦٠٥-١٦٢٧م) فبايعه خلق كثير على متابعة السنة واجتناب البدعة وطفق الأعيان والأمراء يرجعون إلى الإسلام ويثوبون إلى رشدهم ولمّا سجنه جهانكير اهتدى المسجونون إلى الله وأقلعوا عن الجريمة فأمر بالافراج عنه واستجاب لطلباته فأصدر أمراً: بتحريم السجود للملك تعظيماً له، وأبطل التاريخ الأكبري وألغى معظم القوانين المعارضة للتعاليم الإسلامية وحصلت نهضة إسلامية جديدة انتعشت زمن شاهجهان (١٠٣٧-١٠٦٨هـ) الذي كان قد بايع الإمام السرهندي على اجتناب المعاصي واطّراح المآثم وهو بعد أمير[٣]. فجعل شعاره: «الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب» وامحت بدعة شعار «الله اكبر». وحرّم السجود للسلطان وحرّم التطاول على مقام الخلفاء الراشدين عند شيعة بلاده. وقضى

(١) مسعود الندوي ص ١٠١.
(٢) مسعود الندوي ص ١١٩، الشيال ص١١٨، الجندي - العالم الإسلامي ص٢٩٣.
(٣) مسعود الندوي ص ١٠٣.

على نشاط البرتغاليين الذين عاثوا فساداً وقضى على تجارة الرقيق التي كانوا يزاولونها ولكنه أعطى الإنجليز بعض الامتيازات التجارية[1].

وبلغت النهضة الدينية الذروة في عهد خلفه : أورنكزيب عالمكير[2] (١٠٦٨-١١١٨هـ) محمد محيي الدين. الذي قضى أيامه على خير ما يقضيها مسلم تقي يحفظ القرآن ويصوم أغلب أيامه حتى لا يتردد وأعنف المعارك تدور من حوله في أن ينزل عن دابته فيؤدى الصلاة في وقتها باطمئنان وخشوع بالغين وكأنه يقيمها بالمسجد الجامع أو في داره. وقضى على البقية الباقية من البدع الأكبرية[3]. وبلغ من حرصه على تحقيق العدل لرعاياه أنه أصدر أوامر مشددة لقضاته في كافة أنحاء شبه القارة الهندية بأن يتوافروا على دراسة قضايا الناس ومشاكلهم مع سرعة الفصل فيها بالجلوس خمسة أيام في كل أسبوع بدلا من يومين على الرسم السابق.

وجعل من نفسه قدوة لغيره فلم يلبس إلا بسيط الثياب وعاش على ما كان يكتسبه من نسخ القرآن الكريم وكان يبعث ببعض هذه النسخ هدية منه إلى الحرمين الشريفين وألّف بأمره وإشرافه موسوعة مهمة تحمل أقوال الفقه الحنفي في المذهب وهي المعروفة بالفتاوى الهندية أو العالمكيرية[4].

وقد قام بتأديب قراصنة البرتغال والمتمردين في عهده وحدّ من نفوذ الإنجليز الذي أخذ يتزايد على يد شركة الهند الشرقية الإنجليزية.

وحين اشتدّ به الداء أوصى رجاله أن يقيموا له جنازة بسيطة عند وفاته وأن يسرعوا بدفنه في أقرب مقابر المسلمين ولا يزيدوا في ثمن كفنه على خمس روبيات كان قد كسبها من صنع الطواقي وبيعها، وأن يتصدقوا على الفقراء بثلاثمائة روبية كانت هي كل ما يملكه وما تبقى له من دخله من نسخه للقرآن الكريم وبيعه[5].

---

(١) الساداتي ص ٣٦٥ - ٣٦٧.

(٢) الساداتي ص ٤١٢ - ٤١٤، مسعود الندوي ص١٢٠، الشيال ص١٦٤.

(٣) مسعود الندوي ص ١٢٣ - ١٢٥.

(٤) طبعت في مصر عام ١١٨٢هـ وهي من المراجع المهمة في الأحوال الشخصية.

(٥) الساداتي ص ٤١٤.

الإنجليز يتسللون إلى الهنـــــد :

وشهـدت الـدولـة الإسـلاميـة المغـوليـة التفكـك والإنحـلال بعـد وفاة اورنكزيب عام ١١١٨هـ/١٧٠٧م . فتعرضت دهلي للغزو الإيراني على يد نادر شاه زمن السلطـــان محمــد شاه(١) (١١٣١-١١٦١هـ/ ١٧١٩-١٧٤٨م) . كما تعــرضت مرة أخــرى لغــزو أحمــد ابــدالي شاه الــذي دخلهــا أيضــا عام ١١٧٠هـ/١٧٥٧م برجاله الأفغان(٢) .

واستفـــاد الانجليـــز من هذا الصـراع فاستطـاع كلايف مديـر الشـركـة الانجليـزيـة أن يهزم المسلمـين في معـركـة بلاسي(٣)أول المعـارك الحـاسمة بين المسلمـين والانجليـز ١١٧٠هـ/١٧٥٧م وانتصـر الانجليـز بخيـانة جعفر خان حاكم البنغال والعملاء من الهندوس .

لقـد وصـل الانجليز الهند كتجار، إذ منحت اليزابيث الأولى شركة الهند الشرقية امتيازاً عام ١٠٠٩هـ/١٦٠٠م للتجارة الإنجليزية في الهند والأقطار المجـاورة(٤) . وكـان جهـانكـير قد تميز بملاطفته للنصارى فاستغلّ المستعمرون سماحته فقصد أرضه نفر من التجار الهولنديين والبر يطانيين والفرنسيين ، ووصل وليم هوكنـــز الهنـد عام ١٠١٧هـ/١٦٠٨م فكـان أول بريطـاني يظهـر في آجـرا ويلتقي بالسلطان حاملاً رسالة من الملك جيمس الأول(٥)، فرحب به السلطان ولكنـه عاد دون أن يحقق أهـدافـه ، بقي وليم هوكنز سنتين في الهند يحاول مقابلة السلطـان جهـانكـير فلم يظفـر بما يريـد ، فتضرع أن يأخذ كتاباً منه يحمله إلى انجلترا فرد عليه الوزير الأول قائلاً :

«انه مما لا يناسب قدر ملك مغولي مسلم أن يكتب كتابا إلى سيد جزيرة صغيرة يسكنها صيادون»(٦)، ثم وصل توماس رو مبعوثاً من ملك الانجليز عام

---

(١) نفسه ص ٤٢٧ .

(٢) نفسه ص ٤٢٩ .

(٣) نفسه ص ٤٣٣ .

(٤) دور السجلات الهندية ص ١١ .

(٥) نفسه .

(٦) عبد المنعم النمر ص ٢٠ .

١٠٢٤هـ/١٦١٥م واستطاع بلباقته أن ينال مكانة لدى السلطان فصار للشركة مصانع في سورات بالقرب من بومبي وفي أماكن عدة[١]. وكسب التجار الانجليز امتيازات أخرى أخذت تزداد على مرّ الزمن ومازالوا يدعمونها بالخبث والدهاء ويثبّتونها بالغدر والخيانة حتى وضعت بريطانيا أيديها على شبه القارة بأكملها .

وفي عام ١٠٤٩هـ/١٦٣٩م استطاعوا استئجار أرض من حاكم تشانديرى أنشأوا فوقها قلعة عام ١٠٥٠هـ/١٦٤٠م سموها قلعة القديس جورج[٢] (حيث توجد مدراس الحالية) وكانت هذه القلعة أول حجر وضع في بناء الامبراطورية الانجليزية. وكانت تنظر الدولة المغولية إلى الانجليز نظرتهم إلى تاجر لا يخشى بأسه .

وفي عام ١٠٥٤هـ/١٦٤٤م منحت الشركة إذناً بإنشاء مصنع في البنغال وأن يعطى تسهيلات تجارية .

وفي عام ١٠٦٢هـ/١٦٥١م حصلت على إذن بتأسيس مصانع في هوجلي ووكالات في باتنا وقاسم بازار وداكا وبالاسور .

وفي عام ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م تسلمت الشركة ميناء بومباى الهام من الملك تشارل الثاني .

وفي عام ١٠٨٣هـ/١٦٧٢م حصلت على فرمان من حاكم البنغال المغولي يعفي الشركة من دفع الرسوم الجمركية .

وفي عام ١١٠٢هـ/١٦٩٠م قام أحد موظفي الشركة ويدعى جوب تشارنوك بإنشاء مدينة كلكتا. وتوالت الامتيازات للشركة وأخذت الشركة تعمل بهدوء وحزم لإنعاش حالتها الإقتصادية المادية وللقضاء على الإقتصاديات الهندية بوسائلها الخبيثة المخطّطة .

---

(١) دور السجلات الهندية ص ١١٢ .

(٢) نفسه ص ١١٣ .

وفي عام ١١٢٧هـ/١٧١٥م مرض السلطان فروخ سيار وأشرف على علاجه طبيب إنجليزي يدعى هاملتون وصدر فرمان عام ١١٢٩هـ/١٧١٧م يكافئه بإعفاء البضائع التابعة للانجليز من التفتيش والضرائب ويهب لهم ٣٨ قرية حول كلكتا فأخذ البريطانيون يتحولون تدريجياً من التجارة إلى الفتح، يساعدهم في ذلك الفوضى والارتباك والضعف والتخاذل، والهنادك يعملون في ركابهم ويتآمرون معهم على الدولة الإسلامية. فكانت معركة بلاسي سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٧م السابقة الذكر.

وبعد فترة وجيزة من المعركة تولت شركة الهند الإشراف على الإدارة المالية للبنغال (الديواني) فضمن البريطانيون السيطرة الفعليّة على أغنى أقاليم الهند قاطبة وأصبحت الشركة سياسية وعسكرية تضاهي في قوتها أعظم الامبراطوريات وأوسعها في التاريخ، واندفعت في نهب ثروات الهند فعرفت تلك الحقبة بفترة السلطة غير المسؤولة وحصل البريطانيون نتيجة ذلك على كميات هائلة من الأموال شحنت إلى أوربا لحساب الشركة وموظفيها وصارت تحصل على المبالغ اللازمة لابتياع السلع الهندية من الشعب الهندي نفسه. وانتزعت الشركة من عميلها مير محمد قاسم حاكم البنغال اعترافاً بالتنازل عن ثلاثة مناطق من البنغال لتكون اقطاعاً للشركة تستثمرها لتستعين بها على تأليف جيش تضعه تحت تصرفه إذا ما احتاج إليه ومعنى ذلك أن الشركة ألّفت جيشا بمال الهنود ورجالهم لتحاربهم به .

وفي عام ١١٧٧هـ/١٧٦٤م هزم الانجليز المسلمين في معركة بكسر وقد أسفرت عن اتفاقية مع السلطان شاه عالم تنص على إعطائهم حقّ الإشراف المالي على الولايات الشرقية وعلى ولاية كرناتك في الجنوب الهندي وغيرها من المناطق. وتعهد الانجليز مقابل ذلك بأن يدفعوا للسلطان خراجاً سنوياً من الولايات الشرقية بهار واوريسا والبنغال قدره ٢,٦ مليون روبية. وبعبارة أصحّ اعترف السلطان بسلطانهم على هذه الاقاليم أي بيعها بيعاً باتاً لهذه الشركة

التي أصبحت دولة قائمة بذاتها لها جيشها وإدارتها ومنظماتها. ولم يكن السلطان يستطيع غير ذلك .

وتصدى أمير ميسور حيدر علي للانجليز في الجنوب (١١٧٧-١١٩٧هـ/ ١٧٦٣-١٧٨٢م) وهزمهم هزائم متعدّدة. وكذلك ابنه تيبو سلطان (أسد ميسور) من بعده (١١٩٧-١٢١٤هـ/ ١٧٨٢-١٧٩٩م) وتمكن لورد ويلزلي أن يحطّم قوى أسد ميسور عام ١٢١٤هـ/١٧٩٩م. كما اخضع بونا رأس الإمارات المرهتهية عام ١٢١٨هـ/١٨٠٣م.

واستمر البريطانيون في أساليبهم في تفريق الكلمة وتشتيت الشمل وإلقاء العداوة والبغضاء بين الناس واستثمار كل خلاف لابتلاع مناطق جديدة وكانوا يكثرون من عقد المعاهدات التي لم تكن عندهم إلا قصاصات ورق تنفع لجلب الخير لهم ودفع الضر عنهم ولكنها لا تقيدهم بقيد ولا تلزمهم بعهد. فأصبحوا بذلك عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م السادة الفعليين لكل انحاء الهند تقريبا فقد استطاعوا أن يقضوا بمهارة وحذر على كافة السلالات الكبيرة في الهند وأزاحوا ورثتها إلى أماكن بعيدة عن مراكز حكمها السابقة .

أدرك المسلمون أن لا بقاء لهم مع الانجليز وقد أصبحوا يواجهون ثالوثا قوياً : الانجليز والهندوس والسيك. فقاموا بثورتهم العامة الشاملة عام ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م. عندما أعلن لورد كيننغ (١٢٧٣-١٢٧٨هـ/ ١٨٥٦-١٨٦١م) أن سلطان دهلي بهادر شاه (وهو البقية الرمزية لسلطان الإسلام في الهند) هو آخر شخص يسمح له بحمل لقب سلطان من الأسرة المغولية وآخر من يحق له عقد مجالس سلطانية وسكنى القصر السلطاني. فنزل هذا الإنذار نزول الصاعقة على الهنود لأنهم كانوا يعتبرون السلطان على ضعفه رمز وحدة الهند ورمز السلطة الإسلامية .

فثار الجند في ميرته وأخذوا يقتلون الانجليز رجالاً ونساء وشيوخاً وأطفالاً وأشعلوا النار في منازلهم، وامتدّت إلى دهلي وطارت الأنباء في الهند تحمل البشرى بقرب الخلاص، وثار الجند في كل مكان وتحولت الثورة إلى حرب

تحريرية قادها الأمراء والفقهاء المسلمون، واشترك فيها الشيوخ والرجال والنساء. ولم تستطع بريطانيا استعادة نفوذها إلا عن طريق الخيانة والرشوة، فبدأوا بدهلي وأسروا السلطان بهادور شاه في الحصن الأحمر، ثم أخذوا يستولون على المدن الرئيسية التي كانت فيها المقاومة قوية ومنظمة. ورافقت أعمالهم العسكرية أعمال انتقامية وحشية وأخذوا الناس بالشبهات فساقوا آلافاً من الناس إلى المحاكم التي حكمت عليهم بالموت بعد العذاب الأليم، فيقول أحد الكتاب الانجليز: «ان ما ارتكبه جنودنا من ظلم ووحشية ومن حرق وتقتيل لا نجد له مثالاً في أي عصر»(١).

وحاكم الانجليز السلطان بهادور شاه محاكمة صورية عجيبة ونفوه إلى بورما حيث توفي في رانجتون عام **١٢٧٩هـ/١٨٦٢م**. وأعلنت بريطانيا تولي التاج البريطاني لحكومة الهند في إعلان نوفمبر (تشرين الثاني) سنة **١٢٧٥هـ/١٨٥٨م**. وانتهت السيادة الإسلامية على شبه القارة.

سياسة الانجليز تجاه المسلمين في الهند:

منذ أن وطئت أقدام المستعمرين الانجليز أرض الهند وهم يتبعون سياسة واحدة لا يحيدون عنها، تتمثل في كسر شوكة المسلمين في البلاد، باعتبارهم العدو الوحيد المناهض لأساليبهم الاستعمارية، فقد أعلن الحاكم البريطاني اللورد النبرو: «ان العنصر الإسلامي في الهند عدو بريطانيا اللدود، وان السياسة البريطانية يجب أن تهدف إلى تقريب العناصر الهندوكية إليها لتساعدهم في القضاء على الخطر الذي يتهدد بريطانيا في هذه البلاد».

فاشتد الانجليز في هجمتهم على المسلمين بعد إنهاء الثورة، واستولوا على أراضيهم، ففقد المسلمون أملاكهم الواسعة ولم يبق لهم سوى **٥٪** من أراضيهم التي كانوا يملكونها من قبل، وسدّت في وجوههم أبواب الرزق في الدواوين وصودرت أملاكهم.

(١) الشيال ص ١٥٠ وما بعدها.

وقررت الحكومة الانجليزية مناهج للتعليم في مدارسها تنفر المسلمين من ارتيادها إن أرادوا أن يبقوا مستمسكين بعقائدهم، فأخذوا في التخلف عن الهندوس كثيراً، وعاشوا في شقاء لم تعرفه الإنسانية في أحلك عصورها .

وضيّقوا الخناق على العلماء وحملة الدين .

واتخذوا الهند سوقاً احتكارية لبريطانيا، فشجعوا صناعاتها على حساب الصناعة الهندية المحلية .

وملك الانجليز المزارع الكبيرة، وانتشرت المجاعات وفقدت الهند وخاصة المناطق الشمالية الإسلامية حوالي ٩٪ من سكانها في خطة للحكومة حتى لا تقوم للمسلمين قائمة[١] .

وأكثر الانجليز من الحملات التبشيرية لمحاربة الإسلام، وقد أخذت هذه تقذف الإسلام بسهام الإنتقادات والإعتراضات لتحدّ من انتشار الإسلام بين الهندوس .

وروّج الانجليز الإلحاد والفساد بتصدير الحضارة الغربية للقضاء على أخلاقيات الإسلام ومثله، ونشروا الخلاعة والمجون والإباحية . ووسّعوا الخرق بين المسلمين والهندوس وغيرهم من طوائف الهند، بتشجيع الأحزاب القومية والعلمانية، وشجّعوا الحركات المناهضة للإسلام وخاصة الحركة القاديانية التي تمثلت في شخصية ميرزا غلام أحمد القادياني الذي عمل على محاربة مبدأ ختم النبوة . وحارب الجهاد وألغى وجوبه، وعمل على الأمر بطاعة الانجليز والولاء لهم[٢] .

وعمل الانجليز جهدهم على تشويه تاريخ المسلمين بالهند، وقلب صورته للأجيال .

---

(١) هذه هي السياسة الاستعمارية الغربية، التي لا تريد إلا مصلحتها، فتفتعل المجاعات لإحكام سيطرتها على العباد، بتكوين طبقة تدين بوجودها للمستعمر تنفصل إنفصالاً عن أمتها وتشن ضدها الحرب العوان، طبقة طفيلية لا يتيسر لها البقاء إلا ببقاء المستعمر وهيمنته . قارن ذلك بالحكم الإسلامي للهند الذي استمر ألف سنة، كانت إذا انتشرت المجاعة فتح الحكام المسلمين المطاعم المجانية في جميع أرجاء الهند للمسلمين والهندوس على السواء فتمر المجاعة بسهولة، ودون أن تؤثر على كيان المجتمع .

(٢) انظر عبد الله سلوم السامرائي في كتابه القيم ـ القاديانية والاستعمار الانجليزي وانظر ـ القاديانية لإحسان إلهي ظهير .

في ظل هذه الأوضاع السيئة للمسلمين ظهر سير أحمد خان الذي لعب دوراً هاماً في سياسة المسلمين في الهند في الفترة (١٢٧٥-١٣١٦هـ/ ١٨٥٨-١٨٩٨م) فقد سعى سعيه لإصلاح ذات البين بين المسلمين والحكومة الانجليزية، وأسس عام ١٨٧٥م جامعة عليكرة بمساعدة الانجليز وبعض الشخصيات الإسلامية الموالية لهم وعلى رأسهم أغاخان لتزويد المسلمين بالأسلحة الجديدة من الثقافة والعلوم الغربية واللغات الأجنبية، وقد لجأ وأعوانه أحياناً إلى تحريف الكتاب الكريم لما يوافق آراءهم ونظرياتهم فشجبوا الجهاد[١]. ومن آرائه السياسية التي ركز عليها :

١ ـ ان الهند هي شبه قارة وليست دولة .

٢ ـ ان المسلمين والهندوس يشكلون أمتين لا أمة واحدة .

٣ ـ ان الانفصال بين المسلمين والهندوس أمر حتمي .

ولذلك حارب فكرة حزب المؤتمر الوطني الهندي. التي كانت فكرة رجل انجليزي هو مستر ألن هيوم وعرضها سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م على اللورد دفرن فاهتم بها واعتقد أنه من خلال احتضان هذا التنظيم تستطيع الحكومة أن تقف على وجهة نظر الرأي العام الهندي وتجعل منه صمام أمن فناقش خطته مع القيادات الهندية واجتمع المؤتمر الهندي لأول مرة تحت رئاسة بترجيا المحامي البنغالي. وقد أخذ حزب المؤتمر هذا يميل إلى العصبية الهندكية وإحياء القومية الوثنية القديمة ويصبغ أعماله بصبغة الديانة البرهمية وبعث اللغة السنسكريتية. ويعلن الولاء التام للحكومة البريطانية أولاً ويكيل لها ولأعمالها في الهند المديح والثناء[٢].

(١) أخذ سير أحمد خان (واتباعه) يبدي في الدين بآراء حديثة له تتفق وعقليته واتجاهه وزاد فأقدم على تفسير القرآن متخذاً من عقله هو أساساً لهذا التفسير غير ملتزم للألفاظ ودلالتها ولا لما أجمع عليه علماء المسلمين على مرّ الزمن فأنكر الجنة والنار والملائكة والجن وأخذ يشتم الأئمة الفقهاء ويستهزىء بالمحدثين وبالشعائر الإسلامية. (عبد المنعم النمر ص ٤٥) كما يقول المؤرخ الهندي العليكري السيد طفيل أحمد في كتابه (هندستان كاروشن) أي المستقبل المضيء ص١٧٣ برغم تعصبه لجامعته ومؤسسها .

كما قرر في تفسيره : أن القرآن نزل على الرسول ﷺ بالمعنى فقط ثم صاغ الرسول ألفاظه من عنده. (عبد المنعم النمر ص ٤٥).

(٢) عبد المنعم النمر ص ٥٣ .

واشتـــدت مطـالبـة الهنـود بالقـوميـة الهنـديـة وبلغت أوجهـا بين عامي (١٣٢٣-١٣٢٧هـ/ ١٩٠٥-١٩٠٩م) . وبعد عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م انضوى فيهـا القـادة المعتـدلـون مع الغلاة . ومن الغلاة الهندوس المتعصب تيلاك الذي تعتبره الهند الحاضرة أحد الرواد في بناء الهند الحديثة(١) .

فبدأت فكرة الانفصال بين المسلمين والهنادكة وغذاها المفكرون الانجليز منـذ البـدايـة لتخدم أغراضهم فويلفريد سكاوبن بلنت الكاتب الشهير والذي جال الهنـد أيـام لورد ربن اقـترح في كلكوتا ١٣٠١هـ/١٨٨٣م أن توضع جميع الأقاليم الكائنة في شمال الهند تحت حكومة إسلامية وتوضع أقاليم الجنوب تحت حكـومـة هنـدوسيـة وتظـل بريطـانيا تمارس سلطاتها في الإدارة والحكم مستمدة التأييد اللازم لها من القوات البر يطانية المتمركزة في كل اقليم .

وبدأت هذه الأفكار تتسرب إلى المفكرين المسلمين في الهند فعبد الحليم شرار ((١٢٧٧-١٣٤٣هـ/ ١٨٦٠-١٩٢٤م) الـروائـي والصحفي البـــارز بدأ يحس منـذ عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م بأن تقسيم الهنـد هو الحـل الـوحيـد لمشكلة المسلمين والهندوس .

وأمـــا الطـــاف حســـين - حالي - الـــذي كتـب قصيـــدة مســـدس عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م تحت عنـوان المـد الإسـلامي وجـزره من ٢٨٠٠ بيت وركز على نهضـة المسلمـين في شبـه القارة فقد حذر المسلمين من الديمقراطية الغربية وبين لهم أنها ستنتهي بهم إلى أن يصبحوا غرباء في أرضهم ، وقال في شعره :

وداعاً لك ياجنة الهند الدائمة الخضرة فنحن الأجانب

قد مكثنا طويلاً في هذه البلاد ضيوفاً عليك

وتم في عام ١٣١١هـ/١٨٩٣م تأسيس ندوة العلماء وفتحت أبوابها لكل من يريـد المشـاركـة فيهـا من المؤمنـين بالله ورسـوله . وأسس هؤلاء العلماء دار العلوم التابعة للندوة ١٣١٦هـ والغاية منها ألاّ تتسع شقة الخلاف بين المتجددين والجـامـدين ، وتعهـدهـا شبلى النعـماني الذي كان قد ساعد أحمد خان في انشاء عليكـرة وكـان أشد حرصاً منه في الحفاظ على التراث الفكري الإسلامي وأشد

---

(١) عبد المنعم النمر ص ٥٧ .

إيماناً بأهمية هذا التراث وعمل على بعث تاريخ الإسلام . وكشف أخطاء جرجي زيدان في كتابه التمدن الإسلامي ودعا إلى مخطط جديد للتربية والتعليم بين مسلمي الهند وحاول تنفيذه في دار العلوم ودعا إلى تدريس اللغة العربية كلغة حية للقرآن .

واجه المسلمون الاحتلال البريطاني بإرادة صلبة ورفضوا العلم في مدارس الإرساليات التبشيرية البريطانية وأنشأوا مدارسهم بنقودهم القليلة وأنشأوا الكليات، ثم برزت جمعياتهم من تحت حراب الاحتلال فكانت جمعية علماء الهند في امبالا والبنجاب ولها فروع في مختلف البقاع مهمتها المزدوجة هي :

١ ـ مكافحة حركة اريا سماج التي شجعها البريطانيون بالدعوة إلى تخليص الجنس الآرى وهي حركة تدعو إلى الوثنية القديمة شبيهة بالدعوات التي أثاروها ـ في مصر بالفرعونية وفي لبنان بالفينيقية وفي المغرب بالبربرية ـ .

٢ ـ إرسال دعاة يعلمون المسلمين المتأخرين .

وبرزت جمعية حماية الإسلام في كل مدينة تعنى بتعليم المسلمين (ومركزها في لاهور) تعمل على دحض الافتراءات والشبهات الموجهة للإسلام والعناية بأيتام المسلمين .

كما برزت عشرات من الجماعات والمدارس والمعاهد، (مثل ديوبند، الجامعة الملية، دار العلماء، الجامعة العثمانية . .) .

ولما كانت بريطانيا حريصة بالقضاء على علماء المسلمين أو تحويلهم عن القيم الأساسية لمفاهيم الإسلام الجوهرية وخاصة مفهوم الجهاد وترابط الدين والمجتمع ـ لذا عمدت إلى أن تحول بين العلماء والقادة الذين فهموا الإسلام فهماً صحيحاً دون قيادة المسيرة، ونجحت في إقصائهم وحجبهم عن مكان الصدارة والقيادة، فالذي حمل لواء الرابطة الإسلامية كانوا ممن تخرجوا من الكليات العصرية ولم يكن لهم سابق علم ولا معرفة بالإسلام ومبادئه ونظمه الخالدة. شأن السياسيين الذين تصدروا بعد الحرب الأولى للقيادة في اندونيسيا وفارس وتركيا وافغانستان والعالم العربي .

ومن المفكرين الذين أسهموا في إيقاظ المسلمين محمد إقبال الذي بلغ غاية القوة والعمق في الدعوة إلى ايقاظ المسلم وشجب نزعة الجبرية والتصوف فقد درس في كلية من الكليات العصرية ثم سافر إلى أوربا ودرس في كمبردج وبرلين ونال الدكتوراه في الفلسفة وتعاطى المحاماة بعد رجوعه مدة من الزمن ثم تركها، اشتهر بقرض الشعر ونشر دواوين عديدة باللغتين الفارسية والأردية ضمنها آراءه في السياسة والحضارة الغربية ودسائس الأوربيين ومكايدهم. وحث المسلمين على الاستمساك بعروة الدين وعدم الانخداع بأباطيل الغرب المموهة وأظهر رأيه في مؤتمر الرابطة الإسلامية ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م بتأسيس دولة مسلمة في الناحية الشمالية الغربية من الهند ووقف موقفا صلباً إزاء القاديانية ومؤسسها غلام أحمد الذي ادّعى النبوة.

بدأت فكرة تحرير الهند واستقلالها عند المسلمين فألفت الجمعية الإسلامية العامة الرابطة الإسلامية لعموم الهند[1] في لكنو (بومباى) عام ١٩٠٦م بزعامة محمود الحسيني واستمرت تعمل سرا عشر سنين إلى أن اكتشفها الانجليز فأمروا محمود الحسيني أن يغادر الهند وقبضوا على أعوانه: أبو الكلام أزاد، حضرت مهانى، ظفر الله خان، محمد على، شوكت على.

وتأسست جمعية الخلافة لانقاذ الخلافة من الاعداء الطامعين عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م برئاسة غلام محمد فتو، وميان محمد حاجي خان الذي تسلل لها غاندى وجعل يشير عليها باستئلاف الهنادكة فقبل الأعضاء نصحه عن حسن نية وندبوه للسعي إلى ذلك. ثم نصحهم بالانضمام إلى الكونجرس (حزب المؤتمر) فانضمت إليه جمعية الخلافة وتبعتها بقية الأحزاب الإسلامية المعروفة اعتمادا على الثقة بغاندى. وعقد المؤتمر سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م حيث عرض الأعضاء المسلمون فكرة استقلال الهند بدل: إصلاح حالة الهند التي كان يتبناها المؤتمر.

ولما أظهر المؤتمر نياته وتعاونه مع الانجليز انفصلت جماعة عظيمة من المسلمين وكبار زعمائهم عنه عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م ولم يبق فيه إلا أبو الكلام

---

(١) انظر بير زاده ص ١٠٧، حاضر العالم الإسلامي ج٤ ص ١٨٧.

آزاد وشرذمة من أتباعه وأعضاء جمعية العلماء الشهيرة. فبدأت الحملات بين الفريقين. وحث هذا الأمر المسلمين على الحلم بدولة إسلامية في الهند تضم المسلمين وقفز إلى الزعامة القومية المسلمة عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م محمد على جنه، الذي نشأ نشأة إفرنجية خالصة بين طائفة من الإسماعيلية، والذين أجابوه لدعوته كانوا من الذين غذوا بلبان الثقافة الغربية وتخرجوا في الكليات العصرية وكل ما قاموا به من الحفلات والمؤتمرات جاءت على غرار الجمعيات السياسية العصرية لا تجد عليها مسحة من الدين أو الطابع الخلقي الإسلامي الذي يميزها عن غيرها من خصال غير المسلمين(١).

وأصبحت الرابطة المسلمة تضم أعوان الاستعمار والشيوعية وأنصار الكماليين ودعاة القومية المتطرفة والوطنية الجغرافية والإسلام الجغرافي ممن اتسم بسمة المسلمين وتسمى بأسمائهم - فنزعت نزعة التفرنج والإلحاد والزندقة واتّحدت كلمة الصحف المنتسبة إليهم على الطعن في العلماء والزراية على حملة الدين والسخرية من شعائر الإسلام وعدم الاكتراث لأوامر الشرع ونواهيه(٢).

وفي عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م انتقل جزء من الحكم في المقاطعات الهندية إلى الأهالي وتبوأ الوطنيون مناصب الوزارة والإمرة في سبع مقاطعات من الهند، فكان ذلك بمثابة انفجار البركان لأنه كشف به عن عورات الهنادك وظهرت نياتهم تجاه المسلمين، فنبه أبو الأعلى المودودي لذلك واجتمع ٧٥ رجلا في أول شعبان ١٣٦٠هـ/١٩٤١م بمدينة لاهور وأسسوا الجماعة الإسلامية وانتخب أبو الأعلى المودودي أميراً لهذه الجماعة للسير على المناهج الإسلامية.

ولما أصبح جناح زعيماً للرابطة الإسلامية لعموم الهند عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م طالب بتقسيم الهند وشهد عام ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م عددا كبيراً من المشروعات والمقدمات التي تدعو إلى إقامة دولة أو دول إسلامية. واجتمعت اللجنة العاملة للرابطة الإسلامية لعموم الهند عام ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م وقررت معارضة مشروع الإتحاد الفدرالي الذي تضمنه قرار

---

(١) مسعود الندوي - الدعوة الإسلامية في الهند ص ٢٥١.

(٢) نفسه ص ٢٥٥.

حكومة الهند عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م ودعت إلى تقسيم البلاد إلى هند إسلامية وهند هندوسية .

وفي ٢١ مارس آذار عام ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م تم صياغة قرار لاهور بإنشاء الدولة الإسلامية ـ باكستان ـ في الهند. ثم جعل هذا القرار مبدأ وعقيدة للرابطة الإسلامية. وتتابعت الأحداث حتى تم التقسيم عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م بموجب قرار استقلال الهند الذي نص على أن الدولة التي تضم الأراضي الإسلامية ستعرف باسم باكستان والهندوسية باسم الهند .

ولما أدرك الهنادكة أن لا مفر من التقسيم بدأوا يعتدون على المسلمين في كل مكان يقتلون الشيوخ والنساء والأطفال ويهتكون الأعراض ويهدمون المنازل ويحرقونها، وعندما اختار نائب الملك ـ نهرو ليكون نائب رئيس الوزراء عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م وأهمل الرابطة وزعيمها جناح، حمل جناح على هذا التصرف حملة شعواء ودعا المسلمين للاحتجاج عليه برفع أعلام سوداء على بيوتهم ومتاجرهم كاحتجاج صامت على تولي الهندوس السلطة فارتفعت ملايين الأعلام السوداء في كل مكان فكان هذا كافياً لتجدد الاضطرابات فكثرت المذابح الطائفية التي ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من المسلمين وانتاب الفريقان نوبة هستيرية فأخذوا في التذبيح والتقتيل من غير عاطفة إنسانية في كلكتا وبهار والأقاليم المتحدة، ومثل بجثث القتلى وارتكبت الفظائع .

وانتصرت فكرة التقسيم وخرج المسلمون بقسمة ضيزى وتكونت باكستان[1] من قسمين شرقي وهو البنغال وعدد سكانه ٤٢ مليونا آنذاك

---

(١) أن المعنى الحرفي لكلمة باكستان هو أرض الأطهار، وهي مؤلفة من كلمتين باك وستان (نشأة باكستان ـ بير زادة ص ٤١).

وقد اشتقت من الحروف الأولى لكل من البنجاب، اقليم الحدود الشمالي الغربي (الذي يسمى اقليم الأفغان) كشمير، سند، ونهاية بالوشيستان، ويزعم البعض أن مقطع ستان مأخوذ من بالوشيستان وبانغيستان وهو اسم شعبي شائع لبنغال إلا أنه ليس ثمة دليل يؤكد ذلك. وهي اسماء أجزاء من الهند يستوطنها أغلبية ساحقة من المسلمين. (بير زاده ص٤٣).

وأول من وضع هذا الاسم هو تشودري رحمة علي عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م نشأة باكستان ـ (بير زاده ص٤٥).

واقترنت بقرار لاهور عام ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م الذي أقرته الرابطة الإسلامية. (بير زاده ص٥١).

ومساحته ١٤٢,٧٧٦ كم٢، وغربي وهو ولايات الحدود الشمالية الغربية وبلوخستان والسند والبنجاب الغربية وعدد سكانه آنذاك نحو ٣٣ مليونا، ومساحته ٨٠٣,٠٠٠ كم٢. يفصل بينهما حوالي ٢٠٠٠ كم من أراضي هندستان ولم يكن سبيل للاتصال بينهما إلا طريق البحر وتبلغ مسافته نحو ٤٨٠٠ كم. وبقي في هندستان أقلية إسلامية كبيرة العدد ـ حوالي ٥٠ مليونا ـ آنذاك.

واستمرت المذابح التي حمل لواءها السيخ وعلى رأسهم تاراسنغ وعصابته مهاسبها (أي الجمعية الوطنية العظمى) الهندوكية المتعصبة. ففي الوقت الذي كان فيه زعماء المسلمين أعضاء الرابطة المسلمة يقيمون الإحتفالات والمهرجانات في وسط العاصمة ـ كراتشي ـ فرحاً بالاستقلال وسروراً بتسلّم مقاليد الحكم ـ كانت الحرمات تنتهك في مدن البنجاب الشرقية وقراها وتهدم المساجد وتحرق المصاحف وتداس بالأقدام وكان شعار السيخ في هتافهم: «الموت للباكستان» ولما كان المسلمون قلة في البنجاب الشرقي فقد افترسهم السيخ إلا القليل من فرّ إلى الباكستان. ويؤخذ مما نشرته الصحف غير الإسلامية أن مذابح المسلمين في باتيالا عاصمة ولاية السيخ بلغت مالا يقل عن ١١٤ ألف إنسان.

وعملت جمعية مهاسبها الهندوكية على إثارة الشعور وإلهاب حماس الجماهير بنشر ألفاظ نارية سرعان ما تسرى كالنار بين جموع الغوغاء ـ فقد عزم المسلمون على تكريم شهدائهم في ٣٠ أغسطس ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م فأذاعت الجمعية منشوراً جاء فيه:

«تذكّروا يوم ٣٠ أغسطس فهو يوم الشهداء... انه يوم يجب عليكم أن تقتلوا فيه كافة المسلمين وكذلك أطفالهم ونساءهم، كما يجب عليكم أن تضعوا نصب اعينكم الاستيلاء على دورهم عنوة، واشعلوا النيران في كل مكان واجعلوها مستعرة حتى تبيد محلات المسلمين، ولكن حذار فقد تتسرب إلى أماكن الهندوس والسيخ»[١].

(١) من مأساة دهلي ص ١٢، ١٣. عبد المنعم النمر ص ٢٥٩.

وكان المسلمون منتشرين في كل مكان بالهند فكانوا في أي مكان بين فكي الأسد وصيداً سهلاً للعابثين. وتحمل المسلمون في دهلي النصيب الأوفى من هذه المأساة إذا استثنينا ما حدث بالبنجاب فقد كانت دهلي عاصمة الدولة الإسلامية في الهند وفيها مسلمون كثير ون لهم متاجرهم ودورهم ومصالحهم ومساجدهم وأحياؤ هم التي ينفردون بها أو يكثرون فيها وتضم كثيراً من الآثار الإسلامية الرائعة، وكان من نتيجة التقسيم أنْ خَلا جهاز الشرطة الهندي من الرجال المسلمين ضباطا وجنودا وكذلك الجيش فقد جردوا من عملهم فاختل الميزان وقاد السردار باتيل من زعماء حزب المؤتمر ونائب رئيس الوزراء حملة الحقد على المسلمين وكان وزيراً للداخلية وفي يده صمام الأمن ووصف الجماعة الأرهابية راشتريا سويك سنغ الهندوكية المتعصبة بأنهم ليسوا مجرمين وإنما هم وطنيون متعصبون لوطنهم. فاقترفوا الإفساد والتقتيل وقاموا بأعمال السلب والنهب في حين كان رجال البوليس يراقبون الجرائم فلا يتدخلون لقمع العدوان بل كانوا يسهمون فيه أحياناً. واعترف غاندى في إحدى خطبه أن ١٣٧ مسجداً في دهلي القديمة والجديدة دنسها السيخ والهندوس ووضعوا في بعضها الأصنام والتماثيل. وقد وقع في دهلي وحدها ما يقرب من ثلاثين ألفاً من المسلمين غير المصابين بإصابات مختلفة، غير مئات الآلاف الذين وقعوا ضحايا في القطارات الذاهبة إلى باكستان.

وفي ٣٠ يناير عام ١٩٤٨م أغتيل غاندي في نيودلهي، فقد اعتبره الإرهابيون حجر عثرة في طريق تنفيذ مخططاتهم.

كان إلى جانب المستعمرة التي قسمت والتي كان يحكمها الانجليز حكماً مباشراً (٥٦٥) إمارة هندية، يطلق عليها الهنود اسم (رياست) وإذا كان الأمير مسلماً سمي (نواب) وإذا كان هندوكيا سمي (راجا أو مهراجا). وكانت هذه الإمارات تسيطر على ٤٥,٣٪ من مساحة شبه القارة الهندية[1]. وأعطيت هذه الإمارات (وبخبث من المخططين الانجليز) الحق في الانضمام إلى إحدى الدولتين، وقد تم ذلك فعلاً فطويت صفحات هذه الإمارات بصورة آلية إلا

---

(١) مجلة الأمة ـ العدد ٣٢ السنة ٣، شعبان ١٤٠٣هـ أيار (مايو) سنة ١٩٨٢م.

أربعاً منها كان لها وضع خاص وهي كبورتهله، وجوناكده، وحيدر آباد ـ الدكن، وكشمير .

فإمارة كبورتهله كانت إمارة صغيرة أميرها هندوكي و٦٥٪ من سكانها مسلمون، فخشي هذا الأمير أن يطالب المسلمون بالإنضمام إلى باكستان فأعمل فيهم السيف، فقضى على من قضى وشرّد من شرّد بمساعدة الحكومة الهندوسية، وضمّ الإمارة إلى هندستان .

وأما إمارة جوناكده: فهي الأخرى كانت صغيرة وأميرها مسلم وأكثرية أهلها هنادكة، فاختار أميرها الانضمام إلى باكستان فاحتجت الهند وأرسلت الجند فاقتحموها، واستولت عليها الهند وفر أميرها ملتجئاً إلى باكستان.

وأما إمارة حيدر آباد: ـ دكن ـ فقد كانت دولة كبيرة مساحتها ٢٢٠ ألف كم٢، وكان عدد سكانها يزيد على ٢٠ مليون نسمة، وعلى الرغم أن أكثرية الناس كانوا هنادكة، فأميرها مسلم، وكان محبوباً عند الجميع، وكان قد أسس هذه الإمارة السلطان المسلم علي قطب شاه، ولقب سلطانها باسم «نظام». وكانت شبه مستقلة تصدر عملة خاصة وطوابع خاصة(١).

واستعملت الهند كل أنواع الضغط لإجبارها على التنازل عن استقلالها فحاصرتها اقتصادياً وارسلت إليها عصابات مسلحة تتحرش بها، وعملت على إثارة الهنادكة من الداخل حتى انه لم يسع تشرشل المعروف بعدائه للمسلمين إلّا أن يصرح فى مجلس العموم بقوله:

«إن الحصار الذي تفرضه هندستان على إمارة حيدر آباد حصار شرس، ويشبه من وجوه كثيرة الحصار الذي فرضه الاتحاد السوفييتي على مدينة برلين، فقد قطعت هندستان عن حيدر آباد حتى العقاقير الطبية والأجهزة الصحية، ومعدات المستشفيات»(٢).

وطالبت حيدر آباد باستفتاء حر تحت إشراف الكومنولث البريطاني، ومحكمة العدل الدولية أو لجنة مؤلفة من دولة محايدة، ولكن نهرو رفض قائلاً:

---

(١) مجلة الأمة العدد ٣٢ السنة ٣ ص ٣٧.

(٢) نفسه ص ٣٧.

«إن الهند لن تغامر بقبول الإستفتاء، أما إذا كانت حكومة حيدر آباد تُرغب في الاستفتاء، فعليها أن تنضمّ إلى هندستان أولاً، ثم يستفتى الشعب بالانضمام أو عدمه».

وأخيراً قامت الهند بغزو الإمارة عام ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م أثناء اجتماع مجلس الأمن لمناقشة قضية حيدر آباد، مدّعية أنها تقوم بعملية بوليسية لتأديب العصاة[١]. فطويت صفحة الإمارة وطوي معها تاريخ إسلامي حافل بالمآثر والفداء والتضحية.

وأما إمارة كشمير فسنتناول مشكلتها بشيء من التفصيل.

قضية كشمير

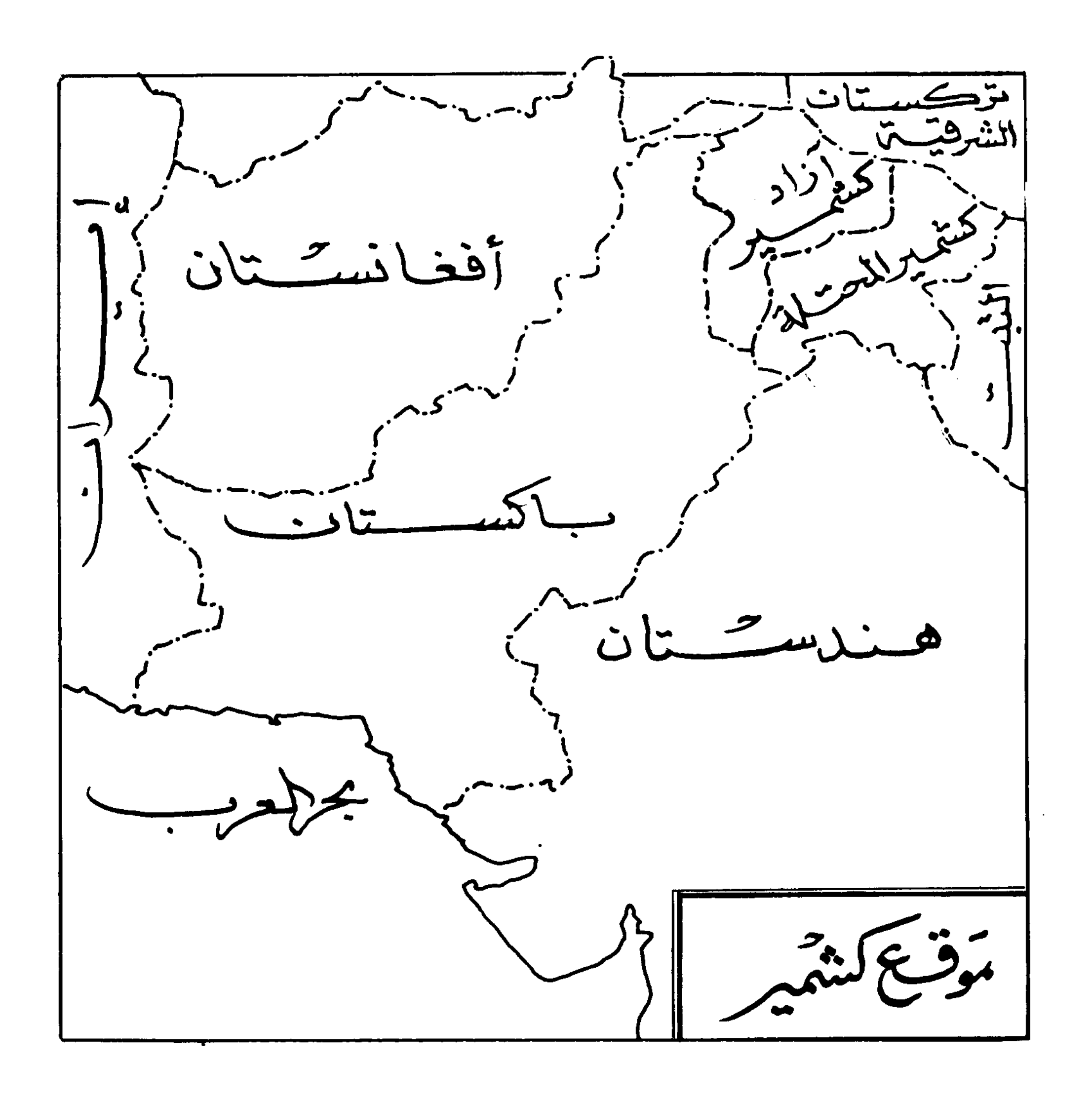
تقع كشمير في الشمال الشرقي من باكستان، وتحيطها باكستان من جزء من شمالها الغربي ومن غربها ومن جزء من جنوبها الغربي، وتحدها الصين الشعبية من جزء كبير من شمالها ومن شرقها ومن جزء صغير من جنوبها الشرقي، وتحدها هندستان من جزء من جنوبها.

مساحتها ٢١٧و٩٣٥كم٢، وعدد سكانها حالياً حوالي تسعة ملايين نسمة، تبلغ نسبة المسلمين أكثر من ٩٠٪، والباقي من الهندوس والسيخ والبوذيين[٢]. وكانت تشمل حتى وقت تقسيمها على ثلاثة مناطق هي: جمو وكشمير ومناطق الحدود.

وهي بلاد جبلية فيها سهلان أو واديان هما وادي جمو ووادي كشمير طيبة المناخ كثيرة الأنهار والغابات وأنهارها الكبيرة هي السند وجليم وجناب وهي الأنهار التى تنساب إلى باكستان وترويها، وهى أجمل بلاد العالم من حيث مناظرها الطبيعية ومناخها بارد وتغمر بعض مناطقها الثلوج شهوراً طويلة من

(١) نفسه ص ٣٨.

(٢) مجلة المجتمع الكويتية ـ العدد ٦٠٦ ـ.



السنة ، وفواكهها وخضارها غزيرة . وأخشابها تمثل ثروة طبيعية هامة ، وتربى في مراعيها أعداد كبيرة من الماعز الكشميري المشهور بصوفه الكشميري الثمين . وتم اكتشاف الياقوت فيها عام ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م . عدا معادنها الثمينة الأخرى[1] .

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية العدد ٦٠٦ ص ٣٢ .

فهي فى موقع جغرافي حساس من وجهة النظر الاستراتيجية ذلك لأنها تضم الممرات والثغرات فى المرتفعات الشاهقة الوعرة، وأنها تحكم التحركات على الطرق ومحاور الاتجاهات بين أرض الهند وشبه القارة بصفة عامة وبين أرض التبت من وراء الجبال شمالا، وكأنها بذلك أحد الأبواب التى تقيم الصلة بين الهند وآسيا.

وصول الإسلام إلى كشمير :

وصلها الاسلام مبكراً فى أواخر القرن الأول الهجري وفتحها هشام بن عمرو التغلبي والي السند فى عهد أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ)[١]. وزاد انتشار الإسلام في عهد المعتصم ٢١٨ /٢٢٧هـ وتمكن فيها فى مستهل القرن الرابع عشر الميلادى عندما وصلها داعية اسمه بابل أمكنه أن يقنع أحد حكامها باعتناق الإسلام فسمى نفسه صدر الدين فكان أول حاكم مسلم لكشمير. واستفحل الإسلام على يد الداعية سيد علي الهمذاني الذى وصلها حوالى عام ٧٢٩هـ / ١٣٨٨م من فارس. وصحبه فى هجرته تلك أكثر من ٧٠٠ داعية مسلم. وأصبحت جزءا من الدولة الإسلامية الهندية منذ عام (٧٤٠هـ -١٣٩٩م)[٢]. وقامت بدورها فى نشر الإسلام وحمله إلى التبت على يد تجارها وقد وصل الإسلام التّبت أيضا عن طريق يونان.

ولما ضعفت دولة الهند الإسلامية استطاع أن يسيطر السيخ على كشمير بزعامة المهراجا رانجيت سنك عام ١٢٢٤هـ / ١٨٠٩م.

وهزم الانجليز السيخ عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م وأبقوا عميلهم كولاب سنغ الهندوكى أميراً على كشمير المسلمة مقابل ٧,٥ مليون روبية ثمناً لولايته دفعها للحاكم البريطاني لمدة مائة عام. كما تقرر فى معاهدة أمريستار عام ١٢٦٣هـ / ١٨٤٦م على أن يعترف بالسيادة البريطانية عليه مثلما حدث فى سائر الإمارات[٣]. فبدأت مأساة كشمير وبدأ الظلم يعمّ أهلها فعلى الرغم من

(١) حسن ابراهيم _ تاريخ الاسلام ج ٢ ص ٢٥١.

(٢) مسعود الندوي _ الدعوة الاسلامية ص٣٢٩.

(٣) البلدان الاسلامية ص ٢٦١.

خيراتهـا الكثـيرة وامكاناتها الواسعة أصبحت فى أسوأ حال بسبب طغيان كلاب سنغ وخلفائه .

حال المسلمين في ظل حكم كولاب سنغ :

كان حكم كلاب سنـغ مضـرب المثـل فى الضـرائب التعسفيـة والقوانين الجائرة وسوء معاملة الرعية .

وكان عبء هذه الضرائب يقع بصفة مباشرة وغير مباشرة على المسلمين بصفتهم أغلبيـة السكـان بل كان الحـاكم يفرض على المسلمين ضرائب خاصة كالضرائب التى فرضها على الأضحية التى يضحى بها المسلمون فى عيد الأضحى .

وكـان يسمـح لغـير المسلمـين بحمل الأسلحة بغير ترخيص ، أما المسلمون فلا يحملونها إلا بتصريح يحصلون عليه بشق الأنفس . وكان ذبح البقر ممنوعاً فى الإمارة .

وإذا اعتنق الهندوسى الإسلام يفقد كل حقوقه فى الميراث ، بينما إذا ارتد المسلم عن دينـه تترك له كل أمـلاكـه ، وكـانت نسبـة غير المسلمين فى الوظائف تصـل إلى ٨٠٪ وأمـا الجيش فكـان ٨٥٪ من غير المسلمـين . وكانوا يستوردون الجنود من خارج الولاية لأن غير المسلمين فى الولاية لا يسدون العدد الكافى . فى حين كان يضطر المسلمون إلى الانضمام للجيش الهندى البر يطانى .

وكـان اسم المسلم مرادفـا لإسمي الحطـاب أو السقـاء ، ويعهد إليه بكل نوع من الأعمال الحقيرة القذرة، فى حين كان الهندوكي محترماً فى أنظار المجتمع .

المقـاومـة الإسـلاميـة لسياسة السيخ : يعتبر الشاعر الدكتور محمد إقبال أحـد أبنـاء كشمـير ، وكـان لفلسفته دور كبير فى بعث روح الإيمان والجهاد لدى المسلمـين فى كشمـير ، فدارت أول معـركـة بين المسلمـين والهنـدوس في

١٩٣١/٧/١٣م في مدينة سرينكر سقط فيها آلاف المسلمين بين قتيل وجريح[١].

ونظراً لهذه المظالم بدأ المسلمون يعملون على ايجاد تنظيم لهم يطالب بحقوقهم فكان : المؤتمر الإسلامى لعموم جموكشمير بزعامة الشيخ محمد عبد الله / الملقب بأسد كشمير وشودرى غلام عباس . وعقد دورته الأولى عام ١٩٣٢م برئاسة الشيخ محمد عبد الله وبرزت مطالب المسلمين فى ايجاد هيئة تشريعية شعبية لهم تنظر فى مصالح الناس . . فاضطر المهراجا أن يوافق على تكوين الجمعية التشريعية على أن تكون مجرد هيئة استشارية وأفرج عن المعتقلين وفيهم تشودرى غلام عباس رئيس المؤتمر منذ ١٩٣٤م . واستمر نفوذ المؤتمر فى ازدياد حتى أحرز عام ١٩٣٨م ٢٠ مقعدا من ٢١ واتخذ موقف النقد للحكومة لإهمالها مصالح الرعية .

وفى عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م تألفت هيئة جديدة سميت : حزب المؤتمر الوطنى وانضم إليه بعض الزعماء المسلمين ومنهم الشيخ محمد عبد الله الذى كان من قبل أحد زعماء المؤتمر الاسلامى ، واتخذ هذا الحزب شعاراً : خدمة مصالح الشعب وبالتالى خدمة المسلمين .

ووجدت الرابطة الاسلامية لعموم الهند صدى لها فى كشمير واستقبل المسلمون فيها دعوة جناح بانشاء دولة باكستان بحماس وترحيب .

وفى عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م وجه حزب المؤتمر الوطنى وحزب المؤتمر الاسلامى دعوة للسيد محمد على جنه رئيس الرابطة الاسلامية لزيارة كشمير حيث قوبل بحماس بالغ وظهر التقارب بينه وبين حزب المؤتمر الاسلامى . فأقلق هذا زعماء حزب المؤتمر الهندى والمهراجا . وأضعف مركز الشيخ محمد عبد الله أمام الأغلبية المسلمة . فتقرب المهراجا من الشيخ واختاره وزيرا ففقد هو وحزبه ما بقى لهما فى نفوس المسلمين الكشميريين من ثقة واحترام ، ولعل هذا ما دفع الشيخ محمد عبد الله للقيام بحركته عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م ضد المهراجا وطالبه بترك كشمير لشعبها يحكمها ويتولى أمرها . وعرفت حركته باسم :

---

(١) انظر مأساة كشمير لإحسان حقي .

«حركة انزحوا عن كشمير» على غرار حركة حزب المؤتمر الهندى ضد بريطانيا : «انـزحـوا عن الهند» ، فاعتقله المهراجا وحكم عليه بالسجن تسع سنين . وحاول نهرو التدخل فمنعه المهراجا هرى سنغ من دخول سرينكر فاضطر للرجوع .

ولكن بعـد أن أعلن تقسيم الهنـد عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م أخـرجـه من السجن بنـاء على طلب نهرو وعينـه رئيسـاً للجنـة الطوارىء فى الولاية . وأعلن رفضـه الاستقـلال على أسـاس إسـلامي وانـه يفضل الشكل الوطني القومي ، فحملت جماعته اسم المؤتمر القومي لجامو وكشمير . بينما ظل زعماء حزب المؤتمر الإســلامى وعلى رأسهم شودرى غلام عبــاس فى السجن . وأعلنـــوا تمسكهم بمبـادىء الإسـلام وأن الجهـاد الإسلامي هو الطريق للاستقلال بلا مهادنة ولا مسـاومـة . فاتفق الشيـخ والمهـراجـا ونهـرو على منـاهضـة فكـرة ضم كشمـير لباكستان . وزار المهاتما غاندي كشمير ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م لعقد الصفقة مع المهراجا .

أمــا المؤتمـــر الإســـلامي فقـــد عقـد مؤتمـراً عام ١٣٦٧هـ في سرينكـر عاصمـة كشمـير واتخـذ قرارا أعـرب فيه عن ارتياحه وسروره لقيام دولة باكستان ـ وأعلن أنـه من المحتم وجـوب انضمام الولاية (جموكشمير) إلى باكستان . كما احتفل المسلمون بيوم باكستان ١٤ أغسطس ورفعوا الأعلام الباكستانية معبرين بذلك عن رغبتهم فى الإنضمام لها .

ولجأ الأمـير هري سنـغ الـذى تواطأ مع الهند حقداً على المسلمين وخوفا منهم إلى الحيلة فأخـــذ يؤجـــل قراره الحـــاسم من يوم إلى آخـر فحـلّ يوم ١٥ أغسطس ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م وهـو آخـر يوم محدد لتقـريـر المصـير دون أن يحدد موقفـه ، ولمـا أراد المسلمـون الاحتفـال بيـوم باكستـان أمر بتمزيق الأعلام التى رفعـوهـا وأغلق جميـع الصحف الموالية لباكستان . وتابع سياسة العسف والشدة وان ارتبـط مع البـاكستــان فى نفس اليـوم بميثاق انتقلت بمقتضاه إلى باكستان الـواجبـات والمسؤوليـات التى كانت تضطلع بها حكـومـة الهند البريطانية قبل التقسيم فى الـولايـة فيما يتعلق بالمواصلات والبريد والبرق . كما تظاهر بأنه يريد أن يقف موقف المحـايـد بين الهنـد وباكستان ولكنه في حقيقة الأمر كان لا يرغب

إطلاقاً في أن يعلن انضمام الولاية لباكستان وأخذ فى تقوية الحاميات العسكرية المكونة من السيخ والهندوس فى المناطق الاسلامية وأصدر أمراً في أواخر شهر يوليو ١٩٤٧م يقضى بأن يسلم المسلمون أسلحتهم للبوليس. فانفجر المسلمون فى ثورة في منطقة بونج بقيادة السردار محمد ابراهيم خان فأصدر المهراجا الأمر بالقبض عليه فتمكن من الهرب إلى باكستان وفى مدينة مورى وضع أساس حركة تحرير البلاد وهى الحركة التى تمخضت بعد ذلك عن مولد «آزاد كشمير» أو كشمير الحرة.

واستمر المهراجا فى سياسة القمع والشدة ضد المسلمين حتى أنه بدأ القضاء عليهم بالجملة فاحتجت باكستان وتبودلت عدة برقيات شديدة اللهجة وفى الوقت نفسه استمرت الإبادة الجماعية للمسلمين على يد الجند الهنادكة والسيخ فأبيد ٢٣٧,٠٠٠ مسلم على بكرة أبيهم، وفر أكثر من مليون إلى باكستان[1]. فهب رجال قبائل الحدود الشمالية لنصرة إخوانهم واستطاعوا هزيمة الأمير وقواته حيث كونوا حكومة آزاد كشمير عام ١٩٤٨م، وفر الأمير من العاصمة سير ينكر إلى مقاطعة جمو ومن هناك كتب إلى الهند يطلب منها النجدة وإرسال جيش لصد الزاحفين وإخماد ثورة الشعب وأعلن فى هذا الكتاب انضمامه للهند. فقبلت الهند بالطبع انضمامه وأرسلت القوات الهندية بالطائرات فى نفس اليوم وتوالت الامدادات ونجحت القوات فى إسكات الشعب وصد الزاحفين وتثبيت حكم المهراجا، وما كادت تنقضي بضعة شهور على هذه الغارة الوحشية حتى كانت القوات الهندوكية قد اقتربت من حدود باكستان التى أرسلت بقواتها إلى آزاد كشمير وهكذا ظهرت مشكلة كشمير.

وأمام الحاح الرأى العام الباكستانى فى دخول القوات النظامية المسلحة حدود كشمير لم يسع جناح ولياقت علي خان إلاّ الاقتراح على الهند ايقاف القتال بضغط من الفيلد مارشال كلود أوكنلك واصدار بلاغ مشترك من الحاكمين العامّين للحكومتين بإجراء استفتاء تحت تصرف الحكومتين. ولكن حكومة الهند رأت أن كشمير أصبحت جزءاً لا يتجزأ من بلادها فاذا أجرى

---

(١) انظر أبو الأعلى المودودي ـ قضية كشمير ص٥٨.

استفتاء فالهند هى التى تقوم به وتقدمت بشكوى إلى مجلس الأمن تشكو من تشجيع الباكستان رجال القبائل لإثارة الفوضى فى بلادها . وأرسل مجلس الأمن لجنة عرفت باسم لجنة الأمم المتحدة لهندوستان وباكستان وأصدرت اللجنة قرارين عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م و١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م ينصان على ثلاث مواد[1] :

١ ـ وقف القتال وتعيين خط له .

٢ ـ تجريد الامارة من السلاح .

٣ ـ اجراء استفتاء حر محايد تحت اشراف هيئة الأمم لتقرير مصير الامارة وانضمامها إلى الهند أو باكستان .

وعلى هذا الأساس توقف القتال فى ١/١/١٩٤٩م وتعين خط وقف اطلاق النار فى ٢٧/٧/١٩٤٩م . ولم تحل المشكلة لأن الهند لا تريد التخلى عن كشمير مهما تكن رغبات أهلها . وتوالى المندوبون من قبل مجلس الأمن دونما فائدة . واتخذت الهند من الشيخ محمد عبد الله حجة وعينته رئيساً لوزارة كشمير . ولما وافق على الاستفتاء عزلته ووضعته فى السجن عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م وعينت مكانه بخشي غلام محمد الذى أخذ يعمل مع دهلي فى تقويض استقلال كشمير ، فأعلن نهرو ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م الغاء اتفاقية الاستفتاء وأعلن بالنيابة عن أهالي كشمير انضمام الولاية إلى الهند . على أساس سياسة الأمر الواقع التى تتغلب على الكلام والنظريات والحقوق . وهى السياسة التي آثرت الهند انتهاجها من أول الأمر تماما كسياسة اسرائيل فى فلسطين .

وبلغ الأمر في مندوب الهند المستر كريشنا مينون عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م فى مجلس الأمن وفى خطبته الرسمية فى المجلس أن أشار إلى مصير المسلمين فى الهند وما يمكن أن يتعرضوا له من الشعب الهندوسى لو ضمت كشمير لباكستان . وكان هذا الكلام يحمل تهديداً أو تلويحاً بالتهديد ـ أمام أكبر هيئة دولية فى العالم ـ لمصير المسلمين فى الهند وهو أنهم معرّضون لحملة انتقام بشعة من الهندوس والسيخ لو اتخذ مجلس الأمن قراراً بضم كشمير لباكستان .

---

(١) حقي ـ مأساة كشمير المسلمة ص ١٢٤ .

أخــرج الشيـخ محمـد عبـد الله من السجن عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م ولم يلبث طويلا حتى أعيد إلى السجن لمطالبته بالإستفتاء. وخرج مع صحبه عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م وذهب فى رحلة مع زميله أفضـل بيـك إلى المغـرب عام ١٩٦٥م يشـرحـان القضيـة فلما عادا قبضت عليهـما الحكـومة الهندية وأودعتهما السجن وأوعـزت إلى حكـومة كشمير بإلقاء القبض على زعماء جبهة الإستفتاء فقبضت على مئـات منهم والقتهم فى السجـون[1]. وقبضت هنـدوستـان على ناصيــة الحكم فى كشمـير ومــدت سلطـانهـا إلى كل ناحيـة فأنـزلت العلم الكشمـيري ورفعت مكـانه العلم الهندي على بناية المجلس النيابى فى سرينكر وغيرت ألقاب بعض كبار الموظفين وصرح الوزير الهندى ناندا عام ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م :

لقد ضمت كشمير نهائياً وبلا رجعة إلى هندوستان وأصبحت جزءاً منها وقال: انه لم يعد أى معنى لتقرير المصير[2].

وعقب على هذا القول كل من شاستري رئيس وزراء هندستان وشافان وزير الدفاع قائلين مثل قوله وهددا بمعاقبة كل من يصر على غير هذا القول بل وطالبا بضم آزاد كشمير إلى الهند.

بعـد حملة الاعتقـالات ١٩٦٥م أضربت البلاد احتجاجاً على تصرفات الحكـومـة الهنـديـة وقامت مظاهرات تطالب بالإفراج عن المعتقلين، واشتبكت القـوات الهنـدية بالمتظاهرين وقتلوا الكثير من الأهالى وألقوا جثثهم فى نهر جيلم لكى لا يعــرف عدد القتلى. وفــرضت رقـابـة شديـدة على الأنبـاء. وانقلب العصيان هذا إلى ثورة، وأنشئت لجنة باسم اللجنة الثورية وأعلنت بطلان جميع الإتفـاقيـات التي عقـدتهـا حكـومـة الهند مع حكومة كشمير العميلة. وأعلنت الحـرب على الهنـد لتحـريـر كشمير، واستنجدت بجميع الحكومات والشعوب المحبـة للسـلام ليمدوا إليها أيدي المساعدة. فشنت الهند حرب إبادة فى كشمير وباغتت باكستان بهجوم سريع عام ١٩٦٥م لتعزل كشمير. فعقد مجلس الأمن جلسة طارئة وطلب من الفريقين الكف عن القتال ووعد باتخاذ ما يمكن اتخاذه

(١) حقي ـ مأساة كشمير المسلمة ص ١٦٩.
(٢) حقي ـ مأساة كشمير المسلمة ص ١٧٠ ـ ١٧١.

من اجـراءات لتسـويـة المشـاكـل السياسية التي ينطوي عليها النزاع من غير أن يذكر القضية الكشمير ية (سبب النزاع)وهذا محاولة من أمريكا وروسيا تجميد القضية[1]. واعقب ذلك اتفاقية طشقند عام ١٩٦٦م، وبقيت كشمير المسلمة تعـاني تحت الحكم الهنـدوسي، ولكن أصبـح لها بعض الامتيـازات الخـاصة في الـدستـور الهنـدي، فقـامت الحكـومـة المركزية في الآونة الأخيرة بتدبير مؤ امرة لتغيـير الحكـومة المحلية بصورة تتفق مع مصالحها بالمنطقة وهذا أمر خطير سيء على رأي الشيخ سيد عبد الله البخاري[2] الكشمير ي.

أمـا كشمـير الحـرة (آزاد كشمـير) ــ فتصل مساحتها إلى ٤٠٪ فقط من مسـاحـة كشمـير الكليـة، وعاصمتها مظفر آباد في الشمال الغربي من كشمير، وأصبحت تمثل مسلمي كشمير لها جيشها وحكومتها المحلية ماعدا أربع وزارات تتبع الحكومة الباكستانية إدارياً وهي: الخارجية والدفاع والمالية والمواصلات.

وبالرغم من كل المؤ امرات التي حيكت ضد الحركة الإسلامية فيها إلاّ أن الشيـخ غلام عبـاس ومن معـه استطاعوا أن يصمدوا أمام تلك المحاولات، وفي عام ١٩٦٧م توفي الشيـخ غلام فانتخب الشيـخ سردار عبد القيوم رئيساً للحركة الاسـلاميـة في كشمـير. حيث فاز في أول انتخابات في تاريخ كشمير الحرة سنة ١٩٧٠م فأصبح أول رئيس لكشمير الحرة.

وفي عام ١٩٧١م حكم باكستـان ذو الفقـار علي بوتـو بفكره الإشتر اكي، فلم يواجه السردار عبد القيوم مباشرة، وعقد مؤ تمر اسلامي برئاسة السردار كان من نتائجه:

١ ــ إصدار فتوى بتكفير جماعة القاديانيين.

٢ ــ تطبيق الحـدود في شارب الخمـر والـزاني والسـارق. وكـذلك تطبيق قوانين الزكاة.

٣ ــ كرّم الشيخ عبد القيوم علماء المسلمين في كشمير، فجعلهم القضاة في المحاكم والمفتين في القضايا الاسلامية، ومنحهم صلاحيات كبيرة، وأنشئت

---

(١) أبو الأعلى المودودي ـ قضية كشمير ص٦٦.

(٢) المجتمع الكويتية العدد ٦٨٩ ص ٣٣.

المدارس والمعاهد والمكتبات الاسلامية والمساجد وتوفرت الكتب الاسلامية.

٤ ـ أصبحت العطلة الأسبوعية الجمعة بعد أن كانت الأحد، وأصبح يوم الخميس يوماً لتدارس القرآن الكريم.

٥ ـ أصبحت هناك محطتان للإذاعة تبث البرامج الاسلامية بصورة مركزة.

وبعد ذلك بدأت المواجهة بين الشيخ عبد القيوم وعلي بوتو، فاعتقل الشيخ وألقي في السجن وبقي في سجنه إلى أن أفرج عنه بعد أن أطيح بعلي بوتو بعد سنتين من اعتقاله، فعادت الحركة الاسلامية تعمل لإعادة الحياة إلى سابق عهدها في آزاد كشمير[1].

ويتوفر في آزاد كشمير التعليم المجاني للمرحلة الجامعية بعكس كشمير المحتلة، وتوجد فيها جامعة كبيرة وضخمة مركزها الرئيسي مظفر آباد عاصمتها، وتدرس اللغة العربية كمادة أساسية في جميع المراحل الدراسية الابتدائية إلى الجامعة. وهناك إقبال شديد لفهم اللغة العربية بين شباب كشمير.

ذيول التقسيم :

نشأت باكستان في ظروف صعبة يكفي أن نتصور قيام دولة جديدة بكل أجهزتها الضرورية في ظرف سريع فقد كانت دهلي هي العاصمة قبل التقسيم والمدن الكبرى كلها تقريبا كانت من نصيب الهند، ولم تكن كراتشي في عداد هذه المدن مثل بومبي أو كلكتا ـ وقد انتقل الجهاز الحكومي إليها ليواجه مصاعب الدولة الجديدة وضرورياتها. وفي الوقت نفسه جابهت هذه الدولة الجديدة الناشئة ظروف تدفق اللاجئين الذين بلغوا نحو سبعة ملايين وما يحتاجه هذا العدد من توفير الاقامة له وحل مشاكله.

وقد رسمت الحدود دون اعتبارات اقتصادية فالأراضي والمدن التي كانت من نصيب الباكستان لم يكن لها من الثروة المعدنية ولا من المراكز الصناعية مثل

---

(١) المجتمع الكويتية العدد ٦٠٦ ص ٣٣.

ما كان للهند بل كانت شبه خالية تقريبا من ذلك ، وهذا من أساليب الانجليز الذين أهملوا المناطق الاسلامية وركزوا الجامعات والمكتبات وعمليات إنشاء الطرق وكل مظاهر العمران الهامة في المناطق التي تسكنها أغلبية هندوكية وهذا ما لاحظه نهرو ولعله أهم أسباب موافقة نهرو على التقسيم على أمل أن لا تحيا باكستان وتكون الهندوكية قد تخلصت من المسلمين ولعل هذا ما قصده الانجليز حين خططوا خطوط الحدود . . فقد قال نهرو :

«وإذا رسم التقسيم بحيث يفصل ما بين المقاطعات التي تقطنها أكثرية هندوسية أو أكثرية اسلامية فعندئذ تشتمل المقاطعات الأولى (الهندوسية) على الجزء الأعظم من الثروة المعدنية والمناطق الصناعية وهكذا فان المقاطعات الهندوسية لن تعاني كثيرا من وجهة النظر هذه» .

ومن الناحية الثانية فان المقاطعات الاسلامية سوف تكون متخلفة اقتصاديا وعاجزة ماليا فى أكثر الأحيان ، مقاطعات لن تستطيع الحياة بغير مقدار كبير من المساعدات الخارجية[1] .

وفى الوقت نفسه بقيت للهند الرقعة الواسعة وبقيت لها دواوين الحكومة المجهزة ووسائل مواصلاتها وجيشها بكافة أسلحته وموانيها ومطاراتها وكل مقومات الدولة . وأهم من ذلك كله بقيت الحياة تسير كما هي بنظامها المعهود وقوانينها المعروفة فاستأنفت الحياة دون شعور كبير بنقص أو حاجة .

والباكستان كما ذكرنا منطقتان متباعدتان فهذا الوضع هو أحد الأوضاع الشاذة والصعبة فى تكوين الدولة الجديدة وسير حياتها فهو وضع يتخلف عنه متاعب عديدة للدولة من حيث الحكم والدفاع والاقتصاد والاتصال المباشر بين سكان الدولة الواحدة .

ويشكل الجزءان فى الواقع دولتين منفصلتين عملاً وزمناً وفكراً لا يربطهما إلّا الإسلام وهو أقوى الروابط لقيام الأمة وقد قامت الدولة الجديدة على أساسه لتجابه تعصباً دينياً آخر وفي هذا المجال اعتمدت باكستان الغربية على الروح

---

(١) عبد المنعم النمر ص ٣٤٠.

الإسلامي لتوطيد الصلة بين الشطرين دون أن تلجأ إلى تدعيمها بالدعاية والجهد أو تكافح أعداءها.

لقد كان ينتظر المسلمون أن يعيشوا في ظل دولة إسلامية تحافظ على تنفيذ أحكام الاسلام بحذافيرها ولكن الأمور جرت على غير ما يحبونه إذ بينما كانوا ينتظرون دولة اسلامية تصان فيها الأخلاق وتمنع المنكرات ويرتفع فيها اسم الإسلام عالياً دون سواه وإذ بهم يرون أنفسهم ولَم يتغير عليهم شيء إلاّ الأسماء في الوقت الذي أخذت فيه الأيدي الغريبة تمتد إلى البلاد والمؤامرات تحاك. فالقائمون على الحكم كانوا مسلمين وما كانوا يعرفون عن الإسلام إلاّ شيئاً يسيراً، وكانوا سياسيين ومثقفين ثقافة عصرية، فأقاموا باكستان على أساس القومية الاسلامية[1].

كان الإستعمار الإنجليزى قد عمل أثناء حكمه على إحياء لغات محلية لتكون لغات قومية كما شجع لغته لتكون اللغة الرسمية فى الهند، فأحيا اللغة السنسكريتية والبنغالية إلى جانب الأوردية على حساب الفارسية والعربية. فكان للبنغال لغة اقليمية لها آدابها وصحفها ومجلاتها وبالتالى فقد كانت فى غنى عن الصحف الأوردية وهكذا فان تبادل المعلومات والآراء بين الشطرين كان وقفاً على رجال الحكومة دون الشعب إلا طبقة معينة من القوم لها ثقافة خاصة وحريصة على دوام الصلة بين الشطرين.

وعندما قبل البنغاليون التخلي للأوردية لتكون لغة الدولة الرسمية كان ذلك لكى يقيموا دولة إسلامية فإذا بالباكستان كغيرها من الدول وليس الإسلام هو العنصر المميز لها وبمعنى آخر فقدت مقوماتها الأصلية التى قامت على أساسها ولجأت إلى الغرب كغيرها تستمد منه دستور حياتها فأضاعت رأسمالها ولم تحصل على شيء أفضل ــ ومادامت القضية أصبحت قومية وليست فكرية دينية فليس هناك ما يبرر بقاء الجزئين.

---

(١) المجتمع الكويتية في حديث مع الشيخ خليل الحامدي أحد قادة الجماعة الاسلامية ورئيس دار العروبة في باكستان ـ ص ٣٩ ـ العدد ٧٢٠ السنة ١٥ الثلاثاء ٨ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ/ ٢٩ يناير ١٩٨٥م.

انظــر قول محمــد علي جنــاح عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م أمــام المجلس التشريعي مخاطباً أبناء قومه : «إنكم سوف ترون مع مرور الزمن بأن الهنادكة لن يكونوا هنادكة والمسلمين لن يكونوا مسلمين ولست أقصد بذلك الناحية الدينية لأن العقيـدة شيء شخصي وإنـما أقصـد القـوميـة وأعني بذلك أن باكستان لن تكون دولة دينية يتولى أمورها علماء دين مهمتهم دينية بل ستكون دولة باكستانية يتولى أمورها باكستانيون وعندنا كثير من غير المسلمين وكلهم باكستانيون .

بل ذهب زعماء المسلمين إلى أبعد من ذلك فتنازل حزب الجامعة الشعبية الإسـلاميـة فى البنغـال عن كلمـة إسلامية وأصبح الحزب يسمى حزب الجامعة الشعبية فقط إرضاء للهنادكة[١] .

فانهـارت بذلـك أحـلام المسلمـين فى الهنـد بعـد أن تحركـوا ونـزحوا إلى باكستـان فى تحرك عظيم يشـدهـم بريق الفكـرة الإسـلامية التى طغت على كل شيء ولعلها كانت مدعاة لدعوة تحاول بها خلق وتجسيد فعلي لدولة إسلامية أكبر تضم شمـل العـالم الإسـلامي . وبقيت معـانـاة المسلمـين فى الهند ومأساتهم فى كشمـير . واستمـرت الهنـد تقلق حكومة باكستان تمثلت فى حروب شنتها عليها عام ١٩٤٨م وعام ١٩٦٥م وأخيرا عام ١٩٧١م .

وفى الـوقت نفسـه عمـدت الهندوكية إلى أساليب مختلفة لفصل باكستان الشرقية عن الغربية .

ولتنفيـذه استعـان الهنـادكـة بالحـزب الشيوعي وبحزب عوامي اليساري برئـاسـة الشيـخ مجيب الرحمن . واغتنمت ظروف البلاد وعوامل الإنفصال المتوتر فقـامت بغـزو البنغـال عام ١٩٧١م وانتهت الحـرب بانفصـال بنغـلاديش عن باكستان ثم اعلان جمهورية بنغلاديش[٢] .

ومن الطــريف أن جميــع القـادة الـذين كان لهم دور أسـاسي فى تقسيم باكستان وسلخ باكستان الشرقية عن الغربية لاقوا حتفهم فى ظروف غير طبيعية .

---

(١) د. إحسان حقي ــ باكستان بين ماضيها وحاضرها ص ٢١٨ .

(٢) انظر حقي ــ باكستان بين ماضيها وحاضرها ص ٢٦١ وما بعد .

كان أول هؤلاء مقتــلا هو الشيــخ مجيب الــرحمن الــذى تزعم العمــل السياسي من أجل فصل بنغلاديش عن باكستان وقد قتل فى حركة ١٥ أغسطس (آب) ١٩٧٥م . وأعدم فى باكستان ذو الفقار علي بوتو بعد إدانته بجريمة قتل . وكذلك قتل ضياء الرحمن رئيس وزراء بنجلاديش السابق الذى ابتدأ العمليات العسكرية التى استهدفت فصل بنجلاديش . ومن المفارقات أن ضياء الرحمن لم يقتل فى داكا بل فى مدينة تشيتا غونغ التى أعلن منها بنفسه قيام دولة بنغلاديش عام ١٩٧١م .

وأمـا أنـديـرا غانـدى فقد لقيت مصرعها بأيدي حرّاسها من السيخ وهى التى كان لها الـدور الأول والأكـبر فى أحـداث انقسام باكستان وأرسلت جيشها من أجل تحقيق هذا التقسيم .

وجدير بالذكر أن أربعة آخرين كان لهم الدور الفعال فى الحركة التى قادها مجيب الـرحمن وهم نذر الاسـلام وتاج الدين وأبو المنصور وقمر الزمان قتلوا جميعا فى السجن على يد مجموعة من الضباط الذين قاموا بانقلاب ١٥ أغسطس آب ١٩٧٥م وهى الحركة التى استطاع ضياء الرحمن أن يستغلها ليتولى الحكم دون أن يكـون مشـتركـاً فيهـا[١] . كما قتـل ضيـاء الـرحمن خلال محاولة انقلاب عام ١٩٨١م قادهـــا عبـــد الستـــار الـــذي انتخب فى نوفمـبر (تشـرين الثـاني عام ١٩٨١م)، وهـوزعيم الحزب القومي البنغلاديشي (المعارضة)، وأطيح به أيضاً في (مارس) آذار عام ١٩٨٢م بعد أربعة أشهر فقط من انتخابه، وقاد الانقلاب ــ الرئيس الحالي الجنرال حسين ارشاد[٢] .

وضع المسلمين في الهندستان من عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م ـ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م :

استمرت الأحزاب الهندوكية المتعصبة والمنظمات الإرهابية توالي اعتداءاتها على المسلمـين في داخـل الهنـد الـذين يزيد عددهم على مائة مليون نسمة[٣] ، وقد نظمت هذه الأحزاب والمنظمات نفسها تنظيماً عسكرياً ودربت الهنادكة على

(١) الشرق الأوسط العدد ٢١٦٥ ، الخميس ٨ صفر ١٤٠٥هـ/ ١/١١/١٩٨٤م .

(٢) الشرق الأوسط ص ٥ . ٦/١٠/١٩٨٥م .

(٣) نشرة معهد الأقليات ــ ربيع الأول ١٤٠٠هـ .

استعمال السلاح الناري والسلاح الأبيض بهدف إبادة المسلمين أو ترحيلهم. فأخذت تشن غاراتها على المسلمين مستغلة الأعياد الهندوكية في إثارة الإضطرابات الطائفية(١). ومستغلة بعض المسلمين الذين خلعوا الاسلام من رقابهم للسخرية بالمسلمين كمهر النساء وحميد دلوائي(٢).

وقد بلغت غارات المنظمات المتطرفة على المسلمين ما بين عامي ١٩٤٨ و١٩٧٠م بموجب الاحصاءات الرسمية وكما جاءت في الصحف الهندوكية ذاتها ٥٩٢ غارة(٣). كما شهدت مناطق المسلمين حتى سنة ١٩٨٥م ٢٠ ألف حادث دموي منذ الاستقلال حسب الاحصاءات الرسمية، بينما تشير الاحصاءات غير الرسمية إلى أكثر من ذلك بكثير يتعرض فيها المسلمون للقتل والاعتقالات والنهب وهتك الأعراض بصورها البشعة على أيدي رجال الشرطة الحكومية الهندية، في حين تصورها الصحف بأنها اضطرابات طائفية(٤). ومن هذه الإعتداءات مجزرة أحمد آباد التي نظمها حزب جان سنغ عام ١٩٧٠م والتي ذهب ضحيتها ١٥ ألف مسلم باعتراف أنديرا غاندي نفسها والتي ارتكب فيها الهنادكة أفظع عملية لا إنسانية إذ قبضوا في جملة ما فعلوا على ٣٠٠ إمرأة مسلمة وحرقوهنّ بالنار وهنّ أحياء(٥). ومنها مذبحة آسام الشهيرة وقد بلغ عدد القتلى المسلمين فيها ٥٠ ألف نسمة على أيدي الهنادكة من أعضاء الحكومة المركزية(٦). ووقع ٥١٠ حوادث شغب في الفترة ١٣٩٧هـ - ١٣٩٨هـ. فقتل فيها العديد من المسلمين(٧). وفي عام ١٣٩٩هـ تعرّض المسلمون إلى عمليات إبادة وتدمير بشعة وبعلم السلطات الحاكمة في مدينة حمشيد بور في ولاية بيهار(٨).

---

(١) الدعوة العدد ١٧، ١٥ محرم ١٤٠٦هـ ١/١٠/١٩٨٥م - دلهي - الهند.

(٢) الدعوة العدد ١٦، ٢٩ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ١٥ سبتمبر ١٩٨٥م - دلهي - الهند.

(٣) حقي — باكستان بين ماضيها وحاضرها ص ١٩٠.

(٤) المجتمع العدد ٦٨٩ ص ٣٣.

(٥) باكستان بين ماضيها وحاضرها ص ١٩١.

(٦) المجتمع العدد ٦٨٩ ص ٣٣.

(٧) نشرة معهد الأقليات صفر ١٣٩٨هـ.

(٨) نشرة معهد الأقليات ربيع الأول ١٤٠٠هـ.

ودأبت الحكـومـة على الاستيـلاء على المبـاني والمسـاجـد والأراضي الإسـلاميـة الـوقفيـة وتحـويلهـا إلى ملاعب أو طرق أو مرافق حكـومية أخرى، فالحكـومـة تحظـر على المسلمـين الصلاة في بعض المساجد القديمة وتمنعهم من ترميمهـا وتجـديـدهـا خلال فترة معينة، ثم تصدر أوامرها بعد ذلك بسلب تلك المساجد وهدمها وإنشاء مبان حكومية مكانها. وحتى المسجد الجامع في دلهي لم يسلم من ذلـك فقـد استـولت هيئـة الاسكـان الحكومية على قطع أرضية حول الجامع تقدر قيمتها بخمسمائة مليون روبية بدون مقابل. كما هدمت الهيئة جميع المبـاني والأسـواق الـوقفيـة التي كانت تحيـط بالجـامـع كمصـدر استثماري ثابت للأنشطة التي يقوم بها الجامع.

وصـدر قانـون وافق عليـه أعضـاء الـبرلمـان الهندي سنة ١٩٨٤م يعطي الحكـومـة حق التصـرف في إدارة أوقاف المسلمين. كما يعطي الحق للحكومة في ترشيـح المـديـر العـام للأوقاف الإسلامية بالهند والذي يعتبر رأيه نهائياً في كل ما يتعلق بشئـون الأوقـاف، كما رسمت خريطـة لمدينة دلهي سوف تتحول بموجبها العـديـد من المسـاجـد والمقـابـر والمباني الاسلامية إلى ملاعب وطرقات ومرافق حكومية. وهكذا فالأوقاف الاسلامية في خطر لم تشهد مثله عبر تاريخها المديد[1].

وتستخدم الحكومة الهندوسية المقررات الدراسية لتشويه مبادىء الإسلام فقـد ورد في الصفحتـين ٢١٧ ـ ٢١٨ من الكتـاب المقرر في مادة الحضارة تشويه متعمـد لصـورة الـرسـول ﷺ ، حيث يصـوّره هذا الكتـاب المقـرر في المدارس الحكـوميـة الهنـديـة بأنـه عليـه الصـلاة والسلام كان قاطع طريق، وانه اقتبس مفـاهيم الاسـلام من اليهـوديـة، وهذه صورة واحدة فقط من بين مئات الصور البشعـة التي تصـور بها تعـاليم الاسـلام في المقـررات الهندية الحكومية. وعندما يحتج المسلمون على هذه الاتهامات لمبادىء دينهم يكون جزاؤ هم الاعتقالات والسجون[2].

---

(١) المجتمع ــ العدد ٦٨٩ ص ٣٣، السنة ١٥ الثلاثاء ٦ صفر ١٤٠٥هـ/ ٣٠ اكتوبر ١٩٨٤م.

(٢) نفسه ص ٣٣ في لقاء مع الشيخ سيد عبد الله البخاري.

كما وأن الحكومة الهندية لا تعين في المناصب الحساسة في الدولة المسلمين بل تلجأ إلى تعيين أو ترشيح بعض المسلمين في مناصب تشريفية عالية لا تأثير لها على السلطة مثل منصب رئيس الجمهورية (الذي شغله ذاكر حسين)، وإذا تم تعيين مسلم في منصب حساس مثل منصب وزير أو سفير فيتم اختياره من المحسوبين على السلطة والمسلمين بحكم شهادة الميلاد فحسب، فهم يسيئون إلى الاسلام والمسلمين أكثر من غيرهم[1].

وتعمد حكومة الهند من أجل الحدّ من زيادة عدد المسلمين في الهند إلى التعقيم الإجباري للرجال. كما تحاول جاهدة تغيير القوانين الاسلامية الشخصية بحجة إدخال التعديلات عليها[2].

أما المسلمون في الهند فقد صبروا وقاوموا ما وسعتهم المقاومة، ووقفوا يصدون تحديات التمييز العنصري، وتقاوم الجماعة الاسلامية ومؤسسها الشيخ أبو الأعلى المودودي ما وسعتها المقاومة، واستعانت بالرابطة الاسلامية والهيئات والمنظمات الاسلامية التي طالبت حكومة الهند بوقف المذابح التي يتعرض لها المسلمون في الهند[3]. وأنشأ المسلمون العديد من الجمعيات والهيئات الإسلامية التي تنتشر في أنحاء البلاد، وتزاول أنشطة مختلفة لصالح المسلمين مثل إقامة المدارس والجامعات والهيئات الخيرية، وإصدار الصحف والمجلات، والاهتمام بالتعليم من أبرز الأنشطة بالجمعيات والهيئات الاسلامية بالهند:

فتوجد: دار العلوم ـ ديوبند ـ افتتحت عام ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٧م. وتصدر مجلتين هما دار العلوم بالأردية، ودعوة الحق بالعربية.

وتوجد مدرسة مظاهر العلوم في ولاية سهارنبور ـ اترابراديش ـ وأسست عام ١٢٨٣هـ/. ودار العلوم في مدينة لكنو وتتبع ندوة العلماء وتصدر العديد من

---

(١) نفسه ص ٣٢.

(٢) الدعوة ـ دلهي ـ الهند العدد ١٧، ١٥ محرم ١٤٠٦هـ/ والعدد ١٦ ص ٨، ٢٩ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥/٩/١٥م.

(٣) نفسه ص ١٣٨ ـ ١٤٢.

المجلات مثل الرائد باللغة العربية والبعث الاسلامي بالعربية. ومدرسة الإصلاح وتتبع جمعية ندوة العلماء، والرحمانية في مدينة مونجير بولاية بيهار، والمدرسة العليا النظامية في مدينة لكنو. ودار العلوم الاشرقية في مدينة نانديرقرب بمباي وهي أقدم المدارس العربية، والجامعة الحسينية في مدينة رانديرـ، والجامعة العربية الاسلامية في ولاية سورت. وروضة العلوم ومدينة العلوم وسلم السلام ومدرسة كيرالا في جنوب غربي الهند وجامعة دار السلام في مدينة عمر آباد ومدرسة الباقيات الصالحات والمدرسة الجمالية في جنوب شرقي الهند، والجامعة الاسلامية النظامية والجامعة العثمانية ـ في حيدر آباد ـ الدكن.

كما أن هناك الجامعة الاسلامية في عليكرة وهي أبرز الجامعات العصرية، والجامعة الاسلامية الملّية في دهلي، ومعظم نفقات هذه الجامعات والمعاهد من الأوقاف وتبرعات المسلمين[1].

وهناك دور للتأليف والنشر مثل: دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن. ومنها قسم التحقيق والطبع، والمطابع قسم عربي وقسم انجليزي. ودار المصنفين ـ أعظم جره ـ أسسه العلامة شبلي النعماني. وندوة المصنفين في دلهي ـ أنشأتها جماعة من متخرجي دار العلوم. ومكتبة الجامعة الملية الاسلامية (دلهي الجديدة)

كما تحوي الهند مكتبات شهيرة مثل:

مكتبة رضا الشعبية ــ ولاية اترابراديش بمدينة رام بور. وفيها ١٦,٠٠٠ مخطوطة بالعربية والفارسية والأوردية، ومخطوطات باللغة السنسكريتية والهندية والتركية والبشتو والجوجرانية والتاملية ولغة تلحو.

ومكتبة خدابخش للعلوم الشرقية في مدينة بتنا بولاية بيهار. وتضم مخطوطات نادرة باللغة العربية والفارسية. ومخطوطات بالأردية والتركية، وكتب مطبوعة[2].

---

(١) انظر ــ عبد الحليم الندوي ــ مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند ـ دلهي الجديدة ـ مطبعة نوري المحدودة مدراس ١٣ (الهند). ص ٥-٩٣.

(٢) نفسه ص ١١٠ ــ ١٣٤.

العلاقات الهندية الاسرائيلية :

هنـاك شبـه كبـير بين أفكار البراهمة والفلسفة التلمودية وفكرة شعب الله المختـار. وبعـد ثلاثـة شهور من اغتصاب اسرائيل لفلسطين (١٩٤٨م) أعلنت الهنـد اعـترافهـا بدولـة اسـرائيل على أساس سياسة الأمر الواقع التى انتهجتها الدولتان. فقال نهرو فى البرلمان الهندي :

«انـه من البـديهي أن نعـترف بواقـع قائم وهـو أن اسـرائيـل دولة قائمة» ونتيجة لأقواله صدر هذا البلاغ عام ١٩٥٠م :

«لقـد قررت الحكـومـة الهندية الإعتراف بدولة اسرائيل». وعلق الناطق الرسمى باسم الحكومة الهندية تعقيباً على هذا البلاغ بقوله :

«ان دولة اسرائيل موجودة في الواقع منذ سنتين ومما لاشك فيه أنها خلقت لتبقى وقد عملت الهند طوال هاتين السنتين الماضيتين بتعاون قائم مع اسرائيل».

وأنشأت اسـرائيـل بعد ذلك وبصورة رسمية قنصلية عامة فى مدينة بمبى وقـد اثبتت هذه القنصليـة بعـد وقت قليـل من تأسيسهـا على أنهـا حصن قوى للتعاون الهندى الاسرائيلى وكانت تعمل بهدوء تام لتحقيق أعظم قدر ممكن من تمتـين الـود والصـداقة بين البلدين. فى حين أن الهند تدعي بأنها مجرد قنصلية أو مركزاً تجاريا.

وفى مؤتمر باندونغ اقترح جواهر لال نهرو اشراك دولة اسرائيل بهذا المؤتمر معتمداً فى تقديم اقتراحه على القول بأن اسرائيل دولة معترف بها من قبل الأمم المتحدة وأنها مرتبطة بعلاقات دبلوماسية مع عدد من البلاد الأفريقية والآسيوية.

ولـما عرض موضـوع ادراج فلسطين فى المؤتمر هب نهرو غاضباً وقال: انها لجرأة من قبـل العـرب أن يناقشوا القضية الفلسطينية فى هذا المؤتمر الذى لم تدع إليه اسرائيل أو ليس وجود اسرائيل فى غرب آسيا حقيقة؟ أفلا يكفي انها لم تدع إلى المؤتمر.

وقد وثقت الهند صلاتها بالعرب على حساب باكستان فقد صرحت أنديرا غاندي فى خطاب لها فى حفل أقيم فى تونو فونتو ٢٥ نيسان ١٩٦٢م/ ١٣٨٢هـ وكان أكثر حاضريه من الهنود اليهود فقالت :

«لقد أسيء فهم سياسة الهند إزاء اسرائيل فإذا كنا لم نتبادل السفراء فذلك لأننا قد رأينا أن ذلك يضر بمصالحنا ومصالح اسرائيل معاً بسبب الموقف العربي ومسلمي باكستان».

وصرح الزعيم الهندوكي كامات فى البرلمان الهندي ١٧ نيسان عام ١٩٦٤م/ ١٣٨٤هـ فقال: «أن سياسة الهند نحو العرب ليست منبعثة من حبنا للعرب بل من اعتبارات سياسية لخداع العرب».

وفى مجال التعاون العسكري: عقد الجانبان الهند واسرائيل اتفاقية تعاون ذري بينهما عام ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م. ولتسهيل التعاون العسكري عين ضابطان اسرائيليان فى وزارة الدفاع الهندية، واشترت الهند من اسرائيل كميات كبيرة من السلاح عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م. كما ذهب قائد الجيوش الاسرائيلية المدرعة فى سيناء اريل شارون إلى دهلي عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م لشراء قطع غيار للطائرات الاسرائيلية الفرنسية الصنع من نوع ميستير واورغان وقطع غيار للدبابات الفرنسية.

وفى عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م أمدت اسرائيل الإنفصاليين البنغاليين بكميات كبيرة من السلاح أرسلتها باسم مساعدات إلى حكومة بنغلاديش العاملة فى كلكته.

وقد درب أفراد العصابات الهندية على أعمال الشغب والثورات فى اسرائيل وخاصة عصابات حزب جان سنك الارهابي الهندي، وزيارة زعماء هذا الحزب إلى اسرائيل مستمرة لا تتوقف ولا تنقطع، وفي افتتاحية لصحيفة الحزب عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م : نددت بموقف العرب من اسرائيل وقالت: لقد عرف عن اسرائيل انها لا تطمع ببوصة من أرض العرب ـ بل كل ما تريده هو السلام ـ وانه لمن دواعي الاشمئزاز حقاً بأن تمنع مصر اسرائيل من استعمال قناة السويس بحجة أنها فى حالة حرب مع العرب منذ ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م إن هذه

لحماقة يجب أن تنتهي وعلى العرب أن يقبلوا باسرائيل كواقع راسخ وأن يتعلموا التعـايش معهـا» . والصحـافـة الهنـديـة تتحيـز لاسرائيل أكثر من الاسرائيليين أنفسهم . ومازالت الهند تتعامل تجاريا مع العرب واسرائيل على حد سواء .


الفهـــارس

فهرس الجزء الأول[1]

(١) الفهارس التفصيلية في نهاية الجزء الثاني.